بسم الله الرحمن الرحيم
قام الباحث بتصوير
ما لوحظ عليه أثناء مناقشة
رسالته. والله الموفق.
عبد العزيز محمد عثمان
١٤/١١/١٤١٠

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

٢٤٢/٢٤٢
٢٢م

أ.م. المشرف
١٤١٠/١١/١٦هـ

مفاتح الرضوان

في تفسير الذكر بالآثار والقرآن

من سورة الشعراء إلى سورة لقمان

للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت ١١٨٢هـ

حققه ودرسه الطالب
عبد الله بن سوقان بن عبد الله الزهراني
لنيل الدرجة العالية «الماجستير»
إشراف
فضيلة الدكتور محمد بن بحيري بن إبراهيم

١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

" بسم الله الرحمن الرحيم "

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله .

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ الا وأنتم مسلمون))

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إنّ الله كان عليكم رقيبا)) ، ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)) .

أما بعد : فإنّ قيمة كل علم تقدّر بقيمة موضوعه ، ولما كان القرآن الكريم أشرف كتاب ، وأجل دستور، وأعظم معجزة ، فإنّ أجل العلوم علومه ، ومن أفضل علوم القرآن علم التفسير ، اذ أن هداية القرآن لا تتم بمجرد التلاوة والحفظ فحسب ، بل لا بد من تدبر آياته ، ومعرفة معانيه ، والعمل بما فيه، ، والاهتداء بهديه ، والبعد عن نهيه وزجره والاعتبار بمواعظه وقصصه ، وهذه أمور غالبها لا يُهتدى إليه إلا من علم التفسير ، فلهذا كان حقا أن تُصرف الأوقات النفيسة والأعمار الغالية في معرفة هذا العلم الذي رغّب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] .

ثم لا شك أنّ التفسير بالمأثور أجل قسمي التفسير ، وكان من تلك المؤلفات التي عُنيت بهذا النوع من التفسير كتاب " مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن " لمؤلفه العالم الجليل / محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني أحد العلماء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد مضى على هذا الكتاب قرابة قرنين ونصف القرن وهو حبيس المكتبة ولم يسر النور ، فلهذه الأسباب وغيرها استخرت الله عز وجل وسألته العون في تحقيق هذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه ٩/٧٤ .

الكتاب المبارك - إن شاء الله تعالى - وقد جعلت هذه الرسالة في بابين :

الباب الأول : خاصا بدراسة المؤلف والكتاب ، وقد جعلت تحته فصلين :

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف - واشتمل على المباحث التالية :

١) اسم المؤلف ونسبه ٢) مولده ونشأتـــه

٣) شيوخه وتلاميـــذه ٤) صفاته وأخلاقـــه

٥) مصنفاتـــــه ٦) جهـــاده ٧) وفاتـــــه

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد جعلته لدراسة الكتاب واشتمل على المباحث التالية : ١) توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف رحمه الله تعالى .

٢) أوضحت المغايرة بين تفسير الصنعاني وتفسير ابنه إبراهيم وبيّنت اسم تفسير كل منهما وطريقته التي سلكها . ٣) ذكرت ما حصلت عليه من أجزاء الكتاب ثم وصفت نسخة التي قمت بتحقيقها . ٤) أوضحت أنّ جميع هذه الأجزاء المتفرقة إنّما هي بعض تفسير الصنعاني وأزلت ما يتوهم من إشكال في تناثر هذا التفسير وأن كل ناسخ ينص على أنّه لا يعرف للصنعاني سوى ما عنده من تلك الأجزاء . ٥) علّلت اختياري تحقيق القطعة الثانية قبل الأولى ٦) بيّنت اسم الكتاب . ٧) ذكرت أصح طرق التفسير .

٨) أوضحت منهج الصنعاني في كتابه هذا .

٩) قارنت بين منهج الصنعاني وابن كثير في تفسيريهما .

وأما الباب الثاني فقد جعلته خاصا بتحقيق المخطوط وقد سلكت في تحقيقه الخطوات التالية :

١) المقابلة بين النسختين بغية الحصول على النص الصحيح في أي النسختين وجدته ، مع الإشارة الى ما في النسخة الأخرى من خلاف ، وقد رمزت للنسخة الصنعانية بحرف (ص) ، وللنسخة المحمودية بحرف (م) .(١)

---

(١) وعندما لا يستقيم الكلام ولا يظهر الصواب في أي من النسختين فاني ربما اضطر الى تصحيح بعض عبارات المؤلف ثم أشير في الهامش إلى ما فعلت في النص وإلى ما كان في النسختين ، وهذا إنّما تجبرني إليه الضرورة وحملني على ذلك أنّ المؤلف لم يتسن له تبييض كتابه هذا ، مع أني ندمت على ذلك - أخيرا - وودت أن أكون أخذت بنصيحة مشرفي الفاضل عندما أشار علي بعدم تغيير شيء من نص المؤلف إلا إذا كان الخطأ في الآيات ←

=====

٢) عزو الآراء والأقوال - التي يذكرها المؤلف - إلى مصادرها الأصلية متى وجدت .

٣) بيان أرقام الآيات وسورها ، فان كانت الآيات المفسَّرة - بالفتح - وضعت رقمها داخل النص ، وان كانت من الآيات المفسِّرة فإني أشير الى رقمها وسورتها في هامش الصفحة .

٤) إذا ورد في النص قراءة تخالف قراءة حفص عن عاصم [١] فإنّي ابحث في كتب القراءات فان وجدتها قراءة متواترة أبقيتها وذكرت من قرأ بها ثم أشرت الى القراءات الأخرى ، وإن كانت ليست بقراءة فاني أزيلها وأثبت مكانها قراءة حفص عن عاصم . [٢]

٥) تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب [٣] دون الحكم عليها . [٤]

٦) تخريج الآثار من مصادرها - إن وجدت - وإلا اكتفيت بعزوها إلى الدر المنثور اذ أنّ المؤلف - رحمه الله تعالى - إنّما يوردها منه .

٧) شرح المفردات الغريبة .

٨) التعليق على نص المؤلف عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

== فها أنا أعترف بخطئي وأقرّ بتقصيري وأقدّمها نصيحة لنفسي ولغيري من الزملاء بعدم المساس بشيء من نصوص السابقين ، وإظهارها على ما هي عليه ، فلربما تخيّل المحقق خطأ في عبارة ما وهي في الحقيقة عين الصواب .

(١) وذلك لأني لا أعرف إلا قراءة حفص عن عاصم فلا أشير إلى القراءات الا عند مخالفته لها .

(٢) وذلك لأن المؤلف أو الناسخ رحمهما الله تعالى لم يسلكا قراءة معينة فالتزم برسمها .

(٣) وما كان منها في الصحيحين فاني اكتفي بتخريجه من صحيح البخاري ، الا اذا كان لفظ مسلم أقرب الى نص المؤلف فحينئذ اذكر موضعه حتى في صحيح مسلم ، وكذلك إذا كان الحديث في أحد الصحيحين فإني لا أشير إلى ما سواه من مصادر إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

(٤) اذ أنّ الحكم على الحديث أو الأثر يتوقف على معرفة إسناده ، وأنّى لي ذلك وجل ما أورده المؤلف إنّما هو من الدر المنثور ؟ ولا شك أنّ الدر المنثور يسوقها من غير إسناد ، بل ربما يورد الروايات المتعددة الأسانيد في سياق واحد ، ومثل هذا لا يمكن الحكم عليها إلا بعد الرجوع إلى مصادرها الأصلية وذلك أمر غير متيسر .

٩) عدّلت رسم بعض الكلمات لتوافق الرسم المستعمل حاليا ، فقد كان يكتب سليمان ، إسماعيل ، الحياة .. هكذا : سليمن ، اسمعيل ، الحيوة ، بل ربما أخطأ في عدم التفريق بين الضاد والظاء فكان يكتب الضالين : الظالين ، ويضربونه : يظربونه ، ويكتب الظلام : الضلام ، وظعنكم : ضعنكم .

وكذلك ربما يخطئ في رسم بعض الكلمات ، فكان يرسم من الحروف ما حقه أن يكون على صورة الياء على صورة الألف ، مثل سمّى الله كتابه ، يرسمها لما الله كتابه ، وحجة أخرى يكتبها حجة أخرا . ويكتب المعنى : المعنا ، والهدى يكتبها : الهدا .

١٠) أشرت لبدء صفحات المخطوط ليسهل الرجوع إليها .(١)

١١) ترجمت للمغمورين من الأعلام - وهم قلة - وأما غيرهم فاني لم أترجم لهم لشهرتهم وكثرتهم .(٢)

١٢) خرجت ما استطعت تخريجه من الأبيات الشعرية .

١٣) ختمت الكتاب بالفهارس الآتية :

أ - فهرس الأحاديث .

ب - فهرس الآثار

جـ - فهرس الأبيات الشعرية

د - فهرس الأعلام .

هـ - فهرس المراجع التي نص المؤلف على ذكرها .

و - ثبت المصادر والمراجع .

ز - فهرس الموضوعات .

---

(١) واعتمدت الإحالة الى النسخة الصنعانية إذ هي أتقن خطا وأكمل نصا .

(٢) وما كان مشهورا - وترجمت له - كأبي بكر الباقلاني وأبي الحسن الأشعري - رحمهما الله تعالى - فذلك لأن المؤلف - رحمه الله تعالى - ذكرهما بكنيتهما ولم يقيّدهما بلقبيهما اللذين اشتهرا به .

وبعـــــــــد ...

فلست أدعي لعملي هذا العصمة من الخطأ ، ولا أزعم له الكمال وعـــــدم النقص ، فذلك أمر لا يستطيعه بشر ولا يدعيه عاقل !! وحسبي أنني قد بذلـــت ما استطعت من جهد ووقت في خدمة هذا الكتاب في ظل التوجيهات القيّمـــــة والتصويبات المفيدة التي كان يجود بها علي فضيلة المشرف على هذه الرسالـــة الدكتور / محمد بحيري إبراهيم .. فله مني عظيم الشكر والدعاء وأرجو له مـــن الله - عز وجل - حسن المثوبة وجميل الجزاء ، فقد لمست فيه عطف الأبـــوة وتواضع الأخوة مع غزارة في العلم وسعة في الاطلاع . فأسأل الله عز وجل التوفيـــق والسداد لي وله ولسائر المسلمين إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

$$$$$ $$$$$ $$$$$$

$$$$$ $$$$$

$$$$$

$

الباب الأول في التعريف بالمؤلف وكتابه هذا

وتحته فصلان

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب

لفصل الاول : التعريف بالمؤلف وفيه ستة مباحث

المبحث الاول : اسمه ونسبه .

لمبحث الثاني : مولده ونشأته .

لمبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

بحث الرابع : صفاته واخلاقه .

بحث الخامس : مصنفاته .

بحث السادس : جهاده .

حث السابع : وفاته .

المبحث الأول

اسمه ونسبـــه

هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأميـــــر ويتصل نسبه الى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .(١)

---

(١) وقد وردت ترجمته في الكتب التالية :

١ - أبجد العلوم لمحمد بن صديق خان ت ١٣٠٧ هـ ح ١٩١/٣ - طبعـــــة دار الكتب العلمية - بيروت .

٢ - الأعلام للزركلي ت ١٣٩٦ هـ ح ٣٨/٦ - الطبعة السادسة ١٩٨٤م - دار العلم للملايين - بيروت .

٣ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ت ١٢٥٠ هـ ح ١٣٣/٢ - ١٣٩ - الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٤ - التاج المكلل لمحمد بن صديق خان ت ١٣٠٧ هـ ص ٤١٤ من الطبعـــة الهندية ١٣٨٣ هـ .

٥ - ديوان الأمير الصنعاني جمع ولده عبدالله بن محمد الأمير - وقـــد تضمن معلومات كثيرة عن الصنعاني - وقد طبعه علي صبح المدنـــي بمطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٤ هـ .

٦ - الروض النضير في ترجمة المجتهد الكبير شيخ الاسلام محمد بن إسماعيل الأمير لابنه إبراهيم بن محمد الأمير ت ١٢١٣ هـ - مخطوط بالجامـــع الكبير بصنعاء رقم ٩٧ تاريخ
ومنه صورة بمكتبتي الخاصة وصورة أخرى بقسم المخطوطات بالمكتبـــة المركزية بالجامعة الاسلامية .

٧ - عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن عبدالله بن بشرت ١٢٨٨ هـ ، ج ٥٣/١ - ٥٦ من منشورات مكتبة الرياض الحديثة .

٨ - مجلة الإكليل مقال للاستاذ عبدالله محمد الحبشي بعنوان مؤلفـــات محمد بن إسماعيل الأمير من ص ١٤٥ - ١٧٤ - وهي مجلة دورية تُعنـى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء - العدد الثاني من السنة الأولى خريف ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

====

.....

== ٩ ـ مجلة العرب مقال للأستاذ عبدالله الحبشي بعنوان " مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير»العددان التاسع والعاشر من عام ١٩٧٧م ، العدد التاسع ص ٦٨٠ ـ ٦٨٩ ، والعدد العاشر ص ٧٨٠ ـ ٧٨٨

أما الأخ عبدالله شاكر الجنيدي من هذين المقالين في معرفة مؤلفات الصنعاني والكتب التي ترجمت للصنعاني وأماكن وجودها .

١٠ـ مصادر الفكر الاسلامي في اليمن لعبدالله الحبشي ص ٣٠ ، ٦٨ ـ ٦٩ الناشر المكتبة العصرية ببيروت .

وهناك مصادر كثيرة تناولت ترجمة الصنعاني تزيد عن أربعين كتابا ما بين مخطوط ومطبوع ، وقد ذكر منها الحبشي ثلاثين كتابا في مقاليه اللذين نشرتهما مجلة الإكليل ، ومجلة العرب ، ولما كان غالب تلك المصادر مخطوطا ولم أتمكن من الاطلاع عليه ، وبعض تلك المصادر عبارة عن مقدمة كتبه التي طبعت ، فاني اقتصرت على ما ذكرت من مراجع مع أن الصنعاني رحمه الله تعالى قد حظي بعناية الباحثين المعاصرين حيث أفردوا كتبا مستقلة عن حياته وآثاره ، ومن تلك الكتب :ـ

١ ـ ابن الأمير وعصره صورة من كفاح شعب اليمن لقاسم غالب ومعه آخرين الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ من منشورات وزارة الإعلام والثقافة باليمن .

٢ ـ الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار للدكتور / أحمد محمد العليمي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ الناشر دار الكتب العلمية ببيروت ـ ودار الأمة بدبي .

٣ ـ مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ تأليف عبدالرحمن طيب بعكر ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ـ الناشر مكتبة أسامة بتعز ـ ودار البروائع بدمشق .

المبحث الثاني

مولـــده ونشأتـــــه

ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ هـ بمدينة كحلان[١] ، وفـــي سنة ١١٠٧هـ انتقل به والده الى مدينة صنعاء[٢] ليتلقى العلم والمعرفة علـــــى علماء صنعاء التي كانت آنذاك عاصمة علم ولم تكن حينذاك عاصمة حكم وأتم بهـــا حفظ القرآن الكريم .[٣]

---

(١) كحلان من أشهر مخاليف اليمن وبينها وبين ذمار ثمانية فراسخ ، وبينهـــــا وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخا .
انظر معجم البلدان ٤٣٩/٤ .

(٢) البدر الطالع ١٣٣/٢ .

(٣) انظر كتاب ابن الأمير وعصره ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

ثم بدأ الصنعاني رحمه الله تعالى في طلب العلم منذ نعومة أظفاره فأخذ عن علماء بلده كالعلاّمة زيد بن محمد بن الحسن وصلاح بن الحسين الأخفشي ، وعبدالله بن علي بن الوزير ، ولم يكتف بهؤلاء بل رحل الى مكة والمدينة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعاد الى صنعاء وتفرد برئاسة العلم فيها ، وتظهّر بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد وزيّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية حتى جرت له مع أهل عصره خطوب ومحن .(١)

ولكن تلك الخطوب والمحن لم تمنع الصنعاني من نشر العلم والجهر بالحق، بل كان - رحمه الله تعالى - ناشرا للعلم تدريسا وافتاء وتصنيفا حتى كثر اتباعه من الخاصة والعامة(٢) ، فقرأوا عليه كتب الحديث وعملوا باجتهاده وتظهّروا بذلك ، وكان من أشهرهم العلاّمة أحمد بن محمد قاطن ، والقاضي أحمد ابن صالح بن أبي الرجال ، والعلاّمة الحسن بن إسحاق بن المهدي ، والعلامة عبدالقادر بن أحمد الذي أصبح بعد ذلك شيخا للشوكاني،وغيرهم خلق كثير لا يحيط بهم الحصر .(٣)

---

(١) انظر البدر الطالع ١٣٣/٢ ، وديوان الصنعاني ص ١٥٠ ، حيث ذكر في قصيدة له هناك بعض شيوخه الذين أخذ عنهم .

(٢) انظر ماقاله المؤلف عن ذلك عند تفسيره للآية ٥٤ من سورة القصص ق ٩٠/ب . وانظر كلامه في ديوانه ص ٣٣٤ ، وانظر البدر الطالع ١٣٧/٢ .

(٣) انظر البدر الطالع ١٣٩/٢ ، وجميع من ذكرت من شيوخه وتلاميذه قد ترجم لهم الشوكاني في كتابه البدر الطالع .

المبحث الرابع

صفاتـه وأخلاقـــه

لقد كان الصنعاني رحمه الله تعالى من أولئك العلماء العاملين الذين طلبوا العلم ليزكّوا به أنفسهم فأخلص لله في علمه وعمله ، فقدّر له العلماء وأهـــل الفضل منزلته ومكانته وقد نعته الشوكاني رحمه الله تعالى بقوله : الإمام الكبيـر المجتهد المطلق صاحب التصانيف (١) .

ونعته عثمان بن بشر النجدي بقوله : وفيها - أي في سنة ١١٨٢ هـ - توفـى الأمير العالم العلامة فريد عصره في قطره ، عالم صنعاء وأديبها الشيخ المحقـــق محمد بن إسماعيل رحمه الله تعالى ، وكان ذا معرفة في العلوم الأصلية والفرعيـة صنّف عدة كتب في الرد على المشركين المعتقدين في الأشجار والأحجار والرد على أهل وحدة الوجود وغير ذلك من الكتب النافعة ... والشيخ رحمه الله تعالـــى شمس فضائله شارقة في الأقطار ، عالية مكارمه على كل منار ، ومن وقف علـــى مصنفاته علم فضله ونور علمه . (٢)

وقال عنه صديق خان : هو الإمام الكبير المحدث الأصولي المتكلم الشهير ، قرأ كتب الحديث وبرع فيها وكان إماما في الزهد والورع . (٣)

وجملة القول أنه ما تكلم عنه أحد إلا وأثنى عليه واعترف بفضله وشهـــد بجهاده وعلمه .

---

(١) البدر الطالع ١٣٣/٢ .
(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ٥٣/١ - ٥٦ بتصرف .
(٣) انظر أبجد العلوم ١٩١/٣ .

المبحث الخامس

مصنفاتـــــه

لقد برع الصنعاني في فنون شتّى وترك انتاجا علميا يشهد له برسوخه فـــي العلم ودفاعه عن الحق ، فلقد ألّف في علوم القرآن وفي الحديث وعلومه والفقـــه وأصوله والعقائد والأدب ، كما برع في الشعر وعلوم اللغة[1] حتى جاوزت مؤلفاتـــه مائتي مصنّف ما بين رسالة وكتاب ، كما بيّن ذلك الدكتور عبدالله شاكر الجنيدي في تحقيقه لإيقاظ الفكرة[1] .

وحيث أنّه قـــد ذكرها جميعا فاني سأقتصر على بعض مؤلفاته فـــي علوم القرآن ـ فمنها :ـ

١) إقامة البرهان على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن . له نسخة بمكتبـــة الأوقاف ضمن المجموع ٢٤٦ تقع في ست ورقات ، وأخرى بالمكتبة الغربيـــة ضمن مجموع ٤ وأخرى بمكتبة الحبشي تقع في خمس ورقات . وقد قام الاستاذ/ أحمد عبدالرزاق الرقيحي بتحقيق الكتاب والتعليق عليه، وطبعته وزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية .

٢) الإيضاح والبيان في تحقيق بعض عبارات قصص القرآن له عدة نسخ بالمكتبـــة الغربية ضمن مجموع ٣٢ ، ٥٥ ، ٦٥ ، وله نسخة بمكتبة الحبشي بالغرفـــة تقع في أربع ورقات نسخت ١١٧٦ .

٣) بحث في ترتيب نزول القرآن . له نسخة بالمكتبة الغربية وهي الرسالـــة التاسعة والأربعون من مجموع ٥٠ .

---

(١) انظر إيقاظ الفكرة ص ٣٥ ـ ٦٨ .

٤) بحث في قوله صلى الله عليه وسلم " من قرأ حرفا من كتاب الله ..." [١] ، له نسخة بالمكتبة الغربية وهي الرسالة الثالثة والخمسون من مجموع ٥٠ .

٥) الرسالة في الرسالة . ذكره ولده إبراهيم في الروض النضير وقال : " إنّه نافع الى الغاية، والنهاية في بابه وهو جواب سؤال عن التحدي بالقرآن هل هو مستمر على دوران الزمان أم يرتفع اذا اختلت اللسان ؟ وهل هو معجز بالنسبة الى أفهام من تأخر عن الأمة ؟

فأجاب رحمه الله بأن التحدي واقع، والتكليف باق، والفهم عن الله عز وجل ورسوله مستمر .

ثم وصفه ولده بقوله : وهو بحث كامل ومنهج حسن والسؤال يحتاج اليه لأنه يتفرع عليه صحة الاجتهاد، أو عدم الوصول اليه البتة، أو الوصول اليه بشروطه . [٢] ولم أعلم مكان وجوده .

٦) رسالة فيما حكاه الحق سبحانه وتعالى في كتابه من الأقوال هل هو عبارة عن المعنى فقط أم أنه المعنى واللفظ ؟ ذكرها ولده في الروض النضير [٣] .وقال عنها : إنّها مخترعة المنهج لم يسبق الى معناها فيما علمنا . ثم ذكر أنّ والده لم ير من صرح بهذا السؤال في كتب التفسير بل قال [٤] : إنّ هذا التفصيل لا يجد عليه الطالب دليلا أولاً، ولا يساعده حد الإعجاز ثانياً ، لأنّ القرآن عجزت البلغاء عن سورة من مثله . وهذا يدل على أنّ قوى البشر لا تستطيع أن تأتي بسورة مثله ثم إنّ الحق سبحانه قد يحكي عن من ليس بعربي ولا تكلم بالعربية . فعلى هذا يكون ما حكاه القرآن من أقوال إنّما هي

---

(١) أخرجه الترمذي ١٧٥/٥ مرفوعا . وأخرجه الدارمي ٥٢١/٢ موقوفا على ابن مسعود . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١١٠٣/٢ ـ ١١٠٤ .

(٢) الروض النضير ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، وذكره الحبشي في ص ٦٨٩ من مجلة العرب . نقلا عن نشر العرف ٥٢٦/٢ .

(٣) انظر الروض النضير ص ٤٥٦ ـ ٤٦٦ .

(٤) أي الصنعاني رحمه الله تعالى .

ترجمات للمعاني التي أرادها من ترجم عنه ، والألفاظ ليست لمن حكى عنهم وهذا هو الذي اعتمده المجيب - أي الصنعاني - رحمه الله تعالى[١] . ولم أتمكن من معرفة مكان هذه الرسالة .

٧) رسالة فيما يتعلق بالإستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم . قال عنها ابنه إبراهيم : " وهي جواب سؤال أورده مولانا ضياء الاسلام إسماعيل الأمير ، والجواب في أنهى مراتب الحسن ولم يحضر لي شيء من السؤال والجواب عند الرقم لأني خال عن كل ما أصفه من الكتب الا النفحة المسكية وكنت أحب أن أثبت معنى السؤال فانه بديع ولعل الله يمنّ بتذكره أو وجدانه .[٢] ولم يشر أحد إلى مكان وجوده *.

٨) مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن - وهو كتابنا هذا - وسيأتي الحديث عنه في بحث مستقل[٣].

---

(١) الروض النضير ص ٤٥٦ - ٤٥٧ بتصرف .

(٢) الروض النضير ص ٣٥٨ .

(٣) وقد ذكر الأستاذ عبدالله الحبشي والدكتور عبدالله شاكر مؤلفات أخرى للصنعاني في علوم القرآن الا أنّي رأيتها لا تعدوا بحوثا في آيات متفرقة وظني أنّ تلك البحوث التي جُعلت اسماءً لمؤلفات هي مأخوذة من هذا التفسير ويشهد لذلك أنني عندما قارنت بين عناوين مؤلفاته التي ذكراها في علوم القرآن - وخاصة ما ورد منها باسم بحث - وبين ما جاء في هذا التفسير فوجدت أن كثيرا من تلك الأبحاث التي جعلوها مؤلفات مستقلة موجودةٌ ضمن هذا التفسير ومثال ذلك أنّهما ذكرا من مؤلفاته بحث في قوله تعالى ((والمطلقات يتربصن بأنفسهن)) وهذا البحث هو ضمن هذا التفسير . فانظره في تفسير سورة البقرة ق ٥٣/ب - ٥٧/أ ، وذكرا من مؤلفاته بحث في الإشكال في تعارض الآيات بتقديم خلق الأرض على خلق السموات ، وهو موجود في تفسيره لسورة فصلت ق ١٤٤/ب - ١٥٦/أ . فالذي اعتقده أنّ المؤلف رحمه الله تعالى مات قبل تبييض تفسيره هذا وقبل تسميته ثم تناثر بعد ذلك أوراقا هنا وهناك حتى أصبح أبحاثا متفرقة .

* بل ذكرت في فهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء بعنوان « بحث حول كلمة الاستعاذة والتسمية » وتقع في الورقات ١٣٠ - ١٣١ من المجموع (٢٤٦) وفرغ من نسخها سنة ١١٦٠هـ

" المبحث السادس "

جهـــــاده

لم تقتصر حياة الصنعاني على التدريس والتأليف بل عاش مجاهدا في كـــــل الميادين وبكل الوسائل وإليك بعض الأمثلة من جهاده :

أ - دفاعه عن العقيدة :

فكان رحمه الله تعالى يدعو الى العقيدة الصحيحة ويحارب كل ما يشوبهـــا من شرك وخزافات ، حيث يقول رحمه الله تعالى : " وأما النذور المعروفة فـــي هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات فلا كلام في تحريمها لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر ويجلب الخير ويدفع الشر ويعافي الأليم ويشفـــي السقيم ، وهذا هو الذي كان يفعله عبّاد الأوثان بعينه فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضة لأنه تقرير على الشرك ويجب النهي عنه وإبانة أنه من أعظـم المحرمات ، وأنه الذي كان يفعله عبّاد الأصنام ، لكن طال الأمد حتى صـــار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وصارت تعقد اللواءات لقبّاض النذور علـــى الأموات، ويجعل للقادمين الى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر مـــن الأنعام ، وهذا هو بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام فإنّا لله وانا اليه راجعون "[1] .

ثم يقول رحمه الله تعالى : " وقد أشبعنا الكلام في هذا في رسالة تطهيـــر الاعتقاد عن درن الالحاد "[2] . ثم نجده يقرر في هذه الرسالـــة : "يقرر في هذه الرسالـــة اقتران توحيد العبادة بتوحيد الربوبية ، وأن توحيد الربوبية لا ينفع صاحبه اذا لم

---

(١) سبل السلام ٢١٢/٤ - ٢١٣ .

(٢) هي مؤلف صغير الحجم، عظيم الفائدة، عني فيه الصنعاني ببيان العقيـــدة السليمة ودحض ما يضادها . وقد كتب الله له القبول والانتشار بيـــن ذوي الألباب حتى طبع عدة طبعات .

يقترن بتوحيد العبادة ثم يضرب على ذلك الأدلة والأمثلة ، ثم يقول ـ بعد ذلك ـ : " قد عرفت من هذا كله أنّ من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في الحاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل الى الرب تعالى ، فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده ، كما اعتقد المشركون في الأوثان ..." (١) النسخ ما ذكره في تلك الرسالة القيّمة ، ومن قرأ مؤلفات الصنعاني وخاصة كتاب إيقاظ الفكرة وكتاب تطهير الاعتقاد ، عرف جهاده في إصلاح العقيدة ومحاربته للشرك في كل صوره *.

ب ـ محاربته للتعصب المذهبي :

يقول رحمه الله تعالى : " ولقد عظمت جنايات المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وعلى أئمة مذاهبهم الذين تبرءوا عن اثبات مقال لهم يخالف نصا نبويا . فانها اذا وردت ـ أي الأحاديث ـ بخلاف ما قرره من قلدوه حرفوها عن مواضعها وحملوها على غير ما أراده صلى الله عليه وسلم " أهـ (٢)

ثم ذكر أمثلة على بعض تلك التخريفات والتأويلات الى أن قال : " والحاصل أن من اعتقد مذهبا من المذاهب فانه يؤدي ذلك الى المحاماة عليه والى إخراج الآيات والأحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .... فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الأحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية . (٣)

---

(١) انظر تطهير الاعتقاد ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) ارشاد النقاد الى تيسير الاجتهاد ص ١٦٣ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٣ ـ ١٦٨ .

* وانظر ما قاله في كتابه هذا ص ١٠٩-١١٠ ، ٣١٦ ، ٣١٠

ومن يقرأ عن حياة الصنعاني يعرف ما لاقاه من السجن والاضطهاد بسبب تمسكه بالكتاب والسنة ومحاربته لما خالفهما من المذاهب عقدية كانت أو فقهية وقد وصف حاله في ذلك المجتمع بقوله :

اذا كان حبي أحمداً وحديثه ... يعدونه ذنباً فلا زلت ذا ذنب

فلي أسوة بالمصطفى ووصيه ... فقد حبسا من قبل ذلك في الشعب

ولست أبالي ان جفتني عشيرتي ... وربي راض فهو من دونهم حسبي (١)

ومن خلال هذه النصوص، ثم ما ذكره في كتبه الأخرى (٢) يتضح لنا أن مذهب

---

(١) ديوان الصنعاني ص ٥٧ ، وانظر ما قاله ـ وهو في السجن أيضا ـ ص ٧٥ . وانظر ما قاله في كتابه هذا ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٢) انظر على سبيل المثال ما قاله في سبل السلام ٣٤٥/١ ـ ٣٤٦ حيث وافق الجمهور في الأخذ بحديث ابن عمر رضي الله عنهما في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يرفع يديه حذو منكبيه اذا افتتح الصلاة ، واذا كبر للركوع واذا رفع رأسه من الركوع ، ثم أشار الى خلاف الهادوية وبيّن أنه لا حجة لهم فيما استدلوا به .
وانظر كلامه في العدة ٣٠٠/١ ، وفي سبل السلام ١١٩/١ ـ ١٢٠ ، حيث ذكر أقوال العلماء في المسح على الخفين ورد أدلة الهادوية والإمامية والخوارج القائلين بعدم جوازه .
ولما تكلم ابن الوزير عن الشرط الخامس من شروط قبول الرواية وهو كون الراوي ضابطا لما يرويه قال ـ أي ابن الوزير ـ : " وقد تقدم تفصيل كلام أصحابنا في ذلك أول الكتاب " .
تعقبه الصنعاني بقوله عن هذه العبارة : " عبارة مشهورة تقدمت للمصنّف وهو يناسب من يتمذهب بمذهب معين وينتسب إليه لا من طريقة الإنصاف وعدم التعبد برأي الاسلاف كالمصنف ـ أي ابن الوزير ـ القائل :
والكل إخوان ودين واحد ... كلٌّ مصيب في الفروع ومهتدي ؛ أهـ .
من توضيح الأفكار ١١٦/٢ .
وأصرح من هذه الأمثلة جميعا أبياته التي أرسلها إلى الشيخ أبي الحسن السندي وهي في ص ٣٨٧ من ديوان الصنعاني حيث صرّح فيها بعدم تقليده لأي مذهب من المذاهب ، ومن تلك الأبيات :

===

الصنعاني رحمه الله تعالى هو اتباع الكتاب والسنة وعدم التعصب لأي مذهب كان ، وبهذا نعرف خطأ من يزعم أن الصنعاني زيدي المذهب

ج - بغضه للكفار ودعوته إلى إخراجهم من أرض اليمن :

وهذا أمر ليس بغريب من عالم كالصنعاني رحمه الله تعالى ، فقد نص في كتابه " سبل السلام " على وجوب اخراج اليهود من جزيرة العرب امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[١] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب)[٢] .

ولما كانت اليمن جزءا من جزيرة العرب عظم على الصنعاني رحمه الله تعالى أن يرى فيها أحدا ليس من المسلمين ، ولهذا قال عند شرحه لهذه الأحاديث :

" وأما قول الشافعي رحمه الله تعالى انه لا يعلم أحدا أجلاهم - أي اليهود - من اليمن فليس ترك اجلائهم بدليل ، فان أعذار من ترك ذلك كثيرة ، وقد ترك

== قوله :

لا يسأل الملكان من حل الثرى ... الا عن المختار من عدنان
لا عن مذهب أحمد أومالك ... والشافعي ومذهب النعمان
كلا ولا زيد ولا عمرو فدع ... كلاً وتابع واضح البرهان
هذا ووال المسلمين جميعهم ... وقل الجميع لأجله إخواني
واستغفر الله العظيم لكلهم ... فبذا أتاك الأمر في القرآن

واذا أردت أن تعرف محبة الصنعاني لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لهم فانظر رسالته التي بعث بها إلى تلميذه أحمد محمد قاطن حيث بيّن فيها حال يوسف الرافضي العجمي وأنكر عليه ما قاله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتلك الرسالة ضمن ديوان الصنعاني ص ٤٥١ - ٤٥٦ .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية من صحيحه ٢٧١/٦ مع الفتح .
(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٨٩٢/٢ - ٨٩٣ .

أبو بكر رضي الله عنه اجلاء يهود الحجاز - مع الاتفاق على وجوب اجلائهم - لشغله بجهاد أهل الردة ولم يكن ذلك دليلا على أنهم لا يجلون بل اجلاهم عمر رضي الله عنه .

وأما القول بأنه صلى الله عليه وسلم أقرهم في اليمن بقوله لمعاذ (خذ من كل حالم دينارا أو عدله معافريا)[1] .

فهذا كان قبل أمره صلى الله عليه وسلم باخراجهم ، فانه كان عند وفاته كما عرفت .

فالحق وجوب اجلائهم من اليمن لوضوح دليله " . أهـ .

الى أن قال : " ولا يخفى أن البانيان[2] هم المجوس، والمجوس حكمهم من حكم أهل الكتاب لحديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[3] . فيجب اخراجهم من أرض اليمن ومن كل محل من جزيرة العرب . وعلى فرض أنهم ليسوا بمجوس فالدليل على اخراجهم دخولهم تحت (لا يجتمع دينان في أرض العرب) أ. هـ من سبل السلام .[4]

د - انتقاده للأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها اليمن :

فقد انتشرت الفوضى في جميع نواحي اليمن وشمله الفساد بكل أنواعه ، فبدأ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٠/٥ ، والنسائي ٢٥/٥ - ٢٦ ، وأبو داود ١٠١/٢ - ١٠٢ ، والمعافر هي برود باليمن منسوبة الى إحدى قبائلها . أفاده السيوطي في شرحه على النسائي ٢٦/٥ - ٢٧ .

(٢) البانيان : طائفة من وثنيي الهند .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢٧٨/١ .

(٤) سبل السلام ١٢٢/٤ ، ١٢٣ ، وانظر ديوان الصنعاني ص ٩٥ - ٩٧ .

الفساد من الأئمة أنفسهم حيث سوّلت لهم أنفسهم سرقة أموال الناس ونهبها باصدار أحكام تعسفية تملأ خزائنهم وتسكت خصومهم حتى تحوّل اليمن مأوى للسلب والنهب وشمل الاعتداء حتى أموال الأوقاف . ونشأ في ظل هذا الحكم عمال وقضاة وجنود لا يرحمون ضعيفا ولا يرعون لله حقا ، فأصبحت الرشوة شريعة والاغتصاب مباحا والمتاجرة في الخصومات مغنما لحاشية السوء ، فساعد هذا الوضع على انتشار النفوذ اليهودي ، فانتشرت المغاني والمواخير وبيعت الخمور علنا .(١)

ولا شك أنّ هذه الأمور يندى لها جبين كل مسلم فضلا عن عالم اليمن الذي خصص حياته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلنستمع إليه رحمه الله تعالى حيث يقول :

سماعا عباد الله أهل البصائر ... لقول له ينفى منام النواظر

الى أن يقول :

فقد قام ناعي الدين فيكم مناديا ... بأرفع صوت فوق أعلى المنابر
وأسمع سكان البسيطة كلها ... فما مؤمن للسامعين بعاذر
أو قرّ على الأسماع أم في أكنةٍ ... قلوب البرايا أم عمى في البصائر
أيدفن فيما بينكم شرع أحمد ... ويهدم من بنيانه كل عامر
ولم يُر محزونا عليه كأنما ... دفنتم عدواً فقده غير ضائر
ثكلتم أين التناصح للهدى ... وأين التسامي للعلى والمفاخر

الى أن يقول مخاطبا للولاة :

فياعصبة ضلت عن الحق والهدى ... ومالت الى أفعال طاغ وفاجر
بأي ملوك الأرض كان اقتداؤكم ... فما لكم في فعلكم من مناظر(٢)

---

(١) انظر كتاب ابن الأمير وعصره ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
(٢) ديوان الصنعاني ص ٢١٣ ـ ٢١٦ ، وانظر أيضا الأبيات التي وردت في ص ٣٩٥-٣٩٨ والأبيات التي وردت في ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧ .

الخ قصيدته هذه التي نعى فيها الذين وتأسف على ذهابه وعاب ذلك المجتمع على قلة التناصح بينهم، وزجر فيها الولاة وانتقد عليهم بعض تصرفاتهم ، وكذلك القضاة والعمال والخطباء ، بل وصف فيها الظلم والطغيان الذي ساد اليمن في تلك الحقبة من الزمن ، فها هو يصدع بالحق ويحارب تلك المنكرات لا يهاب الا الله عز وجل • وما تمثل هذه القصيدة وغيرها من الأبيات الا طريقا واحدة من طرقه التي سلكها في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد كان رحمه الله تعالى يعلن ذلك في المجتمعات ومن فوق المنابر ، وفي حلقات التدريس وفي رسائله الى الأئمة أنفسهم حتى ضاقت عليه قلوبهم فآذوه حيا وميتا حتى قال قائلهم[1] : " محمد بن إسماعيل الأمير ليس منا أهل البيت "[2] ، مع أن الصنعاني رحمه الله تعالى كان ميتا في هذا الوقت .

هـ - <u>اصلاحه بين الناس</u> :

فمع أن الأئمة هم الذين سجنوه وهم الذين آذوه وبغضوه الا أنهم لا يرضون حكما بينهم سواه لما عرفوا من فضله ومكانته - والفضل ما شهدت به الأعداء - فقد كانوا يأتون اليه ويطلبون منه أن يسهم بالصلح بينهم ، وقد حقق الله على يديه ذلك عدة مرات ، ففي عام ١١٣٦ هـ نجح في اطفاء الفتنة بين المتوكل وآل اسحاق ، وفي سنة ١١٣٩ نجح في اصلاح ما حدث بين المتوكل وولده المنصور الذي خرج على أبيه وهدد العاصمة والبلاد بعظائم الأمور ، وفي سنة ١١٥٥ نجح في الاصلاح بين المنصور الحسين وأخيه أحمد أمير تعز وفي سنة ١١٦١ نجح في الاصلاح بين المهدي العباس وبين عمر أمير تعز .[3]

---

(١) القائل هو المنصور محمد بن يحيى جد الإمام أحمد حميد الدين آخر من حكم اليمن من الأئمة .

(٢) كتاب ابن الأمير وعصره ص ١٧ .

(٣) انظر كتاب مصلح اليمن ص ١٣٣ ، وديوان الصنعاني ص ٢٦٥ من البيت الثالث فما بعده .

فهذه بعض جهوده في الإصلاح بين الأئمة أنفسهم دون سواهم من الناس ، ولم يكن هذفه من ذلك طلب جاه أومال وإنما أراد بذلك وجه الله عز وجل ثم درء الشرور الحمراء والحوادث النكراء التي ستصيب اليمن نتيجة لتلك الأطماع والخلافات .

و - مراسلاته للعماء والحكام وتأييدهم على الحق):

لم يقف جهاد الصنعاني على حدود اليمن فحسب ، بل تجاوزه الى سائر الأقطار الإسلامية ، فلما تواردت اليه أخبارالشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - وما قام به من جهود في تصحيح العقيدة سر الصنعاني ذلك الأمر وحفزه على وضع قصيدته الدالية في مدح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ، ورأى أن تلك الدعوة المباركة هي امتداد للفكر الاسلامي الذي يدعو اليه الصنعاني رحمه الله تعالى فقال :

سلام على نجد ومن حل في نجد وان كان تسليمي على البعد لا يجدي

الى أن قال :

قفي واسألي عن عالم حل سُوحها به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صَدر في الحق منهم ولا ورد

الى أن قال :

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وودٌ بئس ذلك من ود

الى أن قال :

لقد سرني ما جاءني من طريقـــــه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحـدي[1]

الخ هذه القصيدة التي بلغت أبياتها أربعة وسبعين بيتا ،يتضح من خلالهـــا جهاد الصنعاني وتأييده للحق في كل قطر وموافقة دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهـاب لدعوة الصنعاني رحمهما الله تعالى .[2]

ولما بلغ الثالثة والثمانين من عمره ولم تمكنه صحته من الحج أرسل مع ابنه إبراهيم قصيدة الى أشراف مكة وولاة أمورها يناصحهم فيها عما يصدر من عبيدهـــم من النهب والسلب الذي يجب أن يصان عنه بيت الله الحرام حيث قال :

---

(١) انظر القصيدة بتمامها في ديوان الصنعاني ص ١٢٨ ـ ١٣٢ ، وقد أورد ابـن بشر بعض ابياتها في كتابه عنوان المجد ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) وأماالقصيدة التي نظمت في رجوعه عن تأييده لمحمد بن عبدالوهاب والتـي ذكرت في ديوان الصنعاني ص ١٣٦ ـ ١٤٠ فقد أنكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه تبرئة الشيخين نسبة تلك القصيدة للصنعاني وتابعه على ذلـــك ـ أيضا ـ ناشر ديوان الصنعاني ـ علي صبح المدني ـ حيث قال في تعليقـــه على تلك القصيدة : " ويظهر أن هذه القصيدة مزوّرة على الأمير الصنعاني " إلى أن قال : " وكلام الصنعاني في مؤلفه (تطهير الاعتقاد) يكفيـــي المنصف .

قلت : وإن كان ديوان الصنعاني لا يخلو من بعض الأبيات التي يستبعـــد صدورها من الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك مثل الأبيات التي قيلـت في معاوية وابنه يزيد ص ١٢٧ من ديوان الصنعاني ، ومثل الأبيات التـي استغاث قائلها بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ إلاّ أن الذي يظهر لي أن هذه القصيدة للصنعاني نفسه والذي حمله على نظمهـــا ما سمعه من أولئك الواشين بالإمام محمد بن عبدالوهاب ـ أمثال مربـــد ابن أحمد التميمي وعبدالرحمن النجدي ـ حيث ذكرا عن الإمام محمـــد ابن عبدالوهاب ـ ظلما وزورا ـ تكفيره لمن خالفه وسفكه لدمائهم ونهبه لأموالهم كما صرح بذلك الصنعاني في مقدمته لتلك القصيدة وأخبر بأن الباعث على نظمها هو ما وصل إليه من هذين الشخصين عن سيرة الإمام محمـــد ابن عبدالوهاب ، فالصنعاني رحمه الله تعالى هو معذور في ذلك لأنه لا يعلم الغيب وانما اعتمد على ما سمعه من هذين الرجلين فقال قصيدته تلـــك
====

.....

== ومطلعها :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
والمتأمل في قصيدته هذه يجد أنها لا تناقض أفكاره السابقة ولا تهدم شيئا مما دعا اليه في قصيدته الأولى ، بل ما زال رحمه الله تعالى حريصا على تصحيح العقيدة ومؤيدا لكل من دعى الى الحق ، وانما كان انكاره خاصا بما سمع - بهتانا وزورا - عن الامام محمد بن عبدالوهاب من تكفيره للناس ونهب أموالهم وسفك دمائهم واليك ما يشهد لهذا من الأبيات نفسها حيث يقول :

نعم واعلموا أني أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد
ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي تضمنه نظمي القديم الى نجد
بلى كل مافيه هو الحق انما تجاريك في سفك الدما ليس من قصدي
وتكفير أهل الأرض لست أقوله كما قلته لا عن دليل بهي تهدي
وها أنا أبرا من فعالك في الورى فأنت في هذا لا مصيب ولا مهدي
ودونكها مني نصيحة مشفق عليك عسى تهدي بهذا وتستهدي
وتغلق أبواب الغلو جميعه وتأتي الأمور الصالحات على قصد
وهذا نظامي جاء والله حجة عليك فقابل بالقبول الذي أهدي

الخ قصيدته تلك التي بيّن فيها الكفر وأنواعه والأسباب المؤدية لكل نوع وأوضح فيها كفر أهل وحدة الوجود ومن سلك طريقهم . فانظرها في ديوان الصنعاني ص ١٣٤ - ١٤٠ .

فالذين أنكروا نسبة هذه القصيدة للصنعاني إنما عمدتهم في ذلك موافقة الصنعاني في مؤلفاته - وخاصة كتابه تطهير الاعتقاد - لما يدعو اليه محمد ابن عبدالوهاب من محاربة الشرك وتنقية العقيدة مما دخل اليها ، والمتأمل في هذه القصيدة يرى أنه ليس فيها شيء يعارض ذلك المبدأ الذي اتفق عليه الشيخان حتى تنكر نسبتها للصنعاني ، وانما غاية ما فيها انكار الصنعاني لما وصل اليه من أخبار كاذبة عن الامام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى ، وقد سبقني الى تقرير هذا القول الأخ الدكتور عبدالله شاكر الجنيدي في تحقيقه لايقاظ الفكرة فانظره ص ١٠١ - ١٠٥ .

الى الأشراف أعيـــــان الأنـام وأهل البيت والبلد الحـــــرام

سلام لا يزال على رباكـــــم من الرب السلام على الـــــدوام

أتانا عنكم خبر غريـــــب تواتر من يماني وشامـــــي

بأن عبيدكم أضحوا لصومـــــاً يخيفون الحجيج بكل عـــــام

وحاشا أنّكم ترضون هـــــذا فما يرضاه ذو الهمم السـوام

فقل لمساعد الملك المفـــدى لماذا لا تذب عن الأنـــام

وأنت عزيز قومك في أســـود من الأشراف ليس له مســـام

أيا من من يحج بكل فـــج ويلقى الخوف في البلد الحـــرام ؟!

فما البلد الأمين محل عـــاص وليس بها لعاص من مقـــام (١)

الخ تلك القصيدة التي بلغت أبياتها واحدا وأربعين بيتا يطالب فيهـــا بتطهير مكة من كل فعل قبيح وتعظيمها كما أمر الله بذلك .

وبالجملة فالصنعاني أول مصلح يمني بعد الألف يضع برنامجا عاما للإصـــلاح يجمع بين إقامة الشريعة وتحقيق العدل واصلاح الأوضاع المالية والاجتماعية والعناية بتنظيم الري وتوفير مصادره ومحو الأمية الدينية ... وهو أول عالم يمني بعـــد الألف يتجاوز ينصائحه وتوجيهاته ملوك اليمن الى غيرها من ملوك الجزيرة كمـــا صنع مع الشريف مساعد صاحب مكة ، وهو أول عالم يمني بعد الألف قصده الطلاب لا من جزيرة العرب فحسب ، بل من بلاد الروم والعراقين والهند (٢) ، وهو أول من حوّل الشعر من ترف ذهني وتلاعب بديعي الى نفير للإصلاح ومنبر للتوجيه (٣) .

---

(١) انظر القصيدة بتمامها في ديوان الصنعاني ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢ ، حيث أنّي لـــم أوردها على نظم المؤلف ، وانما اخترت لك بعض أبياتها .

(٢) انظر ديوان الصنعاني ص ١٨ ، وكتاب مصلح اليمن ص ٩٦ ، ١٥٧ .

(٣) مصلح اليمن ص ١٥٧ .

واختم حديثي عن جهاده بهذه الأبيات التي وجهها لمن تجمعوا لقتله ـ حيث قال :

شكراً لربي دائمـــــــــا ... أبـــــــداً وحمـــــــــداً

شكرا لما لا أستطيـــــــــ ... ـع لعشره حصراً وعـــــــــداً

جاء العدا وتجمّعـــــــــوا ... لأذيتي بغيا وحـــــــــسدا

وأرادوا الأمر العظيـــــــــ ... ـم جهالة منهم وحقـــــــــدا

سفك الدم المعصـــــو بـــالـ ... ـإيمان عدوانا وعمـــــــــداً

فكفى إلاهي شرهـــــــــم ... فله الثناء ما عشت يُهـــــــدى

يا أيها الإخوان انـــــــــي ... لم أجيء إمبـــــــــراً وإدا

لم أنه الا عن مخـــــــــا ... لفة النبي ممن تعـــــــــدا

المصطفى خير الأنـــــــــا ... م وآله العالمين جـــــــــدا

فهم النجوم المهتـــــــــد ... وهم الرجوم لمن تعـــــــــدى

ونهيت عن جمع الصـــــــلا ... ة بخارج الأوقات عمـــــــدا

ونهيت عن بدع القبـــــــو ... ر عن نِدَا من حل لحـــــــدا

وعن النجوم وأن فيـــــــ ... ـها عندهم نحسا وسعـــــــدا

قل للمنجم ما الـــــــذي ... تجدى النجوم اذا تـــــــردى

عرّفتكم سنن الهـــــــدى ... وأبنتها رسما وحـــــــدا

وعلى المنابر والكـــــــرا ... سي لم أدع للنصح جهـــــــدا

أملي الكتاب وسنـــة الـــــ ... ـمختار تفصيلا وســـــــردا

ومفسراً لكتاب ربـــــــي ... من به البلغا تحـــــــدا

أبرزت فيه نفائســـــــا ... أوضحتها حلا وعقـــــــدا

ومزجته بالوعـــــــظ حـــ ... ـتى لان قلب كان صلـــــــدا (١)

---

(١) يفهم من هذه الأبيات اشتغال الصنعاني بتفسير كتاب الله تعالى وهذا ما صرح بـــه بعض النساخ في بداية النسخة ونهايتها ، بل ما صرح به الصنعاني نفســـه ===

ومبلغا عن أحمـــــــــد ... خير الورى علما وزهـــــــــدا

حتى ملأت بسنـــــــة الـــ ... ـمختار أغواراً ونجـــــــــدا

تبـــــتبع السعيد طريقتـــــي ... فنجا ونال هدى ورشـــــــــدا

كان الحديث بأرضكـــــــــم ... مستغربا والله جـــــــــدا

حتى نشرت فنونـــــــــه ... وجلوت منه ما تصـــــــــدى

ولدرســـه ولأخـــــــــذه ... من بعدنا كل تصـــــــــدى

وتنافس العلماء فـــــــي ... كُتْب الحديث هوى ووجـــــــدا

هذا بتنســـــــــخ وذا ... بشرائها بالمال نقـــــــــدا

ما قلت ذا فخـــــــرا ولا ... أرجـو بنشر العلم جـــــــدا

بل قلته متحدثـــــــــا ... بنعيم من أعطى وأجـــــــــدى

رب السموات العلـــــــــى ... من كلنا آتيه عبـــــــــدا (١)

=== في عدة مواضع من ديوانه . انظر ذلك غلى سبيل المثال في ص ١٤٩ ، ١٩٣ ، ٢٦٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ . فهذا مما يؤيد نسبة هذا التفسير للصنعاني رحمه الله تعالى .

(١) انظر القصيدة بتمامها في ديوان الصنعاني ص ٩٣ ـ ٩٥ حيث بلغت أبياتها سبعة وأربعين بيتا وانما اقتصرت على بعضها خشيت الاطالة .

المبحث السابع

وفاتـــــــــــــــــه

وفي يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان من سنة ١١٨٢ هـ رحل الصنعاني عن الدنيا بعد عمر جاوز ثمانين عاما أمضاها مجاهدا في سبيل الله تعالى لا يخاف فـــــي الحق لومة لائم فتغمده الله بواسع رحمته وعظيم مغفرته .

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى الصغاني

المبحث الثاني: هل نسب هذا التفسير لأحد من أولاد الصغاني؟

المبحث الثالث: عدد نسخ الكتاب ووصف كل منها ومكان وجودها.

المبحث الرابع: هل كل هذه القطع من تفسير الصغاني؟

المبحث الخامس: سبب اختياري للقطعة الثانية قبل الأولى

المبحث السادس: اسم الكتاب

المبحث السابع: في ذكر أصح طرق التفسير

المبحث الثامن: منهج الصغاني في تفسيره

المبحث التاسع: مقارنة بين منهج الصغاني وابن كثير في تفسيريهما.

المبحث الأول

توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف رحمه الله تعالى

استغرب كثير من الناس نسبة هذا الكتاب للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني وخاصة أنّ ابنه إبراهيم[1] لم يذكره ضمن مؤلفات والده ، وكذلك الشوكاني لم يذكره أيضا وهؤلاء من أقرب الناس الى الأمير .

ولا شك عندي في صحة نسبة هذا الكتاب الى الأميرالصنعاني رحمه الله تعالى وذلك للأدلة التالية :

أولا : تصريحه في هذا الكتاب بأسماء بعض مؤلفاته فذكر منها :

١ ـ سبل السلام في الورقة ٨٢/أ ص٣٥٠ ـ ٢ ـ والروضة الندية شرح التحفة العلوية ق ٩٩/ب ص٤١٠ ٣ ـ والسيف الباتر في يمين الصابر والشاكر ق ١٢٤/أ وفي الورقة ١٠٨/أ عند تفسيره لسورة ص . ص٤٩٦ ٤ ـ الأنفاس

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ـ أكبر أولاد الصنعاني ـ ولد بصنعاء في ٢١ جمادي الآخرة سنة ١١٤١ هـ وحفظ القرآن الكريم منذ صغره وجوّده على مشايخ الحرمين ودرس على والده علوم الآلة والحديث والتفسير ، ودرس على السيد يوسف بن الحسين بن زباره وأجازه اجازة عامة . ومن مؤلفاته فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن ، والفلك المشحون في شرح اسماء من يقول للشيء كن فيكون ، ومناهل العين الكوثرية شرح الأربعين الحديث الجوهرية ، وفتح المتعال الفارق بين الهدى والضلال ، وله مجموع في ذكر مؤلفات والده وشيوخه وتلامذته سُمي بعد ذلك بالروض النضير في ترجمة المجتهد الكبير الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، وقد انتقل المترجم له الى مكة المكرمة سنة ١١٩١ هـ ومكث بها حتى توفى في ١٢ شوال سنة ١٢١٣ هـ ـ وقد ترجم له :
١ ـ الشوكاني في كتابه البدر الطالع ٤٢٢/١ ـ ٤٢٣ .
٢ ـ محمد بن محمد زباره في كتابه نيل الوطر ٢٨/١ ـ ٣٤ .
٣ ـ الزركلي في الأعلام ٦٩/١ ـ ٧٠ .
٤ ـ عبدالرحمن بعكر في كتابه مصلح اليمن ص ١٦٧ ـ ١٧٦

===

الرحمانية عند تفسيره لسورة الصافات ق ٨٧/ب ، وحيث أن المؤلف لـــه حاشية على ابن الحاجب في الأصول فقد صرح بها أيضا عند تفسيره لقـــول الله تعالى ((والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)) .. الآية ٢٢٨ من سورة البقرة ق ٥٤/أ .

وعند تفسيره لقول الله تعالى : ((وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتـــى نرى الله جهرة ...)) الآية ٥٥ من سورة البقرة . وذلك في الورقة ٣٢/أ ، نجده يقول : وفي الآية دليل على أنّه صح إيمانهم قبل علمهم[1] أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض فانهم لا يعرفون مرئيا الا الأجسام والأعراض وهذا أحسن مما استدل به ابن عبدالسلام وغيره على هذا بأنهم عبدوا العجـــل ولو كانوا علموا أن الله تعالى ليس بجسم لما عبدوه . وهذا الدليل بيّنـا بطلانه في محل آخر ... وحققناه في رسالة . أهـ .

قلت : ومراده بالرسالة هذه كتابه (إيقاظ الفكرة) فقد ذكر فيه هـــذا الكلام فانظره ص ٢٠٣ - ٢١٠ ، ولعل المؤلف صرّح بأكثر من هذا مـــن مؤلفاته اذ أني لم أقرأ كل كتابه وإنما اطلعت منه على مواضع معدودة فقط .

ثانيا :تصريح المؤلف ببداية دعوته وما لاقاه وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين ..)) الآية ٥٤ من سورة القصص وذلك فـــي الورقة ٩٠/أ ص ٣٧٩-٣٨٠ حيث قال : ولقد دعونا الى اتباع سيد المرسلين واطـــراح بدع المتمذهبين واظهار شعائر الدين ... من سنة ١١٣٣ وما زالت عقـارب الأذايا تدب الينا ، وهجو الشعراء يفد علينا ... ونحن الآن بحمد الله في غرّة

=== ٥-عبدالله الحبشي في كتابه مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٣١ ، ١٥٣ ، وفي مقاله الذي نشرته مجلة العرب ع ١٠ ص ٧٨٥ - ٧٨٦ وقد ذكر فيـــه اسماء المصادر التي ترجمت لابراهيم الأمير وغالبها معاصرة له متقدمة على الشوكاني رحمه الله تعالى الا أنّها لا تزال مخطوطة ولم أتمكن من الاطـــلاع عليها .

(١) في الأصل(قبل عدم علمهم)ولا يستقيم الكلام .

سنة ١١٧٧ مستمرون على الدعاء إلى الهداية واتباعنا ـ زادهم نصـــــرة ودراية ـ قد صاروا أمة يدعون الى ما اليه دعونا ويهدون الى ما اليه هدينا .. الخ .

فأنت عندما تقرأ هذا التاريخ يزداد يقينك بأن هذا الكتاب من مؤلفـــات الصنعاني نفسه وليس لغيره ـ إذ أنّ إبراهيم لم يكن قد ولد آنذاك اذ تاريخ ولادته كانت عام ١١٤١ هـ وكذلك علي بن ابراهيم استبعاده من باب أولـــى حيث أنه لم يولد الا سنة ١١٧١ هـ ـ ومما يؤيد هذا التاريخ أيضا ما صرح به المؤلف في ديوانه ص ٣٣٤ حيث قال : ولنا في نشر السنة النبويـــة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف ولله الحمد قد نشرها تلاميذنا فـــي الجهات والحمدلله كثيرا بكرة وأصيلا . أهـ .

ثم ما نجده في نهاية تفسيره لبعض السور حيث قال ـ في نهاية تفسيـــره لسورة الزمر ق ١٣٥/أ ـ :أتممنا باعانة الله تعالى قراءة تفسير هذه السورة في المدرسة في اثناء شهر رمضان من سنة ١١٧٨ هـ والحمد لله كثيرا ، وفي نهاية تفسير سورة الشورى ق ١٧٦/أ نجده يقول : انتهى تفسيرها بعد عصر الخميس ٢١ من شهر جمادى الآخرى سنة ١١٧٩ ، وفي نهاية تفسيره لسورة محمد صلى الله عليه وسلم ق ٢٠٨/أ نجده يقول : انتهى تفسير الســـورة بعد عصر يوم الأحد عشرين من شهر صفر سنة ثمانين ومائة وألف ختمهـــا الله بكل خير وأعان على التمام آمين .

ثالثا :: ما يفهم من كلام المؤلف عن الجهاد والهجرة، وهذان أمران شغلهما المؤلف . فقد عاش مجاهدا طيلة حياته ولهذا نجده اطنب في تفسير آيات الجهـــاد وانظر على سبيل المثال كلامه عند تفسيره لقول الله تعالى : ((والذيـــن جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا..)) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت، وكذلـــك نجده تكلم عن الهجرة ورجّح بقاءها الى قيام الساعة وذلك عند تفسيـــره لقول الله تعالى ((يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فأياي فاعبدون)) الآية ٥٦ من نفس السورة ص ٤٨٩-٤٩٢ .

رابعا : مما لا شك فيه أنّ إيقاظ الفكرة المراجعة الفطرة هو أحد مؤلفات الصنعاني كما بين ذلك زميلي الدكتور / عبدالله شاكر عند تحقيقه لهذا الكتاب ص ١٠٩ ـ ١١٠ فلما قمت بمقارنة بين إيقاظ الفكرة ومفاتح الرضوان تبين لي أنّ المؤلف رحمه الله تعالى يحيل أحيانا الى إيقاظ الفكرة دون أن يسميه كما مر بنا في الدليل الأول . وتبين لي أن منهج المؤلف في هذا التفسير هو منهجه في إيقاظ الفكرة وذلك من خلال النقاط التالية :

أ ـ نجد المؤلف رحمه الله تعالى ذكر في كتابه " ايقاظ الفكرة " ص ٢٧٩ ـ ٢٩٩ عدة أدلة على حقيقة تسبيح الحصى وغيرها من الجمادات والحيوانات ـ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ـ وأنكر على من حملها على المجاز كالزمخشري وأبي السعود وغيرهما من المتكلمين وهذا الكلام نجده أيضا في مفاتح الرضوان عند تفسيره لقول الله تعالى ((حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)) ١٨ النمل/ص٢١٦-٢٢٩ حيث قال رحمه الله تعالى : فالقائل : إنّما هذه أمثله وتنزيل لما لا يعقل منزلة ما يعقل بنوع من المجاز لم يأت بطائل ولا أقام على ما قاله الدلائل . أهـ .

ثم ذكر عدة أدلة على نطق الحيوانات والجمادات وتسبيحها لله تعالى حتى قال : وتأويل الآيات والأحاديث لموافقة رأي الجبائي ليس من طريقة العالم التقي ، بل اذا التبس عليه الأمر وكّل الأمر الى الله ويقول قد ثبت نسبة الله ورسله الأقوال الى الحيوانات الغير الناطقة والى الجمادات فيجب به الإيمان والسكوت عن الكيفية والبيان . أهـ .

ثم اطنب رحمه الله تعالى في تقرير ذلك بعدة أدلة غالبها قد ذكره في إيقاظ الفكرة الى ان قال ـ في تفسيره هذا ـ : ولقد أفسد الحمل

على المجاز آيات الاعجاز كما يعرف ذلك أئمة العلم الجامعين بين العلم والانصاف الخارجين عن التكلف والاعتساف .. الخ ما ذكره في تفسيره لهذه الآية من الورقة ٤٠/ب - ٤٣/أ ، ونجده صرح بذلك أيضا عند تفسيره لقول الله تعالى : ((قالتا أتينا طائعين)) ١١ فصلت حيث قال : وهذا خطاب حقيقة وجواب حقيقة لا وجه لحمله على المجاز كما صنعه الكشاف الخ ما ذكره في الورقة ١٥٦/أ .[1]

ب - بعد تفسيره لقول الله تعالى : ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)) الشعراء ١٩٣ - ١٩٤ نجده يقول : وبهذا تعرف أنّ القرآن ألفاظه من عند الله تعالى وهو كلامه وأنّ من قال من المتقدمين وبعض المتأخرين : إنّ كلام الله انما هو معاني القرآن وأما ألفاظه فانها عبارات رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدلوا بآية الشعراء هذه - وهو استدلال باطل - مخالف للأدلة ولإجماع الأمة . أهـ ق ٢٤/ب ص١٥٥-١٥٦ وهذا الكلام موجود في إيقاظ الفكرة ص ٢٣٤ .

جـ - وفي الصفحة ٢١٨ - ٢٣١ من ايقاظ الفكرة نجد الصنعاني رحمه الله تعالى انكر صفة الفوقية وانتقد على ابن تيمية رحمه الله تعالى - في اثباته لها ، ثم نجد هذا الخطأ تكرر في هذا التفسير الذي بين أيدينا وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ...)) الآية ٦٥ من سورة النمل حيث نجد المؤلف - رحمه الله تعالى - يتابع الزمخشري - رحمه الله تعالى - في نفي صفة العلو حيث يقول : ولما كان تعالى لا يشمله من في السموات ومن في الأرض لتنزهه عن الأماكن استشكل القراءة بالرفع لكلمة الجلالة ، فانه استثناء منقطع والأكثر فيه نصبه . ولذا

---

(١) وهناك أمثلة كثيرة ليس هذا محل بسطها . فانظر مثلاً كلامه في الورقة ٢٣/ب عند تفسيره لقول الله تعالى ((يا جبال أوّبي معه والطير ..)) الآية ١٠ من سورة سبأ .

قال ابن الحاجب : أو منقطعا في الأكثر .

فالآية ورد رفعها على الأقل من باب :

وبلدة ليس بها أنيـــــس الا اليعافيـر والا العيـــــس

الخ ما ذكره في الورقة ٥٧/أ ، ب ص٢٨٠-٢٨١ .

د - خالف المؤلفُ السلفَ - رحمهم الله تعالى - في مسألة خلق اللـــه لأفعال العباد وتأثر فيها برأي المعتزلة وقرر هذا في كتابه " ايقـاظ الفكرة " ص ٥٣٩ - ٥٤٩ ، ثم وجدت المذهب نفسه مصرحا به فـــي هذا التفسير وذلك عند تفسير قول الله تعالى ((والله خلقكـــم وما تعملون)) ٩٦ الصافات حيث يقول : ... وخلق ما تعملون مـــن الأوثان،لا أن المراد خلق عملكم فانه لا يقال لغة خلق تجارة وخياطـة أو بناءً ونحو ذلك أو خلق صلاة وصوما فلا دليل لمن يدعي خلـــق أفعال العباد ، وقد حققنا ذلك في رسالة الأنفاس الرحمانية[1] أهـ ق ٨٧/ب .

خامسا ::ما كتب على غلاف المخطوط في كلا النسختين

فالنسخة المحمودية ليست الا قطعة واحدة تبدأ بتفسير سورة الشعـــراء وتنتهي بتفسير الآية السادسة من سورة لقمان مكتوب عليها ما نصه : هذا المجلد من تفسير القرآن العظيم تأليف السيد العلامة بدر الدين المنيـــر محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير رضوان الله يغشاه بحق سيدنا محمـــد وآله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

---

(١) هي رسالة رد بها الصنعاني على الشيخ أبي الحسن بن محمد السندي عبد الهادي عندما ذكر السندي مذهب السلف في أفعال العباد وأنها مخلوقة لله تعالى، ولها عدة نسخ في المكتبة الغربية بصنعاء ضمن المجموع ٣ ، ١٠ ، ونسخة أيضا فـــي مكتبة محمد العبيكان بالرياض رقم ٧١ .

وأما النسخة الصنعانية فهي عبارة عن ثلاث قطع - سيأتي تفصيلها فيما بعد - واحدة منها وهي القطعة التي قمت بتحقيقها ليس مكتوباً عليها شيء ، اذ أنها تبدأ مباشرة بتفسير سورة الشعراء ولا غلاف عليها ، وأما القطعتان الأخريان فكتب على غلاف كل واحدة منهما بأن هذا الكتاب من تأليف الامام العلامة محمد بن اسماعيل الأمير .

سادسا : ومما يؤيد نسبة هذا الكتاب للأمير الصنعاني أنّ النسخة المحمودية عليها تملك عبدالله بن محي الدين العراسي (١) - ويظهر لي أنه هو ناسخ هذه القطعة - وهو أحد تلامذة الصنعاني كما ذكر ذلك ابراهيم الأمير في الروض النضير ص ٤٣٣ - ٤٣٥ والمؤرخ زباره في ملحقه على البدر الطالع ص ١٣٦ ، وكان تملكه لهذه النسخة سنة ١١٨٣ أي بعد عام من وفاة الصنعاني رحمه الله تعالى ، ثم بعد نصف عام من وفاة العراسي-أي في شهر ربيع الأول سنة ١١٨٨ هـ-نرى هذه النسخة انتقلت الى ملك القاسم ابن محمد (٢) الأمير الصنعاني .

فهذه أمور تؤيد نسبة الكتاب الى الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى .

---

(١) هو العلامة عبدالله بن محي الدين العراسي الصنعاني مولده في جمادى الآخرة سنة ١١٣٤ ، أخذ عن السيد عبدالله بن لطف الكبسي في النحو وعن القاضي أحمد بن الحسين الهبل في الصرف والمعاني والبيان والأصول وأخذ عن السيد محمد بن اسماعيل الأمير في الأمهات الست وغيرها ، وكان الصنعاني يثني عليه ويقول إنّه أفهم من يحضر مقامه ، له مؤلفات جليلة من أهمها تخريج أحاديث كتاب الثمرات ، وله منظومة في فضل كلمة التوحيد سمّاها " مفتاح السعادة الأبدية في ذكر الكلمة التوحيدية " ، وله غيرها من المؤلفات ، وُلّي أوقاف صنعاء فحمد الناس سيرته فيها وتضاعفت حاصلات أموال الوقف•توفي ليلة عيد الفطر سنة ١١٨٧ هـ . انظر ترجمته في الروض النضير ص ٤٣٣ - ٤٣٥ ، وملحق البدر الطالع لزباره ص ١٣٦ ، والأعلام ١٣٦/٤ ، ومصادر الفكر الاسلامي ص ٣٠ .

(٢) هو القاسم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ولد بصنعاء في ٢٦ شهر ربيع الأول سنة ١١٦٦ وأخذ العلم عن جماعة من العلماء كأخيه عبدالله

===

سابعا : من المعلوم بداهة أنّ كثرة النقول عن العلماء وترجيح آراء بعضهم على بعض دليل على مكانة المؤلف وسعة اطلاعه . وفي هذا الكتاب[1] نجد المؤلف ينقل عن جمع من العلماء - كابن القيم وابن الجوزي . والزمخشري والتفتازاني والشريف الرضي والشريف الجرجاني والسمين والسيوطي وأبي حيان وابن الوزير والعز بن عبدالسلام والقاضي عياض وأبي السعود والبغوي وابن الحاجب والبيضاوي وابن جزي الكلبي والمقبلي والإمام المهدي وغيرهم كثير - بيد أن كتب التاريخ لم تذكر لنا في ذلك العصر وفي نفس البقعة أوسع علما وأجل فقها من الامام الصنعاني ، فاذا لم يكن هو مؤلف هذا الكتاب فمن يا ترى ؟ وخاصة في تلك الفترة المظلمة وبالأخص في تلك البقعة التي كان الجهل والتخلف سمة من سماتها كما تذكر عنها كتب التاريخ وكما نص على ذلك الصنعاني في مقدمة كتابه " ايقاظ الفكرة " .

ثامنا : أما كتب التراجم فأول من ذكر أنّ للصنعاني تفسيرا في القرآن هو إسماعيل باشا في كتابه " هدية العارفين " ٣٣٨/٢ الا أننا لم نعرف اسمه حتى قام الاستاذ عبدالله الحبشي بذكر مؤلفات الصنعاني في مقاله الذي نشرته مجلة العرب في عددها العاشر من عام ١٩٧٧م حيث نص في ص ٧٨٣ من هذا العدد على أنّ اسم تفسير الصنعاني مفاتيح[2] الرضوان في تفسير

== ابن محمد الأمير والعلاّمة لطف الباري بن أحمد الورد والعلامة علي ابن هادي عرهب ، وقد برع في علوم الاجتهاد وعمل بالأدلة وله صلاح تام وهدى حسن ، توفى بالروضة من أعمال صنعاء في سنة ١٢٤٦ ، ترجمته في البدر الطالع ٥٢/٢ ، وفي نيل الوطر ١٨٢/٢ ، ومصلح اليمن ص ١٧٨-١٧٩ ، والأعلام ١٨٤/٥ .

(١) وخاصة في أول الكتاب عند تفسيره لسورة البقرة . وأما الجزء الذي قمت بتحقيقة فقد خلي من بعض هذه الأمور وخاصة ترجيح الأقوال .

(٢) هذه هي التسمية التي ذكرها الحبشي ومعتمدة في ذلك على فهارس

الذكر بالآثار والقرآن ، ثم أكد ذلك في مقاله الآخر الذي نشرته مجلة الاكليل ،[١] في عددها الثاني من السنة الأولى عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، حيث ذكر في هذا المقال من مؤلفات الصنعاني أكثر مما ذكر في مقاله السابق الذي نشرته مجلة العرب .

انظر مجلة الإكليل ص ١٤٥ - ١٧٤ .

وأما كون ابنه إبراهيم الأمير لم يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات والده . فالجواب أن كتاب ابراهيم الذي ذكر فيه مؤلفات والده[٢] غير كامل فلم يستوعب كل مؤلفات الصنعاني كما نص على ذلك ناسخ الكتاب عبدالملك ابن حسين الذي انتهى من نسخ الكتاب في شهر رجب من عام ١٣٠٨هـ.[٣]

وقد قمت باحصاء المؤلفات التي ذكرها ابراهيم في الروض النضير فوجدتها تسعة وعشرين مؤلفا فقط ، مع أن مؤلفات الصنعاني تزيد عن مائتي مؤلف ما بين كتاب ورسالة - كما بين ذلك الدكتور عبدالله شاكر في تحقيقه لايقاظ الفكرة ص ٣٦ - ٦٨ بل ان هناك كتب نص الصنعاني بأنها من مؤلفاته ومع هذا لم نجد لها ذكرا في الروض النضير ، وذلك مثل كتاب الاحراز لما في أساس البلاغة من كناية ومجاز ، فقد نص الصنعاني في هذا تفسيره على أن الاحراز من مؤلفاته ، بينما لم نجد له ذكرا في الروض النضير .

== المخطوطات وما كُتب على أحد أغلفة الكتاب مع أن الصواب (مفاتح) بدون ياء كما سيأتي تقرير ذلك في مبحث اسم الكتاب إن شاء الله تعالى.

(١) في مجلة دورية تصدر بتاريخ المعهد الفكري والحضاري لمعهد وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء .

(٢) واسم ذلك الكتاب الروض النضير في ترجمة المجتهد الكبير شيخ الاسلام محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير . وهذه التسمية لم تكن من المؤلف ، وانما اطلقها عليه أحد النساخ بعد وفاة المؤلف رحمه الله تعالى .

(٣) انظر الروض النضير ص ٤٦٦ .

وكذلك نجد الشوكاني وغيره من العلماء ينسبون كتاب العدة للصنعاني ولا شك في ذلك - مع أنها ليست مذكورة في الروض النضير ، فبهذا يعرف أن الروض النضير لم يستوف مؤلفات الصنعاني رحمه الله تعالى .

وأما كون الشوكاني أيضا لم يذكر هذا الكتاب فانه رحمه الله تعالى لم يدّع بأنه استقصى مؤلفات الصنعاني ، بل لم يذكر منها سوى ستة كتب ثم قال : وله مصنفات غير هذه ، وقد أفرد كثيرا من المسائل بالتصنيف بما يكون جميعه في مجلدات (١) . وقال - في بداية ترجمته للصنعاني - : صاحب التصانيف ... وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء (٢) .

فأنت ترى أنّ كلام الشوكاني هذا إن لم يكن حجة لنا فليس بحجة علينا . (٣)

---

(١) البدر الطالع ١٣٨/٢ .

(٢) البدر الطالع ١٣٣/٢ .

(٣) هذه بعض الأدلة على توثيق نسبة الكتاب للصنعاني رحمه الله تعالى ، وهناك أدلة أخرى سأشير إليها في مواضعها ان شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

هل نُسِبَ هذا التفسير لأحد من أولاد الصنعاني ؟

قد أوضحت في المبحث السابق نسبة هذا التفسير للصنعاني رحمه الله تعالى بما لا يدع شكا لأحد ، ولكن نظرا لأنّ إبراهيم الأمير - ابن الصنعاني -[1] له كتاب في التفسير قريب في اسمه من كتاب والده نجد بعض العلماء قد خلط بينهما في التسمية ، ومن أولئك العلماء الشوكاني رحمه الله تعالى فقد ذكر في كتابه البدر الطالع ٤٢٣/١ بأن لإبراهيم الأمير تفسيراً غريب الأسلوب سماه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن) وتابعه على ذلك إسماعيل باشا في كتابه إيضاح المكنون ٥٢٠/٢ ، ثم تابعهما على ذلك الدكتور على شواخ إسحاق في كتابه معجم مصنفات القرآن الكريم ١١٧/٣ ، ١٥٦ ، الا أنه ذكر اسمين للكتاب أخذ أحدهما من الأعلام - وهو الاسم الصحيح - والاسم الآخر أخذه من البدر الطالع ومن إيضاح المكنون .

ومما لا شك فيه أنّ لإبراهيم الأمير كتابا في التفسير وذكره كل من ترجم له إلا أنّهم ذكروا أن اسمه (فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن) عدا الشوكاني ومن تبعه فقد ذكروا أنّ اسمه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن) .

والحقيقة أن هذا وهم من الشوكاني رحمه الله تعالى ، اذ كل من ترجم لإبراهيم الأمير فانما يذكر له " فتح الرحمن " ، ثم انّ هذا الاسم هو الذي وجد على غلاف الكتاب المذكور - كما سيأتي في تفصيل نسخه - ، ثم ان كتاب الصنعاني المسمى (بمفاتح الرضوان) هو في تفسير الذكر بالآثار والقرآن بخلاف كتاب ابنه

---

(١) وردت ترجمته في المبحث السابق ص ٣١ وذكرت هناك المراجع التي ترجمت له .

إبراهيم فانه خاص بتفسير القرآن بالقرآن كما يفهم من مقدمة الكتاب المذكـــور ، وكما يفهم من اسمه .

وبعد أن منّ الله علي بنسختين من هذا الكتاب - فتح الرحمن - اتضـــح لي أنه لا يذكر الآثار الا استطرادا لا تفسيرا ، مع أن ذكره للآثار أمر نـــادر الحصول .

وقد حصلت على إحدى نسختي هذا الكتاب من مكتبة ندوة العلماء بلكنهـو الهند ، وتقع هذه النسخة في ٢٥٧ ورقة بمعدل ٣٢ سطرا لكل ورقة،فألفيتها تبدأ بمقدمة ثم تفسير سورة الفاتحة والبقرة حتى الآية ١٢٣ ، وقد كُتب على غلافهـــا الفيض الرباني والفتح الرحماني للمولى العلامة (....)[1] إبراهيم بن محمد بـــن إسماعيل الأمير رضي الله عنهم .

وأما النسخة الثانية فحصلت عليها من المكتبة الغربية بالجامع الكبيـــر بصنعاء ووجدتها مقسومة إلى قطعتين :

أ - القطعة الأولى تبدأ بالمقدمة ثم تفسير سورة الفاتحة والبقرة حتى الآيـــة العشرين ، وتقع هذه القطعة في ٢٤٤ ورقة بمعدل ٢٧ سطرا وكتب علـــى غلافها ما نصه : " هذا الكتاب تفسير القرآن بالقرآن للسيد علي[2] بـــن إبراهيم الأمير رحمه الله تعالى .

---

(١) كلمة لم أعرفها .

(٢) يلاحظ أنها نسبت لعلي بن إبراهيم - حفيد الصنعاني - والصواب أنهـــا لابراهيم بن محمد - ابن الصنعاني - كما سأوضح ذلك - ان شاء الله تعالى - فيما بعد .
وأما رقم هذه القطعة في المكتبة الغربية فكانت محفوظة تحت رقم ١٨ ثم عدل الى الرقم ٤٥ والذي أعرفه أن هذا الرقم سيعدل أيضا إذ أخبرنـــا القائمون على المكتبة بأنهم يعملون على إخراج فهرس جديد لهذه المكتبة .

ب - وأما القطعة الثانية من هذه النسخة فتبدأ من حيث انتهت القطعة الأولى وتنتهي عند تفسير الآية الحادية والثلاثين بعد المائة من سورة البقرة ، وتقع في ٣٠٤ ورقة بمعدل ٢٧ سطرا وقد كتب على غلافها : " هذا جزء من كتاب فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن للسيد إبراهيم بن محمد الأمير "[1] .

وعند مقارنتي للقطعتين اللتين صورتهما من صنعاء بالنسخة التي حصلت عليها من الهند تبين أن تلك القطعتين كتاب واحد ، فالقطعة الأولى عندما قابلتها بالنسخة الهندية وجدتها تنتهي عند الورقة ١٢٠/ب من النسخة الهندية وهذا الموضع نفسه هو بداية القطعة الثانية ، وفوق كل هذا أن الاسلوب والمنهج والخط واحد في كلا القطعتين ولم يطرأ عليه أي تغيير فبهذا يتضح أن الصواب كما جاء في النسخة الهندية بأنهما كتاب واحد ، ويتضح أيضا أن الكتاب لإبراهيم الأمير وليس لعلي بدلالة أنّ كل من ترجم لابراهيم ذكر له تفسيرا للقرآن ، بخلاف علي فلم يذكر له تفسير في القرآن .

وأدلّ من هذا كلام المؤلف نفسه - في الورقة ١٢١/أ من النسخة الهندية وهي الورقة ٢/أ من القطعة الثانية من النسخة الصنعانية - حيث قال : ومن أراد معرفة هذه الفنون[2] لا يمكنه التمكن منها الا بالمهارة - في الحساب - الكاملة كما ذكرته في ترجمة اليواقيت في المواقيت رسالة لوالدي رحمه الله تعالى .[3]

---

(١) وهذه القطعة محفوظة بالمكتبة الغربية بصنعاء وكانت مسجلة تحت الرقم ٦٠ ثم عُدّل الى الرقم ٤٤ تفسير، ولعل هذا الرقم سيعدل فيما بعد كما ذكرت ذلك سابقا .

(٢) أي كروية الأرض وسائر الأفلاك .

(٣) ولعل هذه العبارة هي التي نبّهت النساخ أن ينسبوا هذه القطعة لإبراهيم الأمير .

قلت : ولا يخفى أن كتاب اليواقيت في المواقيت من مؤلفات الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، والذي ذكر مؤلفات الصنعاني هو ابنه إبراهيم ، وقد تكلم عن اليواقيت في المواقيت في كتابه الروض النضير ص ٣٤٩ - ٣٥٢ ، فإذاً قسمة الكتاب إلى قطعتين ونسبة كل واحدة منهما لمؤلف لا يخفى أنه خطأ من النساخ، وقد تابعهم في نسبة الكتاب لعلي بن إبراهيم أيضا الدكتوره / ابتسام مرهون الصفار في كتابها معجم الدراسات القرآنية ص ٢٦٤ .

ومما تجدر الاشارة اليه أن ابراهيم الأمير رحمه الله تعالى لم يؤلف هذا التفسير تكملة لتفسير والده[1] ، بل بدأ من أول القرآن كما بيّنت ذلك سابقا ثم إنّه نص في مقدمة كتابه المذكور بأنه أقدم على تأليفه تحقيقا لرغبة ابنه الذي طلب منه أن يفسر القرآن بالقرآن ، فأخذ المؤلف في التفسير والاستطراد في الآيات حتى فسّر مائةً وثلاثاً وعشرين آيةً في قرابة خمسمائة ورقة، وكل ورقة بمعدل ٢٧ سطرا فهو تفسير غريب الاسلوب كما وصفه الشوكاني بذلك[2] ، ولا مقارنة بينه وبين مفاتح الرضوان .

---

(١) وقد أخطأ الاستاذ عبدالله الحبشي في كتابه مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ١٠ عندما قال ان ابراهيم الامير كمّل عمل والده .

(٢) انظر البدر الطالع ٤٢٣/١ .

المبحث الثالث

عدد نسخ الكتاب ـ المحقـق ـ

ووصف كل منها ومكان وجودهـا

قبل أن أذكر عدد النسخ ومصادرها أود أن أشير الى أني لم أجد نسخـة كاملة حتى الآن مع أني أجزم بأن المؤلف تناول تفسير القرآن من بدايته بدليـل كثرة الإحالات التي وجدتها في القطعة التي قمت بتحقيقها ـ وهي من بداية سـورة الشعراء حتى نهاية سورة الروم ـ وبدليل وجودنا لتفسير الفاتحة كاملا ، وسـورة البقرة حتى الآية السابعة بعد المائة ، ثم بعد ذلك بدأ النقص .

وأما الذي عثرت عليه من هذا التفسير فهو عبارة عن ثلاث قطع متفرقة :

الأولى منها تبدأ بتفسير الفاتحة ثم سورة البقرة حتى الآية السابعة بعد المائة وبعد ذلك نجد تفسير آيات متفرقة حيث أورد الآية ٢٢٨ من سورة البقـرة ثم تناول بعض آيات سورة النساء وآيات من سورة الأعراف والأنبياء وهكذا حتـى وصل الآية الرابعة والخمسين من سورة الحج ، وكل ذلك في ٩٢ ورقة بمعـدل ٢٠ سطرا لكل ورقة ، وكُتب على غلاف هذه القطعة ما نصه : " مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن تأليف المولى الإمام شيخ الاسلام وقدوة الانام العلـم العلامة والقطب الفهامة البدر المنير وبحر العلم النمير محمد بن إسماعيـل الأمير ، بلّ الله مرحمته ثراه وجعل الجنة مأواه " . وعليها كتابات أخرى ستظهر لك في الصورة ، وهذه القطعة لا يوجد لها ـ حتى الآن ـ سوى نسخة واحدة كانـت من وقف الإمام يحي ، ثم أصبحت محفوظة بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٩٣ تفسير .

وأما القطعة الثانية فهي تبدأ بتفسير سورة الشعراء وتنتهي بتفسير الآيـة

الرابعة من سورة لقمان حسب النسخة الصنعانية ـ وبالآية السادسة كما في النسخة المحمودية ـ وهذه هي القطعة الوحيدة التي لها نسختان ـ وهذا أحد الأسباب التي جعلتني اختارها على ما سواها ، وأما وصف نسخ هذه القطعة فهو كالتالي :

أ ـ **النسخة المحمودية :** تقع في ١٧٦ ورقة بمعدل ١٨ سطرا ، ومع أن الناسخ واحد الا أننا نجد الخط قد تغير من الورقة ٨٩/ب فما بعد ، ولعل ذلك مجاراة للنسخة الأصل التي نقل عنها ، حيث نجد إشارة في النسخة الصنعانية ـ في الورقة ٦٦:أ ـ الى أنّ النسخ قد تغير، وذلك في نفس الموضع الذي تغير فيه الخط في النسخة المحمودية ، ومع أن هذه النسخة قد كتبت بعد وفاة المؤلف مباشرة ، الا أنها كثيرة السقط ، ولولا أن هذه النسخة بخط تلميذ المؤلف ـ كما يظهر لي ـ وعليها تملكه ثم تملك ابن المؤلف لجزمت بأنها منقولة عن الصنعانية بدلالة أن ما أشكل في النسخة الصنعانية أو حُرف عن معناه أجده كذلك في النسخة المحمودية ، ولعل أقرب جمع لهذا أن نقول أنهما منقولتان عن أصل واحد[(١)] .

وهذه النسخة ـ أي المحمودية ـ كتب على غلافها ما يلي : " هذا المجلد من تفسير القرآن العظيم تأليف السيد العلامة بدر الدين المنير محمد بن إسماعيل ابن صلاح الأمير رضوان الله يغشاه بحق سيدنا محمد وآله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم " .

وفوق كل هذا مكتوب : " سماه مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن .

---

(١) ويشهد لهذا ما ذكرته في الفقرة (٢) من هامش الصفحة ١٤٤ وفي الفقرة ١٠ من هامش ص١٦٤ وفي الفقرة ٦ من هامش ص ٢٣٥
ثم قارن ذلك بما جاء في الفقرة (٥) من هامش ص٣٠٨ ، بينما نجد أيضاً في الورقة ١١٦ أ من الصنعانية ما يشير بأنها نقلت عن الأصل وكذلك نجد في الورقة ١٥٨/ب من المحمودية ما يشير الى أنها نقلت من الأم فلا وجه للجمع والأنسب أن نقول أنهما منقولتان عن أصل واحد مع أنّ ناسخ الصنعانية أشد تثبتاً وأتقن نقلاً من ناسخ المحمودية الذي فاتت كثير من الكلمات .

وهناك كتابات أخرى ستظهر لك في الصورة والذي يظهر لي أنّها بخط عبدالله محي الدين العراسي [1] - أحد تلاميذ المؤلف - وأنه تم نسخها في شهر ذي الحجة عام ١١٨٣ هـ أي بعد وفاة المؤلف بعام واحد ، وعليها تملكه ثم تملك القاسم بن محمد الأمير [2] بتاريخ شهر ربيع الأول ١١٨٨ هـ ، وذلك بعد وفاة العراسي بستة شهور ، وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٥) تفسير .

ب - **وأما النسخة الصنعانية :** فهي - كما أسلفت - تبدأ أيضا بتفسير سورة الشعراء وتنتهي بالآية الرابعة من تفسير سورة لقمان [3] ، وتقع في (١٤٩) ورقة بمعدل ٢٠ سطرا وليس عليها غلاف بل مبتورة من أولها وآخرها ، فليس عليها اسم الكتاب ولا اسم المؤلف ولا اسم الناسخ،وهي محفوظة بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٩١ تفسير .

وأما القطعة الثالثة من هذا الكتاب فهي تبدأ من حيث انتهت القطعة الثانية - أي من الآية السابعة من سورة لقمان - وتنتهي عند تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة الفتح ويتخللها نقص في بعض السور وتقع في (٢١١) ورقة بمعدل ٢٠ سطرا في كل ورقة ولا يعرف ناسخها ، وبمقارنتها مع باقي القطع اتضح

---

(١) سبقت ترجمته ص ٣٧

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٧-٣٨

(٣) وهذا التقسيم حسب الترقيم والفهرسه التي وقفت عليها والا - في الحقيقة - أنها لا تنتهي الا بالآية السادسة من سورة لقمان مثلها مثل النسخة المحمودية بدلالة أن الخط لم يختلف الا عند الآية السادسة فما بعد .

لي بأنها هي والقطعة الأولى كتبتا بخط واحد ، وكتب على غلاف هذه القطعة ما يلي : " مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن [1] للإمام العلامة الشهير محمد ابن إسماعيل الأمير بلّ الله بوابل الرحمة ثراه آمين " .

وهناك كتابات أخرى ستراها في الصورة ، وأما الورقة الأخيرة من هذه القطعة فقد كتب عليها ما نصه : " انتهى الموجود من تفسير البدر المنير رضوان الله ورحمته يغشاه ، نُقل من الأم التي بخطه قدس الله روحه " وكان يكتبه - رحمه الله - أيام تدريسه في تفسير البغوي يكتب كل يوم ما درسه ، ولهذا تجده في بعض المواضع لم يكتب شيئا لاشتغاله عن كتب ذلك ورجاء لكتبه بعد ذلك فبيض له في الأم جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا وضاعف حسناته آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، فرغ من رقمه في يوم الأحد خامس عشر شهر ذي الحجة الحرام سنة ١١٨٧ ختمها الله وما بعدها بكل خير . أهـ .

وهذه القطعة لا يوجد لها أي نسخة أخرى - حتى الآن - وهي كالقطعة الأولى من وقف الامام يحي بن محمد حميد الدين ، وهي محفوظة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم (٤٩٤) تفسير .

وجميع هذه النسخ كتبت آياتها بالمداد الأحمر وتفسيرها بالمداد الأسود وجميعها بخط نسخي واضح، وعليها بعض التعليقات والاستدراكات وأما المقابلة فلا توجد على أي نسخة منها .

---

(١) وهذه الكتابة بخط مغاير لخط الناسخ ومما يلاحظ عليها أنها لم تذكر الاسم كاملا .

المبحث الرابع

هل كل هذه القطع من تفسير الصنعاني ؟

إن المتأمل في غلاف المخطوطات قد يرتاب ـ في بادىء الأمر ـ في نسبة كل هذا التفسير للصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ اذ نجد على غلاف القطعة الأولى ما يفيدنا بأنه ليس للمؤلف الا تلك القطعة فقط ، ثم نجد على غلاف القطعة الثانية ـ من النسخة المحمودية ـ ما يشير بأنه لا يعرف للمؤلف في التفسير الا تلك القطعة فقط .

وبعد مرور وقت طويل تبين لي ما يأتي :

١) أنّ القطعة الأولى والثالثة كانتا مجموعة واحدة ـ وانما فرقتا فيما بعد ـ بدلالة أن ناسخهما واحد ـ كما ذكرت ذلك سابقا ـ وأن مصدرهما واحد فكلتاهما من وقف الامام يحي حميد الدين ، ثمان ما نص عليه الناسخ بأنه لا يوجد للمؤلف الا هذه القطعة وأنه كان يكتبه أيام تدريسه في تفسير البغوي نجده على غلاف القطعة الأولى وعلى نهاية القطعة الثالثة ، فحينئذ لا اشكال في أن القطعة الثالثة هي جزء من القطعة الأولى ويصدق عليها ما يصدق على الأولى .

٢) وأما القطعة الثانية ـ والتي تبدأ بتفسير سورة الشعراء وتنتهي بالآية السادسة من سورة لقمان ـ فقد ذكرت أن لها نسختين الأولى منهما وهي الصنعانية خالية من أي ملاحظة وحتى العنوان لا يوجد عليها ، وأما النسخة الثانية وهي المحمودية فهي التي كتب عليها لم يعرف للسيد المذكور في التفسير الا تلك القطعة، فالجواب :

أن الكتاب كان في رقاع متفرقة وتوفى مؤلفه قبل تبييضه فكتب كل من النساخ على ما حصل عليه: بأنه لا يوجد للمؤلف الا ذلك ظنا منه أنه لا يوجد غيره .

المبحث الخامس

سبب اختياري للقطعة الثانية دون ما قبلهـا

يرجع اختياري لهذه القطعة دون غيرها لعدة أمور، من أهمها :

١) أنني عندما وجدت نسختها في المكتبة المحمودية وكتب على غلافها أنـه لا يعرف للمؤلف غيرها أخذت هذا الكلام يقينا وجزمت بأنه ليس للمؤلـف سواها فبدأت في نسخها مع البحث عن نسخة أخرى فلم أعثر على باقـي النسخ الا بعد فراغي من نسخ المحمودية كاملة ، فليس أمامي حينئـذ الا اتمام العمل في هذه القطعة وتأجيل ما سواها لوقت آخر باذن اللـه تعالى .

٢) والسبب الثاني أنها هي القطعة الوحيدة التي وجدت لها نسختين .

٣) وأما السبب الثالث فانها هي القطعة الوحيدة التي خلت من النقص[(١)] بخلاف ما سواها فقد اعتراها كثير من النقص .

---

(١) لم أقصد بالنقص ترك تفسير آية أو آيتين فهذا قد يوجد حتى في هـذه القطعة ، وانما مرادي بالنقص ترك جزء من السورة أو ترك بياض في بعض الورقات فهذا حاصل في القطعتين الأخريين دون هذه التي قمت بتحقيقها ، بل لقد حصل فيهما نقص أيضا بسبب التصوير السيء الذي فاته بعض الورقات .

المبحث السادس

اسم الكتـــاب

ذكرت في مبحث توثيق نسبة الكتاب بأن الحبشي هو أول من اتحفنا باسم هذا الكتاب ونص في مقاليه السابق ذكرهما بأن اسم الكتاب " مفاتيح الرضوان في تفسير المذكر بالآثار والقرآن "[١] - مع أن النسخة المحمودية التي تعتبر أول نسخة حصلت عليها من هذا الكتاب وعليها تملك تلميذ المؤلف ثم ابن المؤلف كتب عليها بأن اسمه " مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن "[٢] - ، وعندما زرت الاستاذ عبدالله الحبشي في منزله بصنعاء وسألته عن مصادر تسميته لهذا الكتاب أخبرني بأنه أخذها من غلاف الكتاب ، فلما تمكنت من الاطلاع على كل قطع الكتاب الموجودة[٣] تبين لي أنه لم ترد تسميته " بمفاتيح الرضوان " الا على غلاف القطعة الأخيرة دون غيرها من القطع ، ثم ان تلك التسمية كتبت بخط مغاير لخط الناسخ ويبدو أنه حديث التاريخ ثم انه لم يذكر الاسم كاملا كما في باقي النسخ بل اكتفى بما نصه :

مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن • وهذا خلاف الموجود على غلاف النسخة المحمودية والقطعة الأولى من الصنعانية ، اذ الموجود عليها وبخط الناسخ ان اسم

---

(١) ثم تابعه على ذلك عبدالرحمن بعكر في كتابه مصلح اليمن ص ١٣٨ وأحمد العليمي في كتابه عن الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار ص ٣٧ .

(٢) الخلاف بين الاسمين إنما هو في اثبات الياء أو حذفها من كلمة " مفاتيح " والتسمية صحيحة على كلا التقديرين ، فان مفاتيح جمع مفتاح ، ومفاتح جمع مفتح ومعناهما واحد ، وكل من اللفظين قد ورد إمّا في الكتاب أو السنة .

(٣) التي سبق ذكرها وتفصيلها في مبحث وصف الكتاب ص ٤٥-٤٨

الكتاب " مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار القرآن " فترجح عندي أن هـــذا هو الاسم الحقيقي للكتاب .[1]

---

(١) وهذا الترجيح باعتبار ما وصل الينا من النساخ ، وأما الاسم الذي أراده المؤلف لكتابه فلا نستطيع الجزم به لأننا - الى الآن - لم نعثر على مقدمة المؤلف ولا على خاتمته وأغلب الظن أنه توفي قبل تمام هذا الكتاب وقبل تسميته .

المبحث السابع

في ذكر أصح طرق التفسير

مما لا شك فيه أن أصح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين ، والى هذه الدرجات ينقسم التفسير بالمأثور[١] .

فأما تفسير القرآن بالقرآن فقد انعقد إجماع العلماء على أنه أشرف أنواع التفسير وأجلها اذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله تعالى من الله جل وعلا[٢] . ولذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فان قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب :

١) أنّ اصح الطرق في ذلك أن يُفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر ، وما أختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر .

٢) فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له[٣] . قال الله تعالى : ((إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما))[٤] ، وقال تعالى : ((وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون))[٥] .

فقد تبين من هاتين الآيتين وما شابههما أنّ مما أنزل الله من القرآن

---

(١) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/٥١٩ ، والاسرائيليات والموضوعات ص ٨٢ ، ٨٤ .
(٢) انظر أضواء البيان ١/٥ .
(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٣/٣٦٣ .
(٤) النساء ١٠٥ .
(٥) النحل ٤٤ .

لا يوصل إلى تفسيره إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك[1] . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته[2] يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ...) الحديث[3] .

ثم يقول رحمه الله تعالى[4] : واذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى أقوال الصحابة فإنّهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، فقد جمعوا - رضوان الله عليهم - بين العلم والعمل . (٣)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[5] .

وقال رضي الله عنه : (والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ٣٣/١ .

(٢) الأريكة : السرير في الحجلة من دونه ستر ، وقيل هو كل ما أُتكي عليه من سرير أو فراش أو منصه .
لسان العرب ٣٩٠/١٤ (أرك) .
وهذه الكلمة كناية عن لزوم البيت وعدم طلب العلم من مظانه .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١٣١/٤ - واللفظ له - وأخرجه أبو داود في سننه ٢٠٠/٤ ، والترمذي ٣٨/٥ ، وابن ماجة ٦/١ ، والدارمي ١٥٣/١ والحاكم في المستدرك ١٠٩/١ .

(٤) أي ابن تيمية رحمه الله تعالى وذلك في مجموع الفتاوى ٣٦٤/١٣ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٥/١ ...

الله الا وأنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت اليه)[١] .

أضف الى ذلك ما ناله بعضهم من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كابن عباس رضي الله عنهما حيث دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٢] . فأصبح ترجمان القرآن كما شهد له أصحابه بذلك حيث قال ابن مسعود رضي الله عنه : (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)[٣] .

ثم يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : واذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن أحد من الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير .[٤]

قال ابن أبي مليكة : رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله[٤] ، بل إنه عرض المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها[٤] .

ولهذا قال سفيان الثوري : اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[٥] ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه ٤٧/٩ ، وابن جرير في تفسيره ٣٦/١ .
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/١ وانظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٤٤/١ ـ كتاب الوضوء ، وصحيح مسلم ١٩٢٧/٤ كتاب فضائل الصحابة .
(٣) أخرجه ابن جرير في مقدمة تفسيره ٤٠/١ .
(٤) الأثران أخرجهما ابن جرير في مقدمة تفسيره ٤٠/١ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٠/١ .

ومثله - أيضا - قتادة رحمه الله تعالى فقد صح عنه أنه قال : (ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها بشيء)[1] . وغيرهما خلق كثير كسعيد بن جبير وعكرمة - مولى ابن عباس - وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق الأجدع وسعيد ابن المسيب والضحاك بن مزاحم ، فتُذكر أقوالهم في تفسير الآية ، إلاّ أنه قد يقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وليس الأمر كذلك ، فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمة أو نظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه ، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن ، فليتفطّن اللبيب لذلك والله الهادي .[2]

---

(١) سنن الترمذي ٥/٢٠٠ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٣/٣٦٨ - ٣٧٠ .

المبحث الثامن

منهج الصنعاني في تفسيره

لم يفتتح المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه هذا بمقدمة تفصح عن منهجه أو تنبيء عن شرطه وطريقته[(١)] ، ولكني حاولت ـ من خلال عملي في هذا الكتاب ـ تسجيل بعض النقاط التي ربما تعرّف القارىء بالكتاب ومنهج مؤلفه فيه ، ومن أهم تلك النقاط :

١) خصّص المؤلف رحمه الله تعالى كتابه هذا لتفسير القرآن بالآثار والقرآن ـ كما هو واضح من عنوانه ـ فكان يكتفي في تفسير الآية بما يوضحها من آيات أخر، دون الخوض في الأحكام الفقهية أو الأوجه البلاغية أو المذاهب النحوية بل يقتصر على إيراد الآيات المشابهة والآثار الموضحة مع قلة في ايراد الآثار .[(٢)]

٢) لم يتخذ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ طريقة معينة نحو الآيات المفسّرة فتارة يورد ما يقارب عشر آيات ولا يتكلم عنها بشيء[(٣)] ، وتارة يتكلم في الآية الواحدة بما يزيد على أربع ورقات .[(٤)]

---

(١) ولعل ذلك يرجع إلى وفاته قبل تمام هذا الكتاب .

(٢) وهذه القلة نسبية وذلك عندما نقارنها بالآيات التي يوردها ، وعندما نقارنه بتفسير ابن كثير .

(٣) انظر مثال ذلك أول سورة الشعراء، والآيات ١٨ ـ ٢٢ من سورة القصص .

(٤) انظر مثال ذلك تفسيره للآية ١٨ من سورة النمل والآية ٧٣ من نفس السورة والآية ٦٨ من سورة القصص .
ولعل ذلك يعود الى ما تقتضيه كل آية من اطناب أو ايجاز بحسب ما تدعو إليه الحاجة في عصره .

٣) وكذلك الشأن في الآيات المفسِّرة - بالكسرة - فانه تارة يسوق الآيات جميعا وتارة يكتفي بطرفي الآية ، ومرة يكتفي بموضع الشاهد فقط ، ولعل الحامل له على ذلك اعتماده على فهم السامع وطلب الاختصار ومراعاة الزمن .

٤) عدم التزامه بقراءة معينة إلا أنه لم يذكر الا القراءات المتواترة .(١)

٥) روايته الأحاديث بالمعنى :

مع كثرة ما أورد - في كتابه هذا - من أحاديث فان معظمها إنّما يرويه بالمعنى دون الرجوع الى نص الحديث أو مصدره .(٢)

٦) وكذلك نقله من كتب السابقين فان غالب ما ينقله عنها إنّما هو بالمعنى دون النص(٣) ، ولكن غزارة علم المؤلف واحاطته بعبارات السابقين حفظته من أن يخل بتلك النصوص التي نقلها .

٧) عهدنا من المؤلف رحمه الله تعالى التصريح بمصادره التي ينقل عنها ، وذلك إمّا بعد النقل أو قبله - ولكنه بعض الأحيان ينقل من تلك المصادر دون أن يعزو إليها(٤) ، فلعله ترك ذلك اكتفاء بذكرها في بعض المواضع .(٥)

---

(١) ولما كان أمر القراءات أمرا خفيا لا يظهر - غالبا - الا عند النطق فلعل هذا حصل من النساخ دون المؤلف رحمهم الله تعالى .

(٢) انظر على سبيل المثال حديث (لا أحد أحب اليه العذر من الله) ص١٧١، ٢٦١

(٢) وحديث (نعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة) ص ١٠٤

(٣) انظر نقله عن الزمخشري ص ٨٠ ، ونقله عن ابي السعود ص ١٦٩ - ١٧٠

(٤) انظر على سبيل المثال ما نقله عن الزمخشري - دون أن يصرح به - ص ١٠٨ ، ١٩٨ ، وما نقله عن الدر المنثور ص ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، وما نقله عن أبي السعود ص ١٠١ - ١٠٢ ، ٣٩٥ ، وما نقله عن حادي الأرواح ص ٥١٥ - ٥١٨ .

(٥) ويجب ألّا يغيب عنا أنّه لم يبيض كتابه هذا وانما كان يكتبه أيام تدريسه في تفسير البغوي .

٨ ومع أن المؤلف رحمه الله تعالى لا يوافق الزمخشري في معتقده إلا أنـــه - لكثرة ما ينقل عنه - ربما نقل عنه بعض أفكاره التي تخالف مذهب أهـل السنة والجماعة .(١)

٩ ولما كان المؤلف رحمه الله تعالى لم يتمكن من تبييض كتابه فانا نجـــد في بعض المواضع ركاكة في الأسلوب(٢) ، لو تم الصنعاني مراجعة كتابه هذا لما وجدناها .

وهناك نقاط أخرى تدل القارىء على منهج الصنعاني في تفسيره ستظهر جليا في المبحث القادم عند مقارنته بتفسير ابن كثير رحمهما الله تعالى .

---

(١) وذلك مثل محاولته لتبرئة قومهصالح من الكذب وذلك ص ٢٥٥
ومثل تعليل نسبة المرض إلى الانسان نفسه وذلك ص ٩٨
ومثل نفي صفة العلو وذلك في ص ٢٨٠

(٢) انظر كلامه ص ٣٦٤ . ٣٦٤

المبحث التاسع

مقارنة بين منهج ابن كثير والصنعاني في تفسيريهما

قد ذكرت أقوال أهل العلم في أصح طرق التفسير ،وهي تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة،ثم بأقوال الصحابة،ثم بأقوال التابعين.والى هذه الدرجات ينقسم أهم التفسير بالمأثور (١).

والمتأمل في كتب التفسير يجد أنّ من يمثل هذا المنهج تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وأضواء البيان للشنقيطي بالاضافة الى كتابنا هذا - مفاتح الرضوان - ، فأما أضواء البيان فليس بينه وبين مفاتح الرضوان مقارنة ، وذلك للوجوه التالية :

أ) أنّ أضواء البيان ليس كتاب تفسير فحسب ، بل هو أوسع من ذلك ، فقد تناول الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة - بالفتح - وذكر أقوال العلماء وأدلتهم ورجّح ما يعضده الدليل من غير تعصب لمذهب معين ولا لقائل معين (٢). وهذا أمر لا يوجد في مفاتح الرضوان . ثم ان أضواء البيان اشتمل على أمور أخرى لا توجد في مفاتح الرضوان - أيضا - وذلك مثل ذكره للقراءات (٣) وتحقيقه للمسائل اللغوية وما يحتاج اليه من صرف وإعراب ، وكثرة استشهاده بأشعار العرب ، وتطرقه لكثير من القواعد الأصولية ثم التفريع عليها وحكمه على الأحاديث صحة وضعفا ، ثم ما أمتاز به من مقدمة ضافية تناول فيها المؤلف رحمه الله تعالى أنواع البيان

---

(١) انظر ذلك ص ٥٣-٥٦

(٢) انظر اضواء البيان ٦/١ .

(٣) قد يتعرض الصنعاني - رحمه الله تعالى - لذكر بعض القراءات وذلك أمر نادر لا يقارن بما في أضواء البيان .

التي تضمنها كتابه والتي زادت عن عشرين نوعا تكلم عنها في أكثر من عشرين صفحة[1] .

ثم إن أضواء البيان ليس على طريقة مفاتح الرضوان اذ أن الأول منهما لم يتناول تفسير كل الآيات ، وانما يقتصر على الآيات التي ورد إيضاحها في القرآن الكريم نفسه ، مع تركه لتفسير بعض الآيات واحالته أحيانا على ما سبق تفسيره من الآيات[2] ، بخلاف مفاتح الرضوان فانه يذكر الآيات بتمامها كما هي في المصحف[3] ، ثم يفسرها بما يشابهها من الآيات ، فهذا يعتبر من أهم الفروق بين منهج الشنقيطي والصنعاني رحمهما الله تعالى ،

فلهذه الأسباب أرى أنه لا مقارنة بين الكتابين المذكورين ، وانما أقرب التفاسير الى منهج الصنعاني - رحمه الله تعالى - هو تفسير ابن كثير - رحمه الله تعالى . ولهذا سأقوم بمقارنة بينهما في الأوجه التالية :

---

(١) انظر أضواء البيان ١/٧ - ٣٠ .

(٢) انظر مثلا احالاته في تفسير سورة الشعراء فقد زادت عن عشرين مرة ، ثم انظر تفسيره لسورة القصص تجد أنه لم يتناول منها سوى سبع آيات ، وليس هذا قدحا في ذلك الكتاب المبارك ، بل هو اختصار للوقت واقتصاد في الورق والمداد ، ودليل على حفظ ذلك العالم وقوة ذاكرته التي اتقنت هذه الاحالات وحفظت مواضعها .

(٣) قد يترك بعض الآيات أحيانا ولكنه أمر نادر ويرجع ذلك إما لسهو منه - اذ هو يكتب من ذاكرته - أو لكون تلك الآيات سبق تفسيرها أو أنه يراها واضحة المعنى وليست بحاجة الى بيان ، وذلك مثل تركه لبعض آيات سورة الشعراء ص٩٢

١) **اتفاقهما على تفسير القرآن بالقرآن :**

فهما متفقان على تفسير القرآن بالقرآن قبل كل شيء، ونجد الصنعاني رحمه الله تعالى أكثر إيرادا للآيات المتشابهة[(١)] ، فانه يحاول أن يستقصي الآيات الواردة في الموضوع الواحد[(٢)] ، بينما نجد أن ابن كثير رحمه الله تعالى يكتفي بما يوضح المراد من الآيات دون ذكرها جميعا .[(٣)]

٢) **موقفهما من ذكر القراءات :**

نجد أنهما يتفقان في عدم تعرضهما للقراءات الا نادرا .[(٤)]

٣) **موقفهما من آيات الصفات :**

لقد سلك كل منهما مذهب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ في اثبات صفات الله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وعظمته دون تحريف أو تعطيل ، ومن غير تشبيه أو تمثيل ، بل اتخذا من قول الله تعالى ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**))[(٥)] قاعدة في اثبات الصفات ونفي المماثلة ، ولقد قال الصنعاني عند تفسيره لهذه الآية الكريمة : واعلم أن هذه الآية محكمة اتفاقا فهي حاكمة على كل آية وردت في صفاته تعالى ، مثل اثبات اليد

---

(١) مرادي بالمتشابهة هنا المتماثلة .

(٢) وهذا في الغالب ، والا فانه قد يفوته بعض الآيات المفسرة ـ بالكسر ـ وذلك اما اكتفاء بما ذكر من آيات أو نسيانا لتلك الآيات المفسرة ـ بالكسرة ـ لأنه كان يعتمد في ذلك على حفظه .

(٣) انظر على سبيل المثال تفسيرهما للآيات ٥٤ ـ ٥٨ من سورة النمل ، وكذلك للآيات ٦٥ ـ ٧٠ من نفس السورة .

(٤) ومثال ذلك عند تفسيرهما للآية ٢٥ من سورة النمل والآية ٤٨ من سورة القصص ، والآية ٦٣ من سورة النمل مع أن ابن كثير رحمه الله تعالى ـ ذكر القراءات الواردة في هذه الآية في موضعها الأول وذلك في سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٥) الشورى ١١ .

والوجه وغير ذلك ، فكل ما أثبته لنفسه فليس كمثله شيء فلا يدخل تشبيه في صفاته تعالى أصلا ، وهو السميع البصير فسمعه وبصره ثابتان بالنص وليسا كسمع السامعين ولا بصر المبصرين .(١)

ولقد بيّن الصنعاني في كتابه إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة مذهب السلف في اثبات اسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بجلاله وعظمته(٢) ، وان كان زل قلمه فيه(٣) في قليل من المواضع فعذره في ذلك قلة أهل السنة والجماعة وندرة مؤلفاتهم في تلك البيئة وخاصة في تلك الفترة ، ثم إنّ كتابه إيقاظ الفكرة يعتبر من أول مؤلفاته بخلاف تفسيره هذا ، فقد التزم فيه بمذهب أهل السنة والجماعة(٤) ومثله ابن كثير رحمه الله تعالى فإنّ الحاقدين عليه(٥) لم ينقموا منه الا أنه اثبت لله عز وجل ما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه .(٦)

---

(١) مفاتح الرضوان ق ١٦٨/أ من تفسير سورة الشورى

(٢) انظر ايقاظ الفكرة ص ١٢٧ ـ ٣٠٠ .

(٣) أي في ايقاظ الفكرة .

(٤) انظر ما قاله عن صفة الكلام عند تفسيره لقول الله تعالى ((وإنّه لتنزيل رب العالمين ..)) الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ من سورة الشعراء ق ٢٠٤/ب ، وانظر انكاره للمجاز عند تفسيره للآية ١٨ من سورة النمل ق ٤٠/ب ـ ٤٣/أ ، وانظر كلامه عند تفسيره لقول الله تعالى ((وربك يخلق ما يشاء ويختار ...)) الآية ٦٨ القصص ، حيث قال في الورقة ١٠٠/أ : ثم اختار من كل ليلة الثلث الأخير وهو وقت التنزل الإلهي والنداء الرحماني . ثم ذكر جزء من حديث النزول .

(٥) انظر ما قاله الغماري ـ عن ابن كثير رحمه الله تعالى ـ في كتابه بدع التفاسير ص ١٥٨ .

(٦) انظر اثباته لصفة الكلام عند تفسيره للآية ٣٠ من سورة القصص ٣٨٨/٣ ، واثباته لصفة الوجه والرؤية عند تفسيره للآية ٣٨ من سورة الروم ٤٣٤/٣ . وهناك أمثلة أكثر وأوضح من هذه ولكني التزمت أن تكون الأمثلة من خلال الجزء الذي قمت بتحقيقه من تفسير الصنعاني وما يقابله من تفسير ابن كثير رحمهما الله تعالى .

٤) موقفهما من الأحكام الفقهية :

يلاحظ المتأمل في تفسيريهما أن كلا منهما هدفه بيان معنى الآية بأسهل طريق وبأخصر عبارة دون التعرض لما سوى ذلك ، ولهذا نجدهما لا يباليان باستنباط القواعد الأصولية ولا الأحكام الفقهية ، لأن هذه علوم لها مصنفاتها الخاصة بها ، ولكن ليس معنى هذا أنهما لا يذكران شيئا من ذلك مطلقا ، بل لهما اشارات الى بعض الأحكام تدل على إلمامهما بالفقه ومذاهب العلماء فيه مثل إلمامهما بالتفسير وغيره من العلوم .(١)

---

(١) وعلى سبيل المثال انظر ما ذكراه من أحكام فقهية عند تفسيرهما للآيات التي ذكرت قصة موسى مع أبي المرأتين اللتين وجدهما على ماء مدين وهما الآيتان ٢٧ ـ ٢٨ من سورة القصص حيث قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما اذا قال بعتك أحد هذين العبدين بمائة فقال : اشتريت انه يصح والله أعلم .
وبعد ذلك بأسطر نجده ـ أيضا ـ يقول : وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الأوزاعي فيما إذا قال بعتك هذا بعشرة نقدا أو بعشرين نسيئة أنه يصح ويختار المشتري بأيهما أخذه صح... ثم قد استدل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة في كتابه السنن .
ثم أورد الحديث باسناد ابن ماجة ثم تعقبه بالتضعيف الخ ما ذكره في تفسيره ٣٨٥/٣ .
وكذلك الصنعاني رحمه الله تعالى لم يفته أن يشير الى بعض الأحكام التي أفادتها هذه الآية أيضا حيث يقول : وفيه أن المهر لا يشترط في شرعهم أن يكون مالا ، بل يجوز أن يكون منفعة ، وعليه في شرعنا الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم زوّج التي وهبت له نفسها بعض فقراء أصحابه على تعليم عشرين آية ... الخ ما ذكره في الورقة ٨٢/أ ص ٣٥٠ .
بل أنه استنبط من هذه الآية جواز عرض الرجل ابنته على من يراه من أهل الخير والصلاح وأيد ذلك بما جاء في شرعنا من قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما عرض ابنته على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ... الخ ما ذكره في الورقة ٨١/ب ص ٣٤٨-٣٤٩ .

٥) اعراضهما عن المذاهب النحوية والأوجه الاعرابية :

فنجدهما لا يهتمان بالمذاهب النحوية ولم يتعرضا للاعراب إلا إذا دعت إلى ذلك الحاجة في توجيه قراءة ونحوها من غير اسراف ولا استطراد .(١)

٦) ايضاح المراد مع قصر العبارة :

لقد ذكرت أن كلا منهما هدفه بيان معنى الآية بأسهل طريق وبأوضح عبارة(٢) ولعل هذه الميزة لا توجد عند غيرهما من المفسرين اذ بعضهم اطنب في ايراد الروايات(٣) ، وبعضهم اطنب في ذكر الأحكام الفقهية(٤) وبعضهم أطنب في القصص الاسرائيلية(٥) ، وبعضهم أطنب في الوجه البلاغلية(٦) ، وبعضهم أطنب في وجوه الاعراب(٧) ، وبعضهم أطنب في علم الكلام والطبيعة(٨) .

بينما نجد هذين المفسرين الجليلين غايتهما الوحيدة - من ذلك التفسير - إيضاح كلام الله عز وجل بأقرب الطرق وأبلغ العبارات وجمع أطراف القصة الواحدة في قالب واحد بحيث يفهمهما القارئ من أول مرة .(٩)

---

(١) انظر على سبيل المثال ما قاله - عند تفسيرهما للآية ١٠ من سورة الروم - في اعراب كلمة " السوأى " هل هي منصوبة خبرا لكان أو مفعولا لأساؤا .

(٢) وذلك في ص ٦٤

(٣) وذلك مثل ابن جرير وابن أبي حاتم رحمهما الله تعالى .

(٤) وذلك مثل تفسير القرطبي رحمه الله تعالى

(٥) وذلك كتفسير الثعلبي والخازن رحمهما الله تعالى .

(٦) وذلك مثل تفسير الزمخشري وأبي السعود رحمهما الله تعالى .

(٧) وذلك مثل تفسير أبي حيان رحمه الله تعالى .

(٨) وذلك مثل تفسير الرازي رحمه الله تعالى .

(٩) هناك مواضع اطنب فيها المنعاني حتى خرج منها عن التفسير نهائيا وذلك مثل اطنابه عند تفسيره للآية ٧٣ من سورة النمل ق٦٢٦/أ - ٦٨/ب ومثل اطنابه عند تفسيره للآية ٦٨ من سورة القصص ق ٩٨/ب ، ١٠٠/ب ، ولكنها مواضع معدودة لا تغيّر في منهجه ولا تخل بطريقته .

٧) ايرادهما للأحاديث والآثار :[١]

فهما وان اتفقا على إيراد الأحاديث والآثار إلا أنّهما مختلفان من حيث كثرتها وطريقة ايرادها ومن حيث الحكم عليها ، ففي كل هذه الجوانب نلمس تفوق ابن كثير على الصنعاني رحمهما الله تعالى .

أ - فنجد تفسير ابن كثير قلّما يخلو من إيراد حديث أو أثر عند كل آية يفسرها ، بينما نجد الصنعاني لا يهتم بهذه الطريقة مثل اهتمامه بالطريقة الأولى[٢] ولم يبلغ فيها ما بلغه ابن كثير رحمه الله تعالى ، اذ أنه[٣] قلما يورد الأحاديث والآثار بل نجد أحاديث صحيحة ذكرت في سبب نزول بعض الآيات ونقلها كثير من المفسرين ، بينما لم يذكرها الصنعاني مطلقا .[٤]

ب - ثم إنّهما يختلفان في طريقة إيرادهما للأحاديث والآثار ، فنجد ابن كثير رحمه الله تعالى يسوقها بأسانيدها ثم إنه لم يكتف بذلك

---

(١) كان الأولى تقديم هذا المبحث عن موضعه هذا ولكني آثرت تأخره لأنهما لم يتفقا على طريقة سلوكه .

(٢) أي تفسير القرآن بالقرآن .

(٣) أي الصنعاني رحمه الله تعالى . وهذا القول باعتبار مقارنته مع ابن كثير رحمهما الله تعالى .

(٤) انظر على سبيل المثال ما أورده ابن كثير - وغيره من المفسرين - من أحاديث وآثار في نزول قول الله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) ٢١٤ الشعراء فنجد أبن كثير رحمه الله تعالى قد أورد أكثر من ستة أحاديث مع اسماء مخرجيها وذكر طرقها . بينما لم نجد شيئا من ذلك في تفسير الصنعاني .
وانظر - أيضا - ما أورده ابن كثير - وغيره من المفسرين - من أحاديث في سبب نزول قول الله تعالى ((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ..)) الآية ٥٦ من سورة القصص .
بينما نرى الصنعاني رحمه الله تعالى لم يذكر منها شيئا في هذا الموضع واكتفى ببيان المعنى العام للآية دون ذكر سبب نزولها .

بل يضّعف بعض الروايات ويصحّح بعضا آخر ويعدّل بعض الرواة ويجرح بعضا آخر (١) بخلاف الصنعاني فانه مع قلة ما أورد من آثار (٢) نجده انما يورد غالبها من الدر المنثور فهي عارية من الإسناد خالية من النقد المنثور (٣)، فانه كذلك لا يورد الإسناد ولا يتكلم فيما يورده لا بتصحيح ولا بتضعيف ، وهذا أمر يستغرب من الصنعاني لما له من قدم في معرفة الحديث وعلومه (٤) .

---

(١) انظر اليه وقد ضعّف مسلمة بن علي الخشني ٣٨٥/٣ ، وضعّف عبدالله ابن لهيعة المصري حيث قال : مدار هذا الحديث على عبدالله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخشى أن يكون رفعه خطأ ٣٨٧/٣ .
وانظر تصحيحه للأثر الذي أخرجه ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة موسى مع المرأتين اللتين كانتا على بئر مدين ، وذلك عند تفسيره للآية ٢٤ من سورة القصص ٣٨٣/٣ ، وتصحيح للأثر الذي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير الآية ٢٥ من نفس السورة ٣٨٤/٣ ، والمتأمل في تفسير ابن كثير يلاحظ ما كان يمتاز به ابن كثير من معرفة في فنون الحديث وأحوال الرجال .

(٢) وهذا بالنسبة لمقارنته بابن كثير .

(٣) وذلك مثل إيراده لبعض الآثار من حادي الأرواح .

(٤) انظر ما أورده في سبب نزول قول الله تعالى ((الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..)) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء ، فانه ذكر أن سبب نزولها مجيء عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما سمعوا ما نزل قبلها في ذم الشعراء ، وهذا الأثر لا يصح كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٣٥٤/٣ ،
ثم انظر الورقة ٩٩/أ تجده أورد فيها عدة أحاديث في فضل أولاد فاطمة رضي الله عنهم . وقد نص على ضعف تلك الأحاديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/٤ و ٣٠١/٦ و ١٧٣/٩ ،
وانظر الكلام على ضعفها في ضعيف الجامع الصغير ح ٤٢٢٣ و ٤٢٢٤ وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة ح ٨٠٢ .

٨) موقفهما من الإسرائيليات :

قد لا يخلو كتاب من كتب التفسير من إيراد بعض الروايات الإسرائيلية ولكنها تتفاوت في كثرتها من كتاب لآخر ، وكذلك يتفاوت المفسرون بين ناقد لها ومعجب بها (١) ، وكلا الكتابين - أعني تفسير ابن كثير وتفسير

---

(١) لقد هممت أن اكتب ضمن هذه الدراسة بحثا خاصا عن الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - وخاصة عندما رأيت ما أورده الصنعاني من روايات في قصة سليمان مع بلقيس،وفي قصة وصول عرشها ، وما ذكره في آخر سورة النمل في شأن الدابة وغير ذلك من الروايات التي لم يصح بها نقل ولا يقرها عقل - الا أنني رأيت قد سبقني الى بيان ذلك كثير من العلماء هم أرسخ قدما وأغزر علما وأعظم شأنا من أن يتعقب عليهم مثلي ، ومن أولئك العلماء شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد تكلم عن الروايات الإسرائيلية وأقسامها وما يجوز روايته منها،وما لا يصح حكايته فانظر كلامه في ذلك في مجموع الفتاوى ١٣/٣٦٦ - ٣٦٨ ، وتابعه على ذلك تلميذه ابن كثير فقدنقل كلام شيخه ابن تيمية في مقدمة تفسيره ١/٤ ، ثم تكلم عنها الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ١/١٦٥ - ٢٠١ ، وأفردها برسالة مستقلة كل من الدكتور رمزي نعناعة في كتابه الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، وكذلك الدكتور محمد أبوشهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير وغيرهم خلق كثير .
وما أحسن كلام الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى - في هذا الشأن حيث قال : إنّ اباحة التحدث عنهم - أي بني إسرائيل - فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء،وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولا أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر !! لأنّ في اثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أنّ هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ومفصل لما أجمل فيه ! وحاشا لله ولكتابه من ذلك .
ثم يقول رحمه الله تعالى : وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم - فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟!!! . أهـ .
من عمدة التفسير ١/١٥ .

الصنعاني - لم يسلما من دخول الروايات الإسرائيلية إليهما ، ولكن ذلك بشكل نادر ، ثم إنّ ابن كثير رحمه الله تعالى تنبّه لخطرها ونبّه على ضررها في كثير من المواضع فهو إنّما يوردها في الغالب[1] ليحذر القارئ منها لئلا يغتر بها[2] وهذا خلاف منهج الصنعاني رحمه الله تعالى ، فانه قد نقل من الدر المنثور بعض تلك الروايات ولم يتعقبها بشيء من النقد بل جعلها تفسيرا لكلام الله تعالى.[3]

---

(١) هذه الكلمة احترازا من بعض المواضع التي أورد فيها ابن كثير روايات اسرائيلية ولم يتعقبها بشيء ، ومثال ذلك ما أورده في شأن بناء البيت ١٧٨/١ - ١٧٩ ، وما أورده في شأن بلاء أيوب عليه الصلاة والسلام ١٨٨/٣ - ١٨٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال كلامه عند تفسيره للآية ٦٠ من سورة الشعراء حيث قال : فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج - أي فرعون - في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دهم ففيه نظر . وقال كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم - وفي ذلك نظر . والظاهر أن ذلك من مجازفات بني إسرائيل، والله سبحانه وتعالى أعلم . والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم اذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم . أهـ ٣٣٦/٣ .
ثم انظر كلامه عند تفسيره للآيات ٤١ - ٤٤ من سورة النمل حيث أورد أثرا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة سليمان وبلقيس نقله عن تفسير ابن أبي شيبة ثم قال عقب ذلك : والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الأمة من أخبار بني اسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن مما حُرّف وبُدّل ونُسخ وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة أهـ . ٣٦٦/٣ .

(٣) انظر ما نقله عن المقريزي في صفة سخرة فرعون وما جاؤا به من السحر ق ٥/أ ص ٨١-٨٢ .
وما نقله من الدر المنثور عن وهب بن منبه وعن ابن عباس في صفة قوم عاد ق ١٧/ب ص ١٢٧ .
وما نقله من الدر المنثور - أيضا - عن كيفية وصول عرش بلقيس الى سليمان عليه السلام ق ٤٧/أ ص ٢٤٥

وبعد فهذا أهم ما استطعت ذكره من أوجه المقارنة بين تفسيري الشيخين الجليلين تغمدهما الله بواسع رحمته ، وحتى لا أغمط الناس حقهم فاني أقول إنّ للصنعاني - رحمه الله تعالى - جهدا مشكورا في تحقيق بعض المسائل الأصولية والفقهية والعقدية ، إلا أنني التزمت الا أذكر - في هذه المقارنة - من الأمثلة الا ما كان موجودا ضمن الجزء الذي قمت بتحقيقه ليسهل اطلاع القارئ عليها دون غيره من الأجزاء المخطوطة التي قد لا تتيسر قراءتها لكل أحد .

---

(١) == وما نقله من قصة سليمان مع بلقيس ق ٤٨/أ ص٢٤٩-٢٥٠ .
وباليته قال في هذه المواضع ما قاله عند تفسيره لقول الله تعالى - عن ملكة سبأ - ((وإنّي مرسلة إليهم بهدية ..)) الآية ٣٥ من سورة النمل ق ٤٥/ب حيث قال : اطال المفسرون في ذكرها - أي الهدية - وتقصيها بما يطول وليس فيها حديث مرفوع وكأن ما ذكروه من الإسرائيليات . أهـ ص٢٤٠

الباب الثاني
النص المحقق

سورة الشعراء

٢/أ

" سـورة الشعـراء "

بسم الله الرحمن الرحيـم

((طسم[1](١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك باخع نفسك ألاّ يكونـوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعيـن (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذّبـوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٦) أو لم [يروا][2] الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (٧)) إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وانربك لهو العزيز الرحيم (٩))) .

قوله : ((لعلك باخع نفسك)) أي : قاتلها على عدم إيمان قومك ، تكـرر

---

(١) لم يتكلم المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن الحروف المقطعة في هذه السورة ولا فيما يليها من السور التي قمت بتحقيقها ولعله اكتفى بما ذكره في أول سورة البقرة عند قوله تعالى ((الم)) حيث قال ما نصه : للعلماء سلفـا وخلفا أقوال في المراد بها وأمثالها ، كلها غير مرفوعة إليه صلى اللـه عليه وسلم وكلها تظنن ، فالمتيقن أنّها مما استأثر الله بعلمه ، وما أحسن قول الشعبي لداود بن أبي هند وقد سأله عن فواتح السور فقال : " يا داود ان لكل كتاب سرا وأن سر هذا القرآن في فواتح السور فدعها وسل عمـا بدا لك " أخرجه ابن المنذر وغيره . أهـ .
١/هـ من الورقة ٣/ب من مفاتح الرضوان .
قلت : وهذا الأثر الذي أورده المؤلف عن الشعبي ذكره السيوطي في الـدر المنثور ٥٩/١ . وعزاه لابن المنذر ولأبي الشيخ بن حيّان في التفسير . وهذا القول الذي اختاره المؤلف ـ في الحروف المقطعة ـ حكاه القرطبي وغيره من المفسرين عن الخلفاء الأربعة وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهـم .
واختاره الشوكاني في تفسيره حيث قال : فاعلم أن من تكلم في بيان معانـي هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ما أراده الله ـ عز وجل ـ فقد غلط أقبـح الغلط وركب في فهمه ودعواه أعظم الشطط .. والذي أراه لنفسي ولكل مـن أحب السلامة وأقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك ، مع الاعتـراف بأن في إنزالها حكمة لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليهـا أفهامنا . أهـ . من فتح القدير ٣٠/١ ، ٣٢ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

هذا المعنى في القرآن في مواضع ((ولا تحزن عليهم))[١] . في الكهف ((فلعلك[٢] باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا))[٣] .

وفي فاطر ((فلا تذهب نفسك عليهم حسرات))[٤] ونحو ((إن تحرص على هداهم فإنّ الله لا يهدي من يضل))[٥] ، ونحو ذلك مما هو دليل على شفقته - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - على الأمة ومحبته لإسلامهم وشدة حرصه على هدايتهم مع تصريح الله [له][٦] بأنه ليس عليه الا البلاغ .

((وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١) قال رب إنّي أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون (١٣) ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون (١٤))) .

بيّن سبحانه الموضع العام للنداء بقوله في طه : ((إنّي أنا ربك فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدس طوى))[٧] . وفي سورة النازعات ((هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى))[٨] .

وبيّن تعالى الموضع الخاص للنداء بقوله في سورة القصص : ((فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة))[٩] / . فبيّن المحل ٢/ب الخاص من الوادي المقدس وهو أنه شاطئه ( ) ، ومن البقعة المباركة أنه كان من الشجرة . وطوى سبحانه وتعالى ذكر النداء وموضعيه العام والخاص بالكليّة في قصصه لقصة موسى في الأعراف . كما طوى هنا وفي الأعراف مبدأ حال موسى ومخافة أمه وأمرها بالقائه في التابوت وقذفه في اليمّ ، والتقاط آل فرعون له .. الى آخر

---

(١) في النسختين (فلا تحزن) بالفاء . ونص الآية بالواو ((ولا تحزن)) سورة الحجر ٨٨ والنحل ١٢٧ ، والنمل ٧٠ .

(٢) في النسختين (لعلك) باسقاط الفاء . (٣)

(٣) الكهف ٦ . (٤) فاطر ٨ .

(٥) النحل ٣٧ . (٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٧) طه ١٢ . والذي في النسختين ((إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)) ولكن هذه الآية ليست في طه . (٨) النازعات ١٥ـ ١٦ .

(٩) القصص ٣٠ .

(١٠) في كلا النسختين (فاخلعه)

ما فصله في سورة طه وفي سورة القصص ، وطوى في طه والأعراف اعتذار موسى ، وفصّله هنا وفي القصص فإنه ذكر اعتذاره بالخوفين : خوف التكذيب ، وخوف القتل حيث قال هنا ما سمعته وفي القصص ((إني قتلت منهم نفسا))[١] الى قوله : ((إني أخاف أن يقتلون ، يكذّبون))[٢] . وزيد هنا في الاعتذار ضيق الصدر ، وعدم انطلاق اللسان ، وذكر في طه بعد دعاء ربه شرح صدره ، وتيسير أمره ، وحل عقدة لسانه ، وجعل هارون له وزيرا . وهنا اقتصر على طلب الإرسال إلى هارون ولعله والله أعلم كان دعاؤه بالأربع الدعوات بعد اعتذاره .

وفي طه : ((إنّنا[٣] نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لا تخافا إنّني معكما أسمع وأرى))[٤] . وهذه غير مخافة موسى أن يقتل بالذي قتله منهم ، لأنه هنا نسب المخافة إليه والى هارون ، وهارون لم يقتل منهم ، وإنّما هذه مخافة طغيان فرعون لقتلهما . كما قال لقومه : ((ذروني أقتل موسى))[٥] كما في سورة المؤمن .

والذي يظهر لي - والله أعلم - أنّ هذا الاعتذار من موسى بالأعذار[٦] المذكورة اعتذار من تحمل الرسالة وأنه لا يقوم بها لمخافة القتل وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان ومخافة التكذيب .

---

(١) الآيات هي قوله تعالى-حكاية عن موسى عليه السلام-((قال رب إنّي قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ، وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني إنّي أخاف أن يكذّبون)) القصص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) في كلا النسختين (يكذّبون ، يقتلون) والصواب ما أثبته . اذ قوله يكذبون متأخر في التلاوة عن قوله (يقتلون) في سورة القصص . وأما في سورة الشعراء فقدم (يكذّبون) على (يقتلون) .

(٣) في النسختين (إنّا نخاف) بنون مشددة فقط .

(٤) طه ٤٥ - ٤٦ .

(٥) غافر ٢٦ .

(٦) في (م) : باعذار المذكورة .

وأنّ قوله فأرسل /[1] ٣/أ إلى هارون طلب أن يعذر[2] وتكون الرسالة لهارون ، والمفسرون حملوا قوله : إلى هارون ، أنه أراد أن يرسل إليه يكون وزيرا معه والله أعلم .

((قال كلا فاذهبا بآياتنا إنّا معكم مستمعون (١٥) فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين (١٦))) .

الظاهر أنه ردع عن جميع ما ذكر من الأعذار من الخوفين وضيق الصدر ، وعدم انطلاق اللسان ، وعلله تعالى بقوله : ((إنّا معكم مستمعون)) وهو نحو قوله

---

(١) ٣/أ .

(٢) ما استظهره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ليس بسديد ، بل الصواب ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن مراد موسى بهذه الأعذار ليشد عضده بأخيه لا ليعفى من النبوة . وهذا ما صرح به الله في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام :-((واجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي ، اشدد به أزري ، وأشركه في أمري)) طه ٢٩ ـ ٣٢ .
فهذه الآيات تصرح بأن سؤال موسى هو أن يكون معه أخاه هارون وزيرا ولم يكن سؤاله من أجل أن يعذر من الرسالة ، ثم إنّ الله عز وجل قد أجاب كليمه عليه السلام بقوله تعالى : ((قد أوتيت سؤلك ياموسى)) طه ٣٦ . فدل على أن سؤاله هو أن يشد الله عضده بأخيه هارون ، لا أن يعذر من الرسالة ، وكما جاء ذلك أيضا في قوله تعالى حكاية عن موسى : ((وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني إنّي أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما)) القصص ٣٤ ـ ٣٥ .
فالمتأمل في هذه الآية يتضح له أن سؤال موسى عليه السلام من ربه تعالى هو أن يرسل إلى هارون ليكون ظهيرا ومعينا لأخيه موسى عليهما السلام . إذ قول موسى ((فأرسله معي رداء)) صراحة في طلب المعين المشارك ، لا في الاعتذار. ثم أجابه الله بقوله تعالى : ((قال سنشد عضدك بأخيك)) . وكما في قوله تعالى : ((ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا)) الفرقان ٣٥ .
انظر : تفسير ابن جرير ٦٤/١٩ ، وابن الجوزي ١١٨/٦ ، والقرطبي ٩٢/١٣ ، والشنقيطي ٢٩٨/٤ .

في طه : ((إنني [1] معكما أسمع وأرى)) [2] . وإذا كان تعالى معهم يسمع ما يقولونه وما يجاب [به] عليهم [3] فلا يخافون منه شيئا وناصرهما حاضر معهم . وقوله : ((رسول رب العالمين)) [4] فيه أن فرعون مربوب وأنه عارف بذلك ، وقد كثر قرعهما لسمعه باسم ربه ((قد جئناك بآية من ربك)) [5] ، ((هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى)) [6] وغير ذلك ، وهو لا ينكر ذلك ، ويقول ليس لي رب ، وإنّما يغالط في الأجوبة .

وأما قوله لقومه :((ما علمت لكم من إله غيري)) [7] ، فمن اضلاله لقومه وتلبيسه عليهم ، ((وأضل فرعون قومه وما هدى)) [8] ، لقد علم أنّ الله إلـه ، كما قال موسى له ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض)) [9] ، ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) [10] ، ((أن أرسل معنا بني اسرائيل (١٧))) اقتصر هنا وفي سورة الأعراف [11] .....

---

(١) في النسختين (إنّي) بنون مشددة فقط .
(٢) طه ٤٦ .
(٣) ما بين المعقوفتين ليس في النسختين . وهو مما يقتضيه السياق .
(٤) في الأصل (رسول ربك) بالاضافة الى ضمير المخاطب . ونص الآية بالإضافة إلى الاسم كما أثبته فاشتبه عليه آية طه ٤٧ بآية الشعراء هذه .
(٥) طه ٤٧ .
(٦) النازعات ١٨ ـ ١٩ .
(٧) القصص ٣٨ .
(٨) طه ٧٩ .
(٩) الاسراء ١٠٢ .
(١٠) النمل ١٤ .
(١١) هكذا في النسختين . ولعل تمام الكلام أن يقال : اقتصر هنا وفي سورة الأعراف على طلب إرسال بني إسرائيل . بينما جاء في سورة طه والنازعات ما يدل على إرسالهما الى فرعون . ولعل الاقتصار على بني اسرائيل كان بعد علمهما بتكبر فرعون وعناده فاقتصرا على بني اسرائيل .

إن قلت كل رسل الله يخاطبون من أرسلوا إليهم بطلب التوحيد ((أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره))[١] ، ولم يطلب من فرعون إلا إرساله بني اسرائيل .

قلت : معلوم أنّ موسى عليه السلام طلب من فرعون وقومه الإيمان باللـــــه وتوحيده . ولذا قالوا : ((لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنـــي اسرائيل))[٢] ، فعطفوا /[٣] ارسال بني إسرائيل على الإيمان والإذعان [والإيمـان][٤] ٣/ب
له إنّما يكون بتوحيد الله تعالى . ولذا قال فرعون حين أدركه الغرق ((آمنت أنّـه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل))[٥] . ((قال ألم نربك فينا وليـــدا))
هذه مقدمة قدمها فرعون بين يدي جوابه يريد بها تحقير موسى عليه السلام وهضم جانبه ، واجاب موسى-عليه السلام-عليه بما ألقمه الحجر . ((ولبثت فينا مـــن عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتهـــا إذاً وأنا من الضالّين (٢٠) ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلنـــي من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنها علي أن عبّدت بني اسرائيل (٢٢) قال فرعـــون وما رب العالمين (٢٣))) .

ومن هنا[٦] شرع في الجواب عن قول موسى وهارون : ((إنا رسول رب العالمين)) وفي طه[٧] : ((قال فمن ربكما[٨] ياموسى)) . وأجاب بقوله : ((ربنا الذي أعطـــى كل شيء خلقه ثم هدى))[٩] . وهنا قالا : ((رب السموات والأرض وما بينهمـا)) ، ولا ريب أنها تعددت المواقف بينهم كل موقف يتعنتهما فيه بسؤال .

---

(١) المؤمنون ٣٢ .
(٢) الأعراف ١٣٤ .
(٣) ٣/ب .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٥) يونس ٩٠ .
(٦) الإشارة الى الآيات التالية لا الى السابقة . (٧) طه ٤٩ .
(٨) في النسختين (ومن ربكما) بالواو بدل الفاء وهو خلاف الآية .
(٩) طه ٥٠ .

فقد لبثا في دعائه الى الله دهرا طويلا يقولان له أنت لا تجهل أنه ليس لك ربوبية في السموات ولا تدعي ذلك وكيف يدعيه وهو القائل : ((ياهامان ابن لي صرحا)) .. الى قوله : ((أسباب السموات))[١] . والقائل : ((لعلي أطلع الى إله موسى فهو [لا][٢] يدعي أن له آلهية في السموات ولا هو ولا غيره من عتاة الكفار . ولذلك يقول : ((أم لهم شرك في السموات))[٣] ، وكذلك الأرض يعلم فرعون أنه ليس تحت يده وسلطانه وتصرفه إلا أرض مصر . ولذا لما افتخر قال : ((أليس لي ملك مصر))[٤] ومصر ليست الأرض كلها اتفاقا عقلا يقينا ، وهو مقر هو وقومه بذلك ، ومقرون أن ما بين السماء المظلة والأرض المقلة ليس لأحد فيها تصرف الا الله ، ثم أقام موسى عليه السلام حجة أخرى [هي أن /[٥] الله][٦] ٤/أ ربهم ورب آبائهم الأولين فإنهم يعلمون يقينا أن لهم آباءً كانوا قبل وجود فرعون وأن لآبائهم ربا قطعا كما اتخذوا هم فرعون ربا ، فآباؤهم[٧] لهم رب هو

---

(١) قال تعالى : ((وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، اسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل)) ٣٦ ـ ٣٧ غافر .
ولكن لا يسلم للمؤلف رحمه الله تعالى استشهاده بهذه الآيات على أن فرعون مقر بربوبية الله عز وجل اذ قد يحمل كلام فرعون هنا على الاستهزاء والتكذيب ، وكان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يستشهد على اعتراف فرعون بالله عز وجل بقوله تعالى ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)) النمل ١٤ .

(٢) حرف النفي ساقط من (م) .

(٣) فاطر ٤٠ ، والأحقاف ٤ . وهناك آية سباء أعم من هاتين الآيتين حيث نفت أن يكون لأحد من الخلق شيء من الأمر دونه تعالى لا في السموات ولا في الأرض كما قال تعالى : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)) ٢٢ سباء .

(٤) الزخرف ٥١ .

(٥) ٤/أ .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٧) في (م) (فأبائهم) بالجر . وهو خلاف الصواب .

الله تعالى اذ لم يزعم أحد قبل فرعون أنه رب للعباد [١] . ولا بد لكل مخلـــوق من خالق أمر معلوم بالفطرة والعقل ، وليس الا الله سبحانه .

((قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمـــن حوله ألا تستمعون (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إنّ رسولكم الـــذي أرسل اليكم لمجنون (٢٧))) .

تهكم بتسميته رسولا وأضافه اليهم دونه [٢] تكبرا منه وتجبرا بأنه لا يرســـل اليه فهو أعظم عند نفسه من ذلك ورماه [٣] بالجنون ، فأقام موسى عليه الســـلام الحجة الثالثة بقوله : ((قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتـــم تعقلون (٢٨))) . فأقام حجة لا يدفعونها وعرّض بأنهم هم الذين يستحقـــون الاتصاف بعدم العقل والجنون ، ثم لما ألقمهم الحجر ولم يجدوا حجة يدفعون بهـــا أدلته القاهرة عدل فرعون الى أحوال الجبابرة والعتاة من الملوك والطغاة يتهـــدده بأن يكون من المسجونين ((قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين (٢٩) قال أولو جئتك بشيء مبين (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١))) .

أي إنّك رسول رب العالمين وفيه اقراره بأن للعالمين [٤] ربا ، وانما شك فـــي ارساله لموسى عليه السلام وطلب البرهان على أنه رسوله ، وهو ينادي بكذب قوله :

---

(١) قوله : لم يزعم أحد قبل فرعون أنه رب للعباد ، ليس على اطلاقه بل لقـــد سبق فرعون في تكبره وجبروته نمر وذبن كنعان الذي حكى الله مجادلتـــــه لابراهيم في قوله تعالى : ((ألم تر الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه اللـــه الملك)) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة . وانظر ما قاله الطبري جـ ٣ ص ٢٣-٢٧ و ج ١٥ ص ٩٦-٩٨ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٣ ، و ج ٢ ص ٥٦٦ .

(٢) في (م) (دونهم) بضمير الجمع .

(٣) في (م) (ورما بالجنون) باسقاط الضمير .

(٤) في (م) (بأن العالمين) باسقاط اللام .

((ما علمت لكم من إله غيري))[١] وقوله : ((أنا ربكم الأعلى))[٢]، ويصدق قول موسى عليه السلام مخاطبه ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض))[٣].

((فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين (٣٣))) .

جعل الله في هذه العصا آيات بينات ودلالات /[٤] قاهرات فانها الدليل ٤/ب
لموسى عليه السلام بأن الذي كلمه هو رب العالمين وأنه الذي ناداه من الشجرة ، فانه تعالى لما قال له [٥]((إني أنا الله رب العالمين))[٦] حين ناجاه وقال له : ((وما تلك بيمينك يا موسى [قال هي عصاي][٧])) .. إلى قوله : ((قال ألقها فألقاها فاذا هي حية تسعى)) .. إلى قوله : ((سنعيدها سيرتها الأولى))[٨]. فانه تعالى صيرها حيوانا وهي جماد ثم صيرها بعد ذلك جمادا كما كانت فأحياها ثم أماتها ، والاحياء والإماته لله وحده . كما قال الخليل ((ربي الذي يحيي ويميت))[٩] وكانت دليلا لموسى عليه السلام أن الذي خاطبه رب العباد المميت للحي ، والمحيي للجماد ، ثم كانت هي من أدلة نبوته عليه السلام ، وهي آيته الكبرى كما قال تعالى : ((فأراه الآية الكبرى))[١٠]، ومن عجائبها ضرب بها الحجر فتفجرت عيونا اثنتا[١١] عشرة عينا وضرب بها البحر فصار طريقا يبسا وكأنها

---

(١) القصص ٣٨ .
(٢) النازعات ٢٤ .
(٣) الاسراء ١٠٢ .
(٤) ٤/ب
(٥) في النسختين (لما قاله) باسقاط اللام .
(٦) القصص ٣٠ .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من ص .
(٨) الآيات من ١٧ الى ٢١ طه .
(٩) البقرة ٢٥٨ .
(١٠) النازعات ٢٠ .
(١١) في النسختين (اثنى عشر عينا) .

جعلت آيته العصا إشارة الى أنّهم عصاة ، ويده بيضاء اشارة الى أنه يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، وأنّ ذلك في يده .

((قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤))) .

في الأعراف [١] أنه قال هذا القول قوم فرعون ، وهنا نسبه اليه .

[قلت] [٢] : في الكشاف أنه قال [٣] فرعون وقال [٣] قومه ، فحكى تعالى قوله ثم قولهم ، أو قال: ابتداء فتلقته منه الملأ ثم قالوه لأعقابهم ، أو قالوه هم [٤] عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة [٥] ، ثم يبلغه الخاصة العامة [٦] . أ/هـ .

وقوله ((ساحر عليم)) تعظيم لعلمه بالسحر . ثم قال في سحرته سحار عليم بصيغة المبالغة في سحار اعلام بأن سحرته أبلغ في الساحرية .

((يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (٣٦) / [٧] يأتوك بكل سحّار عليم (٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨))) ... هو يوم الموعد الذي قال في طه : ((فاجعل بيننا وبينك موعدا ... قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)) [٨] . ٥/أ

---

(١) هي قوله تعالى : ((قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم)) ١٠٩ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٣) في (م) (قال فرعون وقال قومه) باسقاط ضمير الغيبة .
(٤) في (م) (أو قالوه لهم عنه) بزيادة اللام .
(٥) في (م) (من الحاضرين)
(٦) انظر الكشاف ج ٢ ص ٨١ .
(٧) ٥/أ .
(٨) طه ٥٨-٥٩ . واقتصر المؤلف رحمه الله تعالى في الآية الأولى على موضع الشاهد ولم يتم الآية . ونصها : ((فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ، قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)) .

فعين لهم اليوم والساعة منه ((وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع [السحرة][1] إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم [إذاً][2] لمن المقربين (٣٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٤٣))) .

طوى هنا ماصرح به من تخييرهم لموسى عليه السلام بقولهم : ((إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين)) [3] .

كما طوى هنالك اقسامهم بعزة فرعون . وهنا[4] أنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم .

واعلم أنه وصف الله[5] سبحانه سحرهم بأنه عظيم ، وأقسموا هم بأنهم الغالبون وذلك أنهم أتوا بسحر لم يأت أحد بمثله . قال المقريزي في الخطط والآثار[6] : إنّ السحرة كانوا مائتي ألف وأربعين ألفا يعملون من الأعمال ما تحير فيه العقول ويأخذ بالقلوب من صور ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة منها الطويل والعريض[7] المقلوب جبهته الى أسفل ولحيته الى فوق . ومنها ما له قرون وما له خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة ، ومنها ما هو عظيم في قدر الترس الكبير ومنها ما له آذان عظام وشبه[8] وجوه القرود بأجسام عظام[9] تبلغ السحاب وأجنحة

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من ص

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .

(٣) الأعراف ١١٥ .

(٤) أي وطوى هنا ما ذكره في الأعراف بأنهم سحروا أعين الناس ... الخ .

(٥) هكذا في النسختين والصواب : أنه سبحانه وصف سحرهم بأنه عظيم .

(٦) انظر : الخطط المقريزية ٢/٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٧) في الخطط (والمقلوب) بالعطف .

(٨) في النسختين (ويشبه) بزيادة الياء .

(٩) في الخطط (بأجساد عظيمة) .

مركبات[(١)] على حيات عظيمة تطير في الهواء وحيات تخرج من أفواهها نار وتنتشر في الناس وحيات تطير وترجع وتنحدر على من حضر لتبلعه فتهارب[(٢)] الناس منها ، وعصي تحلق في الهواء فتصير حيات ذات شعور ورؤوس ، وأذياب[(٣)] تهم بالناس أن تنهشهم ، ومنها ما له قوائم . ومنها تماثيل مهولة ، وعملوا دخانا يغشي أبصار الناس عن النظر فلا يرى/[(٤)] بعضهم بعضا ، ودخانا يظهر صورا كهيئة النيران في الجو[(٥)] ودواب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج ، وصورا خضرا على دواب خضر ، وصورا سودا على دواب سود هائلة . ٥/ب

فلما رأى فرعون ذلك سره ما رأى هو ومن حضر واغتم موسى عليه السلام ومن آمن به حتى أوحى الله اليه ((**لا تخف إنّك أنت الأعلى ، فألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا**))[(٦)] . فلوّح موسى بعصاه حتى غابت عن الأعين ، وأقبلت في هيئة تنين عظيم له عينان توقدان[(٧)] والنار تخرج من فيه ومنخريه فلا تقع[(٨)] على أحد إلا برص وصار التنين فاغرا فاه والتقط جميع ما عملته السحرة ومائتي مركب[(٩)] كانت مملوه عصيا وحبالا وسائر من فيها من الملاحين[(١٠)] وغير ذلك [فعند ذلك][(١١)]

---

(١) في الخطط (مركبة) .
(٢) في الخطط (فيتهارب) بالمضارع .
(٣) في الخطط (فتصير حيات برؤوس وشعور وأذناب تهم بالناس .. ألخ) .
(٤) ٥/ب
(٥) في الخطط (على دواب) بحرف الجر بدل حرف العطف .
(٦) طه ٦٨ ـ ٦٩ .
(٧) في (م) (يوقدان) وفي الخطط (يتوقدان) .
(٨) في الخطط (يقع) بالمثناة التحتية .
(٩) في النسختين(مركبا) بالتنوين .
(١٠) الى هنا انتهى كلام المقريزي بتصرف من المؤلف .
(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

قالت السحرة هذا ليس من قبيل بني آدم ، وإنّما هو من فعل جبّار قدير على الأشياء ، فآمنوا بالله وخروا سجدا .

((فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا بعزة فرعون إنّا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهارون (٤٨) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنّكم أجمعين (٤٩) قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون (٥٠))) .

في سورة طه أجابوه بقولهم : ((لن نؤثرك على ماجاءنا من (١) البينات ... فاقض ما أنت قاض .... إنّا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر)) الآيات .(٢)

وهنا طوى ذلك فيمكن أنه تكرر منه الوعيد وتكرر / منهم الجواب في الموقف ٦/أ
أو أنه على قاعدة القرآن يبسط في محل ويختصر في آخر ، واعلم أن إيمانهم وحصول اليقين معهم كان من تراث علمهم السحر (٣) ، فان سبب مهارتهم في علمه علموا أن الذي جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر ، وأنه من عند الله سبحانه ،

---

(١) في (م) (ما جاءنا بالبينات) بالباء بدل من .
(٢) طه ٧٢ ـ ٧٣ .
واقتصر المؤلف على بعض الآية ولم يكملها ونصها : ((قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)) .
(٣) لم يرد المؤلف رحمه الله تعالى الثناء على علم السحر ، وانما مراده أن الماهر في الشيء والعالم به لا يخدع به،مع أنه لا يجوز بوجه من الوجوه تعلم السحر لقوله تعالى : ((وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر ...)) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

فآمنوا به ، وقوم فرعون الذين لا يعرفون علم السحر بقوا على ضلالهم واعتقاد أن[1] موسى عليه السلام ساحر عليم ولله در العلم فانه يأتي بكل خير وان كان علما غير مفيد في الآخرة[2] ، فالعلم لا يأتي منه في الأغلب الا الخير الا لمن غلبت عليه الشقاوة كعلماء أهل الكتاب الذين[3] علموا أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وعرفوه كما يعرفون أبناءهم ولم يؤمنوا به ، ولقد عظم الله شأن العلم وجعل الفطرة الانسانية وغيرها والعقول قاضية بتعظيمه . وما زال العلم ينجي من كل شر ويقود الى كل خير .

وانظر الى هدهد سليمان عليه السلام فانه لما لم يره توعده بالذبح والعذاب

---

(١) في (م) (واعتقادات) وهو خطأ من الناسخ .

(٢) العلم الذي لا يفيد صاحبه في الآخرة انما هو وبال على صاحبه ، وهو في الحقيقة جهل مركب ، وانما سمي علما بحسب الظاهر لأعين الناس كما قال تعالى : ((ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)) الروم ٦ ـ ٧ .
فقد أوضح جل وعلا في هذه الآية أن أكثر الناس لا يعلمون ويدخل فيهم أصحاب العلوم الدنيوية المباحة ـ فضلا عن المحرمة ـ وقد نفى عنهم اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل ، لأنهم لا يعلمون شيئا عمن خلقهم فأبرزهم من العدم الى الوجود ورزقهم وسوف يميتهم ثم يحييهم ثم يجازيهم على أعمالهم ولم يعلموا شيئا عن مصيرهم الأخير الذي هو أولى بالعلم والعمل له ، ومن غفل عن هذه الأمور فليس معدودا من أهل العلم بل لقد ذم الله علمهم بعيبين : أحدهما : قلته وضيق مجاله ، لأنه لا يجاوز ظاهرا من الحياة الدنيا .
والثاني : دناءة هدف ذلك العلم فهو لا يتجاوز الحياة الدنيا وهي سريعة الانقطاع والزوال . ويكفي في تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الاعراب في قوله ((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا)) أنه بدل من قوله قبله ((لا يعلمون)) فهذا العلم كلا علم لحقارته . أ/هـ . بتصرف من : اضواء البيان ٦/٤٧٧ ـ ٤٧٨ ، وانظر ايضا : الكشاف ٣/١٩٨ .

(٣) في (م) (الذي) بالافراد .

إلا [١] أن يأتي بسلطان،أي بحجة على تخلفه فلما جاءه قال : ((أحطت بما لم تحط به))[٢] ، فكان هو السلطان المبين كونه أحاط وعلم بما لم يحط به سليمان، ولا علم به ،

ولشرف العلم ذكر الله الكلاب المعلمة[٣] وأمر العباد بأكل ما أمسكن عليهم وأثنى تعالى على العلماء غاية الثناء وأخبر أنه (يجتبى)[٤] يوسف عليه السلام بعلمه[٥] تأويل رؤيا ملك مصر[٦] ، وهي مما علمه من تأويل الأحاديث وامتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : ((وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما))[٧] .

وأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم -عليه السلام- بعد أن أنبأهم بأسماء المسميات والأحاديث في فضله / بحر لا يبلغ[٨] ساحله . ٦/ب

((إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين (٥١))) .
في طه : ((إنا آمنا بربنا ليغفر لنا))[٩] .

علقوا المغفرة بالايمان نفسه .. ومثلها في الأعراف[١٠] . وهنا صرحوا بالطمع

---

(١) في النسختين (الى أن يأتي) والصواب ما أثبته .
(٢) النمل ٢٢ .
(٣) يشير بهذا الى قوله تعالى : ((وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ...)) الآية ٤ المائدة .
(٤) في النسختين (يحى) ولعل الصواب ما أثبته .
(٥) في (م) (يعلمه) بالمثناة .
(٦) وذلك في سورة يوسف ٦ و ٤٣ - ٥٧ .
(٧) النساء ١١٣
(٨) في (م) (لا تبلغ ساحله) بالمثناة الفوقية .
(٩) طه ٧٣ .
(١٠) لعله يعني قول الله تعالى عن سحرة فرعون ((وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)) . الأعراف ١٢٦ . مع أنها ليست كآية طه في تعليق المغفرة بالايمان .

في المغفرة وعلّلوه بأوليتهم في الدخول في الإيمان ، فان السبق الى أفعال الخير له شأن .

ولذا أمر تعالى رسوله بأن يكون أول المسلمين[١] . كما قال : ((**وأمرت لأن أكون أول المسلمين**))[٢] .

وقال عن الخليل : وأنا أول المؤمنين[٣] . وعن الكليم : ((**تبت إليك وأنا أول المؤمنين**))[٤] . ولذا قال نوح عليه السلام : ((**وأمرت أن أكون من المسلمين**))[٥] .

ولذا أثنى الله تعالى على السابقين الأولين من أهل الايمان من المهاجرين والأنصار وأنه رضي عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وأخبر أن ذلك هو الفوز العظيم[٦] .

وقال تعالى : ((**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا**))[٧] .

---

(١) في النسختين : ولذا أمر تعالى رسوله بأن يكون أول المؤمنين كما قال : ((وأمرت أن أكون أول المؤمنين) ولم أجد آية بهذا النص والصواب ما أثبته .

(٢) الزمر ١٢ .

(٣) هكذا في كلا النسختين . وليس هناك آية بهذا النص مع أنه مسلم أن كل نبي هو أول من أسلم في أمته . وقد أخبر تعالى عن ابراهيم بقوله تعالى : ((اذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)) البقرة ١٣١ .

(٤) الأعراف ١٤٣ .

(٥) في كلا النسختين (أول المسلمين) والصواب ما أثبته . والآية هي ٧٢ من يونس . وحينئذ لا شاهد فيها للمؤلف رحمه الله .

(٦) اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى : ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)) التوبة ١٠٠ .

(٧) الحديد ١٠ .

وقال تعالى : ((سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة))[١] الآية .

وقال : ((يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون))[٢] .

ونهى بني اسرائيل أن يكونوا أول كافر بما جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : ((ولا تكونوا أول كافر به))[٣] .

وحُرِم[٤] من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المخلفين عن الجهاد وأمره بأن يقول لهم : ((لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة))[٥] .

فإياك أيها المؤمن أن تكون دنيا[٦] في فعل الخيرات ورأسا في فعل الشرور ، بل كن رأسا في فعل الخيرات ، ولا يكن لك في الشرور[٧] سهم لا ذنبا[٨] ولا رأسا .

---

(١) آل عمران ١٣٣ . بحذف الواو التي قبل السين وذلك على قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر . الاتحاف ص ١٧٩ .

(٢) المؤمنون ٦١ .

(٣) البقرة ٤١ .

(٤) هكذا في (م) . ولعل معناها وحُرم الأسبقية والفضل من تخلف عن رسول الله أو وحرم من الجهاد من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا أنها في ص (حرّم) بتشديد الراء . ولم أعرف لها معنى .

(٥) التوبة ٨٣ .
ونصها : ((فان رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج ، فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنّكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مَع الخالفين)) .

(٦) هكذا في النسختين . ولعل صوابها (ذَنَباً) .
أو أراد بالدني : الساقط الضعيف .
لسان العرب ٢٧٥/١٤ (دنا) .

(٧) في (ص) الشرر .

(٨) في (م) لا دنيا ولا رأسا .

((وأوحينا إلى موسى أن / أسر بعبادي إنّكم متّبعون (٥٢))) . ٧/أ

في الدخان : ((فأسر بعبادي ليلا إنّكم متّبعون)) [١] .

وفي الدخان : ((واترك البحر رهواً)) [٢] .

أخرج عبدالرزاق وابن جرير وعبد بن حميد عن قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له (واترك البحر رهوا) كما هو طريقا يبسا (إنهم جند مغرقون) [٣] .

وفي طه : ((ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبساً [٤])) [٥] .

وقوله بعبادي [٦] في الآيات الثلاث أضافهم الى ذاته تشريفا لهم وتعظيما ، فسبحان من يسرهم لليسرى فهم [٧] أول اليوم من أكفر خلق الله يقسمون بعزة فرعون ويريدون ادحاض حجة الكليم .. وفي آخره من عباد الله المتقين ومن السابقين الأولين اللهم اهدنا لما فيه صلاح الدنيا والدين .

---

(١) الدخان ٢٣ .
(٢) الدخان ٢٤ .
(٣) تفسير عبدالرزاق ص ٤٨٨ ، وابن جرير ١٢١/٢٥ ، والدر المنثور ٤١٠/٧ .
(٤) في (م) يابسا وليست بقراءة .
(٥) طه ٧٧ .
(٦) في النسختين (بعباده) بالاضافة الى ضمير الغيبة .
(٧) في النسختين (هو أول اليوم) والصواب ما أثبته .
وفي تفسير ابن جرير ٢٤/٩ عن ابن عباس وقتادة وعبيد بن عمير وابن جريج قالوا : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

والله لولا الله ما اهتدينـــا ... ولا تصدقنـــا ولا صلينـــــــا [1]

((فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (٥٣))) .

أي : يجمعونهم ويحشرونهم، ما زال لشقوته يحشر أهل مداينه [حشرهـــم][2] أولاً ليأتوا بكل سحار عليم ، ثم حشرهم ليتبعوا موسى عليه السلام ، فأغرقهم فـــي هذا الحشر وساقهم الى النار ، كما قال تعالى في قوم نوح : ((مما خطيئاتهـــم أغرقوا فادخلوا نارا))[3] .

وكما قال في فرعون وقومه : ((يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئـــس الورد المورود))[4] .

ولكن قومه كما قال تعالى : ((فاستخف قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قومـــــا فاسقين ، فلما آسفونا)) أي أغضبونا ((انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين))[5]

((إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون وإنّهم لنا لغائظون ، وإنا لجميع حـــــــذرون[6] فأخرجناهم (٥٧))) .

ما زال / فرعون منذ أتاه موسى يقول لقومه ((يريد أن يخرجكم[7] من أرضكم))[8] ٧/ب

---

(١) هذا البيت هو من قصيدة لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه ، وكان النبـــي صلى الله عليه وسلم يرتجز ببعض أبياتها في غزوة الخندق كما جاء فـــي صحيح البخاري ٣٩٩/٧ ـ ٤٠٠ مع فتح الباري .

(٢) ناقص من (م) .

(٣) نوح ٢٥ .

(٤) هود ٩٨ .

(٥) الزخرف ٥٤ ـ ٥٥ .

(٦) أ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (حاذرون) بألف بعد الحاء .
ب ـ وقرأ الباقون (حذرون) بحذف الألف . الاتحاف ص ٣٣٢ .

(٧) في النسختين (ليخرجنكم من أرضكم) ولا توجد آية بهذا النص .

(٨) الأعراف ١١٠ .

((لتخرجوا منها أهلها))[١] ، ((يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره))[٢] ... ليولّد الوحشة بين موسى عليه السلام وبينهم ، وينفّرهم عنه ويكرهه إليهم ، والا فان موسى عليه السلام كان أول ما خاطبه به أن يرسل معه بني اسرائيل ، أي يخرجهم معه من مصر الى أرض الشام الى فلسطين ، فقلب فرعون الكلام ، وقال انه يريد موسى عليه السلام يخرج القبط من مصر[٣] ، فحقق الله [ما][٤] قال الملعون وأخرجه من جنات وعيون ، ولذا يقال :

اجذر[٥] لسانك أن تقول فتبتلى ... ان البلاء موكل بالمنطق[٦]

بل اخرج ابن أبي حاتم عن السدي[٧] قال : قال موسى [لفرعون][٨] : (يا فرعون هل لك في أن أعطيك شبابا لا تهرم[٩] وملكك لا يُنزع منك وترد اليك لذة المناكح والمشارب واذا مت دخلت الجنة وتؤمن بي ، فوقعت في نفسه هذه الكلمات وهي اللينات فقال كما أنت حتى يأتي [هامان][١٠] ، فلما جاء هامان

---

(١) الأعراف ١٢٣ .
(٢) الشعراء ٣٥ .
(٣) هكذا في النسختين وصحة السياق : وقال ان موسى يريد أن يخرج القبط من مصر .
(٤) الاسم الموصول ساقط من كلا النسختين ، والسياق يقتضي اثباته .
(٥) في (م) احذ باسقاط الراء .
(٦) أورده أبو الهلال العسكري في جمهرة الأمثال ٢٠٧/١ بلفظ : احفظ لسانك . ولم يذكر اسم الشاعر .
(٧) في (م) السيد وهو خطأ ظاهر، وهو اسماعيل بن عبدالرحمن ، حدث عن أنس ابن مالك وابن عباس رضي الله عنهما ، وحدث عنه شعبة وسفيان الثوري وغيرهما خلق كثير ، توفى سنة ١٢٧ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) في (م) (لانهزم .
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

أخبره فعجّزه[١] هامان وقال : تصير تَعبُد إذ كنت ربا تُعبد ، وذلك حين خـــرج عليهم فقال أنا ربكم الأعلى)[٢] . أ/هـ .

فعرفت أن موسى ما جاء ليخرجه من أرضه بل ليقرره[٣] فيها ، ولم أجد أحـدا من المفسرين تنبه لهذا[٤] والحمد لله .

((من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم (٥٨))) .

في الدخان[٥] : ((وزروع)) عوض كنوز ، وزيد فيها ((ونعمة كانوا فيهـا فاكهين))[٦] أي ناعمين ، وفيها : ((وأورثناها قوما آخرين))[٧] مجملا بيّنـه هنا بأنهم بنوا إسرائيل ((كذلك[٨] وأورثناها بني اسرائيل (٥٩) فأتبعوهـم مشرقين (٦٠))) .

فأفادت الآيتان أنهم تركوا جنات وعيون وكنوز وزروع ومقام كريم ونعمـة[٩] كانوا فيها فاكهين .

وفي الأعراف :/((وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ١٨/أ

---

(١) عجّز فلان رأي فلان إذا نسبه الى خلاف الحزم ، كأنه نسبه الى العجز . لسان العرب ٣٦٩/٥ (عجز) .

(٢) الدر المنثور ٤١٠/٨ .

(٣) هكذا في النسختين والصواب (ليقره) .

(٤) لأن هذا أمر ظاهر لا يحتاج الى استنباط ، فالانبياء جميعا لم يأتوا لطلب دنيا بل جاءوا لانقاذ أممهم ولاقامة الحجة عليهم ، ولم يرمهم بطلب الدنيا وحب الرياسة الا فرعون ومن تبعه . وهو قول في غاية السقوط ، كما أن قائله في غاية الكذب .

(٥) الدخان ٢٦ .

(٦) الدخان ٢٧ .

(٧) الدخان ٢٨ .

(٨) قوله (كذلك) هو جزء من الآية الا أنه ساقط من كلا النسختين وقد ترك له بياض فيهما .

(٩) هكذا في النسختين والصواب (وعيونا وكنوزاً وزروعاً ومقاما كريما

التي باركنا فيها))[١] .

وطوى هنا قول فرعون لما أدركه الغرق : ((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين))[٢] .

كما طوى ما في القصص من قوله : ((وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين))[٣] على قواعد القرآن في توزيع ألفاظ القصص على أساليب مفتنّة[٤] وأنواع مختلفة .[٥]

وانظر قصة الخليل إبراهيم عليه السلام ، فانه تعالى حكاها في مواضع عديدة بعبارات[٦] متنوعة كلها مفيدة . فهنا قال : ((ما تعبدون (٧٠))) ، وفي الأنعام قال لأبيه آزر : ((أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين))[٧] ، وفي سورة مريم أفرد أباه بخطابه وخطائه فقال : ((يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا))[٨] .

وقال تعالى : ((وإن تدعوهم)) أي الأصنام ((الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون))[٩] ، ((فادعوهم فليستجيبوا لكم ... أم لهم[١٠]

---

(١) الأعراف ١٣٧ .
(٢) يونس ٩٠ .
(٣) القصص ٤١ ـ ٤٢ .
(٥) بقي ثمان آيات لم يفسرها المؤلف رحمه الله تعالى ، ولعله اكتفى بظهور معناها من خلال ما ذكر من الآيات ، أو يكون قد سبق له تفسيرها في سورة أخرى . والله أعلم .
(٦) في (م) بعبارة بالافراد .
(٧) الأنعام ٧٤ .
(٨) مريم ٤٢ .
(٩) الأعراف ١٩٨ .
(١٠) في النسختين (ألهم أعين) والصواب ما أثبته .

أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها))[١] ، ((إن[٢] تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم))[٣] .

وفي الأنبياء قال لهم : ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون))[٤] .

وفي الصافات : ((ماذا تعبدون أإفكاً آلهة دون الله تريدون))[٥] .

وفي الزخرف : ((إنّني براء مما تعبدون))[٦]

ومثلها في سورة المودة[٧] ،

وفي العنكبوت : ((وإبراهيم إذ قال[٨] لقومه اعبدوا الله واتقوه))[٩] الآية .

ولا ريب أنها كانت بينه وبين قومه مواقف عديدة يخاطبهم[١٠] في كل مقام بمقال / ويختار لهم من العبادات ما تقتضيه الأحوال ، فهنا قال لهم : ٨/ب

---

(١) اقتصر المؤلف على بعض الآيات . وتمام الآيات :(إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها)) الأعراف ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) في النسختين (وان تدعوهم) بزيادة الواو . والصواب حذفها .

(٣) فاطر ١٤ .

(٤) الأنبياء ٥٢ .

(٥) الصافات ٨٥ ـ ٨٦ .

(٦) الزخرف ٢٦ .

(٧) وهي قوله تعالى : ((قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله)) الآية ٤ من الممتحنة .

(٨) في النسختين : ((اذ قال لأبيه وقومه) بزيادة أبيه . والصواب ما أثبته .

(٩) العنكبوت ١٦ .

(١٠) في النسختين (يخطابهم) تقديم وتأخير . والصواب ما أثبته .

((ما تعبدون)) مستفهما عن حقيقة معبودهم ، وهو يعلم أنهم يعبدون أصناما ، لكنه تدرّج بالسؤال إلى ما يريده من أنّها لا تستحق العبادة ، وهم لضلالهم أطنبوا في الجواب وزادوا فيه ما لا يقتضيه الخطاب ، فانه يقتضي أن يقولوا : أصناما ، كما في قوله : ((و يسئلونك[1] ماذا ينفقون قل العفو))[2] . ((ماذا قال ربكم قالوا الحق))[3] . ((ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا))[4] .

وهؤلاء جاوزوا في الجواب حد المقتضي فزادوا تعبد ، وزادوا تبجحا وافتخارا بقولهم[5] : ((فنظل لها عاكفين (٧١))) .. وسبحان الله كأن[6] الكفار تشابهت قلوبهم فاتحدت أقوالهم .

قال عباد العجل : ((لن نبرح عليه عاكفين))[7] . فجوابهم كما .

فجوابهم كما قال سراج الدين[8] : من الأسلوب الأحمق يريد أنه يُسمى نحو هذا من الأسلوب الحكيم لكن هؤلاء أبعد خلق الله عن الحكمة ، فهو أسلوب أحمق .

((قال هل يسمعونكم)) أي : يسمعون دعاءكم ((إذ تدعون (٧٢))) ، فان من يُعبد لا بد أن يسمع دعاء من دعاه ، ونداء من ناداه ، وهو مثل قوله لأبيه : ((لم تعبد ما لايسمع))[9] ، فان المعبود بحق يسمع النداء ويجيب . ((قد سمع

---

(١) في النسختين (يسألونك) باسقاط الواو .
(٢) البقرة ٢١٩ .
(٣) سباء ٢٣ .
(٤) النحل ٣٠ .
(٥) انظر الكشاف ١١٧/٣ .
٦ - هكذا في النسختين والصواب (فإنّ)
(٧) طه ٩١ .
(٨) لعله محمد بن عبدالله الخزومي الرفاعي ، ولد بالعراق سنة ٧٩٣ ثم رحل إلى الشام ومصر . له مؤلفات منها : ١ - البيان في تفسير القرآن . ٢- صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار .. وغيرها من المؤلفات . توفي ببغداد سنة ٨٨٥ وإليه تنسب محلة الشيخ سراج الدين ببغداد . الأعلام ٢٣٨/٦ .
(٩) مريم ٤٢ .

الله قول التي تجادلك في زوجها))[١] ، ((لقد سمع الله قول الذين قالوا إن اللـه فقير ونحن أغنياء))[٢] ، ((ادعوني أستجب لكم))[٣].

((أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣))) .. فان المعبود بحق ينفع ويضر ((وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شـــيء قدير))[٤] .

((قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤))) .. فيه إقرار بأن أصنامهـم لا يأتي منها شيء من الثلاث الخصال[٥] التي سألهم / الخليل عنها ، وأنه ليـس ٩/أ عبادتها إلا تبعا للآباء ، وهو نظير قولهم في جواب الخليل : ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين))[٦].

وقد صرح لهم في قوله : ((أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم [شيئا][٧] ولا يضركم ، إف لكم ولما تعبدون))[٨] ، وأقروه على ذلك فهم عارفون أنها لا تنفع ولا تضر . ولذا قيل لهم : ((إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين))[٩].

((قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنّهم عـــدو

---

(١) المجادلة ١ .
(٢) آل عمران ١٨١ .
(٣) غافر ٦٠ .
(٤) الأنعام ١٧ .
(٥) أي الاجابة والنفع والضر .
(٦) الأنبياء ٥٢ ـ ٥٣ .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٨) الأنبياء ٦٦ ـ ٦٧ .
(٩) الأعراف ١٩٤ .

لي إلا رب العالمين (٧٧))) ، هو مثل قوله : ((إنّا برآء [منكم][1] ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله))[2] .

فيحتمل هنا أنه يريد (فإنّهم) أي آباءكم[3] الأقدمين لا الأصنام فان عداوة الجماد لا تكون الا على نوع من المجاز ، وفي الكشاف[4] : قال ذلك لأن المغري على عبادتها أعدى أعداء الأنسان وهو الشيطان ، الى أن[5] قال : فعبادتي لها عبادة للعدو .

وقوله : ((إلا رب العالمين)) يحتمل الاتصال وأنهم كانوا يقرون بالله تعالى . ولذا :((قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين))[6] ، لما قال لهم : ((لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين))[7] .

ومن المفسرين من حمل الاستثناء على الانقطاع[8] . ونظيره في الكهف ((وإذ[9] اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله))[10] . احتمل الأمرين .[11]

---

(١) ساقطة من (م) .
(٢) الممتحنة ٤ . وتمام الآية : ((حتى تؤمنوا بالله وحده)) .
(٣) في النسختين (آبائكم) بالجر ، ولا وجه له من الاعراب .
(٤) الكشاف ١١٧/٣ .
(٥) في (م) (الى أنه) بزيادة الضمير ولا وجه له .
(٦) الأنبياء ٥٥ .
(٧) الأنبياء ٥٤ .
(٨) انظر اعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٣ ، وزاد المسير ١٢٨/٦ .
(٩) في (م) (واذا) بزيادة الهمزة وليست قراءة .
(١٠) الكهف ١٦ .
(١١) انظر تفسير القرطبي ٣٦٧/١٠ ، والكشاف ٣٨٢/٢

((الذي خلقني فهو يهدين [1](٧٨))) .. اعلام بأن المعبود بحق هذه صفاته إيجاد كل شيء من العدم ، وليس لأصنامكم [2]بصريح [3] ، ((واتخذوا من دونه [4] آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)) [5] وصريح ((يا أيها الناس ضرب / مثل ٩/ب فاستمعوا له إن الذين تدعون من دعون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)) [6] ، وصريح ((أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون [7])) .

وقوله : ((فهو يهدين (٧٨))) نظير قول الكليم في جواب فرعون . وقد قال : ((فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) [8] ، فهو الخالق الهادي كما قال تعالى : ((إن علينا للهدى)) [9] و ((الذي خلق فسوّى ، والذي قدر فهدى)) [10] . وقال الخليل عليه السلام : ((إني ذاهب الى ربي سيهدين)) [11] .. والذي [هو] [12] يطعمني . قال الله تعالى : ((وهو

---

(١) في النسختين (يهديني) باثبات الياء ، وكذلك في قوله (يسقين) . وهذا خطأ من النساخ ، اذ لو أرادا قراءة يعقوب لأثبتا الياء فيما بعدها من الكلمات (يشفيني ، يحييني) .
(٢) هكذا في النسختين ولعل تقدير الكلام : وليس لأصنامكم ذلك .
(٣) في (م) تصريح .
(٤) في النسختين (من دون الله) بوضع الاسم الشريف موضع الضمير .
(٥) الفرقان ٣ .
(٦) الحج ٧٣ .
(٧) النحل ١٧ .
(٨) طه ٤٩ ـ ٥٠ .
(٩) الليل ١٢ .
(١٠) الأعلى ٢ ـ ٣ .
(١١) الصافات ٩٩ .
(١٢) الضمير ساقط من النسختين .

يطعم ولا يطعم))[١] . وقال : ((كلوا من الطيبات))[٢] .. وغيرها ، فهو الذي يطعم ولا يطعم ((ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون))[٣] ، ((ويسقين (٧٩)))[٤] .

قال تعالى : ((هو[٥] الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب))[٦] وقوله : ((وأنزلنا[٧] من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا))[٨] .. وغيرها .

((وإذا مرضت)) في الكشاف[٩] : وانما قال : مرضت دون أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثمة قالت الحكماء : لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم .[١٠] أ/هـ .

---

(١) الأنعام ١٤ .
(٢) المؤمنون ٥١ .
(٣) الذاريات ٥٧ .
(٤) في النسختين (يسقيني) باثبات الياء . فانظر التعليق (١) في الصفحة السابقة .
(٥) في النسختين (وهو) بزيادة الواو .
(٦) النحل ١٠ .
(٧) في (م) (وأنزل) باسقاط الضمير .
(٨) الفرقان ٤٨ ـ ٤٩ .
(٩) الكشاف ١١٧/٣ .
(١٠) كلام الزمخشري رحمه الله تعالى لعله من الحق الذي يراد به باطل ، فإبراهيم عليه السلام لم ينسب المرض الى الله عز وجل تأدبا مع الله تعالى ، كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم ٥٣٥/١ (والشر ليس إليك) ولعل الزمخشري رحمه الله تعالى أراد من كلامه هذا نفي القدر ، وهذا لا يسلم له ، بل كل خير وشر بقضاء الله وقدره ، كما قال تعالى : ((وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير)) الأنعام ١٧ .

قلت : وهذا الأدب مراعى في صيانة الجناب الأقدس . قال الجن : ((وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا))[١] . وقال الخضر : ((فأردت أن أعيبها))[٢] . وقال : ((فأراد ربك أن يبلغا أشدهما))[٣] .

فان قلت : لِمَ لَمْ يراع[٤] هذا الأدب في قوله ((يميتني)) .

قلت : لما كانت مفضية به الى كل خير أخروي[٥] وهو صفة لله تعالى خاصة كما قال تعالى : ((وأنه / هو أمات وأحيا))[٦] أي الذي يحيي ويميت ، تعين نسبتها الى الله تعالى . ١٠/أ

((فهو يشفين (٨٠))) .. قال تعالى : ((وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين # فاستجبنا له فكشفنا[٧] ما به من ضر))[٨] الآية . ((هل من شركائكم[٩] من يفعل من ذالكم[١٠] من شيء))[١١] .

---

(١) الجن ١٠ .
(٢) الكهف ٧٩ .
(٣) الكهف ٨٢ .
(٤) في كلا النسختين (يراعا) بالالف والصواب حذفها لوجود الجازم .
(٥) مراد المؤلف بابراهيم عليه السلام وأما غيره من سائر البشر فان الموت قد يفضي به الى الخير وقد يفضي به الى الشر والعياذ بالله ، ثم ان ما قاله المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ وان كان حسنا فان الأحسن منه أن يقال : انما اضاف ابراهيم عليه السلام الموت الى الله عز وجل لأن الموت قد علم بأنه قضاء محتوم على سائر الخلق وحكم عام لا يخص فساغ نسبته الى الله بخلاف المرض فقد يصيب قوما وينجو منه آخرين . أ/هـ بتصرف من الانتصاف بحاشية الكشاف ١١٨/٣ .
(٦) النجم ٤٤ .
(٧) في كلا النسختين (وكشفنا) بالواو .
(٨) الأنبياء ٨٣ ـ ٨٤ .
(٩) في (م) هل من شركائكم الآية من يفعل من ذلك . بزيادة لفظ الاية بعد قوله شركائكم .
(١٠) في النسختين (من ذلك) بالافراد . (١١) الروم ٤٠

((والذي يميتني ثم يحيين (٨١))) .

قال الخليل عليه السلام مخاطبا الذي آتاه الله الملك : ((ربي الذي يحيي ويميت))[١] .

وقال تعالى في[٢] الذي مر على القرية الخاوية على عروشها : ((أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه))[٣] .

وقال الخليل عليه السلام : ((رب أرني كيف تحيي الموتى ..)) الى قوله : ((ثم ادعهن يأتينك سعيا))[٤] .. الآية .

فقامت له الأدلة يقينا أن الله يحييه بعد اماتته . فلذا جعله من صفات ربه .

((والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢))) .. كلٌّ من أنبياء الله وعباده الصالحين يطمعون في مغفرة الله ، ولا يقطعون بالمغفرة كما قال المؤمنون من[٥] السحرة ((إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين))[٦] ، وهو مثل قول[٧] أبي البشر آدم عليه السلام : ((ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين))[٨] . وقال نوح عليه السلام : (إني أعوذ بك ..)) الى قوله : ((وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين))[٩]

---

(١) البقرة ٢٥٨ .
(٢) هكذا في النسختين . ولعل صوابها : وقال تعالى حكاية عن الذي مر على القرية ... الخ .
(٣) البقرة ٢٥٩ .
(٤) البقرة ٢٦٠ .
(٥) في (م) (من الشجرة) وهو خطأ ظاهر .
(٦) الشعراء ٥١ .
(٧) في (م) (مثل قول قول) مكررة .
(٨) الأعراف ٢٣ .
(٩) هود ٤٧ .

ومثل قول الخليل وابنه الذبيح : ((وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم))[١] ، وأمر الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله : ((واستغفر لذنبك وللمؤمنين))[٢] الآية .. وغير ذلك .

وفي الحديث : (كل بني آدم خطّاؤون وخير الخطّائين التوابون)[٣] .

وانما يجعل ذلك طمعا يصرح به بعض من يدعو لأ [نّ][٤] مقام الإلٰهية مقام عظيم ، وكل أحد زاد علمه بالله ومعرفه قدره [زاد][٥] خوفه ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : (والله إني لأعلمكم / وأخوفكم له)[٦] . ١٠/ب

ولما وصف الخليل عليه السلام ربه تعالى بهذه الثمان[٧] من قوله : ((رب العالمين (٧٧))) أخذ في الدعاء والابتهال فقال : ((رب هب لي حكما)) ، فُسر الحكم والحِكْمة بالكمال في العلم[٨] والعمل بحيث يتمكن من خلافة الحق

---

(١) البقرة ١٢٨ .

(٢) محمد ١٩ .

(٣) مسند أحمد ١٩٨/٣ ، وسنن الترمذي ٦٥٩/٤ ، وابن ماجة ١٤٢٠/٢ ، والدارمي ٣٩٣/٢ ، والمستدرك ٢٤٤/٤ ، جميعهم بلفظ : (كل بني آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون) .

(٤) هذه النون ساقطة من كلا النسختين اذ فيهما (لا مقام الالهية مقام عظيم) ولا معنى له .

(٥) في النسختين (وكل أحد زاد علمه بالله ومعرفة قدره وخوفه كما قال صلى الله عليه وسلم ..) فلم أجد لها خبرا . فلعل الصواب ما أثبته .

(٦) لم أجده بهذا اللفظ ولكن قريبا منه ما أخرجه مسلم ٧٨١/٢ (كتاب الصيام) بلفظ (والله اني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي) ويشهد له أيضا قوله تعالى ((انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ..)) الآية ٢٨ فاطر .

(٧) لعل المؤلف رحمه الله تعالى جعل الصفة الثامنة قوله تعالى : ((والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)) ولم يعد قوله ((واذا مرضت)) صفة لله تعالى لأن ابراهيم عليه السلام أضافها الى نفسه لا الى الله تعالى .

(٨) في (م) (العمل والعلم) تقديم وتأخير .

ورئاسة الخلق[١] . ولذا قال الله له : ((إني جاعلك للناس إماما))[٢] .

((وألحقني بالصالحين (٨٣))) .. أجاب الله له بقوله : ((وإنه في الآخرة لمن الصالحين))[٣] ، وتبعه على هذا الدعاء يوسف عليه السلام بقوله :((توفني مسلما وألحقني بالصالحين))[٤] ، وسليمان عليه السلام ((وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين))[٥] .

وقال تعالى في يحي : ((من الصالحين))[٦] ، وقال تعالى : ((فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين)) ، فالصالحون من الذين أنعم الله عليهم ، ولذا شُرِع السلام عليهم في صلاة كل مصل ((السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) .. وفي الحديث (أنه يشمل كل عبد صالح في السماء والأرض))[٨] .

((واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥))) ، قال الله تعالى بعد وصفه للمؤمنين بست صفات وأثبت لهم الصلاح[٩] في صدر

---

(١) تفسير أبي السعود ٦/٢٥٠ .
(٢) البقرة ١٢٤ .
(٣) البقرة ١٣٠ والنحل ١٢٢ .
(٤) يوسف ١٠١ .
(٥) النمل ١٩ .
(٦) في النسختين (ومن الصالحين) بزيادة الواو وهي ليست من الآية ، اذ نصها : ((فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين)) آل عمران ٣٩ .
(٧) في النسختين (أولئك) باسقاط الفاء . والآية من سورة النساء ٦٩ .
(٨) أخرجه البخاري بلفظ : (أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض) . انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٢/٣١١ (كتاب الأذان) .
(٩) هكذا في النسختين ولعل الصواب الفلاح بالفاء دون الصاد .

سورة قد أفلح بعد سردها : ((أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون))[١] ، فسؤال الخليل عليه السلام أن يجعله من ورثة جنة النعيم[٢] يتضمن سؤاله الاتصاف بالست الصفات التي استحق بها[٣] أولئك وراثة[٤] الجنة .

أخرج سعيد بن منصور وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي قال[٥] : قال / رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم ٤/١١
من أحد الا وله منزلتان منزلة في النار ومنزلة في الجنة ، فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله[٦] فذلك قوله تعالى : ((أولئك هم الوارثون))[٧]) .

وأخرج الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعا[٨] مثله ، والأول سقط الصحابي من رواته .[٩]

---

(١) المؤمنون ١٠ - ١١ .
(٢) في (م) (جنة نعيم) باسقاط الالف واللام .
(٣) في النسختين (التي بها استحق بها) ولعل احدى اللفظتين زائدة .
(٤) في (م) (وارثة الجنة) تقديم وتأخير .
(٥) الراوي هو ابوهريرة رضي الله عنه
(٦) في (م) (منزلته) وهي موافقة للفظ المؤلف ولكني أثبت ما في (ص) لموافقتها للأصول التي عزوت اليها .
(٧) أخرجه ابن ماجة ١٤٥٣/٢ آخر حديث في كتاب الزهد ، وابن جرير ٥/١٨-٦ ، والبيهقي في البعث والنشور ص ٣٢٦ ، وأورده ابن كثير باسناد ابن أبي حاتم ٢٣٩/٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٩٠/٦ كلهم بلفظ : (ما منكم من أحد الا وله منزلان ، منزل في الجنة ومنزل في النار ..) الحديث . وانظر صحيح البخاري ٤١٨/١١ .
(٨) هكذا في النسختين والصواب موقوفا كما هو في المستدرك ٣٩٣/٢ ، وفي تفسير عبدالرزاق ص ٣٥٥ ، وابن جرير ٦/١٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٩٠/٦ وعزاه الى هؤلاء والى عبد بن حميد أيضا .
(٩) يحمل كلامه هذا على النسخة التي نقل عنها وأما النسخة التي بين يدي من الدر المنثور فقد صرحت باسم الصحابي وأنه أبو هريرة رضي الله عنه وكذلك جميع المصادر التي أحلت عليها في الفقرة السادسة صرحت برفع هذا الحديث ونصت على أنه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

((واغفر لأبي إنه كان من الضالين (٨٦))) ..

هذا وفاء منه عليه السلام بما وعد به أباه ، حيث قال : ((لأستغفرن لك))[١] وقال : ((سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا))[٢] ، وكان هذا الوعد والوفاء قبل أن ينهاه الله عن الاستغفار ، وتبين[٣] له أنه عدو له ، فلما تبين ذلك بايحاء الله اليه تبرأ منه فقال : ((إنّا برآء منكم ومما تعبدون))[٤] .

((ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧))) ..

هو مثل قول أولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم : (ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد))[٥] ، وقد قالوا قبلها : ((ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته))[٦] ، وقال تعالى : ((يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه))[٧] وقال في الوعيد : ((ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق))[٨] .

ومن هنا اشتق الدعاء النبوي (نعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)[٩] .

ومراده هنا ((لا تخزني)) بتعذيب والدي كما دل له ما أخرجه البخاري والنسائي[١٠] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (يلقى

---

(١) الممتحنة ٤ .
(٢) مريم ٤٧ .
(٣) هكذا في النسختين ولعل صوابها (يتبين) بالمضارع .
(٤) الممتحنة ٤ . وكان الأولى أن يستشهد بقوله تعالى : ((وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)) الآية ١١٤ التوبة .
(٥) آل عمران ١٩٤ .
(٦) آل عمران ١٩٢ .
(٧) التحريم ٨ .
(٨) الحج ٩ .
(٩) اخرجه أحمد في المسند ١٨١/٤ بلفظ (وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)
(١٠) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ٣٨٧/٦ كتاب الأنبياء ، وتفسير النسائي ص ١٥٦ - ١٥٧ .

إبراهيم أباه آزر يوم القيامة على وجه آزر قترة وغبرة فيقول إبراهيم : ألم أقل لا تعصني ؟ فيقول أبوه اليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم إنّك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى / : إني حرمت الجنة ١١/ب على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم [ما تحت رجليك][(١)] ؟ فاذا هو بذيخ[(٢)] متلطخ[(٣)] فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) أ/هـ .

وبه تعرف أن المراد من استغفاره هنا لأبيه طلب الهداية[(٤)] له إلى الايمان لاستحالة طلب المغفرة له بعد موته كافرا . ((يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨))) .

قال الله تعالى : ((وما أموالكم و [لا][(٥)] أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى))[(٦)] .

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبته من صحيح البخاري ٣٨٧/٦ ، ومن الدر المنثور ٣٠٧/٦ إذ نص العبادة في النسختين (ثم يقال يا ابراهيم رحسك) ولا معنى لهما بهذا اللفظ .

(٢) الذيخ : ذكر الضباع ، وقيل لا يقال له ذيخ إلا اذا كان كثير الشعر . أ/هـ فتح الباري ٥٠٠/٨ ، ولسان العرب ١٦/٣ .

(٣) في النسختين (متطلخ) وفي صحيح البخاري ٣٨٧/٦ (ملتطخ) ولعل الصواب (متلطخ) كما في الدرالمنثور٣٠٧/٦ ، وكما في فتح الباري ٥٠٠/٨ حيث قال ابن حجر : وقوله (متلطخ) قال بعض الشراح : أي في رجيع أو دم أوطين وقد عينت الرواية الأخرى المراد وأنه الاحتمال الأول حيث قال : فيتمرغ في نتنه . أ/هـ .

(٤) ويمكن الجمع بين الآية والحديث بأن يقال : إنّ ابراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه لما مات مشركا ، فترك الاستغفار له ، لكن لمّا رآه يوم القيامة أدركته الرأفة والرقة فسأل فيه فلما رآه مسخ يئس منه حينئذ فتبرأ منه تبرءا أبديا .
انظر فتح الباري ٥٠١/٨ . وحمله على هذا الجمع أولى مما قاله الصنعاني لأن كلام الصنعاني يفهم منه خلاف ما جاء في الحديث .

(٥) في (ص) (وما أموالكم وأولادكم) باسقاط حرف النفي .

(٦) سبأ ٣٧ .

وقال : ((لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا))[١].

وقال : ((يوم يفر المرء من أخيه [وأمه وأبيه][٢] وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه))[٣].

((إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به))[٤].

((إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩))) .. ووصف الله الخليل بسلامة القلب حيث قال في الصافات : ((وإنّ من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم))[٥] ، وفسر القلب السليم [بما][٦] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ((إلا من أتى الله بقلب سليم)) قال شهادة أن لا اله الا الله)[٧].

وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله : ((إلا من أتى الله بقلب سليم)) قال : (كان يقال سليم من الشرك)[٨].

[وأخرج ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة عن مجاهد قال : سليم من الشرك][٩] ليس فيه شك في الحق)[١٠].

---

(١) لقمان ٣٣ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٣) عبس ٣٤ ـ ٣٧ .
(٤) آل عمران ٩١ .
(٥) الصافات ٨٣ ـ ٨٤ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٧) انظر تفسير ابن كثير ١٢/٤ ، والدر المنثور ٣٠٧/٦
(٨) تفسير عبدالرزاق ص ٣٨٠ ، وابن جرير ٨٧/١٩ و ٧٠/٢٣ ، والدر المنثور ٣٠٨/٦ .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١٠) انظر : تفسير ابن كثير ٣٣٩/٣ ، والدر المنثور ٣٠٨/٦ ، وتفسير الطبري ٨٧/١٩ ، والبغوي ٣٩٠/٣ .

((وأزلفت الجنة للمتقين (٩٠))) .. تقدم الإزلاف وأنه التقريب ، كما في قوله : ((وأزلفنا ثم الآخرين))[١] ، وفي التكوير : ((وإذا الجنة أزلفت))[٢] ، فبين هنا أنّ الإزلاف للمتقين كما بينه في ق[٣] حيث قال : ((وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد))[٤] .

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة : ((وأزلفت الجنة)) قال : (أدنيت)[٥]

((وبرزت الجحيم للغاوين (٩١))) هو بيان لقوله : ((وبرزت الجحيم لمن يرى))[٦] ، وأنه / أريد بالعام الخاص[٧] ، وإزلاف الجنة للمتقين تبشيرا وادخالا ١٢/أ للسرور عليهم ، بإراءتهم مآلهم [ومنازلهم][٨] وتشويقا لهم إليها[٩] .

إذا دنت المنازل زاد شوقي ... ولا سيما إذا بدت الخيام[١٠]

كما أن إبراز الجحيم للغاوين تخويفا لهم وتحزينا وزيادة حسرة برؤية ما أعد لهم من العذاب[٩] ونزول دار الشقوة .

---

(١) قد ذكرت في الفقرة (٥) من ص ٩٢ أن المؤلف رحمه الله ترك ثمان آيات لم يفسرها ، بينما تجده هنا يحيلنا على تفسير بعض تلك الآيات ، وهي الآية ٦٤ من سورة الشعراء ، اذ فيها ورد لفظ الإزلاف ، فلعل هذا سهو منه أو سقط من الناسخ . والآية في النسختين جاءت بلفظ « ثم أزلفنا الآخرين »

(٢) التكوير ١٣ .

(٣) في النسختين كما في (قاف) باثبات الالف والفاء .

(٤) ق ٣١ .

(٥) تفسير ابن جرير ١٧٢/٢٦ ، والدر المنثور ٦٠٤/٧ ، وفيه (زينت) بدل (أدنيت)

(٦) النازعات ٣٦ .

(٧) العام قوله تعالى ((لمن يرى)) فهو اسم موصول يفيد العموم ويخصصه قوله تعالى : ((وبرزت الجحيم للغاوين)) .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٩) انظر الكشاف ١١٩/٣ ، وتفسير الرازي ١٥٢/٢٤ .

(١٠) لم أعرف قائله .

((وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (٩٢) من دون الله)) .. هذا المعنى كثير في القرآن جدا سؤالهم عن أوثانهم التي عبدوها ((أين شركائي الذين كنتم تزعمون))[١] وهو توبيخ لهم وبيان لضلالهم .

((هل ينصرونكم أو ينتصرون (٩٣))) .. هو استفهام توبيخ وملام وتنبيه على ما كانوا عليه من الخطأ بعبادة الأصنام ، وأنها لا تنصرهم ولا تنتصر لهم . وقد صرح لهم بقوله : ((و[٢] لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون))[٣] .

كما قال تعالى : ((ما لكم لا تناصرون))[٤] ، وكما قال تعالى حاكيا عن الخليل عليه السلام فيما خاطب[٥] به قومه : ((وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين))[٦] .

((فكُبكبوا)) أي الأصنام ((فيها)) أي في الجحيم ((هم والغاوون (٩٤))) .. أي الذين[٧] برّزت لهم الجحيم وهم عبّادهم والكبكبة تكرير الكب .

جعل التكرير في اللفظ دليلا[٨] على التكرير في المعنى ، كأنه اذا ألقى في جهنم يكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها[٩] ، وقد قال تعالى :

---

(١) القصص ٦٢ ، ٧٤ .
(٢) في النسختين (لا يستطيعون) باسقاط الواو .
(٣) الأعراف ١٩٢ .
(٤) الصافات ٢٥ .
(٥) في (م) (فيما حاطت به قومه) بالمثناة الفوقية .
(٦) العنكبوت ٢٥ .
(٦) في (م) (الذي) .
(٨) في النسختين (دليل) بالرفع والصواب نصبه مفعولا ثانيا لجعل .
(٩) الكشاف ١١٩/٣ .

((يوم يدعّون الى نار جهنم))[١] ، والدَّعُّ الدفع العنيف[٢] فيدفعون دفعا عنيفا ثم يكبكبون في هوائها حتى ينتهوا الى قعرها ، وإنّما قدمت أصنامهم في الكبكبة لتنظر إليهم عبادهم ويشاهدوا قبح حالهم فيزادوا غما الى غمهم ، ويحقق لهم قوله : ((إنكم وما تعبدون / من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان ١٢/ب هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون))[٣].

((وجنود إبليس أجمعون (٩٥))) .. شياطينه الذين قال تعالى : ((وأجلب عليهم بخيلك ورجلك))[٥] أو متبعوه من عصاة الجن والانس .[٦]

((قالوا)) أي الغاوون عباد الأصنام ((وهم فيها)) في الجحيم ((يختصمون (٩٦) تا الله إن كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العالمين (٩٨))) .. هذا من الاختصام وفيه إقرارهم بأنهم يسوونهم[٧] بالله تعالى كما قال تعالى : ((ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله))[٨] .

فهذه هي التسوية في الحب ولم يقولوا بأنهم يخلقون ولا يرزقون ولا يميتون ولا يحيون ، بل قد أقروا بأن الخالق هو الله . ((ولئن

---

(١) الطور ١٣ .
(٢) الكشاف ٣٣/٤ ، والبغوي ٢٣٨/٤ .
(٣) الأنبياء ٩٨ إلى ٩٩ .
(٥) الاسراء ٦٤ .
(٦) الكشاف ١١٩/٣ .
(٧) في النسختين (يسووهم) بحذف النون .
(٨) البقرة ١٦٥ .
(٩) هذه اللام ناقية لفعل مقدر أي ولا علموا ان أصنامهم يرزقون ... الخ .

سألتهم من خلقهم ليقولن الله))[١] ، ((من خلق السموات والأرض ليقولن الله))[٢] ((من يرزقكم من السماء والأرض))[٣] .. وغير ذلك .

والمراد أنهم عظّموا أوثانهم وعبدوها وسمّوها آلهة ، فهذا التعظيم لا يصلح ولا يجوز إلا لرب العالمين ، وقد شاركهم أهل الاسلام في تعظيم قبور من يسمونهم أولياء وتعظيم الأحياء من ملوك الدنيا في المحاورات والمكاتبات فيخاطبون الأموات بنحو على الله وعليك ونحوه مما لا يخاطب به ولا يطلب الا من رب العالمين ، وكذلك يخاطبون ملوك الدنيا ومن يقاربهم بنحو ولي النعمة وسيّد الكل والاقسام بحياتهم[٤] ، كما يقسمون بالأموات أيضا ، وكل هذه تسوية برب العالمين .

فما[٥] يسوي المشركون أوثانهم إلا بنحو هذا فليحذر المسلم هذه الطريقة التي يسلكها من ذمهم الله بما عرفته .

((وما أضلنا إلا المجرمون (٩٩))) .. [هذا][٦] يقوله الأتباع وهم المتأخرون في الإجرام ، كما يدل له / قوله في الأعراف : ((قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء ١٣/أ
أضلونا فآتهم عذابا ضعفا (من)[٧] النار ..)) الى قوله : ((وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل)) الآيات .[٨]

---

(١) الزخرف ٨٧ .
(٢) لقمان ٢٥ والزمر ٣٨ .
ونص الآية ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .. الآية)) .
(٣) يونس ٣١ . ونصها : ((قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)) .
(٤) في كلا النسختين (بحيوتهم) بالواو بدل الألف .
(٥) في (م) (مما يسوي) بالميم بدل الفاء .
(٦) اسم الاشارة ساقط من (م) .
(٧) في النسختين (في النار) وليست قراءة .
(٨) الأعراف ٣٨ ـ ٣٩ .

فهذا اختصام خاص بين أول المجرمين وآخرهم القائلين : ((لولا أنتم لكنـــا مؤمنين))[١] ، والقائلين : ((إنّا أطعنا سادتنا[٢] وكبرآءنا فأضلونا السبيلا))[٣] .

((فما لنا من شافعين (١٠٠) ولا صديق حميم (١٠١))) ..

أيسوا[٤] عن[٥] شفاعة الأصنام الذين كانوا يقولون فيهم : ((هؤلاء شفعاؤنا عند الله))[٦] ، فقالوا : ((فما[٧] لنا من شافعين)) وقالوا : ((فهل[٨] لنا من شفعاء فيشفعوا لنا))[٩] .

وأيسوا[٤] أيضا عن[٥] الصديق الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام ، أي لا صديق لهم يأمرنا ويحقق ما نزلنا بنا[١٠] . قال تعالى : ((ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع))[١١] .

قال في الكشاف[١٢] : انه جمع الشفيع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة ألا ترى أن الرجل اذا أمتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل[١٣]

---

(١) سباء ٣١ .
(٢) في (م) (سادنا) ساقاط التاء .
(٣) الأحزاب ٦٧ .
(٤) أيست منه آيس يأسا لغة في يئست منه أياس يأسا ومصدرهما واحد . الصحاح ٩٠٦/٣ (أيس) .
(٥) هكذا في النسختين ولعل الأصوب (أيسوا من) وكثيرا ما يضع المؤلف عن موضع من .
(٦) يونس ١٨ .
(٧) في النسختين (مالنا من شافعين) والآية بالفاء كما كتبه أولا .
(٨) في النسختين (هل لنا) باسقاط الفاء . ونص الآية بالفاء كما أثبته .
(٩) الأعراف ٥٣ .
(١٠) هكذا في النسختين ولعل صوابها : لا صديق يهتم بأمرنا ويخفف ما نزل بنا .
(١١) غافر ١٨ .
(١٢) انظر الكشاف ١١٩/٣ .
(١٣) في النسختين (من أفضل) والتصحيح من الكشاف ١١٩/٣ .

بلدة لشفاعته رحمة وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة ، وقلة الصديق الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق[١] وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال : لفظ[٢] لا معنى له . أ/هـ .

قلت : الأنوق بزنة فعول طائر يسمى الرخمة تحوز[٣] بيضها فلا يكاد يظفر به [أحد][٤] الا في قلل الجبال ، وفي معنى كلام بعض الحكماء قول الشاعر[٥] :

سمعنا بالصديق ولا نراه ... على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه محالا نمّقوه ... على وجه المجاز من الكلام

((فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (١٠٢))) .. من باب قولهم في طبقات النار : ((ياليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين))[٦] :/((وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل))[٧] . ١٣/ب

((إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٠٣) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٠٤))) ..

اطرد في ختام القصص في هذه السورة الشريفة بذكر الآية ، لأن كل قصة منها آية تنبه على توحيد الله وعلمه وقدرته وسائر صفات كماله .

---

(١) ويرى أحمد الاسكندري أن الصديق يطلق على الواحد والجمع كما ذكر ذلك في كتاب الانتصاف بحاشية الكشاف ١١٩/٣ .
(٢) في الكشاف ١٢٠/٣ : اسم لا معنى له .
(٣) الحوز : الجمع . كما في الصحاح ٨٧٥/٣ مادة : حوز .
(٤) ناقص من (م) .
(٥) لم أهتد إلى اسمه
(٦) الأنعام ٢٧ .
(٧) فاطر ٣٧ .

كما اطرد في ذكرها صفتا[١] الرحمة والعزة ، اذ برحمته نجّى الرسل وأتباعهم ، وبعزته أهلك أعداءهم .

ثم ذكر تعالى قصة نوح عليه السلام وهو ثاني من اصطفاه الله من الأربعة على العالمين كما قال تعالى : ((إن الله اصطفى آدم ونوحا ..)) الآية .[٢] وهذا منه تعالى - أعني ذكر القصص في هذه السورة - تفصيل لاجمال قوله : ((ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا))[٣] ولقوله : ((فقد كُذِّب[٤] رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير))[٥] .

فهذه الخمس[٦] قصص من جملة بيان ذلك ، ونوح أول الخمسة أولوا العزم[٧] من الرسل وهو أبو البشر الأصغر كما قال تعالى : ((وجعلنا ذريته هم الباقين))[٨] وأولوا العزم من الرسل الذين أمر الله تعالى رسوله[٩] صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصبر كصبرهم [هم][١٠] المذكورون في سورة الأحزاب[١١] ،

---

(١) في النسختين (صفتي) .

(٢) آل عمران ٣٣ ونص الآية : ((إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)) .

(٣) الأنعام ٣٤ .

(٤) في النسختين (ولقد كذبت رسل) ، والصواب ما أثبته اذ لم أجد قراءة بهذا اللفظ .

(٥) آل عمران ١٨٤ .

(٦) لعله أراد بالخمس قصص من قصة نوح فما بعدها ، وأما اذا اضفنا اليها قصة موسى وابراهيم عليهما السلام فهي حينئذ سبع .

(٧) هكذا في النسختين وصوابه (أولي)

(٨) الصافات ٧٧ .

(٩) في (م) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاظهار بدل الاضمار .

(١٠) ناقص من (م) . .

(١١) وهي قوله تعالى : ((وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)) الأحزاب ٧ .

والشورى[١] . وجمعه قول الشاعر :

أولوا العزم نوح والخليل كلاهمـــــا ... وموسى وعيسى والنبي محمد[٢]

وهم الذين في الآيتين في السورتين كما ذكرنا .

((كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥))) .. جعل تعالى تكذيبهم نوحـــــــا تكذيبا لكل رسول [لأن من كذب رسولا من رسل الله فقد كذب كل رسول][٣] ، لأن رسل الله سلكوا طريقة واحدة من الإتيان بالمعجزات / الدالة على صدقهـــــم ١٤/أ ويتحدون في الدعوة الى توحيد الله ، ألا ترى أن كل رسول منهم يقول : ((ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره))[٤] ، وقال تعالى : ((وما أرسلنا من قبلـــك من رسول إلا يوحى[٥] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))[٦] ، وقال تعالى : ((واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون))[٧] .

واذا عرفت [هذا عرفت][٨] أن من كذّب رسولا فقد كذب كل رسول ، ولـــذا أمر الله تعالى بالإيمان بكل رسول في قوله : ((قولوا آمنا بالله وما أنزل الينـــا وما أنزل إلى إبراهيم ..)) الى قوله : ((وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بيـن

---

(١) وهي قوله تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرقوا فيه ..))
الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) لم أعرف قائله

(٣) ما بين المعقوفتين ناقص من (م) .

(٤) الأعراف ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .

(٥) أ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يُوحى) بالبناء للمفعول .
ب - وقرأ الباقون (نوحي) بالبناء للفاعل . الاتحاف ص ٣٠٩ .

(٦) الأنبياء ٢٥ .

(٧) الزخرف ٤٥ .

(٨) ناقص من (م) .

أحد منهم ونحن له مسلمون))[١] ، وقال في الاخبار عن إيمان الرسول والمؤمنين : ((كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله))[٢] ، وقال في ذم من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض : ((ويقولون[٣] نؤمن ببعض ونكفر ببعض ... أولئك هم الكافرون حقا))[٤] ، [ثم قال][٥] : ((والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم[٦] أجورهم))[٧] .

((إذ قال لهم [أخوهم][٨] نوح ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨))) .

مازال نوح عليه السلام يخاطب قومه بكل ما فيه نجاتهم ، ذكر الله في كتابه حديثه وحديث قومه وأفرد تعالى سورة من المفصل في ذلك ، فانه قال : ((يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم))[٩] ، وقال لهم :

---

(١) البقرة ١٣٦ .
(٢) البقرة ٢٨٥ .
(٣) في النسختين (وقالوا) بالماضي . ونص الآية هو ما أثبته .
(٤) النساء ١٥٠ - ١٥١ . ونص الآيات : ((إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا)).
(٥) ناقص من (م) .
(٦) أ - هذه قراءة الجمهور بنون العظمة (نؤتيهم) .
ب - وقرأ حفص (يؤتيهم) بضمير الغيبة . الاتحاف ص ١٩٥ .
(٧) النساء ١٥٢ .
(٨) ما بين المعقوقتين ناقص من (م) .
(٩) الأعراف ٥٩ .
ونصها : ((لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)) .
وليست من سورة نوح كما يفهم من كلام المؤلف .

((يا قوم إني لكم نذير مبين # أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون # يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى)) الآية[١] . وقال : ((إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ..)) الآية في سورة هود[٢] .

وقال هنا : ((فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨))) / وكرر الأمرين هنا مبالغة في الإبلاغ ، ((وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩) فاتقوا الله وأطيعون (١١٠))) . ١٤/ب

أجمل الأجر هنا وبيّنه في سورة هود ، حيث قال : ((ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله))[٣] ، وقد أطرد في هذه القصص في هذه السورة قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ـ أنّ كل رسول يخاطب قومه بأنه لا يسألهم أجرا ويخبرهم أن أجره ليس الا على رب العالمين ، وأمر تعالى رسوله محمدا خاتم رسله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول مقالة إخوانه هؤلاء لقومه ، فقال : ((قل ما سألتكم[٤] من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله[٤]))[٥] . ((قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين))[٦] .

((قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١))) .. هذا جواب هو الضلال الجامع بين الجهل والكبرياء ، وهو نظير قولهم في جوابه : ((وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىء الرأي))[٧] .

---

(١) نوح ٢ ـ ٤ .
(٢) هود ٢٥ ـ ٢٦ .
(٣) هود ٢٩ .
(٤) في كلا النسختين ((قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم ان أجري الا على رب العالمين)) والصواب ما أثبته .
(٥) سبأ ٤٧ .
(٦) ص ٨٦ .
(٧) هود ٢٧ .

وتارة أجابوه بقولهم : ((إنّا لنراك في ضلال مبين))[١] .

وتارة يقول شاكيا [عنهم][٢] وعن ما قابلوه به : ((وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا))[٣].

ولما أقام عليهم أدلة التوحيد - وأنهم في فوائد[٤] استغفارهم ربهم وأنه يرسل السماء عليهم مدرارا ويمددهم بأموال وبنين ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارا - كانوا كما قال : ((رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا # ومكروا مكرا كبارا # وقالوا لا تذرن آلهتكم ..))[٥] الآيات .

وتارة قالوا : ((ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم / ولو شاء ١٥/أ الله لأنزل ملائكة))[٦] .. وفي هذا اعترافهم بالله وبملائكته ، وإنّما أنكروا كون الرسول بشرا .. وهكذا كل الملل الكفرية لا ينكرون الله عز وجل بل تسميتهم [مشركين][٧] لإتيانهم شريكا[٨] لله ، فليس أحد ينفي الله عز وجل أصلا ، ولما ألقمهم الحجرة بما أبانه من الأدلة ((قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين))[٩] ، وذلك بعد أن اقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ((فأخذهم الطوفان وهم ظالمون))[١٠] .

---

(١) الأعراف ٦٠ .
(٢) في (م) عليهم ، وكثيرا ما يضع المؤلف غن موضع من ، اذ تقدير الكلام هنا (شاكيا منهم ومما قابلوه به) .
(٣) نوح ٧ .
(٤) هكذا في النسختين . ولعل الصواب (وأنهم في فوائد من استغفارهم ربهم) بزيادة من .
(٥) نوح ٢١ - ٢٤ .
(٦) المؤمنون ٢٤ .
(٧) ناقص من (م) .
(٨) في (م) (شركا الله) .
(٩) هود ٣٢ .
(١٠) العنكبوت ١٤ .

وذكر الله تعالى ما رموه به من الجنون ((وقالوا مجنون وازدجر))[١] ، وقال انهم قالوا : ((إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين))[٢] .

ووصف تعالى أنه نجّاه من الكرب العظيم ((ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم)) في الصافات[٣] ، وفي الأنبياء[٤] مثلها بلفظها[٥] ((فنجيناه وأهله من الكرب العظيم)) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس : (أن نوحا بعث في الألف الثانية وأن آدم لم يمت حتى ولد نوح في آخر الألف الأولى ولم يلق أحد من الأنبياء عليهم السلام ما لقي نوح ، فكانوا يدخلون عليه فيضربونه ويضرب في المجالس ويطرد وكان لا يدع ما يصنع ويقول : [رب][٦] اغفر لقومي فانهم لا يعلمون)[٧] .

((قال وما علمي بما كانوا يعملون (١١٢) إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون[٨] (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤) إن أنا إلا نذير مبين (١١٥))) .

تقدم جوابه عليهم في هود عن[٩] هذا بقوله : ((وما أنا بطارد الذين آمنوا إنّهم ملاقو ربهم ولكنّي أراكم قوما تجهلون))[١٠] حيث يجيبون بهذا الجواب

---

(١) القمر ٩ وفي كلا النسختين (فقال مجنون وازدجر) .
(٢) المؤمنون ٢٥ .
(٣) الصافات ٧٦ .
(٤) الأنبياء ٧٦ .
(٥) في كلا النسختين (ونجيناه) بالواو والصواب (فنجيناه) بالفاء .
(٦) ما بين المعقوفتيت ساقط من (م) .
(٧) انظر : تاريخ ابن عساكر ٦٥١/١٧ ـ ٦٥٢ ، والدر المنثور ٤٨٠/٣ .
(٨) في (ص) (لو يشعرون) بالمثناة التحتية ولم أجدها في القراءات العشر .
(٩) في (م) على هذا .
(١٠) هود ٢٩ .

الأحمق فانه لا يقدح في الثبوة كون التابعين والمؤمنين من أراذل الناس عندكم ، ولا يزيدها حقّية[١] كونهم من أشراف الناس / فان الرسول مبعوث الى الجميع من ١٥/ب الفريقين ، وقد قيدوا كونهم كذلك[٢] في هود في قولهم : ((بادىء الرأي))[٣] : أي من دون نظر ولا روية فقال لهم أنتم قد نظرتم وجادلتم الرسول ولم تتطقوا بحجة ولا قادكم نظركم الا الى الضلال ، وكان آخر ما أفاده نظركم أن قلتم ((قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا))[٤] فهل أغنى عنكم شرفكم ونظركم من شيء ، انما كان ما تزعمونه من شرفكم وبالا عليكم وكبرياء ضللتم بها وأوردكم النار وبئس الورد المورود . وما زال أتباع الرسل و[٥] السابقون إلى الإيمان بهم في كل عصر [هم ضعفاء الناس][٦] .

ولذا ثبت في صحيح البخاري[٧] أن هرقل قال لأبي سفيان حين استفصله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسألتك أشراف الناس [اتبعوه][٨] أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل) أ/هـ .

فدل على أن اتباع الرسل هم ضعفاء الناس وهم الذين سمّاهم قوم نوح الأرذلين ولقد سرى هذا الى من أراد احياء سنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

---

(١) في (م) (حقيقة) .
(٢) أي كون الأتباع أراذل الناس .
(٣) هود ٢٧ .
(٤) هود ٣٢ .
(٥) هكذا في النسختين والصواب بحذف الواو .
(٦) ناقص من كلا النسختين وهو مما يقتضيه السياق .
(٧) صحيح البخاري مع الفتح ٣١/١ ـ ٣٢ كتاب بدء الوحي الباب السادس .
(٨) ما بين المعقوقتين ساقط من النسختين .

في كل عصر من بعده واتفق لنا[١] بحمد الله لما أعلينا من السنة النبوية منارها ورفعنا للأبصار والبصائر أنوارها واطفينا[٢] من البدعة شررها ونارها ، كان اتباعنا على ذلك ضعفاء عباد الله والصالحين منهم وأعرض عن ذلك الكبراء ورموا اتباعنا بعين الازدراء ولامونا على نشر السنة ، وأنّا علّمناها ناسا ليسوا أهلاً لذلك .

فقلنا هذا بعينه الذي عاب به قوم نوح نوحا رسول [الله][٣] إليهم فياحبّذا نوح عليه السلام لنا من قدوة ولنا فيه الأسوة ، ومع صبرنا / ما زال الخير ١٦/أ ينمو وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعلو .

((قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦))) .. هذا التوعد منهم كأنه وقع قبل قولهم (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين))[٤] .

وقوم موسى عليه السلام توعّدوه بمثل ذلك[٥] فقال : (و[٦] إني عذت بربي وربكم أن ترجمون))[٧] .

وقال قوم شعيب عليه السلام : (و[٨] لولا رهطك لرجمناك))[٩]

وهكذا أهل الضلال المكذبون برسل الله يرمون عن قوس من الضلال واحد ، قال مثل هذا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون : ((لئن لم تنتهوا لنرجمنكم))[١٠] الآية

---

(١) مكتوب على هامش ص ما نصه : ذكر المؤلف رحمه الله ما اتفق له بسبب نشر السنة .
(٢) هكذا في النسختين والصواب (أطفأنا) .
(٣) لفظ الجلالة ساقط من (م) .
(٤) هود ٣٢ .
(٥) في (ص) (ذاك) .
(٦) الواو ساقط من النسختين .
(٧) الدخان ٢٠ .
(٨) الواو ساقط من النسختين .
(٩) هود ٩١ .
(١٠) يس ١٨ . والآية هي قوله تعالى عن اصحاب القرية : ((قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم)) .

مع أنه شيء لا يفعلونه ، فانه قد قال لهم نوح : ((فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون))[١] ، وما هم الا مثل ما قال فرعون لقومه : ((ذروني أقتل موسى))[٢] ، فيقال له : أنت تقول إنّك إلهكم الأعلى[٣] فاقبض روح موسى ومن ذا يحول بينك وبينه من قومك حتى تقول ذروني ، والله إنّك على نفسك في هذا كاذب ، صادق في قولك ((وإنا لجميع حذرون))[٤] .

قاله

((قال رب إنّ قومي كذّبون (١١٧))) .. كأنه بعد أن أيس من إيمانهم أو عند أن أوحي اليه ((أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن))[٥] ، وحينئذ دعا ربه : ((أني مغلوب فانتصر))[٦] .

قال تعالى : ((ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر # وفجّرنا الأرض عيونا ..)) الآية .[٧]

((فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨))) .. هو نظير قول نبي الله شعيب : ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين))[٨] والفتاح الحاكم[٩] ، أي : أحكم بيننا . ((فأنجيناه ومن معه)) بيّن هذا الاجمال في هود ((قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من

---

(١) يونس ٧١ .
(٢) غافر ٢٦ .
(٣) كما حكى الله عنه ذلك في سورة النازعات ٢٤ ((فقال أنا ربكم الأعلى)) .
(٤) الشعراء ٥٦ .
(٥) هود ٣٦ .
(٦) القمر ١٠ .
(٧) القمر ١١ ـ ١٢ .
(٨) الأعراف ٨٩ .
(٩) انظر الكشاف ١٢١/٣ . وفي معالم التنزيل ١٨٢/٢ ، والفتاح القاضي (وأنت خير الفاتحين) أي الحاكمين . وفي الكشاف ٧٦/٢ (ربنا افتح بيننا) احكم بيننا والفتاحة الحكومة .. وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين . ومثله ما قاله ابو السعود ٢٥١/٣ .

سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه إلا قليل)) [1] .

((في الفلك المشحون (١١٩))) .. سمّاه الله تعالى في عدة آيات بالفلك ويُسمّى بالسفينة ((فأنجيناه وأصحاب السفينة)) الآية [2] ، فهو فلك [3] ، وهو سفينة أيضا .

ثم عقب الله تعالى قصة نوح عليه السلام بقصة هود عليه السلام ، واطّرد هنا وفي الأعراف وفي هود وفي الا ... [4] ذكر قصة هود عقب [5] قصة نوح ـ وقد بسط تعالى قصته في هود وبه سميت سورة هود ـ .

وكذلك اذا ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام اجمالا كما في سورة براءة [6] ، ((ألم يأتهم نبأ [7] الذين من قبلهم قوم نوح وعاد ...)) .

ومثلها في الحج [8] وسورة ص [9] وان وقع في ق [10] غير ذلك ، وذلك لأن هودا أول نبي بعد نوح ، وأمته أول أمة / بعده . ولذا قال لقومه : ((و [11] اذكروا ١٦/ب

---

(١) هود ٤٠ .
(٢) العنكبوت ١٥ .
(٣) في (م) (فهو ذلك وهو سفينة) .
(٤) هكذا في كلا النسختين بياض بقدر كلمة . ولعله صوابه وفي القمر .
(٥) في (م) (عقيب) .
(٦) التوبة ٧٠ .
(٧) في كلا النسختين : كما في سورة براءة (كذبت قوم نوح وعاد) وليس هذه آية التوبة بل الصواب ما أثبته .
(٨) الحج ٤٣ قال تعالى ((وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود)) .
(٩) ص ١٢ قال تعالى : ((كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد)) .
(١٠) ق ١٢ ـ ١٣ حيث أعقب قوم نوح بأصحاب الرس وثمود ثم ربّع بعاد بعد ذلك كما قال تعالى : ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط)) .
(١١) الأعراف ٦٩ . وفي كلا النسختين باسقاط الواو (اذكروا) .

فهو عبث والبناء مكروه الى الله الا قدر حاجة السكنى لا غير [١].

والثانية قوله : ((وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩))) ، فسره مجاهد بالقصور المشيدة[٢] وفسر [بمآخذ للماء][٣] ، وأنه لا يفعل ذلك الا[٤] من يرجو الخلود في الدنيا وليس اليه سبيل .

((واذا بطشتم بطشتم جبارين # فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢))) .

قد وصفهم الله تعالى باتّباعهم كل جبار عنيد حيث قال : ((واتبعوا أمر كل جبار عنيد))[٥] ، فهم أهل الجبروت ، وهم القائلون[٦] ((من أشدُّ منا قوة))[٧] وذلك أن الله زادهم بسطة في الخلق كما قال لهم رسولهم عليه السلام ((وزادكم في الخلق بسطة))[٨] .

ثم أخذ في تعداد نعم الله عليهم الموجبة لطاعته واتباع رسوله ، فعدّ من نعم الله عليهم أربع نعم هي من أمهات النعم المقتضية لشكره تعالى يعلمونها

---

(١) ويشهد لهذا عدة أحاديث أوردها ابن المنذر في الترغيب والترهيب ٣/١٧ - ٢٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٩/٩٥ ، والدر المنثور ٦/٣١٣ ، ومعالم التنزيل ٣/٣٩٣ .

(٣) في (ص) (وفسرنا ... وأنه لا يفعل) . وفي (م) (وفسرنا .. وأنه لا يفعله) فهناك كلمة ساقطة من كلا النسختين فاجتهدت في تقديرها من تفسير ابن جرير ١٩/٩٥ ، والبغوي ٣/٣٩٣ ، والزمخشري ٣/١٢١ ، والرازي ٢٤/١٥٧، والدر المنثور ٦/٣١٣ .

(٤) في (ص) (الى من يرجو) .

(٥) هود ٥٩ .

(٦) في (ص) (وهم القايل) .

(٧) فصلت ١٥ .

(٨) الأعراف ٦٩ .

وقرئ بصطة وبسطه بالصاد وبالسين وكلاهما متواترتان . انظر الاتحاف ص ١٦٠-٢٢٦ .

ولا ينكرونها / أولها : ((أمدكم بأنعام)) ، أجمل هنا وبيّنها [الله][1] في ٢١٧ظ
الأنعام بقوله : ((ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين))[2] ، وقوله :
((ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين))[3] . ثم بين عز وجل ما فيها من المنافع لعباده
في النحل بقوله : ((والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم
فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم))[4] .

وقال : ((وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما[5] في بطونه[6] من بين
فرث ودم لبنا خالصاً سائغا للشاربين))[7] .

وقال : ((ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا[8] ومتاعا الى حين))[9] .

وقال : ((وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ..))[10]
الآية .

فعد تعالى من منافعها ثمان منافع الـ الدفء ، والأكل ، والجمال ، وحمل
الأثقال ، والسقي مما في بطونها ، والأثاث ، والمتاع ، والبيوت .

---

(١) ناقص من (م) .

(٢) الانعام ١٤٣ .

(٣) الأنعام ١٤٤ .

(٤) النحل ٥ ـ ٧ .

(٥و٦) في (م) ((نسقيكم ما في بطونها)) ، وفي (ص) ((نسقيكم مما في
بطونها)) ، ولم أجدها في القراءات العشر فلعله خطأ من الناسخ .

(٧) النحل ٦٦ .

(٨) في (ص) (أثاثا لكم) بزيادة لكم وهي ليست من الآية .

(٩) النحل ٨٠ .

(١٠) النحل ٨٠ . والآية هي قوله تعالى : ((والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل
لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها
وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين)) .

والثالثة والرابعة قوله : ((وجنات وعيون (١٣٤))) .. وكل واحدة فيها من النعم ما لا يحصره قلم ، وقد عدّ في الأعراف[١] من النعم جعلهم خلفاء من/ بعد ١٧/ب قوم نوح ، وأن الله زادهم في الخلق بسطة ، وأمر بذكر آلاء الله لعلهم يفلحون .

وقوله : بسطه . أخرج ابن عساكر[٢] عن وهب قال : (كان طول الرجل من عاد ستين ذراعا بذراعهم ، وكانت هامة الرجل مثل القبة العظيمة)) .[٣]

وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس قال : (كان الرجل في خلقه ثمانين باعا وكانت البرة فيهم ككلية البقرة والرمانة الواحدة يقعد في قحفها[٤] عشرة نفر)[٥] .

((إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥))) .. هو كما قال نوح لقومه[٦] . والمراد به عذاب الاستئصال في الدنيا[٧] كما يدل له السياق .

---

(١) الأعراف ٦٩ .

(٢)

(٣) الدر المنثور ٤٨٥/٣ .

(٤) أراد بقحفها قشرها تشبيها بقحف الرأس ، وهو الذي فوق الدماغ . لسان العرب ٢٧٥/٩ .

(٥) نوادر الأصول ص ٣٢ ، والدر المنثور ٤٨٥/٣ ، والذي فيهما : يقعد في قشرها عشرة نفر . والصواب في صفة خلق آدم وذريته ما أخرجه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا ... الى قوله : فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٢/٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء .

(٦) وذلك في سورة الأعراف ٥٩ .

(٧) تخصيص المؤلف العذاب بأنه عذاب الاستئصال فيه نظر . اذ اللفظ عام يشمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، بل ان تحذير الانبياء قومهم من عذاب الاخرة كان أكثر وأشد ، ومما يرجح أن المراد به عذاب الآخرة أنه هو اليوم المتبادر

((قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (١٣٦))) .. حكى الله عنهم في هود أنهم قالوا له : ((ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين))[١] .

فأجابوا بثلاثة أجوبة ، وهنا بثلاثة أجوبة غيرها :

الأول : أن وعظه وعدمه سواء في أنه لا يؤثر[٢] فيهم .

الثاني قوله ((إن هذا إلا خلق الأولين (١٣٧))) .. بضم الخاء[٣] . أي وما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ، ونحن بهم مقتدون . أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر . أو ما هذا الدين الذي جئت به من الكذب الا عادة الأولين كانوا يلقون مثله ويسطرونه .[٤]

((وما نحن بمعذبين (١٣٨))) .. ردا[٥] لقوله : ((إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)) .

واعلم أنه سبحانه ذكر القصة في الأحقاف حيث قال : ((واذكر أخا عاد إذ

== عند التحذير في أغلب آيات القرآن ، ثم ان عذاب الاستئصال الذي حل بعاد لم يكن في يوم واحد ، بل كان في سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، كما ذكره الله في سورة الحاقة ٦ ـ ٧ .

(١) هود ٥٣ .

(٢) في (م) (لا يورث فيهم) .

(٣) حيث فيها قراءتان متواترتان : الأولى (خَلْق) بفتح الخاء وسكون اللام . أي كذب الأولين .
والقراءة الثانية : هي ما ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى . الاتحاف ص ٣٣٣ .

(٤) الكشاف ١٢٢/٣ .

(٥) في (ص) (رد) بدون تنوين .

أنذر قومه بالأحقاف ..... (١) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يـــــوم عظيم)) الآيات (٢) .

والأحقاف الرمل ما بين عُمان الى حضرموت باليمن كما روي عن ابن اسحاق (٣) وغيره .

(([فكذّبوه] (٤) / فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٣٩) ١٨/أ
وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠))) ..

لم يذكر بماذا كان اهلاكهم ، كما ذكره هنا في قصة موسى عليه السلام ونـوح بأنه كان بالاغراق ، كما أنه لم يذكره في سورة هود . بل قال : (و (٥) لمّا جـــاء أمرنا نجّينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم ..)) الآية (٥) .

ومثله في الأعراف أجمله بقوله : ((وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا)) (٦) .
نعم بينه في آيات أخر ، ففي السجدة : ((صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) (٧)
وفي الذاريات بقوله : ((وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)) (٨) . وفي اقتربت

---

(١) هناك نقص في كتابة الآية . إذ نص الآية : ((واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلا الله إنـــي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)) .
(٢) الأحقاف ٢١ ـ ٢٦ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٣/٢٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢٠/١ ، ومعجم البلدان ١١٥/١
(٤) ناقص من كلا النسختين .
(٥) في النسختين بالفاء (فلما) والصواب ما أثبته ، وتكملة الآية ((ونجيناهـم من عذاب غليظ)) ٥٨ هود .
(٦) الأعراف ٧٢ .
(٧) فصلت ١٣ ((فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) .
(٨) الذاريات ٤١ .

الساعة ((إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا))[1] . [وفي الحاقة : ((وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر][2] عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما))[3] .

فعيّن ما أهلكهم به من الريح التي وصفها[4] بالصرصر ، والعقم ، والعتو ، وكأنّ الحكمة في ذلك أنهم لما قالوا : ((من أشد منا قوة))[5] أراهم الله اهلاكهم بما لا يرونه ، ولا بالرماح يطعنونه ولا بالسيوف يقطعونه ولا بالسهام يرمونه ، فسبحان من لا يغالب ولا يكاد ولا يحارب .

((كذّبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (١٤٢) إني لكم رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله وأطيعون (١٤٤) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٤٥))) ...

ذكر تعالى قصة ثمود بعد قصة عاد ، وهم أول أمة كانت بعد عاد . ولذا قال لهم نبيهم صالح عليه السلام : ((واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد))[6] .

واطّرد في القرآن العظيم ذكرهم[7] بعدهم في أكثر من عشرة مواضع تفصيلا واجمالا إلا في سورتين : سورة ق[8] والحاقة[9] ، فقدم ثمود على عاد ، وثمود هم أصحاب

---

(١) القمر ١٩ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٣) الحاقة ٦ ـ ٧ .
(٤) في (م) (وضعها) .
(٥) فصلت ١٥ .
(٦) الأعراف ٧٤ .
(٧) أي ذكر ثمود بعد عاد .
(٨) ق ١٢ ـ ١٣ : ((كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط)) .
(٩) الحاقة ٤ ((كذبت ثمود وعاد بالقارعة)) .

الحجر الذين[١] قال تعالى فيهم : (([ولقد][٢] كذّب أصحاب [الحجر][٣] المرسلين))[٤] ، فنسب إليهم تكذيب جميع الرسل هنالك ، كما نسبه اليهم هنا ، وتقدم وجه ذلك[٥] .

وهم الذين قال تعالى فيهم : ((وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهوى))[٦] ، أي بيّنا لهم طريق الهدى فاختاروا الكفر[٧] ،

وهم الذين قال الله تعالى فيهم / ((فإذا هم فريقان يختصمون))[٨] . ١٨/ب

واستعجلوا بالسيئة قبل الحسنة[٩] ، أي بطلبهم العذاب ،

وهم الذين قالوا لصالح[١٠] : ((اطّيرنا بك وبمن معك))[١١] .

وهم الذين قالوا : ((لنبيّتنّه وأهله ...)) الآيات .[١٢]

((أتتركون فيما ها هنا آمنين (١٤٦))) . تقدم في سورة الحجر : ((وكانوا ينحتون[١٣] من الجبال بيوتا آمنين))[١٤] ، آمنين مكر الله وعقابه ، كما قال

---

(١) في (م) (الذي) .
(٢) ساقطة من كلا النسختين .
(٣) ساقطة من (م) .
(٤) الحجر ٨٠ .
(٥) ارجع اليه ص١١٤
(٦) فصلت ١٧ .
(٧) انظر معالم التنزيل ١١١/٤ .
(٨) النمل ٤٥ .
(٩) يشير الى قوله تعالى ((قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة)) النمل ٤٦ .
(١٠) في النسختين (لهود) والصواب ما أثبته وقد صحح ذلك على هامش ص
(١١) النمل ٤٧ .
(١٢) النمل ٤٨ ـ ٥٠ .
(١٣) في النسختين (وتنحتون من الجبال) والصواب ما أثبته .
(١٤) الحجر ٨٢ .

تعالى في حقهم : ((ومكروا مكرا ومكرنا مكراً [وهم لا يشعرون][1] ،)) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين))[2].

((في جنات وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨))) .. الهضيم اذا بلغ في عذوقه فعظم فذلك الهضيم[3].

وعن الحسن [ليس][4] فيه نوى ، وفيه أقوال[5].

((وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين[6] (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (١٥٢))) .

في الأعراف[7] : ((وتنحتون الجبال بيوتا)) .

وفي الفجر : ((الذين جابوا الصخر بالواد))[8].

وقوله ((فرهين)) : قال ابن عباس[9] : حاذقين ، أي حاذقين بنحتها .

وعن ابن عباس قال [أشرين][10] .

---

(١) ناقصه من النسختين .
(٢) النمل ٥٠ ـ ٥١ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٩٩/١٩ ، والدر المنثور ٣١٥/٦ .
(٤) ساقطة من النسختين وأثبتها من الدر المنثور ٣١٥/٦ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٩/١٩ ، ومعالم التنزيل ٣٩٥/٣ ، والدر المنثور ٣١٤/٦ ← ٣١٥ .
(٦) فيها قراءتان متواترتان : فرهين ، وفارهين بالألف . الاتحاف ص ٣٣٣ .
(٧) الأعراف ٧٤ .
(٨) الفجر ٩ .
(٩) انظر : تفسير الطبري ١٠٠/١٩ ، والدر المنثور ٣١٥/٦ .
(١٠) ساقطة من النسختين ، وأثبتها من تفسير الطبري ١٠١/١٩ ، ومن الدر المنثور ٣١٥/٦ .

وعن مجاهد : شرهين [١] .. كله منسوب الى من أخرجه في الدر المنثور . [٢]

((قالوا إنما أنت من المسحرين (١٥٣))) .. أي من الذين سُحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم [٣] ((ما أنت الا بشر مثلنا) ، هو كما يقوله إخوانهم من المكذبين بالرسل ، وكما قالوه [٤] : ((أبشر منا واحدا نتبعه)) [٥] .

((فأت بآية إن كنت من الصادقين (١٥٤) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا نادمين (١٥٧) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٥٩))) .

طلبوا من صالح عليه السلام الإتيان بآية فأتاهم بما كان فيه هلاكهم ، كما قال الله تعالى : ((إنا مرسلوا [٦] الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر)) [٧] فعقروها ((وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ..)) الآية [٨] ((فأخذتهم / الرجفة)) [٨] . ١٩/أ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٠١/١٩ ، والدر المنثور ٣١٥/٦ ، ولا تناقض بين هذه الأقوال . فمن قراء (فارهين) فيكون معناها حاذقين بنحتها .
ومن قراء (فرهين) بدون الف ، فمعناها أشرين بطرين ، كما ذكر ذلك الطبري ١٠١/١٩ ، وما نقل السيوطي في معناها من الأقوال ، فانه لا يخرج عن هذين المعنيين .

(٢) الدر المنثور ٣١٥/٦ ـ ٣١٦ .

(٣) انظر الكشاف ١٢٣/٣ .

(٤) الضمير يرجع على قوم صالح عليه السلام .

(٥) القمر ٢٤ .

(٦) في (م) (انا مرسل) بالافراد .

(٧) القمر ٢٧ .

(٨) قال تعالى : ((فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)) ٧٧ ـ٧٨ الأعراف .

وقوله : ((ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون (١٥٢))) ..

أراد[١] به الذين استكبروا من قومه القائلين للمستضعفين : ((أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه))[٢] وهم القائلون[٣] : ((إنا بالذي آمنتم به كافرون))[٤] ، وهم التسعة الرهط الذين قال الله تعالى فيهم : ((وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون))[٥] .

وإنما نحتوا الجبال بيوتا لأنها هلكت عاد عمرت ثمود بلادها[٦] وخلفوهم في الأرض وكثروا[٧] وعمّروا أعمارا طوالا حتى إنّ الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته ، فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش ، فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان ، فأرسل الله إليهم صالحا وكانوا

---

(١) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله تعالى أخر تفسير هذه الآية عن موضعها .

(٢) الأعراف ٧٥ .

(٣) في النسختين (وهم القائلون : ((انا بما أرسل به كافرون))) وهذا معنى الآية لا نصها ، اذ نصها أثبته .

(٤) الأعراف ٧٦ .

(٥) النمل ٤٨ .

(٦) في قوله هذا نظر ، حيث أن مساكن ثمود على طريق المسافر من المدينة الى الشام ، وقد مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة تبوك كما جاء ذلك في صحيح البخاري ٣٧٨/٦ ، بينما نجد المؤلف رحمه الله تعالى قد ذكر في ص١٢٩ أن الأحقاف الرمل ما بين عمان الى حضرموت ، وقد قال بهذا القول أيضا ابن كثير في تاريخه ١٢٠/١ .
فعلى هذا القول كانت كل أمة في محل غير التي قبلها ، وان كنا نجزم بأن قوم صالح كانوا بعد هلاك قوم هود كما قال تعالى : ((واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ...)) ٧٤ الأعراف . فخلفوهم في جنس الأرض لا في نفس المكان .
وأما اذا أرجعنا الضمير في قوله (بلادها) الى ثمود فلا اشكال حينئذ . والله أعلم .

(٧) في النسختين (وكثر) بالإفراد . والصواب بالجمع كما هو في معالم التنزيل ١٧٥/٢ ، والكشاف ٧٠/٢ .

قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا ، فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل[١] منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال : أية[٢] آية تريدون ؟ فقالوا : تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم في السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا ، فان استجيب لك اتبعناك ، وان استجيب لنا اتبعتنا . فقال صالح نعم . فخرج معهم فسألوا أوثانهم وسألوها[٣] الاستجابة ، فلم تجبهم ، فقال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة[٤] . فقال : أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء[٥] - والمخترجة التي شاكلت البخت[٦] - فان فعلت صدقناك ، فأخذ صالح عليه السلام المواثيق لئن فعلت لتؤمنن بي ولتصدقني / قالوا : نعم ، فصلى ودعا ربه ، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج[٧] بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم [ما بين جنبيها عظما][٨] الا الله ، وعظماؤهم ينظرون ، ثم نتجت ولدا مثلها في العظم ، فآمن به جندع ورهط من قومه ، ومنع بقاياهم ناس من رؤسائهم أن يؤمنوا ، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا[٩] ، فاذا كان يومها وضعت

١٩/ب

---

(١) في (م) (الا القليل) .
(٢) في معالم التنزيل ١٧٥/٢ أي آية .
(٣) في معالم التنزيل : فدعوا أوثانهم وسألوها ألاّ يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به .
(٤) في تفسير ابن كثير ٢٢٨/٢ ، الكاتبة بالمثناة الفوقية .
(٥) في معالم التنزيل جوفاء وبراء وعشراء .
(٦) ناقة مخترجة إذا خرجت على خلقة الجمل .
الصحاح ٣٠٩/١ خرج .
(٧) النتوج : الحامل من الدواب . لسان العرب ٣٧٤/٢ نتج .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وأكملته من معالم التنزيل ١٧٦/٢ .
(٩) قال الجوهري : الغب : أن ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما .
الصحاح ١٩٠/١ غبب .

رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تفحج[١] فيحلبون ما شاؤا[٢] حتى يملؤا أوانيهم فيشربون ويدّخرون ، وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيّفت بظهر الوادي ، فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطنه ، واذا وقع البرد شتّت بطن الوادي ، فتهرب مواشيهم الى ظهره ، فشق ذلك عليهم وزيّنت عقرها[٣] لهم امرأتان ، لما أضرت[٤] مواشيهم ، وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه ، فانطلق ولدها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثة أصوات ، وقال صالح عليه السلام أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب ، فلم يقدروا عليه وانفتحت[٥] الصخرة بعد رغائه ، فقال لهم صالح عليه السلام : تصبحون غدا ووجوهكم مصفرّة وبعد غد ووجوهكم محمّرة ، والثالث ووجوهكم مسوّدة ، ثم يصبحكم العذاب ، فلما جاءهم العذاب طلبوه ليقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ، ولما كان اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأطباع فأتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم / . أ/هـ .[٦] ٢٠/أ

فقوله تعالى في الذاريات[٧] : ((وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)) ، هي الثلاثة الأيام التي قال لهم صالح عليه السلام : ((تمتعوا في داركم ثلاثة

---

(١) قال الجوهري : أفحج الرجل حلوبته ، إذا فرج ما بين رجليها ليحلبها .
الصحاح ٣٣٣/١ فحج .
(٢) في النسختين (ماشا) والصواب ماشاؤا كما في معالم التنزيل ١٧٦/٢ .
(٣) في النسختين (عقر لها لهم) .
(٤) في النسختين (كالما اضرت) .
وفي معالم التنزيل ١٧٦/٢ (لما اضرت بهما من مواشيهما) .
وفي الكشاف ٧١/٢ (لما أضرت به من مواشيهما) .
(٥) هكذا في النسختين . وفي معالم التنزيل (انفجرت .
وفي الكشاف (انفجت) .
(٦) الكشاف ٧٠/٢ ـ ٧١ ، وانظر معالم التنزيل ١٧٥/٢ ـ ١٧٨ .
(٧) الذاريات ٤٣ .

أيام ذلك وعد غير مكذوب))[١] ، وقوله في الذاريات[٢] : ((فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)) .

هو الذي في قوله في الحجر[٣] : ((فأخذتهم الصيحة مصبحين)) أي داخلين في الصباح[٤] .

وفي هود[٥] : ((وأخذ الذين ظلموا الصيحة)) .

وفي السجدة[٦] : ((أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) .

وفي الأعراف[٧] : ((فأخذتهم الرجفة)) .

وفي الحاقة[٨] : ((فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)).

وفي القمر[٩] : ((إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)) .

والذي أخذوا[١٠] بالصيحة لكنه عبّر عنها بالرجفة لأنها ارتجفت بها ديارهم وبالصاعقة لأنهم صعقوا منها ، وبالطاغية لأنها طغت عليهم فأهلكتهم[١١] .

---

(١) هود ٦٥ .
(٢) الذاريات ٤٤ .
(٣) في النسختين (في الحج) والآية رقم ٨٣ من سورة الحجر وليست في سورة الحج .
(٤) انظر : معالم التنزيل ٥٦/٣ ، وفي تفسير ابن كثير ٥٥٦/٢ ، أي وقت الصباح من اليوم الرابع .
(٥) هود ٦٧ .
(٦) فصلت ١٣ ونصها : ((فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) .
(٧) الأعراف ٧٨ . ونصها : ((فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)) .
(٨) الحاقة ٥ . وفي كلا النسختين (وأما ثمود) بالواو ، والصواب بالفاء كما أثبته .
(٩) القمر ٣١ .
(١٠) هكذا في النسختين وصوابه والذي أخذوا به الصيحة .
(١١) انظر : معالم التنزيل ٣٨٦/٤ .

وقيل : يحتمل أنه أريد بالطاغية قبائح أعمالهم أي بسبب أعمالهم الطاغية[١] التي طغوا فيها ، ثم انه تعالى ذكر قصة قوم لوط خامسة[٢] ما قصه في هذه السورة الكريمة ، كما أنه ذكرها خامسة[٣] القضايا في سورة الأعراف ، كما أنه ذكرها رابعة في سورة القمر ، وثانية[٤] في هود ، فان ذكر إبراهيم فيها ليس ذكرا لقصته ، بل للبشرى له والإخبار بأنهم - أي الملائكة - أرسلوا لاهلاك قوم لوط ، وقد ذكرها الله تعالى في أربعة عشر موضعا من كتابه ،

تارة إجمالا ، وتارة تفصيلا[٥] . وقد صدّر خطابه هنا بما خاطب به كل نبي من الأنبياء عليهم السلام المذكورين قبله ، فلا نعيد الكلام فيه .

((أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥))) .

وفي الأعراف[٦] : ((أتأتون الفاحشة ما سبقكم / بها من أحد من العالمين)) . ٩٠/ب

ومثلها : ((إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون))[٦] .

وهنا ((عادون)) .. وفي النمل[٧] :((بل أنتم قوم تجهلون)) .

والأوصاف كلها صادقة في حقهم فانهم مسرفون ، اذ لم يكتفوا بما خلق لهم

---

(١) انظر معالم التنزيل ٣٨٦/٤ .

(٢) بل سادسة قصة في الشعراء .

(٣) بل رابعة قصة في الأعراف .

(٤) بل هي رابعة قصة في هود .

(٥) وذلك في السور التالية : (١) الأنعام ٨٦ ، (٢) الأعراف ٨٠ - ٨٤ ، (٣) التوبة ٧٠ ، (٤) هود ٧٧ - ٨٣ ، (٥) الحجر ٥٧ - ٧٧ ، (٦) الأنبياء ٤٧-٥٧ (٧) الحج ٤٣ - ٤٣ ، (٨) الشعراء ١٦٠ - ١٧٥ ، (٩) النمل ٥٤ - ٥٨ ، (١٠) العنكبوت ٢٦ - ٣٥ ، (١١) الصافات ١٣٣ - ١٣٨ ، (١٢) سورة ص ١٣ (١٣) ق ١٣ - ١٤ (١٤) النجم ٥٣ ، (١٥) القمر ٣٣ - ٣٩ ، (١٦) الحاقة ٩ .

(٦) الأعراف ٨٠ - ٨١.

(٧) النمل ٥٥ .

[من أزواج][1] وعادون الحلال الى الحرام ، ويجهلون عاقبة فعلهم .

وقوله : ((أتأتون[2] الفاحشة وأنتم تبصرون))[3] ، كان يأتون[4] بعضهم بعضا وهم ينظرونهم وهو المنكر الذي قال الله ((وتأتون في ناديكم المنكر))[5] والنادي مجمع الناس .

((وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين (١٦٧))) .. أي عن قريتنا .

كما قالوا : ((أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون))[6] .. أي يتنزهون عن اتيان أدبار الذكور ، وهو صريح في أنهم كانوا يعلمون قبح ما يأتونه ولذا لم ينكروا ويقولوا ليست بفاحشة ، بل أقروه على ذلك ، وأرادوا إخراجهم من بينهم . ويحتمل أن قولهم ((يتطهرون)) من باب الاهتزاء[7] والسخرية

ويروى عن ابن عباس[8] . وقد حكى تعالى عن الكافرين كلهم أنهم قالوا لرسلهم ذلك ((وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا))[9] ،

---

(١) ساقطة من (م) .
(٢) في النسختين (وتأتون الفاحشة) بالواو والصواب ما أثبته .
(٣) النمل ٥٤ .
(٤) هكذا في النسختين ولعل الصواب (كان يأتي) بالافراد .
(٥) العنكبوت ٢٩ .
(٦) النمل ٥٦ .
(٧) هكذا في النسختين وصوابه الاستهزاء .
(٨) أخرجه ابن جرير ١/٢٠ عن مجاهد ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٩٦/٣ عن مجاهد أيضا .
(٩) ابراهيم ١٣ .

[وقال في قوم شعيب : ((قال الملأ [الذين استكبروا][1] من قومك لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودونّ في ملتنا))[2]][3] ، وهذا أحد أجوبة قومه[4] عليه ، وفي غيره قالوا : ((فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين))[5] ((قال رب انصرني على القوم المفسدين))[6] .

((قال إني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩)) ... أي من عقوبة عملهم لا من نفس / عملهم ، فانه معلوم في نجاته منه هو وأهله ٢١/أ كما يرشد إليه تقدير المضاف .. ((فنجّيناه وأهله أجمعين (١٧٠))) ∴ أي نجيناه من العقوبة التي أصابت قومه ، وعين الله زمن نجاته بقوله : ((فأسر بأهلك بقطع من الليل))[7] ، وأن نجاته باخراجه من بينهم كان في الليل جملة ، وبين الوقت من الليل بقوله : ((إلا آل لوط نجّيناهم بسحر))[8] ، كما عين وقت عذاب قومه بقوله : ((أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين))[9] ، وبقوله : ((إن موعدهم

(١و٣) من قوله : وقال في قوم شعيب .. الى قوله : أو لتعودن في ملتنا . ساقط من (م) ، وسقط من (ص) قوله : (الذين استكبروا) .

(٢) الأعراف ٨٨ .

(٤) في (ص) (قوم عليه) باسقاط العائد .

(٥) الأعراف ٧٠ ، وهود ٣٢ ، والأحقاف ٢٢ .
ولعل المؤلف رحمه الله تعالى أراد آية العنكبوت وهي قوله تعالى : ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)) ٢٩ اذ أنها هي ما حكاه الله تعالى عن قوم لوط ، ويؤيد هذا أنه ذكر بعدها الآية التي تليها من سورة العنكبوت .
وأما الآية التي استشهد بها فقد حكاها الله تعالى عن قوم هود ونوح .

(٦) العنكبوت ٣٠ .

(٧) هود ٨١ ، والحجر ٦٥ .

(٨) القمر ٣٤ .

(٩) الحجر ٦٦ .

((إنا أرسلنا عليهم حاصبا))[١] أي ريحا تحصبهم بالحجارة[٢] المسوّمة[٣]. وذكر تعالى الى أي مكان كانت النجاة في قوله : ((ونجّيناه)) أي إبراهيم ((ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين))[٤]، وهي أرض الشام[٥] نزل ابراهيم / ٢١/ب بفلسطين ونزل لوط بمحل آخر من الشام[٦]، وكان لوط ابن أخت ابراهيم[٧]، وكان في عصره . ولذا قال تعالى : ((فآمن له لوط)) الآية .[٨]

((إلا عجوزا في الغابرين (١٧١))) .. هي امرأته المرادة في قوله تعالى : ((فأسر بأهلك بقطع من الليل)) .. الى قوله : ((إلا امرأتك إنه[٩] مصيبها ما أصابهم))[٩]، وهي المراده بقوله : ((ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط))[١٠].

قيل : كانت راضية بفعل القوم ومعينة عليه ومحرشة[١١]، والراضي بالمعصية كالعاصي ، والمراد بالغابرين الباقين في عذاب الله .[١٢]

---

(١) القمر ٣٤ .
(٢) الكشاف ٤٧/٤ .
(٣) في (م) (المسمومة) .
(٤) الأنبياء ٧١ .
(٥) انظر : تفسير ابن جرير ٤٦/١٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤٩/١ ، ١٧٦ .
(٦) وهي قرية سدوم كما في البداية والنهاية ١٧٦/١ . وهذا ما سيصرح به المؤلف في سورة العنكبوت ص٤٦٩
(٧) الكشاف ١٨٩/٣ . والصواب أن لوطا ابن أخي ابراهيم عليهما السلام كما ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٤٦٥/٣ ، وابن كثير في البداية والنهاية ١٧٦/١ ، وهو ما صرح به المؤلف عند تفسيره لسورة العنكبوت ص ٤٦٩ .
(٨) العنكبوت ٢٦ .
(٩) هود ٨١ ، وفي النسختين (فانه مصيبها) والصواب بحذف الفاء كما أثبته .
(١٠) التحريم ١٠ . وفي النسختين (وضرب) بالواو والصواب بحذفها كما أثبته .
(١١) وقد أورد ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ بعض ما حصل منها عند مجيء الملائكة الى لوط عليه السلام ، وذلك في تفسيره ٩٠/١٢ .
(١٢) تفسير ابن جرير ٢٣٦/٨ ، والبغوي ١٨٠/٢ .

قوله : ((ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (١٧٣) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٧٥))) ...

هو الذي أراده بقوله : ((وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل))[١] ، والذي قال فيه : ((ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء))[٢] ، وهي القرية التي قال الله تعالى فيها : ((ونجيّناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين))[٣] .

فالمطر مطر سوء[٤] ، والقوم قوم سوء ، سماهم الله تعالى فاسقين وسمّتهم[٥] الملائكة[٦] في آيتين ((فقالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين # لنرسل عليهم حجارة من طين))[٧] ، وقالوا للخليل عليه السلام لا تخف ((إنا أرسلنا الى قوم مجرمين))[٨] وسموهم مسرفين في قولهم : ((مسومة عند ربك للمسرفين))[٩] .

كما سمّاهم لوط مسرفين[١٠] . ولوط وأهله المراد في قول الملائكة : ((فما

---

(١) الحجر ٧٤ . وفي النسختين (فأمطرنا) والصواب بالواو كما أثبته .
(٢) الفرقان ٤٠ .
(٣) الأنبياء ٧٤ .
(٤) في (م) (مطر السوء) .
(٥) في النسختين (سمته) بالافراد ، والصواب بالجمع (سمتهم) لأنه يعود الى قوم لوط عليه السلام .
(٦) لم يذكر المفعول الثاني لسمى وتقديره وسمتهم الملائكة مجرمين .
(٧) الذاريات ٣٢ ـ ٣٣ .
(٨) الحجر ٥٨ .
(٩) الذاريات ٣٤ .
(١٠) يشير المؤلف رحمه الله تعالى الى قول لوط عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في سورة الأعراف ٨١ .

وجدنا فيها غير بيت من المسلمين))[١] . واعلم أن وظائف[٢] المنكر ثلاث[٣] :

الأولى : تغييره باليد كقتال الكفار انكارا لكفرهم .[٤]

والثانيه : تغييره باللسان كالوعظ والتخويف والاعلام بأنه منكر . / أ/٢٢

والثالثة : كراهته بالقلب وبغضه .

كما أفاد ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه)[٥] .

ونبي الله لوط لم يستطع التغيير بيده كما يدل له قوله : ((لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد))[٦] ، واستطاعه بلسانه فأبلغ غاية الإبلاغ ، ولما توعدوه بالاخراج[٧] في الثالثة من وظائف[٣] الإنكار وهو بغضه لما هم عليه .

---

(١) الذاريات ٣٦ .

(٢) في (م) واعلم أن في ضاف.وهذا مما يشير الى أن النسخة (م) مستمدة من نسخة (ص) ، أو من نسخة مماثلة لها ، حيث أن رسم هذه العبارة في (ص) هكذا : واعلم أن وظايف فمد الناسخ الميم من اعلم حتى قرب الواو من وظائف ، فظن ناسخ (ميم) أنها حرف (في) فرسمها كما ظن .

(٣) هكذا في النسختين والأولى أن يقول مراتب بدلا من وظائف .

(٤) في (م) (انكارا لكفر) باسقاط الضمير .

(٥) اخرجه مسلم في كتاب الايمان ٦٩/١ .

(٦) هود ٨٠ .

(٧) هكذا في النسختين والكلام لا يستقيم الا بتقدير كلمة (استمر) ليصح السياق هكذا : (ولما توعدوه بالاخراج استمر في الثالثة) .

(٣) تقدم [illegible] (مراتب الإنكار) .

واعلم أن هذه الوظيفة الثالثة ملازمة للأولتين ، وإنما الاقتصار عليها هو آخر الثلاث *.

ثم ذكر تعالى قصة شعيب عليه السلام مع قومه عقب قصة قوم لوط ـ وهكذا ذكرها عقبها في الأعراف وهود[١] ـ فقال : ((كذّب أصحاب الأيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩) وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين (١٨٠) أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين (١٨١))) ...

يقال الأيكة فيما عدا سورتي ـ ص ـ و ق[٢] ـ وفيهما ((ليكة)) وكانوا أصحاب [غيضة][٣] من ساحل البحر إلى مدين[٤] قوله : ((إذ قال لهم شعيب)) ، وفي الأعراف : ((وإلى مدين أخاهم شعيبا))[٥] ، وهنا لم يقل أخاهم .

* لم يقتصر لوط ولا غيره من الأنبياء على كراهة المنكر فحسب بل استمروا في محاربته حتى أتاهم نصر الله.

(١) في الأعراف من الآية ٨٥ ـ ٩٣ . وفي هود من الآية ٨٤ ـ ٩٥ .

(٢) قلت : والصواب فيما عدا سورتي ص والشعراء ، حيث أن نافعا وابن كثير وابن عامر وأبا جعفر قرؤا فيهما (ليكة) بلام مفتوحة بدون ألف الوصل قبلها ولا همز بعدها وبفتح تاء التأنيث غير منصرفة للعلمية والتأنيث كطلحة .
وأما في سورتي الحجر و ق فقد أجمعوا على (الأيكة) بألف الوصل والهمز كما ذكر ذلك ابن الجزري في النشر ٣٣٦/٢ ، والبنّاء في اتحاف فضلاء البشر ٣٣٣ ، والقاضي في البدور الزاهرة ٣٠٢/٢ .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وهي من الدر المنثور ٣١٨/٦ .
والغيضة : الشجر الملتف ، كما ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره ٤٨/١٤ ، والبغوي ٣٩٧/٣ ، والزمخشري ١٢٥/٣ .

(٤) وَمَدْيَن : بفتح الأول والثالث وتسكين الثاني قرية جهة بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب .
انظر : معجم البلدان ٧٧/٥ .

(٥) الأعراف ٨٥ ، وفي (م) (أخاهم شعيب) بالرفع .

قال ابن عباس : " لأنه لم يكن من جنسهم ولا كانوا من قومه [(١)] وخاطبهم بما خاطب به أصحاب مدين من ايفاء الكيل والوزن ، وزاد في خطابهم [(٢)] قوله : ((اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)) [(٣)] ، وهو الذي أفاده هنا قوله : ((ألا تتقون (١٧٧))) .

وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال : " أصحاب الأيكة أصحاب شجر ، وأصحاب الرس أهل آبار وهم قوم شعيب [(٤)] ، وافتتحها هنا بما افتتح به ما سبق من القصص

---

(١) هذا الأثر لم أجده عن ابن عباس ، وانما وجدت في تفسير ابن جرير أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى : ((كذب أصحاب الأيكة المرسلين)) قال : أهل مدين ، والأئكة الملتف من الشجر . أ/هـ .
فبهذا الأثر يتضح لنا أن أصحاب الأئكة هم أهل مدين كما ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره ١٠٧/١٩ ، وكما رجح ذلك ابن كثير في تفسيره ٣٤٥/٣ حيث قال منا معناه : وأصحاب الأئكة هم أهل مدين على الصحيح ، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وانما لم يقل هاهنا أخاهم شعيبا لأنهم نُسبوا إلى عبادة الأئكة فقطع نسب الأخوة بينهم لهذا المعنى .
وقال في تاريخه ١٨٩/١ : ومن زعم من المفسرين ـ كقتادة وغيره ـ أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقوله ضعيف .

(٢) ضمير الجمع يعود على مدين لدلالة آية الأعراف على ذلك . وهذا بالنسبة لتقسيم المؤلف ، ومن سبقه الى هذا القول ـ كالزمخشري والرازي والخازن والبيضاوي ـ وأما القول الراجح فان أصحاب الأئكة : هم أهل مدين ، وانما سموا بمدين نسبة الى أبيهم وسموا بأصحاب الائكة نسبة الى الشجرة التي كانوا يعبدونها .
انظر : تفسير ابن كثير ٢٣١/٢ و ٣٤٥/٣ .

(٣) الأعراف ٨٥ .

(٤) الدر المنثور ٣١٩/٦ ، وانظر تفسير ابن جرير ١٥٤/٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٥/٣ .
قلت : لو كان هذا الأثر صحيحا لما اختلف المفسرون في أصحاب الرس الى عدة أقوال نقلها عنهم السيوطي في الدر المنثور ٢٥٦/٦ ـ ٢٥٧ .

===

من أمره لقومه بالتقوى واخبارهم برسالته اليهم وأمانته ، وأنه لا يسألهم أجرا على البلاغ ، ثم ابتدأ خطابهم/ مفصلا لما تضمنه الأمر بالتقوى بقوله : ((أوفو الكيل)) ٢٢/ب فان ايفاءه من التقوى ، والكيل أنواع ثلاثة : ايفاء ، ونقص ، وزيادة[١] ، فأمرهم بالأول ، ونهاهم عن الثاني ، وسكت عن الثالث ، لأنه احسان ان فعلوه مدحبوا ، وان تركوه لم يذموا، والميزان كذلك .

وقوله : ((لا تكونوا من المخسرين (١٨١))) هو كقوله تعالى : ((وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون))[٢] .

أي ينقصون[٣] ، وقوله : ((ولا تنقصوا المكيال والميزان))[٤] تفسير للخسر يقال خسر الميزان والمكيال فأخسره[٥] . وقد توعد الله تعالى فاعل ذلك بأعظم

== ثم انه يرد عليه اعتراض وهو أن يقال : اما أن يكون شعيب عليه السلام بعث الى القريتين في زمنين مختلفين ، وهذا لا دليل عليه ـ الا هذا الأثر الضعيف ، أو يكون أصحاب الأيكة وأصحاب الرس اسمان لأمة واحدة ، وهذا مردود بآية ق ١٢ ـ ١٤ حيث عطف تعالى أصحاب الأئكة على أصحاب الرس والعطف يقتضي المغايرة ، فلم يبق أمامنا الا أن نقف عند ما أوقفنا الله عليه فنقول ان أصحاب الرس أمة من الأمم الماضية أرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأخذهم الله بذنوبهم ولم يأت في القرآن تفصيل قصتهم ولا اسم نبيهم ، وما ذكر فيهم من أقوال فانها عارية عن الدليل .
انظر : أضواء البيان ٣٢٥/٦ .

(١) الكشاف ١٢٥/٣ .
(٢) المطففين ٣ .
(٣) البغوي ٤٨٥/٤ ، والزمخشري ١٩٥/٤ .
(٤) هود ٨٤ . وفي النسختين ((ولا تنقصوا المكيال والميزان بالقسط)) فهذه الكلمة الأخيرة هي من الآية التي بعدها وهي قوله تعالى ((أوفوا المكيال والميزان بالقسط)) ٨٥ هود .
(٥) لعل تتمة الكلام فأخسره اذا نقصه .
ففي الصحاح ٦٤٥/٢ وخسرت الشيء وأخسرته : نقصته .

وعيد حيث قال : ((ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ..)) الآيات .[١]

وقوله : ((وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢))) .. الاستقامة في الميـــزان العدل فيه بايفائه[٢] أي زنوا بالميزان العدل ، فان القسطاس اسم للميزان ، وقد خص تعالى كل واحد من الكيل والوزن بآية فقال في الأول : ((ويل للمطففين ..))[٣] الآية ، فخص المكيال . وقال في الثاني : ((ووضع الميزان ، ألاّ تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسروا الميزان))[٤] .

كما جمعها شعيب عليه السلام هنا : ((ولا تبخسوا الناس أشياءهـــم)) تقدمت بلفظها في هود[٥] ، وتقدم صدرها في الأعراف[٦] وختمها[٧] بقولـــه : ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها))[٨] فبخس الناس أشياءهم هو نقصهم بما هو لهم عام لكل حق لهم في الأموال والأقوال والأفعال ، ويتضمن الأمر بايفائهم كل حق هو لهم يستحقونه ، والأقوال أشياء . قال تعالى : ((ولا تقولن لشيء إنّي فاعـــل ذلك غدا))[٩] فانها نزلت في عدته[١٠] لمن[١١] سأله بجواب سؤاله .

---

(١) المطففين ٤ . وكان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يشير الى أول السورة حيث أن الوعيد جاء في أولها .
(٢) في النسختين (بايفا) .
(٣) المطففين ١ .
(٤) الرحمن ٧ ـ ٩ .
(٥) هود ٨٥ .
(٦) يشعر كلامه هذا بأنه تناول تفسير كل ما سبق من السور .
(٧) الضمير في قوله (وختمها) يعود الى آية الأعراف ، حيث أن المؤلف ذكر بعد ذلك ختام آية الأعراف ، وأما ختام آية الشعراء فهو قوله تعالـــى : ((ولا تعثوا في الأرض مفسدين)) وسيذكرها المؤلف بعد قليل .
(٨) الأعراف ٨٥ .
(٩) الكهف ٢٣ .
(١٠) المراد بالعدة هنا الوعد ، فعبر بالمصدر بدلاً عن الاسم .
(١١) في (م) (لما سواله) .

وقال تعالى : ((والله على كل شيء قدير))[١] ، ومنه الأقوال ، وكـــــون الأفعال أشياء ظاهر[٢] لا ريب فيه / ومن بخس المذكورين الذين[٣] نهوا عنـــــه ٢٣/أ بخسهم رسل الله عليهم السلام في الجواب عن خطابهم له[٤] ، وجواباتهم عنه[٥] هذا شعيب يناصحهم بأحسن خطاب ويدعوهم الى نهج الصواب فيجيبون عليه : ((لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا))[٦] ، والكفار يقدحون من زند ضلالـــة واحد ، كما حكى الله ذلك عنهم أجمعين بقوله : ((وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكـــم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا))[٧] .

وأما بخس الأفعال فالآية أنزلت فيه أنزلت لبخسهم الكيل والوزن ، وكـــل الكفار باخسون لرسلهم ، وإنما خص قوم شعيب بهذا النكير عن هذه الصفة لأنهـــم اشتهروا ببخس الكيل والوزن وعطف نهيهم عن البخس بعد أمرهم بايفاء الكيـــل والوزن من عطف العام على الخاص[٨] .

ومن بخسهم في خطاب شعيب : ((يا شعيب ما نفقة كثيرا مما تقـول))[٩] فانه كذب وزور وبخس له في المقال فانهم يفقهون ما يقول فانه خاطبهم بلسانهـــم

---

(١) البقرة ٢٨٤ .
(٢) في (م) (ظاهرة) .
(٣) هكذا في النسختين ولعل الصواب (الذي) .
(٤و٥) هكذا في النسختين ولعل صوابها (خطابهم لهم وجواباتهم عنهم) .
(٦) الأعراف ٨٨ .
(٧) ابراهيم ١٣ .
(٨) انظر : تفسير أبي السعود ٢٦٢/٦ ،
قلت : فالخاص أمرهم بوفاء المكيال والميزان .
والعام : نهيهم عن البخس مطلقا .
(٩) هود ٩١ .

كما قال الله تعالى : ((وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه))[١] ، ولأنه بليغ في خطابه فصيح في مقاله يعرف ذلك من تأمل خطابه معهم .

ولذا يقال : ان شعيبا خطيب الأنبياء[٢] عليهم السلام ، ومن بخسهم له قولهم هنا : ((انما أنت من المسحرين (١٨٥))) الآية .

((ولا تعثوا في الأرض مفسدين (١٨٣))) .. بين بعض فسادهم في الأرض قوله في الأعراف[٣] ((ولا تقعدوا بكل صراط)) ، أي طريق ((توعدون)) تخيفون الناس بأخذ المكوس منهم ، ((وتصدون)) تصرفون الناس ((عن سبيل الله)) عن دينه ، ((من آمن به)) بتوعدكم إياه بالقتل والطرد ، ((وتبغونها)) أي طريق الحق ، ((عوجا)) أي تطلبون[٤] لها الاعوجاج لتنفروا عنها .

فهذا من أنواع عوثهم في الأرض بالفساد / ، ولذا قال في خاتمتها : ٢٣/ب
((وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين))[٥] أي من قبلكم الذين أفسدوا في الأرض بأنواع الفساد ، فان عاقبتهم كانت الإهلاك لهم والخزي في الدارين والعثو هو الإفساد ، فقوله مفسدين حال مؤكدة .

((واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين (١٨٤))) .. أي الخليقة أولين[٦] ،

---

(١) ابراهيم ٤ .
(٢) في تفسير ابن كثير ٤٥٧/٢ ، وقال الثوري : كان يقال له خطيب الأنبياء ، ثم أخرج ابن كثير في تاريخه ١٨٥/١ اثرا عزاه الى ابن اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر شعيبا قال : (ذاك خطيب الأنبياء) .
وأخرج مثله الحاكم في المستدرك ٥٦٨/٢ كتاب التأريخ ، وانظر الدر المنثور ٥٠١/٣ | ٥٠٤
(٣) الأعراف ٨٦ .
(٤) في (م) (تطلبو) باسقاط النون .
(٥) الأعراف ٨٦ .
(٦) هكذا في النسختين والصواب (الأولين) لأنها صفة للخليقة وهو معرفة .

ومنه قوله : ((ولقد أضل منكم جبلا كثيراً))[١] أي خلقا كثيرا .

((قالوا إنما أنت من المسحرين (١٨٥) وما أنت الا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (١٨٦))) ..

هو كما يقوله إخوانهم من الكفرة وقد أجابوه بأجوبة أخرى ، قالوا له : ((أصلواتك[٢] تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا))[٣] ، وقالوا له : ((لنخرجنك يا شعيب))[٤] الآية ، وقالوا : ((ما نفقة كثيراً مما تقول))[٥] ، ثم قالوا له : ((فأسقط علينا كسفا من السماء)) أي قطعة منها .

وقوله : ((إن كنت من الصادقين (١٨٧))) .. هو قول[٦] قوم هود بلفظه[٧] وأجابهم[٨] بقوله : ((قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب)) الى قوله : ((فانتظروا اني معكم من المنتظرين))[٩] ، وكقول [قوم][١٠] صالح :

---

(١) يس ٦٢ .

(٢) أ - قرأ الجمهور (أصلواتك) بالجمع .
ب - وقرأ حفص وحمزة والكسائي (أصلاتك) بالافراد . الاتحاف ص ٢٥٩ .

(٣) هود ٨٧ .

(٤) الأعراف ٨٨ .

(٥) هود ٩١ .

(٦) في (ص) (هو كقول قوم هود) بزيادة كاف التشبيه .

(٧) وقد حكاه الله عنهم في سورة الأعراف ٧٠ في قوله تعالى : ((قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين)) .

(٨) فاعل أجاب هو هود عليه السلام ، وضمير الجمع يعود على قوم هود كما هو واضح من الآيات التي ذكرها .

(٩) الأعراف ٧١ .

(١٠) ساقطة من كلا النسختين وهي مما يقتضيه السياق .

((إئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين))[١] ، فقد قال شعيب لقومه ((وياقوم[٢] اعملوا على مكانتكم إنّي عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنّي معكم رقيب))[٣] .. فالأنبياء عليهم السلام يقدحون من مشكاة نور النبوة ويتطابقون في الأجوبة على ضلال أمتهم .[٤]

((قال ربي أعلم بما تعملون (١٨٨)))[٥] هو نظير قول هود لما قال لقومه بمثل هذا ((إنّما العلم عند الله وأبلغكم وأرسلت به))[٦] .

((فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإنّ ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١))) .

في الأعراف : ((فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم[٧] جاثمين))[٧] .

وفي هود[٨] : ((وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)).

ويوضح ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر / عن محمد بن كعب ٢٤/أ القرظي قال (ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في

---

(١) الأعراف ٧٧ ، وفي النسختين (فاتنا) والصواب باسقاط الفاء كما أثبته .

(٢) في النسختين (فقد قال شعيب لقومه : ((وانتظروا إنّا منتظرون)) ولم أجد آية تحكي عن شعيب هذا النص ، فلذلك لم اثبتها وجعلت مكانها آية هود فهي قريبة المعنى مما يريده المؤلف رحمه الله .

(٣) هود ٩٣ .

(٤) هكذا في النسختين والصواب أممهم

(٥) هكذا في النسختين وصوابها لما قابله .

(٦) الأحقاف ٢٣ .

(٧) في (ص) (ديارهم) بالجمع ، والصواب بالافراد (دارهم) ، والآية في الاعراف ٩١ .

(٨) هود ٩٤ .

دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا أصابهم فزع كبير شديد ففرقوا[١] أن يدخلوا البيوت أن تسقط[١] عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد هلمّوا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا)[٢].

وهذه آخر القصص السبع التي قصها الله تعالى من أحوال من سبق من الأنبياء عليهم السلام وأممهم ، كما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ((وكذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق))[٣] ، وقال : ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك))[٤] .. وآيات في معنى ذلك كثيرة .

وإنّه - أي الكتاب المبين - الذي ذكر في أول السورة في قوله : ((تلك آيات الكتاب المبين)) فانه الذي سبق ذكره ، والآية كالرد على من قال : ((إن هذا الا إفك افتراه))[٥] ، وقولهم : ((أساطير الأولين))[٦] ، وقولهم :

---

(١) في (م) (عمرموا) وفيها أيضا (يسقط عليهم) بالتحتية .

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٣٤٦/٣ . والسيوطي في الدر المنثور ٣١٩/٦ .
وهذا الأثر مما يؤيد أنّ مدين وأصحاب الأئكة هم أمة واحدة كما هو قول ابن كثير ومن معه . وقد سبق ذكره في ص ١٤٦
بل ان استشهاد المؤلف بآية الأعراف وهود على تنويع عذاب أصحاب الائكة رجوع منه الى أنهم أمة واحدة ، اذ آية الأعراف وهود جاءتا لبيان ما حل بقوم مدين ، فكيف يفسر بها هلاك أصحاب الائكة؟! الا اذا سلّم بأنهما أمة واحدة .
ويدل على ذلك أيضا سياقه لهذا الأثر في بيان ما حل بأصحاب الأئكة .

(٣) طه ٩٩ .

(٤) هود ١٢٠ .

(٥) الفرقان ٤ .

(٦) الفرقان ٥ .
والنحل ٢٤ . وغيرهما آياتكثيرة .

((إنّما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي))[١] ، ونحو ذلك من الآيات الحاكية لتكذيبهم فهو رد عليهم ، وقد أتى فيه بان واللام[٢] وليس خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانه يعلم أنه تنزيل رب العالمين ولا للمؤمنين فانهم يعلمون ذلك ، فهو[٣] رد على المشركين ((الذين جعلوا القرآن عضين))[٤] .

((لتنزيل لرب العالمين (١٩٢))) .. وهو مثل قوله : ((تنزيل من حكيم حميد))[٥] ، وقوله : ((تنزيل العزيز الرحيم))[٦] ، فهو مصدر نزّل مشددا ، وهو مضاف إلى فاعله فإنه يقال هو نزّله وأمر بنزوله ((نزل به الروح الأمين (١٩٣)))) الروح الأمين هو جبريل عليه السلام ، نظير قوله : ((قل نزّله روح القدس من ربك / بالحق))[٧] ، وسماه الله بروح القدس ووصفه بالأمين كما قال تعالى : ٢٤/ب
((إنه[٨] لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش ...)) إلى قوله : ((ثم أمين))[٩] فهو أمين الله على وحيه والسفير الى أنبيائه ورسله ((على قلبك)) أي ألقى

---

(١) النحل ١٠٣ ، وتمامها ((وهذا لسان عربي مبين)) .
(٢) يريد قوله تعالى : ((وانه لتنزيل رب العالمين)) .
(٣) في (م) (فانه رد) .
(٤) الحجر ٩١ .
(٥) فصلت ٤٢ .
(٦) يس ٥ .
(٧) النحل ١٠٢ .
(٨) في النسختين بالواو (وانه) والصواب بحذفها .
(٩) التكوير ٢١ .

معاني ألفاظه على قلبك وألقى ألفاظه على لسانه[١] كما قال تعالى : ((لا تحرّك به لسانك لتعجل به))[٢] .

فإنه ثبت في صحيح البخاري ومسلم[٣] وجماعة من الأئمة غيرهما من حديث ابن عباس قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعالج من التنزيل شدّة كان يحرك به لسانه[٤] وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى : ((لا[٥] تحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه)) قال : يقول : إنّ علينا أن نجمعه في صدرك

ثم نقرأه ، فإذا قرأناه يقول : إذا أنزلناه ((فاتبع قرآنه)) فاستمع له وأنصت ، ((ثم إنّ علينا بيانه)) نبيّنه بلسانك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق ، وفي لفظ استمع ، فاذا ذهب قرأه كما وعده الله)) أهـ .

وبهذا تعرف أن القرآن ألفاظه من عند الله تعالى ، وهو كلامه وأنّ من

---

(١) ضمير الغيبة يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم كما تفسره آية القيامة وكما يوضحه الحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله تعالى .

(٢) القيامة ١٦ .

(٣) انظر : فتح الباري ٦٨٢/٨ ، كتاب التفسير باب (فإذا قرأنه فاتبع قرآنه) .
وصحيح مسلم كتاب الصلاة - باب الاستماع للقراءة ٣٣٠/١ ، وأورده المؤلف صدر الدر المنثور ٣٤٨/٨

(٤) في (م) (لسانك) .

(٥) في النسختين (ولا تحرك) بزيادة الواو .

قال من المتقدمين[١] وبعض المتأخرين[١] : إنّ كلام الله إنّما هو معاني القرآن ، وأما ألفاظه فانها عبارات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، واستدلوا بآية الشعراء هذه ، وهو استدلال باطل مخالف للأدلة ، ولإجماع الأمة[٢] .

قوله : ((لتكون من المنذرين (١٩٤))) .. هذا بيان وجه حكمة تنزيله وإنزاله ، وقد بيّن عز وجل وجوه حكمة إنزاله في مواضع مَن كتابه عديده كقوله : ((قل نزّله روح القدس من ربك [بالحق][٣] ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى / للمسلمين))[٤] ، وقوله : ((ليدّبروا[٥] آياته وليتذكر أولوا[٦] الألباب))[٦] ، ٢٥/أ وقوله : ((وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة))[٧] .

وتكرر في القرآن أنه أنزله هدى ورحمة [وقال : ((ونزلنا[٨] عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة][٩] وبشرى للمسلمين))[١٠] ، وقال :

---

(١) وهو قول ابن كلاب ومن وافقه من الاشاعرة كما ذكر ذلك شارع العقيدة الطحاوية ص ١٣٧ .

(٢) انظر ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في اثبات صفة الكلام لله عز وجل ورده على الفرق المبتدعة وذلك في كتابه إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ص ٢٣١ ـ ٢٦٦ .

(٣) قوله (بالحق) ساقطة من النسختين .

(٤) النحل ١٠٢ .

(٥) في النسختين (ليتدبروا) بدون ادغام والصواب بالادغام والتشديد كما أثبته .

(٦) سورة ص ٢٩ . وفي (م) (وليتذكر أولي الألباب) بالياء والصواب أنه فاعل مرفوع .

(٧) النحل ٦٤ . وتمام الآية ((لقوم يؤمنون)) .

(٨) في النسختين (وأنزلنا) .

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(١٠) النحل ٨٩ .

[((تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون))[١][٢] ،

ومثلها في صدر سورة السجدة .

وفي صدر سورة ابراهيم ((كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور))[٣] .

والحاصل أن الحِكم التي أنزل[٤] الله لها لا تنحصر فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة[٥]

وفي حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام عند الترمذي[٦] أنه قال :

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أما إنّها ستكون فتنة .

قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل[٧] ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر

---

(١) يس ٥ ـ ٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين ليس من النسختين ، فالذي في (ص) ((تنزيل العزيز الحليم لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)) . وفي (م) ((تنزيل العزيز الحكيم لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)) . فليس هناك آية بهذا اللفظ ، وإنما آيتي السجدة ويس هما قريبتان من هذا اللفظ ، وحيث أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أشار بعد ذلك الى آية السجدة بقوله : ومثلها في صدر سورة السجدة فلم يبق أمامنا الا أن نجزم أن المؤلف أراد آية يس فلهذا أثبتّها وحذفت ما سواها كي يستقيم السياق .

(٣) ابراهيم ١ .

(٤) هكذا في النسختين والصواب (أنزله الله) باثبات العائد .

(٥) جاء ذكر هذه الصفات الأربع في سورة يونس ٥٧ .

(٦) سنن الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن ١٧٢/٥ .

(٧) في النسختين (الفصيل) والصواب الفصل كما هو في سنن الترمذي .

الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم [تنته][1] الجن إذ سمعته [حتى قالوا ((إنّا سمعنا قرآنا عجبا))][2] يهدي إلى الرشد فآمنا به[3] من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم) أ. هـ .

وهنا اقتصر تعالى على ذكر أن يكون المنزل عليه من جملة المنذرين وخصّ الإنذار هنا وإلا فانه صلى الله عليه وسلم من المنذرين ومن المبشرين كما قال تعالى : ((بشيرا ونذيرا))[4]، لأن الإنذار سابق على التبشير لأنه ينذر ، فان قبلت النذارة حصلت البشارة . ولذا يقدّم تعالى صفة الوعيد على صفة الوعد نحو : ((إنّ ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم))[5] ، في مواضع ، وقد تأتي على خلاف هذا لنكتة بديعة يقتضيها السياق ، وكرر تعالى ذكر الإنذار في مواضع ، ((وقل[6] إنّي أنا النذير المبين))[7] ، ((هذا نذير من النذر الأولى))[8] .

وخاطبه في أول التعبد بقوله :/((قم فأنذر))[9] ، ((إنّما أنت نذير ٢٥/ب
والله على كل شيء وكيل))[10] ، ((وإن من أمة إلا خلا فيها نذير))[11] .. وغير ذلك.

---

(١) ساقطة من النسختين وأثبتها من سنن الترمذي .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . ٣- الجن ١-٢
(٣) البقرة ١١٩ ، وسبأ ٢٨ ، وفاطر ٢٤ .
(٤) الأنعام ١٦٥ .
(٥) في النسختين ((فان عصوك فقل اني انا النذير المبين)) ، والصواب ماأثبته ولعل الناسخ خلط بين آيتي الحجر والشعراء .
(٦) الحجر ٨٩ .
(٧) النجم ٥٦ .
(٨) المدثر ٢ .
(٩) في النسختين (والله على كل شيء قدير) والصواب (وكيل) كما هي آية هود ١٢ .
(١٠) فاطر ٢٤ .

فان خزنة النار يسألون أهلها عنه : ((كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير))[١] ، ((وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا))[٢] .

ثم هذه نذارة عامة (عامة)[٣] لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث الى الناس كافة ، وقوله : ((لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك))[٤] خاصة بقريش ، كما قال تعالى : ((وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير))[٥] .

إذ المراد ما خصّينا قريشا بالإرسال إليهم قبل ارسالك ، وإن كانوا مخاطبين بشرع إبراهيم[٦] ، لقوله تعالى :

---

(١) الملك ٨ .

(٢) الزمر ٧١ . وفي النسختين (قال لهم خزنتها) باسقاط الواو .

(٣) هكذا في النسختين ولعل إحدى اللفظتين زائدة .

(٤) السجدة ٣ ، والقصص ٤٦ .

(٥) سبأ ٤٤ .

(٦) ما ذكره المؤلف عن أهل الفترة بأنهم مخاطبون بشرع إبراهيم عليه السلام ذكره النووي في شرحه على مسلم ٧٩/٣ . ولكن هذا القول معارض بقوله تعالى : ((لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)) القصص ٤٦ ، والسجدة ٣ . وقوله في يس : ((لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون))٦ ونحوها من الآيات .
وفي هذه المسألة أقوال ومناقشات ليس هذا محلها بل نكتفي بقول جمهور الأئمة القائلين بأنّ أهل الفترة يمتحنون في عرصات القيامة بتار يأمرهم الله بدخولها ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها فقد عصى الله فيدخله فيها . فهذا القول هو الذي دلت عليه الأحاديث ، وبهذا القول تتفق الأدلة فيكون أهل الفترة معذورين ثم بعد الامتحان يصير أناس منهم الى الجنة واناس منهم الى النار ، ويحمل كل واحد من القولين على بعض منهم أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمصيرهم بعد الامتحان . أهـ بتصرف من دفع إيهام الاضطراب ص ١٥٣ - ١٦٠ . وانظر اضواء البيان ٤٧١/٣-٤٨٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٨/٣ - ٣١ ، وانظر رسالة موفق أحمد شكري بعنوان : أهل الفترة ومن في حكمهم ص ٧٠ - ٨٧ .

((وإن من أمة الا خلا فيها نذير))[١] فالخصوصية بالإرسال ليست إلا بارساله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم . ولذا قال تعالى : ((وأنذر عشيرتك الأقربين))[٢] أي خصّهم بالانذار على انفرادهم

كما خصيناهم[٣] بارسالك . ولذا قال تعالى : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم))[٤] ، ((ولقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم))[٥] وقال : ((أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون))[٦] .

وقال حكاية عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((فقد لبثت فيكم[٧] عمرا من قبله أفلا تعقلون[٧]))[٨] . وهذا خطاب لقريش لأنّ لبثه كان فيهم كما قال تعالى في نوح : ((فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما))[٩] .

فقريش خصوا بارساله صلى الله عليه وسلم ورسالته عامة الى الثقلين ، فهذا وجه الجمع[١٠] بين قوله : ((وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)) وقوله :

---

(١) فاطر ٢٤ .
(٢) الشعراء ٢١٤ .
(٣) هكذا في النسختين ولعل صوابها خصصناهم بفك الادغام عند اسناده الى الضمير .
(٤) التوبة ١٢٨ .
(٥) آل عمران ١٦٤ .
(٦) المؤمنون ٦٩ .
(٧) في النسختين (لقد لبثت فيهم عمرا من قبله أفلا يعقلون) باللام بدل الفاء والغيبة . بدل الخطاب .
(٨) يونس ١٦ .
(٩) العنكبوت ١٤
(١٠) هذا الوجه حسن في الجمع بين هذه الآيات ، ولكن يلزم منه القول بعموم رسالة إبراهيم عليه السلام ولم يقل به أحد بل الذي دلت عليه النصوص أنّ كل الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم - إنّما بعثوا في قومهم خاصة فقد ورد في صحيح البخاري ٤٣٦/١ (مع الفتح) قوله صلى الله عليه وسلم (... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) .

((وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)) ((ولتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك)) .

((بلسان عربي مبين (١٩٥))) .. قال تعالى : ((إنّا أنزلناه قرآنا عربيا))[١] وقال : ((إنّا جعلناه قرآنا / عربيا))[٢] ، ووصف القرآن بالعربي كثير في القرآن ، فقوله بلسان يتعلق بقوله ((نزل به)) أي نزل الروح الأمين بالقرآن حال كون القرآن بلسان عربي ، ومعلوم أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبلغه كما أنزل به بلسان عربي إنذارا وتبشيرا فهو منزل بلسان عربي والإنذار أيضا بها والتبليغ ((يا أيها الرسول بلّغ[٣] ما أنزل إليك من ربك))[٤] ، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبلّغ المنزّل بلفظه ويبيّن للناس معناه إن لم يكن بيّنا . ٢/٩٦أ

((وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦))) .. للمفسرين قولان في ضمير ((إنّه)) ، قيل للقرآن .

وقيل إنه لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فعلى الأول هو نظير قوله : ((إنّ هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى))[٥] ، وهذه خاصة والآية هنا عامة[٦] . وليس المراد أنّ القرآن نفسه في ((زبر الأولين)) . اذ تلك الزبر بلسان غير عربي قطعا بل المراد أنّ بعض معانيه فيها من الدعاء إلى

---

(١) يوسف ٢ . وفي كلا النسختين (أنزلنا قرآنا) باسقاط العائد .
(٢) الزخرف ٣ . وفي (م) (جعلناه عربيا) باسقاط كلمة (قرآنا) .
(٣) في (م) (أبلغ) .
(٤) المائدة ٦٧ .
(٥) الأعلى ١٨ ـ ١٩ .
(٦) أي خاصة بصحف إبراهيم وموسى فقط .
وآية الشعراء عامة في كل الكتب السابقة .

التوحيد كقوله : ((وما أرسلنا [من][1] قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))[2] . وقال تعالى أنه قال[3] رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((قل إنّما يوحى الى إنّما إلهكم إله واحد))[4] الآية .

وكذلك قصص الرسل الذين[5] تقدموا نزول الزبر[6] موجودة فيها . كما قال تعالى في قصة يوسف : ((ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه))[7] أي من الكتب السماوية التي أخبرت بقصة يوسف عليه السلام وأخبار الآخرة وتفاصيلها وغير ذلك .

وورد في آيات أنّه مصدق لما بين يديه ، أي من الكتب الإلهية ، ومنه : ((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه [من الكتاب][8] ومهيمنا عليه))[9] شاهدا ومصدقا[10] .

وإنّما قلنا بعض معانيها أي الكتب السماوية / لأنه معلوم أنه ليس فيها ٢٦/ب
مثلا : ((تبت يد أبي لهب وتب))[11] إلى آخرها ، ولا مثل ((ويوم حنين إذ

---

(١) لفظه (من) ساقطة من كلا النسختين .
(٢) الأنبياء ٢٥ .
(٣) هذه الجملة ركيكة وكان الأولى أن يقول : وقال تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم .
(٤) الأنبياء ١٠٨ .
(٥) في (م) (الذي تقدموا) .
(٦) هكذا في النسختين وصوابها (نزول القرآن) .
(٧) يوسف ١١١ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٩) المائدة ٤٨ .
(١٠) قوله (شاهدا ومصدقا) تفسير للآية .
انظر : تفسير ابن جرير ٢٦٦/٦ ، وتفسير البغوي ٤٢/٢ .
(١١) المسد ١ .

أعجبتكم كثرتكم))[١] .. وغير ذلك من الإخبار عن أمور اتفقت في عصره ويحتمل أنه لا يبعد أن يكون فيها إخبار لهم بما سيكون في عصره صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

والقول الثاني : أن الضمير[٢] لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمراد ((وإنه)) أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته ونعوته في الزبر الأولى ، كما يدل قوله تعالى : ((الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل))[٣] ، وقوله : ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم))[٤] ، وقوله : ((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به))[٥] .. وغير ذلك والقولان متقاربان .[٦]

والأدلة لكل واحد ما سمعته وقد تقدم ذكر الكتاب المبين وهو القرآن وتقدم الخطاب له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله : ((على قلبك)) فقول الكشاف إنّ الضمير له صلى الله عليه وسلم ليس بواضح[٧] وكان وجهه أن الضمائر

---

(١) التوبة ٢٥ .

(٢) يعني به الضمير في قوله تعالى ((وانه لفي زبر الأولين)) .

(٣) الأعراف ١٥٧ .

(٤) البقرة ١٤٦ .

(٥) البقرة ٨٩ .

(٦) لا يخفى على أحد ما بين الإيمان بالقرآن الكريم والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم من تلازم فمن آمن بأحدهما لزمه الإيمان بالآخر ومن كفر بأحدهما فقد كفر بالثاني ، إلا أن ارجاع الضمير في هذه الآية على القرآن هو الراجح ، لأن ما قبله وما بعده من الضمائر كلها تعود إلى القرآن الكريم باتفاق المفسرين . وهذا ما يراه الزمخشري رحمه الله تعالى حيث استبعد عود الضمير الى النبي صلى الله عليه وسلم .
انظر : الكشاف ١٢٧/٣ ، وتفسير ابن جرير ١١٣/١٩ .

(٧) قوله (ليس بواضح)هو قول كلام الزمخشري ١٢٧/٣ ، ويبقى كلام الصنعاني بحاجة إلى خبر تقديره (غير مسلّم له) حتى يستقيم السياق . اذ المؤلف يرى صحة عود الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما استبعده الزمخشري رحمه الله تعالى .

كلها للقرآن ((أو لم يكن [لهم][1] آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل (١٩٧))) .. في الضمير ما في الذي قبله من الاحتمال ففي معالم التنزيل[2] حمله على أنه لـــه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وفي الكشاف[3] أنه للقرآن والمراد أن يعلم علماء بني اسرائيل محمـــدا بصفاته ونعوته كما ترى ، ويعلمون القرآن بأنه كلام الله كما يفيده قوله تعالى : ((وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به [انه الحق من ربنا][4] إنّا كنا من قبلـــه مسلمين))[5] ، ونحوه : ((قل أرأيتم إن كان من عند الله [وكفرتم به][6] وشهد [شاهد][6] من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم))[7] ، ونحو قوله : ((كفـى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب))[8] .

والمعنى أن علم [علماء][9] بني اسرائيل بأنه كلام الله[10] أو بأن محمدا[11] صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله أنـــه عـــلامة دالـــة على حقيقتـــه / ٢٧/أ

---

(١) الجار والمجرور ساقط من ص .
(٢) معالم التنزيل ٣٩٨/٣ .
(٣) الكشاف ١٢٧/٣ .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٥) القصص ٥٣ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٧) الأحقاف ١٠ .
(٨) الرعد ٤٣ .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١٠) في (م) (كلام امه) وهذا يفيدنا بأن (م) منقولة عن (ص) أو عـن نسخة مماثلة لها في الخط اذ أن ناسخ (ص) كتبها هكذا (كلام الله) فنقلها ناسخ (م) (كلام أمه) .
(١١) في النسختين (محمد) بالرفع ، والصواب (محمدا) لأنه اسم إن .

وحقية[١] ما جاء به فإنهم إذا علموه أنه الحق فهو زيادة في تأكيد[٢] ذلك [وهو][٣] من تظافر[٤] الأدلة ، وإلا فان قريشا قد علموا حقيقته وصدقته واستيقنتها أنفسهم وجحدوا بها[٥] ولكنه تعالى يبالغ في الأدلة ازاحة للأعذار وزيادة في الانذار كما قال تعالى : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون))[٦] ، مع أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو كان يتلو الكتب ويخط بيمينه لما فتّ ذلك في عضد حقيّته وحقية[٧] القرآن ، فانه لم يكن الدليل كونه لا يقرأ المكتوب ولا كونه لا يخط بل الأدلة هي المعجزات القاهرة والأدلة الظاهرة المتظافرة .

((ولو نزّلناه)) أي الكتاب المبين وهو القرآن ((على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين [١٩٩])) أي بلسان عجمي كما قال تعالى : ((ولو جعلناه قرآنا أعجميا))[٨] فهو إخبار منه تعالى بوجه الحكمة في إنزاله عربيا على رجل عربي .

كما قال تعالى : ((فإنّما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون))[٩] ، وكأنه قيل لماذا خص إنزاله عربيا على رجل عربي ؟ قيل : لأنه لو أنزله[١٠] على

---

(١) في (م) حقيقته وحقيقة .
(٢) هكذا في (م) وفي (ص) (تالد) ولعل صوابها (تأكد) .
(٣) ما بين المعقوفتين ليس في النسختين وإنما ترك له فراغ في كلاهما .
(٤) في (م) (نظائر) .
(٥) لعل المؤلف هنا لم يرد الاستشهاد بنص الآية ، وإنما أراد الاخبار عن قريش بمضمون هذه الآية الكريمة .
(٦) العنكبوت ٤٨ .
(٧) في (م) حقيقته وحقيقة القرآن .
(٨) فصلت ٤٤ . وتمامها : ((.. لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي)) .
(٩) الدخان ٥٨ وفي كلا النسختين بالواو (وانما) والصواب بالفاء كما أثبته .
(١٠) في (م) (لو انزاله) بالمصدر .

أعجمي لم يؤمنوا به كما أنه لوجعله قرآنا أعجميا ((لقالوا لولا فصلت آياته))[١] ، وقالوا استنكارا : أقرآن أعجمي ورسول عربي ؟ فأبان الله تعالى وجه الحكمة في إنزاله عربيا على عربي ، وهو الذي أفاده صريح قوله : ((فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون))[٢] ، ((قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون))[٣] .

وفي آية السجدة[٤] في بيان أنه لم يجعل القرآن أعجميا لئلا يقولوا أعجمي وعربي وهذه[٥] في بيان أنه لم ينزله على رجل أعجمي لأنهم لا يؤمنون به ، فكانت الحكمة مقتضية أن ينزله عربيا على عربي بلسانه ، وهذا كالبيان والتفصيل لقوله : ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه))[٦] .

((كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) / تقدم في الحجر[٧] ((كذلك نسلكه في قلوب المجرمين))[٧] ، ((لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغته وهم لا يشعرون (٢٠٢))) .. والضمير في ((سلكناه)) للشرك كما قال ابن عباس والحسن[٨] وهو المستفاد من قوله ((لا يؤمنون به)) ، أي : ٢٣/ب

---

(١) فصلت ٤٤ .
(٢) الدخان ٥٨ . وفي كلا النسختين بالواو (وإنما) والصواب بالفاء (فانما) .
(٣) الزمر ٢٨ .
(٤) فصلت ٤٤ .
(٥) يشير الى آية الشعراء ((ولو نزلناه على بعض الأعجمين ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين)) ١٩٩ .
(٦) ابراهيم ٤ .
(٧) الحجر ١٢ . وإحالة المؤلف إلى ما سبق من السور دليل على أنه تناول أن من [illegible]
(٨) انظر تفسير ابن جرير ٩/١٤ و ١١٥/١٩ ، وتفسير البغوي ٣٩٩/٣ ، والدر المنثور ٦٧/٥ ، ٣٢٣/٦ . وكل هؤلاء أخرجوه عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ،
وأما ابن عباس رضي الله عنهما فلم يعز إليه ذلك القول الا البغوي .

(كذلك سلكناه) عدم الايمان لأنه للذي تقدم وهو الشرك ، وأما الضمير في آية الحجر في قوله ((نسلكه)) فهو للاستهزاء برسل الله لأن قبلها . ((ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ، وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ، كذلك نسلكه))[١] .

وفي معالم التنزيل[٢] كأي كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه ندخله .[٣]

فان قلت : كيف جاز أن يدخل الله الكفر في قلوب المجرمين[٤] ؟

قلت : عقوبة لهم على الإجرام فإنّها[٥] لما أتتهم الرسل بالبينات وعلموا أنهم رسل الله فكذبوهم[٦] واستهزؤا بهم وفعلوا كل قبيح أمكنهم معهم استحقوا العقوبة فكانت العقوبة في قلوبهم تزيين الكفر لهم مثل قوله تعالى :

---

(١) الحجر ١٠ ـ ١٢ .

(٢) معالم التنزيل ٤٥/٣ .

(٣) وتفسير البغوي لذلك المسلوك لا يعارض ما قرره المؤلف سابقا ، حيث أن البغوي ذكر المعنى العام الذي يشمل آيتي الحجر والشعراء . وعلى هذا المعنى درج الطبري وابن كثير في تفسيرهما لهاتين الآيتين ولا تناقض بين ذلك وبين ما قرره المؤلف ، فهو فسر كل آية بحسب ما يقتضيه السياق ، وأما أولئك ففسروا الآيتين تفسيرا عامّا ، ثم إنّ الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل جميعها متلازمة ، فمتى حصل أحدها حصل الباقي .

(٤) في (ص) المؤمنين . وهو خطأ لا شك لمخالفته نص الآية ، ولمخالفته لما قرره المؤلف .

(٥) الصواب : فانه أي الشأن ، أو فانهم أي المجرمين .

(٦) في (م) (فكذبوه) بالافراد .

((إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون))(١) . وقد قال تعالى : ((وما يضل به إلا الفاسقين))(٢) . وقال تعالى : ((ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون))(٣) .

والعقوبة بالخذلان بعد ظهور أنوار الهدى والإعراض عنها جائز عند كل فريق وعليه دلت الآيات(٤) والأحاديث(٤) ، وهو كما قال تعالى : ((إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون # ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة))(٥) . وكقوله : ((وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم))(٦) . وقوله في الآية الأخرى : ((بل طبع الله عليها بكفرهم))(٧) ، فالختم والطبع عقوبة . ولذا لم يعلق الله ذلك باجرامهم / في آية الحجر ، وهذه ٢٨/أ الآية ، أي أنه سلك ذلك في قلوبهم لأنهم مجرمون ، وعلّق الختم بالكفر ((إنّ الذين كفروا)) ، وعلق اللعن والطبع على كفرهم بقوله : ((بكفرهم)) أي بسبب كفرهم

---

(١) النمل ٤ .
(٢) البقرة ٢٦ .
(٣) الأنعام ١١٠ .
(٤) أما الآيات فقد ذكر المؤلف ما فيه الكفاية . وأما الأحاديث فمنها :
قوله صلى الله عليه وسلم : (إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون))) .
أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ٤٣٤/٥ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٩٨/٣٠ وأخرجه أحمد في مسنده ٢٩٧/٢ . وابن ماجة في سننه ١٤١٨/٢ ـ كتاب الزهد ـ جميعهم من رواية أبي هريرة . إلا أنه جاء في المسند وسنن ابن ماجة بلفظ (إنّ المؤمن اذا أذنب) .
(٥) البقرة ٦ ـ ٧ .
(٦) البقرة٨٨ .
(٧) النساء ١٥٥ .

وإجرامهم (وكفرهم)[١] كان من عقوبتهم ما كان . ولذا قال كليم الله عليه السلام في الدعاء على فرعون وقومه : ((ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم))[٢] . وهذا الدعاء عليهم بأن يعاقبوا بالخذلان وعدم الانقياد للإيمان .

ولذا قال الزمخشري ان موسى عليه السلام بعد أن أيس من إيمانهم دعا الله عليهم أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم ينعكسون[٣] فيه [كأنه][٤] قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا ، وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق . أ .هـ[٥]

ومنه قول نوح عليه السلام : ((ولا تزد الظالمين الا ضلالا))[٦] .

فالعقوبة بالخذلان وزيادته وابعادهم عن الايمان سنة الله في عباده ، كما أن زيادة الهداية لأهل الايمان بايمانهم ((والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم))[٨]

وفسر أبو السعود ضمير (سلكناه) بقوله : أي أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث

---

(١) هكذا في النسختين ولعلها زائدة .
(٢) يونس ٨٨ .
(٣) هكذا في النسختين والذي في الكشاف (يتسكعون) .
(٤) في (م) (كما قال) . وفي (ص) (كاقال) والصواب (كأنه) كما في الكشاف .
(٥) الكشاف ٢٠١/٢ .
(٦) نوح ٢٤ .
(٧) الباء سببية أي زادهم الله ايمانا بسبب ايمانهم السابق .
(٨) محمد ١٧ .

النظم المعجز ، ومن حيث الإخبار عن الغيب ، وقد [انضم اليه اتفاق][1] علماء أهل الكتب المنزلة [قبله على تضمنها][2] للبشارة بإنزاله وبعثة[3] من أنزل عليه بأوصافه فقوله : ((لا يؤمنون))[4] جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور[5] الداعية الى الايمان به ، بل يستمرون على ما هم عليه ((حتى يروا العذاب الأليم)) الملجيء لهم[6] الى الايمان حين لا ينفعهم الايمان.[7] اهـ

وهذا هو أحد الوجهين في البيضاوي[8]. /[9] ٢٨/ب

((فيقولوا أهل نحن منظرون (٢٠٣))) هو نظير قول أهل النار : ((ربنا أخرجنا نعمل صالحا))[10] ((أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون))[11].

---

(١) في كلا النسختين (وقد اتفق عليه علماء أهل الكتب المنزلة) ، ولكني اثبت نص أبي السعود ليتفق سياق الكلام مع ما بعده .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين واثبته من تفسير أبي السعود .

(٣) في كلا النسختين (وتعبد) وما أثبته هو من تفسير أبي السعود ٦/٢٦٥ .

(٤) في كلا النسختين (لا يؤمنوا) بحذف النون .

(٥) في كلا النسختين (تلك الأقوال) وما أثبته هو كلام أبي السعود ٦/٢٦٥ .

(٦) في تفسير أبي السعود (الملجيء الى الايمان به) .

(٧) تفسير أبي السعود ٦/٢٦٥ .

(٨) يرى البيضاوي أن الضمير في قوله تعالى : ((سلكناه)) يصح عوده الى الكفر المدلول عليه بقوله تعالى : ((ما كانوا به مؤمنين)) ثم حكى قولا آخر بأن الضمير يعود للقرآن أي أدخلناه في قلوب المجرمين فعرفوا معانيه واعجازه . ثم لم يؤمنوا به عنادا .
تفسير البيضاوي ٤/٤٩٣ .

(٩) بقي آية قبل هذه الآية لم يتعرض المؤلف لتفسيرها وهي قوله تعالى : ((فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢))) .

(١٠) فاطر ٣٧ .

(١١) المؤمنون ١٠٧ .

((أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤))) .. وذلك لما قالوا : ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم))[١] ، وقوله : ((ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولنّ ما يحبسه))[٢] .

((أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون (٢٠٧))) .. فانه وان طال التمتع بالدنيا فانه لا يغني عنهم شيئا . قال : ((أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين))[٣] .

كل عمر يكون آخره الموت ... سواء طويله والقصير
وسرور يكون آخره الفوت ... سواء قليله والكثير[٤]

((وما أهلكنا من قرية الا لها منذورون[٥] (٢٠٨))) .. ومثله : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))[٦] ومنه قوله تعالى : ((وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون))[٧] .

ومنه الحديث الصحيح : (لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب)[٨] .

---

(١) الانفال ٣١ .
(٢) هود ٨
(٣) القصص ٦١ .
(٤) لم أجد قائله
(٥) في (م) (منذرين) وهو خطأ ظاهر .
(٦) الاسراء ١٥ .
(٧) القصص ٥٩ .
(٨) انظر : فتح الباري ٣٩٩/١٣ كتاب التوحيد . وصحيح مسلم ٢١١٤/٤ كتاب التوبة .

ومنه قوله تعالى : ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل))[١] .

فهو تعالى أرسل الرسل لاقامة الحجة على العباد لئلا يقولوا : ((ما جاءنا من بشير ولا نذير))[٢] ، ولئلا يقولوا : ((لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى))[٣] .. وغيرها .

((ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩))) .. أي تلك ذكرى أو ينذرونهم ذكرى ، أي ينذرونهم تذكرة[٤] أي لأجل التذكرة [كما][٥] في قوله ((ان هو الا ذكر للعالمين))[٦] . والمراد أرسلنا المنذرين ليذكروا العباد بالله تعالى / وآياته ٢٩/أ وقوله ((وما كنا ظالمين)) فنهلك العباد قبل الانذار وهذا المعنى متكرر في القرآن الكريم .

((وما تنزلت به الشياطين (٢١٠))) .. قال في معالم التنزيل[٧] : ان المشركين كانوا يقولون : ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى : ((وما تنزلت به الشياطين)) .

قلت : لما قال تعالى : ((نزل به الروح الأمين)) قال : ((وما تنزلت به الشياطين)) ، نظير قوله : ((وما هو بقول شيطان رجيم))[٨] . فنفى سبحانه

---

(١) النساء ١٦٥ .
(٢) المائدة ١٩ .
(٣) طه ١٣٤ .
(٤) معالم التنزيل ٣٩٩/٣ .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .
(٦) التكوير ٢٧ .
(٧) معالم التنزيل ٣٩٩/٣ .
(٨) التكوير ٢٥ .

أن تنزل[١] به أو يكون قولا لهم . ((وما ينبغي لهم)) أي أن تتنزل به لأنه مخالف لأغراضهم الشرية[٢] ومقاصدهم الردية ، فان العمل بمقتضاه باجماع[٣] العقلاء من المسلمين وغيرهم - من أسباب الصلاح وحسم مواد الفساد ، والشياطين همّهم إثارة[٤] الفساد وتقوية أسبابه واثارة الشر وفتح ابوابه . والقرآن كله بخلاف هذا ، بل هو هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور وهو طارد لهم ومشتمل على ذمهم وعلى النهي عن مطالبهم[٥] ، فانه[٥] نهى عن الظلم والعدوان والبغي واللهو واللعب ، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وهذا كله خلاف مطالبهم وصفة مآربهم ، فكيف يصح أن ينزلوا به أو يكون قولا [لهم][٦] وفيه سبهم وذمّهم والاستعاذة منهم ؟ فأين عقول القائلين أنه[٧] يلقونه على لسان محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ لقد ضلوا والله ضلالا أبعد ضلال ، وتكلموا بما هو من أمحل المحال .

ثم فيه الاخبار بالمغيبات ومن يعلم الشياطين الغيب ؟ ثم انه معلوم يقينا أنهم فرق مختلفون[٨] في مقاصدهم وطباعهم لا يمكن أن يتفقوا على شيء واحد ، فكان يجب أن يكون بينهم من يعارض القرآن (ويحد لحدث من أتى به)[٩] .

---

(١) في (م) (ينزل به) بالمثناة التحتية .
(٢) هكذا في (ص) ، وفي (م) البشرية والصواب الشريرية بفك الادغام عند النسب .
(٣) في (م) (عند جميع العقلاء) .
(٤) في (م) (اثارة مواد الفساد) بزيادة كلمة (مواد) .
(٥) في (م) (مطالبتهم فالنهي) .
(٦) (لهم) ساقطة من (م) .
(٧) الصواب (أنهم) .
(٨) في (م) (مختلفة) .
(٩) هكذا في النسختين ولم اعرف لها معنى بهذا اللفظ ، الا أن تكون : (ويحدث بحديث من أتى به) أو (ويحدث بحديث مشابه) .

والحاصل أنه لا يصغي الى هذا / [(١) المقال(٢) الا من لا تمييز(٣) له من ٢٩/ب الرجال ولا يوجه اليه خطاب ولا يستحق هذا الوسواس منه الى جواب .((وما يستطيعون (٢١١))) أي أن ينزلوه](١) . لأنه لا يوحيه الله الا الى من يؤهله له من ملائكته . فان ((الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس))(٤) لا من الشياطين ، فانى لهم استطاعة تنزيله ؟ بل لا يعلمون به الا وهو يتلى عند الرسل كما دل له أنه بعث الشيطان بعوثه ينظرون ما حدث في الأرض لمّا رموا بالشهب من السماء فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلي بأصحابه وسمعوا القرآن وقالوا : ((إنّا سمعنا قرآنا عجبا))(٦) . ثم قالوا : ((هذا هو الذي حال بيننا وبين خبر السماء))(٧) .

ولذا قال الله تعالى : ((إنّهم عن السمع)) أي عن سمع كلام الملائكة ((لمعزولون (٢١٢))) .. فكيف يستطيعون تنزيل القرآن ، وقد حرس(٨) الله

---

(١) من قوله المقال ... الى قوله أن ينزلوه. ليس بواضح في نسخة (ص) .
(٢) في (م) (المثال) ولعل الصواب ما اثبته .
(٣) في (م) (الا من يميله له) ولا معنى له . فلعل الصواب ما أثبته .
(٤) الحج ٧٥ .
(٥) هكذا في النسختين . ولعل الصواب (رموا) بدون ياء .
(٦) الجن ١ .
(٧) انظر : فتح الباري ٦٦٩/٨ كتاب التفسير . وصحيح مسلم ٣٣١/١ ـ كتاب الصلاة ، ومسند أحمد ٢٧٤/١ ، ٣٢٣ ، وسنن الترمذي ٤٢٦/٥ ـ ٤٢٨ ، كتاب التفسير . وتفسير النسائي ص ٢٤٩ . والدر المنثور ٢٩٦/٨ .
وانما ذكرت جميع هذه المصادر لأن المؤلف رحمه الله تعالى رواه بالمعنى فخلط بين رواية الشيخين ورواية غيرهما .
(٨) في (ص) (حرسل) وهذا خطأ ظاهر .

السموات عنهم كما قال : ((إنا زينا السماء [لدينا][1] بزينةالكواكـــــب # وحفظا من كل شيطان ماردٍ # لا يسّمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب # دحورا ولهم عذاب واصب ، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب))[2] . يرمون بالشهب اذا صعيدوا للاستماع .

((فلا تدعوا مع الله الها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣))) .. هو نظير : ((ولا تطع منهم آثما أو كفورا))[3] ، أي استمر على عدم طاعتمها . ونظير قوله : ((يا أيها النبي اتق الله))[4] أي استمر على تقواه .. ونحوه كثير .

ومنه : ((ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطـــــنّ عملك))[5] الآية .

ومنه قوله : [((ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)) ، أي استمر على عدم دعوته[6] .

وقوله : ((فان فعلت فانك اذاً من الظالمين))[7] اخبار بأن الذين فعلـــوا ذلك من الظالمين][8][9] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٢) الصافات ٦ ـ ١٠ .
(٣) الانسان ٢٤ .
(٤) الاحزاب ١
(٥) الزمر ٦٥ .
(٦) ضمير الغيبة يعود الى الاسم الموصول في قوله تعالى : ((ما لا ينفعـــك ولا يضرك))
(٧) يونس ١٠٦ .
(٨) ما بين المعقوفتين مثبت من الهامش في كلا النسختين .
(٩) ومما يلاحظ أن المؤلف رحمه الله تعالى قد فسر آية يونس بدلا من آيـــة الشعراء وذلك لأنهما بمعنى واحد .

((وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤))) .. أي خوفهم من عذاب الله . وهو نحو من[١] قوله : ((وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها))[٢] و ((قو أنفسكم وأهليكم نارا))[٣] ((وكان يأمر أهله بالصلاة))[٤] . ٣٠/أ

في مدح اسماعيل عليه السلام وكل رسول مأمور بانذار الأقرب فالأقرب ، فان خليل الله أنذر أباه ((و[٥] إذ قال [ابراهيم][٥] لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة))[٦] الآية .

ووجهه أن الله أمر كل أحد بصلة قريبه وأرحامه كما قال تعالى : ((وآت ذى القربى حقه))[٧] الآية . ((وبالوالدين إحسانا))[٨] ، وحديث ((ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[٩] .. وغير ذلك .

والصلة بما فيه نجاة العبد من عذاب الله وما فيه مرضاته أهم من صلات الدنيا بالمال ونحوه ، لأن صلات الدنيا لعمارة الأبدان ، وصلة الآخرة لعمارة الأديان ، ولأن تلك لصلاح الدنيا ، وهذه الآخرة[١٠] ، بل وتضمن صلاح الدنيا ،

---

(١) هكذا في كلا النسختين ولعلها زائدة .

(٢) طه ١٣٢ .

(٣) التحريم ٦ .

(٤) مريم ٥٥ .

(٥) في كلا النسختين (اذ قال لأبيه) باسقاط ابراهيم والواو .

(٦) الأنعام ٧٤ . (٧) الاسراء ٢٦ .

(٨) النساء ٣٦ . والاسراء ٢٣ وغيرهما من السور الكريمة .

(٩) الحديث أخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ : (خير الصدقة عن ظهر غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) . انظر : فتح الباري ٢٩٤/٣ ـ كتاب الزكاة . وصحيح مسلم ٧١٧/٢ ـ كتاب الزكاة .

(١٠) لعل مراده (وهذه لصلاح الآخرة) .

فان من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .[١] ونظير الآيـــة : ((قاتلوا الذين يلونكم من الكفار))[٢] ، فيقدم الأقرب فالأقرب .

((واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥))) .. أي استمر علـــى خفض جناحك لهم ، كما يدل له قوله : ((ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضـــوا من حولك))[٣] ، وناهيك من أنه صلى الله عليه وسلم بلغ من خفض جناحه لأصحابـــه ولين جانبه أنهم كانوا يدخلون منزله [فيطيلون الحديث][٤] ويمنعه خلقه الكريم أن يخرجهم حتى أن الله عز وجل أمرهم من فوق سماواته بقوله : ((لا تدخلـــوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه))[٥] . أي حوله[٦] ((فـــاذا طعمتم فانتشروا)) الآية[٧] . ثم[٨] أثنى الله تعالى على خلقه فقال : ((وإنك لعلى خلق عظيم))[٩] .

---

(١) يشير الى آية الطلاق ٢ ـ ٣ .
(٢) التوبة ١٢٣ .
(٣) آل عمران ١٥٩ .
(٤) ما بين المعقوفتين ترك له فراغ في كلا النسختين .
(٥) ما ذكره المؤلف من سبب نزول الآية أخرجه البخاري ٥٢٧/٨ كتاب التفسير .
(٦) لم أجد فيما عندي من المراجع تفسير (إناه) بمعنى حوله ، كما قالـــه المؤلف هنا ، وانما وجدتهم فسروا (إناه) بمعنى تضجه ووقت ادراكـــه ، ورجعت أيضا الى تفسير المؤلف لسورة الأحزاب فلم أجد له في ســـورة الأحزاب سوى تفسير الثمان الآيات الأولى . ولعل صحت العبادة هكـــذا : (الى قوله) .
(٧) الأحزاب ٥٣ . ويلاحظ أن المؤلف اقتصر على موضع الشاهد من الآية واسقـط ما سواه .
(٨) هكذا في النسختين . ولعل الصواب أن يقال : (وقد أثنى) ، لأن آية القلم مكية وآية الأحزاب مدنية ، وكذلك حتى آية الشعراء لم تنزل الا بعـــد آية القلم .
(٩) القلم ٤ .

((فان عصوك فقل إنّي بريء مما تعملون (٢١٦))) . كما قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه : ((انني بَرَآءٌ[1] مما تعبدون))[1] . وقوله : ((انا بـــراء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم)) / الآية[2] . ٣٠/ب

((فتوكل[3] على العزيز الرحيم (٢١٧))) وفي آخر سورة براءة ((فـــان تولوا فقل حسبي الله [لا اله الا هو][4] عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)) . وفي النمل : ((فتوكل على الله إنّك على الحق المبين))[5] .

والمراد ان عصوك وتولوا عنك فلا تبال بهم وتوكل على الله ، ومنه قـــول هود عليه السلام لقومه[6] لما قالوا إنه اعتراه ألهتهم بسوء قال : ((فكيدوني[7] جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخـــذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم))[8] .

ومنه قول شعيب عليه السلام لما قال له قومه : ((لنخرجنك يا شعيـــب [والذين آمنوا معك][9] من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ..)) الى قولـــه :

---

(١) في كلا النسختين ((انني براء منكم ومماتعبدون)) بزيادة منكم . والصواب ما أثبته وهي الآية ٢٦ من سورة الزخرف .

(٢) الممتحنة ٤ .

(٣) هذه قراءة متواترة وهي قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر وقرأ الباقـــون (وتوكل) بالواو . انظر النشر في القراءات العشر ٢٣٦/٢ . واتحـــاف فضلاء البشر ٣٣٤ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وانما هو مستدرك في هامش (م) .

(٥) النمل ٧٩ .

(٦) في كلا النسختين (لقوله) .

(٧) في كلا النسختين (فكيدون) بحذف الياء والصواب اثباتها موافقة للرسم . وعلى ذلك أجمع القراء .
انظر اتحاف فضلاء البشر ٢٥٧ .

(٨) هود ٥٦ .

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .

((على الله توكلنا))[١] . وفي الكشاف[٢] أن التوكل[٣] : تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره ، وقالوا : المتوكل إذا[٤] دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى .

فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج عن حد التوكل ، لأنه لم يحاول دفع ما نزل به بمعصية الله عز وجل . أ/هـ .[٥]

وقوله : ((العزيز الرحيم)) كما سلف[٦] عين ختام القصص بهاتين الصفتين ، اذ بعزته يقهر أعداءه وبنصره ورحمته ينجيه من كيدهم وشرهم .

قوله : ((الذي يراك حين تقوم (٢١٨))) .. خص الرؤية بقيامه مع أنه يراه في كل حين ، لأنها من أشرف أحواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمراد به قيام الليل للتهجد ، وهو نظير قوله : ((وسبح بحمد ربك حين تقوم))[٧] ، أي من منامك في تخصيص قيامه بالأمر بالتسبيح مع أمره به مطلقا .[٨]

---

(١) الأعراف ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) الكشاف ١٢٩/٣ .
(٣) في (م) (التوكيل)بزيادة الياء وهو خطأ .
(٤) في الكشاف (وقالو المتوكل من ان دهمه أمر ... الخ) .
(٥) ولكنه في هذه الحالة لا يسمى توكلا بل استغاثة واستنصارا مع بقاء التوكل على الله عز وجل ، لأنه لا نافع ولا ضار الا هو وحده ((وعلى الله فليتوكل المتوكلون)) سورة ابراهيم ١٢ .
(٦) وذلك ص ١١٣ .
(٧) الطور ٤٨ .
(٨) لا يتم الكلام هنا . ولعل مراده : أن تخصيص التسبيح عند القيام من الليل - مع ورود الأمر به مطلقا - فيه دلالة على فضل التسبيح في ذلك الوقت وشرفه على سائر الأوقات .
ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري وغيره من حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله
===

((وتقلبك في الساجدين (٢١٩))) ..

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ((الذي يراك حين تقوم)) / ٣١/أ قال : ((تقوم للصلاة))[١] .

وأخرج أيضا عن الضحاك ((الذي يراك حين تقوم)) . قال : (من فراشك أو من مجلسك))[١] .

وقوله : ((وتقلبك في الساجدين)) خص هذه الحالة لما ذكرناه .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس ((الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين)) يقول : (قيامك وركوعك وسجودك)[٢] ، لأنه أراد بالسجود جميع أحوال الصلاة .

((هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢)))

لما نفى سبحانه أن القرآن لم تنزل به الشياطين كما قالوه أبان لهم صفة من تنزل عليه الشياطين وهو كل أفاك أي كثير الأفك وهو الكذب ، أي وأنتم تعرفون محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه الصادق الأمين [وتقولون][٣] ما جربنا عليك الا صدقا[٤] . ولذا قال تعالى : ((فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات

=== وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : اللهم اغفر لي ـ أو دعا ـ استجيب . فان توضأ قبلت صلاته) .
فتح الباري ٣٩/٣ كتاب التهجد .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٥٢/٣ ، والدر المنثور ٣٣٠/٦ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٢٣/١٩ ، والدر المنثور ٣٣١/٦ .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري وغيره . انظر فتح الباري ٥٠١/٨ كتاب التفسير .

الله يجحدون))[١] . وفي معالم التنزيل[٢] عن السدي: أنه التقى الأخنس بن شريق[٣] وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ، فانه ليس ها هنا أحد يسمع [كلامك][٤] غيري ؟ فقال أبو جهل : والله إنّ محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فأنزل الله هذه الآية .[٥]

وقال ناجية بن كعب[٦] : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما نتهمك ولا نكذبك ، ولكن نكذب الذي جئت به . فأنزل الله : ((فإنّهم لا يكذبونك)) الآية .[٧]

((يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣))) .. أي يلقي الشياطين ما يسمعونه ويسترقونه إلى كل أفاك أثيم .

إن قلت : قد قال تعالى إنّهم عن السمع لمعزولون فأي سمع يلقونه ؟

قلت : هذا عام مخصوص بقوله تعالى : ((إلا من خطف الخطفة))[٨]

وفي الحديث الصحيح : ((الكلمة / يخطفها[٩] الجني فيقرها في أذن وليه ٣١/ب

---

(١) الأنعام ٣٣ . وقراءة نافع والكسائي بالتخفيف (لا يكذبونك) من أكذب . وقرأ الباقون بالتشديد (يكذّبونك) من كذّب . اتحاف فضلاء البشر ٢٠٧ .

(٢) معالم التنزيل ٢/٩٣ ـ ٩٤ .

(٣) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة اسمه أُبَيّ ، لقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم خبر نجاة أبي سفيان وما معه من العير، مات في أول خلافة عمر رضي الله عنه . الإصابة ١/٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) في كلا النسختين (كلامه) والصواب ما أثبته من معالم التنزيل .

(٥) يشير إلى قوله ((فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)) الأنعام ٣٣ .

(٦) هو ناجية بن كعب بن جندب الأسلمي الخزاعي كان صاحب بُدن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه عروة ، مات بالمدينة في زمن معاوية . الطبقات الكبرى ٤/٣١٤، الإصابة ٣/٥٤١ .

(٧) انظر معالم التنزيل ٢/٩٤ ، وتفسير ابن جرير ٧/١٨٢ .

(٨) الصافات ١٠ .

(٩) في (م) (يحفظها) تقديم وتأخير .

فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة)[١] .

وقوله : ((وأكثرهم)) .. أي أكثر الأفاكين كاذبون[٢] بما يزيدونه على ما ألقته الشياطين اليهم .

أخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ((تنزّل على كل أفّاك أثيم)) قال : (الأفاك : الكذاب وهم الكهنة تسترق[٣] الجن السمع ثم يأتون[٤] الى أوليائهم من الإنس فانها كانت الشياطين تصعد الى السماء فتسمع ثم تنزل الى الكهنة فتخبرهم فتحدث الكهنة بما نزلت به الشياطين من السمع وتخلط الكهنة كذبا كثيرا فيحدثون به الناس ، فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقا وأما ما خلطوا[٥] به من الكذب فيكون كذبا)[٦] .

وأخرج الشيخان وابن مردويه عن عائشة قالت : (سأل أناس النبي

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما . انظر فتح الباري ٢١٦/١٠ كتاب الطب . وصحيح مسلم ١٧٥٠/٤ كتاب السلام .

(٢) قال الزمخشري : فان قلت : كيف قال (وأكثرهم كاذبون) بعدما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك ؟
قلت : الأفاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون الا بالافك فأراد أن هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم . الكشاف ١٣٠/٣ .

(٣) في (م) (يسترق) بالمثناة التحتية .

(٤) في (م) (يأتوا) باسقاط النون .

(٥) في (م) (خطوا به) باسقاط اللام .

(٦) هذا الأثر أخرجه عبدالرزاق ص ٣٨٣ . وابن جرير ١٢٥/١٩ وكلاهما وقفا عند قوله (أوليائهم من الانس) .
وأورده السيوطي كاملا تفسيرا لهذه الآية والتي تليها وهي قوله تعالى : ((يلقون السمع واكثرهم كاذبون)) .
انظر : الدر المنثور ٣٣٣/٦ .

صلى‌الله عليه وعلى آله وسلم فقال :«إنهم ليسوا بشيء» فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء أحيانا فيكون حقا . قال :«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة[1] كذبة »[2] .

((والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤))) .. لما قال الكفار إنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم شاعر كما قال تعالى : ((أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون))[3] رد الله عليهم بذلك ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له))[4] ، وبقوله : ((وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون))[5] .

فنفى تعالى كون الرسول شاعرا وأخبر أنه ما علمه الشعر ونفى كون القرآن شعرا ، وهنا بين أتباع الشعراء بأنهم غواة الناس ، وقد عرفوا أن اتباع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليسوا غواة الناس بل ذو الصلاح والهدى وأعيان أهل التقوى وأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم يرونهم وكعا سجدا[6] . فمن أين يكونوا / غاوين ؟ ٣٢/أ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال (تهاجا رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل

---

(١) في (م) (مائة ألف) بزيادة كلمة ألف . وهي خلاف الحديث .
(٢) تقدم تخريجه قريبا ص ١٨٢ . ولعل المؤلف نقله من الدر المنثور ٣٣٣/٦ .
(٣) الطور ٣٠ .
(٤) يس ٦٩ .
(٥) الحاقة ٤١ .
(٦) يشير بهذا الى آية الفتح ٢٩ .

الله تعالى : ((والشعراء يتبعهم الغاوون))[١] الآيات .

((ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥))) .. أي من أودية الكلام تارة يصفون القدود والخدود والثغور والنهود وتارة يمتدحون العباد بكلام كاذب زورا طرا لأخذ الجوائز ،

فهي غاية المراد ، وتارة يهجون[٢] البرىء عن كل فساد ، الكذب رأس أموالهم والزور والبهتان عمدة أقوالهم ، والمبالغات في المدح والهجاء محط رحالهم . ولذا يقال في الشعر أعذبه أكذبه وأخبثه أطيبه و [الهائم][٣] المتحير الذي ليس له مقصد يذهب اليه . والشعراء حائرون في أودية الضلالة مترددون في شعاب الجهالة ولقد أبان الله تعالى الأدلة وأطلع شموسها ببيان أن القرآن كلامه ، وذلك أن الموجود في الوجود ثلاث طوائف ، الملائكة ولم ينسب الكفار القرآن إليهم لأنهم يعلمون أنه لا يأتي منهم الكذب ، ولا يأتي منهم إلا كل خير . وهذا[٤] مركوز في العقول حتى أنهم يشبهون ما حسن من الصور بالملائكة وان لم يروا لهم صورة كما قال النسوة في يوسف لما رأينه : ((ما هذا بشرا[٥] ان هذا إلا ملك كريم))[٦]

كما يشبهون ما قبح بالشياطين مع أنهم لم يروهم . لكن هذا شيء غرزه الله في العقول . ولذا يقولون : ((لو شاء ربنا لأنزل ملائكة))[٧] . ويقولون :

---

(١) تفسير ابن جرير ١٢٧/١٩ . وتفسير ابن كثير ٣٥٣/٣ ، والدر المنثور ٣٣٣/٦ ، وتفسير البغوي ٤٠٣/٣ .

(٢) في (م) (يهجو) باسقاط النون .

(٣) ساقطة من النسختين واستنتجتها من سياق الكلام ثم من تفسير البغوي ٤٠٣/٣.

(٤) في (م) (وهكذا) .

(٥) في كلا النسختين (ما هذا بشر) بالرفع ولم أجدها في القراءات المتواترة.

(٦) يوسف ٣١ . (٧) فصلت ١٤ .

((لولا أنزل عليه ملك))[1] [2].

((وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٧))) .. وقد قال تعالى : ((كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون))[3].

وأخرج ابن سعد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن عساكر عن عروة قال (لما نزلت ((والشعراء يتبعهم الغاوون)) الى قوله ((ما لا يفعلون)) قال عبدالله بن رواحة يا رسول الله قد علم أني منهم فأنزل الله / ((إلا الذين آمنوا ٢٢/ب وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا))[4].

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الحسن سالم البراد[5] قال : (لما نزلت ((والشعراء)) الآية

---

(١) الأنعام ٨ .

(٢) يلاحظ أن الكلام لم يتم حيث ذكر الطائفة الأولى وهم الملائكة ولم يذكر ما سواهم وهم الشياطين . وقد نفى الله أن تتنزل به فضلا عن أن يأتوا بمثله وذلك في قوله تعالى : ((وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون)) .
والطائفة الثالثة وهم البشر وقد توعد سبحانه أشد الوعيد من زعم أن القرآن كلام بشر وذلك في قوله تعالى - مخبرا عن زعم الوليد بن المغيرة ومكذبا له - : ((فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر)) المدثر ٢٤ - ٢٦ .
بل تحدى سبحانه وتعالى كلا الطائفتين منفردتين ومجتمعتين أن يأتوا بمثله وذلك في قوله تعالى : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) الاسراء ٨٨ .
فلم يبق الا أن يكون كلامه سبحانه وتعالى .

(٣) الصف ٣ .

(٤) انظر : طبقات ابن سعد ٥٢٨/٣ ، وتاريخ ابن عساكر ، وتفسير ابن كثير ٣٥٤/٣ ، والدر المنثور ٣٣٤/٦ .

(٥) هو أبو عبدالله الكوفي ، روى عن ابن مسعود وأبي هريرة ، وروى عنه عبدالملك بن عمير واسماعيل بن أبي خالد ، قال عنه ابن معين ثقة ، وقال أبو حاتم : كان من خيار المسلمين . الثقات لابن حبان ٣٠٧/٤ ، وتهذيب التهذيب ٤٤٤/٣ .

جاء عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم يبكون فقالوا يا رسول الله لقد أنزلت[١] هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا فأنزل الله : ((الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)) فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتلاها عليهم)[٢] .

وقوله : ((وانتصروا من بعد ماظلموا)) هو كقوله[٣] : ((ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل))[٤] .

((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧))) .. هي نحو ((وسيعلم الكافر[٥] لمن عقبى الدار))[٦] ، ونحو : ((سيعلمون غدا من الكذاب الأشر))[٧] .

في الكشاف ختم السورة بآية ناطقة بشيء[٨] لا أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين ، وذلك قوله : ((وسيعلم)) وما فيه من الوعيد البليغ ، وقوله : ((الذين ظلموا)) واطلاقه ، وقوله : ((أي منقلب ينـ

---

(١) في (م) (لقد نزلت) .

(٢) تفسير ابن جرير ١٢٩/١٩ ـ ١٣٠ وتفسير ابن الجوزي ١٥١/٦ ، والدر المنثور ٣٣٤/٦ .
وقد أورد ابن كثير رحمه الله تعالى هذه الرواية من طريق ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥٤/٣ .
ثم قال : ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر . ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم .

(٣) في (م) (هو نظير لقوله) ..

(٤) الشورى ٤١ .

(٥) أ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي (الكفار) بالجمع .
ب ـ وقرأ الباقون بالافراد (الكافر .
انظر النشر في القراءات العشر ٢٩٨/٢ ، واتحاف فضلاء البشر ٢٧٠ .

(٦) الرعد ٤٢ .

(٧) القمر ٢٦ .

(٨) في الكشاف ١٣١/٣ : بما لا شيء أهيب منه .

ينقلبون)) وابهامه[1] وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه.[2]

قلت : أخرج ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : (كتب أبي في وصيته سطرين " بسم الله الرحمن الرحيم " هذا ما أوصى به أبو بكر [بن][3] أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر ويتقي[4] الفاجر ويصدق الكاذب انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وان يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)))[5] أ/هـ.

ولا يخفى حسن هذا الختام للسورة وأنه كالسور / لما فيها ، والالمام ٣٣/أ
بجميع ما احتوت عليه ، فانها من أول قصصها والتحصيل لمعانيها . يقول قد قصصنا عليكم ما أهلكناه من السبع الأمم وبينا لكم منقلبهم ومآلهم وأوضحنا لكم أحوالهم ،وابتدأ السورة بقوله تعالى لموسى : ((ائت القوم الظالمين)) ثم ما زال يقص عواقب الظالمين من الذين بعث الله اليهم رسله وكذبوهم وأنه انزل بهم القوارع فتهدد الكفار بأنهم سيعلمون منقلبهم كيف يكون ومصارعهم حين يصرعون ، فالذين ظلموا هم الكفار[6] كما قال تعالى ((والكافرون هم الظالمون))[7].

---

(١) في النسختين (وايهامه) بالمثناة التحتية والصواب ما أثبته من الكشاف ١٣١/٣ .
(٢) الكشاف ١٣١/٣ .
(٣) في النسختين (أبو بكر أبي قحافة) باسقاط لفظ ابن . والصواب اثباتها كما هو في تفسير ابن كثير ٣٥٥/٣ ، والدر المنثور ٣٣٩/٦ .
(٤) في تفسير ابن كثير (وينتهي الفاجر) .
(٥) تفسير ابن كثير ٣٥٥/٣ ، والدر المنثور ٣٣٩/٦ .
(٦) ولعل صحة العبارة : فالكفار هم الذين ظلموا .
لأن الظلم أعم من الكفر . ولذا قال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ((والكافرون هم الظالمون)) ولم يقل : الظالمون هم الكافرون .
انظر تفسير ابن جرير ٤/٣ .

سُورَةُ النَّمل

" سـورة النمـــل "

بسم الله الرحمن الرحيم

((طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١))) ..

في الحجر : ((تلك آيات الكتاب وقرآن مبين))[١] ، والكتاب هو القـرآن ، فهما شيء واحد باعتبار ما يصدقان عليه ، وشيئان باعتبار متبوعها ، وكل منهما يصدق عليه أنه مبين فهو مبين من حيث قرآنيته ، مبين من حيث كتابيته .

((هدى وبشرى للمؤمنين (٢))) ..

أجمل تعالى البشرى هنا وبيّنها في قوله : ((وبشّر الذين آمنوا وعملـــوا الصالحات أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار كلّما رُزقوا منها [من ثمـرة][٢] رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل [وأتوا بمتشابها][٣] ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون))[٣] .

وفي قوله : ((ويبشّر[٤] المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجـــرا حسنا، ماكثين فيه أبدا))[٥] .

وسمّى الله كتابه هدى في آيات ((ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين[٦])) ((إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم))[٧] . ((قل هو [للذين آمنوا][٨] هـــدى

---

(١) الحجر ١ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٣) البقرة ٢٥ .
(٤) في النسختين (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ....
(٥) الكهف ٢ ـ ٣ .
(٦) البقرة ٢ .
(٧) الاسراء ٩ .
(٨) ساقطة من النسختين .

وشفاء))[١] . وفي لقمان : ((هدى ورحمة للمحسنين))[٢] . وفي النحل : ((تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين))[٣] . [فهو هدى ورحمة وبشرى للمسلمين][٤] وللمحسنين . وفي يونس : ((قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين))[٥] .

موزعة

فهو جامع لهذه الصفات ولغيرها مما ذكره / وإنّما تأتي على قاعدة معرفة[٦] ٣٣/ب في مجملات محكمة يعلم تفاصلها[٧] من أنزله .

((الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٣))) ..

وصف كاشف لبيان بعض صفات المؤمنين ، وقد استوفاها في آية الأنفال[٨] وغيرها .

((إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٤))) ..

هو مثل قوله : ((كذلك سلكناه في قلوب المجرمين))[٩] كما قدمناه قريبا[١٠] من العقوبة على قبائح الأعمال بالإبعاد عن الهداية . ولذا جعل تزيين قبائح أعمالهم خبرا عن كفرهم .

---

(١) فصلت ٤٤ .
(٢) لقمان ٣ .
(٣) النحل ٨٩ .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٥) يونس ٥٧ .
(٦) هكذا في النسختين ولعل الصواب (متفرّقة) أو (معروفة) ويكون سقط منها الواو .
(٧) هكذا في النسختين ولعله (تفاصيلها) باثبات الياء .
(٨) انظر سورة الأنفال ١ ـ ٤ ، وسورة المؤمنون ١ ـ ١١ .
(٩) الشعراء ٢٠٠ .
(١٠) انظر ص ١٦٧

[وأنه زين ذلك لهم عقوبة على كفرهم][1] فهم يتجبرون[2] لا يهتدون سبيل الهدى ، وهذا مقابل لقوله في صفات المؤمنين : (([وهم][3] بالآخرة هم يوقنون)) .

((أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون (٥) وإنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم (٦))) .

هو نظير ما تقدم في الشعراء في قوله : ((وإنّه لتنزيل رب العالمين))[4] وتقدم فيه الكلام[5] ، وأنه ليس اخبارا له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، اذ هو عالم بذلك ، ولا للمؤمنين لعلمهم به بل رد على من قال : ((إن هذا إلا قول البشر))[6] . ومن قال : ((إنّما يعلّمه بشر))[7] .. ونحو ذلك مما تقدم .

فالخبر هنا لافادة ولا لافادة لازم فائدة الخبر[8] . إذ هما هنا حاصلان قطعا بل لما ذكرناه[9] ، والأخبار تفيد فوائد جمة غير ما ذكره أئمة البيان من

---

(١) ساقطة من (م) .

(٢) هكذا في النسختين ولعل الصواب (يتحيرون) بالحاء المهملة والمثناة التحتية .

(٣) الضمير ساقط من النسختين .

(٤) الشعراء ١٩٢ .

(٥) انظر ص١٥٣

(٦) المدثر ٢٥ .

(٧) النحل ١٠٣ .

(٨) هذا الكلام غير واضح ولعل صوابه : فالخبر هنا لا لإفادة الخبر ولا للازم الفائدة .

(٩) حيث ذكر أن الغرض من الخبر هنا الرد على من قال : (إن هذا إلا قول البشر .... الخ) .

الأمرين[١] ، مما ذكروه أنه يأتي لنكت يدل عليها السياق والقرائن وغيرها .

((إذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب[٤] قبسٍ لعلكم تصطلون (٢))) .

في طه : ((لعلّي آتيكم منها بقبس))[٣] زيد هنالك ((لعلي)) وحذف ((شهاب)) ، وزيد هنا وحذف (لعلّي) .

وفي القصص : ((لعلّي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار))[٤] ، وفيهما[٥] ((لعلكم تصطلون)) وطواه في طه . ولا ريب أنه موقف واحد وكلام واحد وأنّ الذي طُوي[٦] / في محل وأتي[٦] به في آخر مراد وأنه من الاطلاق والتقييد كما اسلفناه[٧] ٣٤/أ
وأما تعدد التعبير بالقبس تارة وبشهاب قبس أخرى وبجذوة [مرة][٨] مع أنه

---

(١) يقول علماء البيان : ان الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين :
أ - إمّا أن يكون المخاطب جاهلا للحكم الذي تضمنه الخبر ويسمى حينئذ (فائدة الخبر) .
ب - أو إفادة المخاطب أن المتكلم عالمٌ أيضا بذلك الخبر ويسمى هذا النوع (لازم الفائدة) .
ثم قالوا : وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين الى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن ومن سياق الكلام .
جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ص ٥٤ .

(٢) ساقطة من ص .

(٣) طه ١٠ .

(٤) القصص ٢٩ .

(٥) أي النمل والقصص .

(٦) في (م) بالبناء للفاعل .

(٧) انظر ص١٨٩

(٨) ساقطة من (م) .

معلوم ظاهرا أنه لم يعبر موسى عليه السلام إلا بأحدها ، ولكنه [عبّر بلسان][1] عبري غير عربي فترجم الله تعالى ما قاله في الحكاية بالعربية والمحكي عبري ، فيحتمل أن اللفظ المحكي أفاد المعاني الثلاثة التي أفادت الثلاث العبارات وهي متقاربة في العربية في المعنى .

ففي معالم التنزيل عن قتادة ومقاتل الجذوة العود الذي قد احترق بعضه[2] . والقبس العود الذي في أحد طرفيه نار وليس في الآخر .[3]

وقال بعضهم : الشهاب هو شيء ذو نور مثل العمود ، والعرب تسمي كل أبيض ذي[4] نور شهابا .[5] والقبس القطعة من النار ، وأما الترجّي فهو مراد وإن طوي لأنه ليس بقاطع أنه يأتي بما ترجاه لأنه يجوز أن يُمنع عن أخذ قبس منها لاستيلاء الغير عليها وعدم قدرته عليه . واما ترجّيه الاصطلاء فانه يجوز أن[6] لا يأخذ من النار ما يصطلي أهله[7] ، فهو يرجوه لا يقطع به إذ الاصطلاء هو الاستدفاء بالنار ولا يكفي القليل منها فيه .

وفي طه : ((أو أجد على النار هدى))[8] ... فسرت الآية بهادٍ يدلني على

---

(١) ساقطة من (م) .
(٢) معالم التنزيل ٤٤٤/٣ . وقد عزاه الى قتادة ومقاتل .
(٣) معالم التنزيل ٤٠٦/٣ . ولم يعزه لأحد . وإذ أن كلام الصنعاني يفيد أن هذا أيضا من تفسير قتادة ومقاتل بينما نجد البغوي نقل عنهما تفسير الجذوة فقط .
(٤) في النسختين (ذو نور) والصواب ما أثبته من معالم التنزيل .
(٥) معالم التنزيل ٤٠٦/٣ .
(٦) في (م) (أنه لا يأخذ) .
(٧) هكذا في النسختين . وصوابها : (ما يصطلي به أهله) لأن الاصطلاء يتعدى بحرف الجر .
(٨) طه ١٠ .

الطريق [١] ، وكانوا قد ضلوا عنها .

وهنا وفي القصص (بخبر) أي بمن يخبرني عن الطريق ويهديني عليها ، فالكل يدل على معنى واحد . وأمّا تقديم التماس القبس على الاتيان بالخبر كما في طه وتأخيره عنه كما في ما عداها مع أن الظاهر أنه لم يقع في المحكي عنه الا تقديم [٢] أحدهما لا غير ، فانه دليل على أنه لا يلاحظ في الحكاية إلا حاصل مافي المحكي لا أنّه [٣] هو بصفته ، ثم إنّه كما يقال إنّها قضية مانعة [٤] الخلو لا الجمع لاحتمال أن يأتيهم بالأمرين بالخبر والقبس .

((فلما جاءها نودي)) ..

طوى هنا المنادى ومحل النداء لتصريحه بهما في غيره كما قدمناه [٥] أول سورة الشعراء .

/((أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين (٨))) .. ٣٤/ب

قال تعالى : ((نودي من شاطيء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة)) [٦] ، فوصف البقعة بالبركة .

قال المفسرون [إنّ] [٧] المراد بمن في النار موسى والملائكة، ومن حولها يحتملها [٨] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤٣/١٦ ، ومعالم التنزيل ٢١٣/٣ ، والكشاف ٤٢٨/٢.
(٢) في (م) (لا تقديم) باسقاط الهمزة .
(٣) في (م) (لأنه) باسقاط الهمزة .
(٤) أي الخلو من أحد الأمرين .
(٥) انظر ص٧
(٦) القصص ٣٠ .
(٧) ساقطة من (م) .
(٨) لم أجد أحدا من المفسرين ذكر هذا القول بلفظه . بل لا يخفى تناقض هذا القول، اذ كيف يكون موسى والملائكة في النار ثم يكونون حولها . بل الصواب أن نقول : ===

ولعل المراد أعم فإنّ لله جنودا لا يعلمها إلا هو ((وما يعلم جنود ربك إلا هو))[١] . والمراد بالنار

والمراد بالنار النور ، سميت نارا باعتبار تسمية موسى عليه السلام لها حيث قال : ((إني آنست نارا)) والمراد بارك الله من في النار وبارك من حولها .

والبقعة مباركة لما[٢] وصفها الله لما أفاض تعالى فيه[٣] من بركة الوحي وكلام الكليم[٤] فيها ، كما وصف أرض الشام بالبركة حيث قال : ((ونجّيناه[٥] أي إبراهيم ((ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين))[٦] ،، ووصف بيته العتيق بالبركة في قوله : ((إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين))[٧] . ووصف شجرة الزيت بالبركة في قوله : ((شجرة مباركة))[٨] . وجاءت[٩] في صفات

== أ : أن النار هي نور الله عز وجل ، فيكون من في النار هو ذاته الشريفة ، ومن حولها هم موسى والملائكة .
ب - أو يكون من في النار موسى والملائكة ، ومن حولها أي ما جاورها من الأرض ، فانها كانت مباركة كما قال تعالى في ابراهيم :((ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)) . انظر : تفسير ابن جرير ١٣٣/١٩ وتفسير ابن كثير ٣٥٦/٣ ، والكشاف ١٣٤/٣ .

(١) المدثر ٣١ .
(٢) هكذا في النسختين ولعل الصواب (كما) .
(٣) والصواب (فيها) بالتأنيث لأنه يعود الى البقعة ، أو يكون ذكّره باعتبار المعنى (المكان) .
(٤) في (م) (وكلام الكلام) .
(٥) في النسختين (فنجيناه) بالفاء . والصواب بالواو (ونجيناه) .
(٦) الانبياء ٧١ .
(٧) آل عمران ٩٦ .
(٨) النور ٣٥ .
(٩) أي البركة . ويلاحظ أن المؤلف أنّث الفعل هنا ثم ذكّره بعد ذلك حيث قال : وجاء في أعم من ذلك . فيمكن حمله على الوصف بالبركة .

الأشخاص كما قال عيسى عليه السلام : ((وجعلني مباركا أينما كنت))[١] ، وجاء في أعم من ذلك كما في دعاء القنوت (وبارك لي فيما أعطيت)[٣] ، ووصف تعالى الأرض أو جبالها بالبركة في قوله تعالى : ((وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها))[٤] . وقال تعالى : ((مشارق [الأرض][٥] ومغاربها التي باركنا فيها))[٦] .

وكما وصف بالبركة ما ذكر مما سردناه ، فانه تعالى وصف الشجرة بالطيبة في قوله : ((كشجرة طيّبة))[٧] ووصفها بالخبيثة في قوله : ((كشجرة خبيثة))[٧] والبقاع كما قال : ((والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا))[٨] . وفيها دليل على أنّ طيب الأرض الذي يخرج نباته وزرعه بإذن الله تعالى غير نكد .[٩]

((يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩))) ..

وفي طه : ((إنّني[١٠] أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ..))[١١] الآيات .

---

(١) مريم ٣١

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب القنوت في الوتر ٦٣/٢ ، وأخرجه الترمذي في أبواب الصلاة (باب ما جاء في القنوت في الوتر) ٣٢٨/٢ . وقال : هذا حديث حسن ... ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت في الوتر شيئا أحسن من هذا .

(٤) فصلت ١٠ .

(٥) ساقطة من (ص) .

(٦) الأعراف ١٣٧ .

(٧) ابراهيم ٢٤ ، ٢٦ .

(٨) الأعراف ٥٨ .

(٩) سيرجع المؤلف الى هذا الموضوع ص١٩٦ .

(١٠) في النسختين (إني) بنون مشددة فقط .

(١١) طه ١٤ .

وفي / القصص : ((إنّي أنا الله رب العالمين))[١] . ٣٥/أ

ولا ريب أنّه موقف واحد وكلام واحد وأنه خاطب تعالى موسى عليه السلام بلسانه ثم ترجمه لنا باللسان العربي ، وحاصل الذي أوحاه إلى موسى هو الإخبار بالتوحيد فبأي عبارة حكاه فهي تفيده ، فتعدد العبارات في الحكاية وإن كانت واحدة في المحكي لكن المعنى واحد فيهما هو ما ذكرناه .[٢]

واستوفى في طه المنادى له بزيادة ((فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري ، إنّ الساعة ..))[٣] الآيات . واختصر فيما عداها .

واعلم أنّا قد ذكرنا ما وصفه الله بالبركة مما اسلفناه[٤] ، ووصف أيضا بالبركة القرآن فقال : ((وهذا كتاب أنزلناه مبارك))[٥] . ووصف به المطر فقال : ((و[٦] نزّلنا من السماء ماء مباركا))[٧] .

وأنواع البركة مختلفة ففي الأشخاص كرسل الله بركتهم ما أجراه الله على أيديهم من إبلاغ الرسالات بعد اظهار المعجزات ودعاء العباد الى التوحيد والعبادات ونجاتهم من قبائح السيئات وغير ذلك مما لا تحيط به العبارات ، ومن فروعهم[٨] العلماء المبلغون عنهم الآيات ، والنافعون لعباد الله بتعليمهم أمور[٩] الديانات .

---

(١) القصص ٣٠ .
(٢) انظر ص ١٩٣
(٣) طه ١٤ - ١٥ .
(٤) وختم الكلام عنه ص ١٩٥ ثم استأنفه هنا أيضا ، وكان الأولى به أن يذكره هناك ولا يفصل بينهما هكذا .
(٥) الانعام ١٥٥
(٦) في النسختين (وأنزلنا) والصواب بحذف الهمزة مع التشديد (ونزلنا) .
(٧) ق ٩ .
(٨) (م) (ومن فر عهم) بالافراد .
(٩) في (ص) (لمور الديانات) .

وبركة البقاع ما يظهره الله فيها من الطاعات ، وأبرك البقاع مكة أم القرى وما كان فيه[١] ظهور الحسنات من غيرها من البقاع المقدسات ، وبركة القرآن لا تحيط بمنافعه العبارات ، فهو الدليل على جميع الخيرات ، الداعي الى طرق السعادات ، المنادي بما فيه على اكتساب الحسنات واجتناب الخطيئات . وبركة المطر بما عقّب الله تعالى[٢] وصفه بالبركة بقوله : ((فأنبتنا به جنات وحب الحصيد))[٣] . وقوله : ((لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا))[٤] . ومن انباته لكل[٥] زوج بهيج[٦] وكم وكم فوائد للغيث ، وانما ينبّه القرآن على بعض الفوائد .

((وألق عصاك / فلما رأها تهتز كأنّها جآن ولّى مدبرا ولم يعقب ياموسى ٣٥/ب لا تخف إنّي لا يخاف لدي المرسلون (١٠) إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم (١١))) ..

قد طوى هنا شيء[٧] كثير مما ذكره في طه وهو مراد هنا ، لأن الموقف واحد وكل مطلق مختصر مقيد بما هو مطوله في مقام آخر ، حيث المقام واحد ، أي مقام المحكي .

وقوله ((إلا من ظلم)) [هو متصل[٨] أي لا يخاف من المرسلين ((إلا من

---

(١) في (م) (فيها) بالتأنيث .
(٢) في (م) (من وصفه) بزيادة من .
(٣) ق ٩ . وهذا بعد قوله ((ونزّلنا من السماء ماء مباركا)) .
(٤) الفرقان ٤٩ . وهذا بعد قوله ((وأنزلنا من السماء ماء طهورا)) .
(٥) في (م) (من كل زوج) .
(٦) يشير الى ماذكره الله تعالى في سورة الحج (٥) . وسورة ق (٧) .
(٧) الصواب (شيئا كثيرا) مفعول طوى وجعله نائب فاعل ضعيف .
(٨) كون الاستثناء هنا متصلا هو ما رجحه ابن جرير ١٣٧/١٩ - ١٣٨ .

ظلم ﴾[١] ، وهو إلمام بقولة موسى عليه السلام لما قتل القبطي[٢] :((قال رب إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنّه هو الغفور الرحيم))[٣] . وقد قال أبو البشر[٤] ((ربنا ظلمنا أنفسنا))[٥] . وقال نوح عليه السلام: ((وإلاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين))[٦] .

فالآية إخبار منه تعالى أنه لا يخاف لديه إلا من ظلم ، وهو يشتمل صغائر الذنوب وكبائرها ، فالكل ظلم للنفس وأنه إذا ظلم نفسه ثم بدل حسنا بعد سوء توبة بعد ذنب فانه تعالى غفور رحيم .

((وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء)) ..

هاتان العصا واليد هما أمهات آيات موسى عليه السلام . ولذا قال الله تعالى فيهما : ((فذانك برهانان من ربك))[٧] .

((في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنّهم كانوا قوما فاسقين (١٢) فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (١٣))) .

في تسع متعلق بمقدر دل عليه السياق ، أي أذهب ، ومثله في القصص

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٢) انظر الكشاف ١٣٥/٣ ، وتفسير ابي السعود ٢٧٥/٦ .
(٣) القصص ١٦ .
(٤) هكذا في النسختين بالافراد . ولعل الصواب بالتثنية ويؤيده ما جاء في نص الآية ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا)) .
(٥) الأعراف ٢٣ .
(٦) هود ٤٧ .
(٧) القصص ٣٢ .

((بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون))[١] . هنا قوله : ((في تسع آيـــات)). ذكر تعالى عددها في آخر سورة الاسراء[٢] ، والذي ذُكر منها في القرآن صريحـــا اليد والعصا . ولذا قال ((برهانان)) ، ومن قال إنّهما آية واحدة فهو كـــلام بعيد[٣] ، وذكر تعالى ((الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات [مفصلات][٤] فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين))[٥] . فهذه سبع آيات منصوصات في القرآن / وعدّ ٣٦/أ المفسرون الاثنتين بأنها[٦] الطمس على أموالهم والجدب في مزارعهم .

قلت : وهو قوله تعالى : ((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص مـــن[٧] الثمرات لعلهم يذّكرون))[٨] ، ولا يحسن عد فلق البحر فإنه لم يبعث به إلـــى فرعون .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم : (كان ابن عباس يقول : التسع الآيات : يد موسى وعصاه وعدّ ما عددناه وجعل الثامنة السنين في بواديهم ومواشيهم ونقص من الثمرات في أمصارهم)[٩]

---

(١) القصص ٣٥ .

(٢) انظر الآية ١٠١ من سورة الاسراء .

(٣) لم أجد أحدا ذكر هذا القول فيما عندي من المراجع . وإنّما ذكـــر ابن الجوزي ٩٢/٥ ، والقرطبي ٣٣٦/١٠ عن الحسن البصري أنه جعل السنين والنقص من الثمرات آية واحدة . وقد أخرجه عن الحسن أيضا ابن جريـــر ١٧٢/١٥ ، وعبدالرزاق ص ٣٠٤ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .

(٥) الأعراف ١٣٣ .

(٦) والصواب (بأنهما) بالتثنية .

(٧) في النسختين (ونقص من الأموال والثمرات) بزيادة الأموال وهي ليست من الآية .

(٨) الأعراف ١٣٠ .

(٩) أخرج عبدالرزاق في تفسيره ص ٣٠٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قولـه ((تسع آيات بينات)) . قال : هي متتابعات وهي في سورة الأعراف ((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات)) . ===

واعلم أنّ هذه التسع هي المراد بقوله تعالى : ((ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى))[١] في طه.

وفي القمر : ((كذّبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر))[٢] ، فالإضافة عهدية والمعهود التسع ، والتأكيد بكلها صحيح .

((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) .. أي علمتها أنفسهم علما يقينا بأنها آيات من الله ، ومثله قول موسى عليه السلام لفرعون : ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض))[٣] ، فإنّ الإشارة بهؤلاء الى التسع الآيات .

واعلم أنّ هذه الآية حاكمة على كل آية جاءت بها رسل الله تعالى إلى قومهم بأنهم استيقنوها ولم يكذبوها إلا جحودا .

قال ابن عباس : (الجحود لا يكون إلا من بعد المعرفة ، ومثله

== قال : السنين لأهل البوادي ، ونقص من الثمرات لأهل القرى ، فهاتان آياتان ، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم هذه خمس ، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء ... وعصاه إذ ألقاها فاذا هي ثعبان مبين . أهـ .
وأخرجه ابن جرير أيضا وساق مثله عن مجاهد وعن الشعبي .
انظر : تفسير ابن جرير ١٥/١٧١ ـ ١٧٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/٦٦ ، حيث نقل هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة ، ثم قال : وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي . أهـ .
وانظر الدر المنثور ٦/٣٤٣ .

(١) في النسختين (كذبوا بآياتنا كلها) وليست هذه الآية في سورة طه كما يفهم من كلامه ، وإنّما هي في سورة القمر كما ذكرها بعد ذلك ، وأما آية طه فهي ما اثبتها وهي الآية ٥٦ من طه .

(٢) القمر ٤٢ .

(٣) الاسراء ١٠٢ .

قال قتادة)[1] . فهم عالمون أنّها حق وإلا لما ثبتت حجة الله عليهم ، وهو تعالى يقول أنه لم يرسل الرسل إلا ((لئلا يكون[2] للناس على الله حجة بعد الرسل))[3] . فلو لم تقم عليهم الحجة ويعلموا صدقها وأنّ رسولهم رسول من الله وأنه صادق ، لم يتم أنّها قامت عليهم الحجة .[4]

وقد أخبر الله أنّه أقامها عليهم وهم هم[5] مقرون في الآخرة وهم في طبقات النار أنّها جاءتهم الرسل حين يقول لهم خُزّان[6] النار ((ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم[7] وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى))[8] . / أي بلى ٣٦/ب جاءتنا الرسل وتلت علينا آيات الله وأنذرتنا لقاء يومنا هذا .

وفي آية الأنعام : ((يا معشر الجن والإنس[9] ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا[10] شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير ١٤٠/١٩ و ٤/٢١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ١٠١ ، والدر المنثور ٣٤٣/٦ .
وقال الجوهري : الجحود الانكار مع العلم .
انظر الصحاح ٤٥١/٢ مادة جحد .
وقال الراغب : الجحود نفي ما في القلب اثباته واثبات ما في القلب نفيه .
مفردات الراغب ص ٨٨ .

(٢) في (ص) (تكون) بالمثناة الفوقية وليست قراءة .

(٣) النساء ١٦٥ .

(٤) هكذا في النسختين والعبارة حينئذ ركيكة فلعل صوابها لصح اعتذارهم . أو لما عُموا جاحدين .

(٥) هكذا في النسختين ، فلعلها مزيدة للتأكيد .

(٦) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب خزنة جمع خازن ، وبه ورد القرآن الكريم ((وقال الذين في النار لخزنة جهنم ..)) الآية ٤٩ غافر .

(٧) في النسختين (آيات الله) .

(٨) الزمر ٧١ .

(٩) في كلا النسختين (يا معشر الانس والجن) تقديم وتأخير .

(١٠) في النسختين (قالوا بلى شهدنا) بزيادة بلى .

الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين))[١] . ومنه : ((كلّما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء))[٢] .

فأخبروا[٣] أنهم جاءهم النذير[٤] ـ وأنهم كذّبوه وقالوا ما أنزل الله من شيء ـ ولكنهم كذّبوه عنادا لقولهم عقب : ((وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل))[٥] ، أي سماع قبول الحق ، وإلا فقد سمعوه[٦] ما كذّبوا به . ((أو نعقل)) أي عقلا نثقاد به إلى اتباع الرسل ، وإلا فقد كانوا يعقلون وإلا لما بعث إليهم الرسل ، وقد بسطنا هذا المعنى في[٧] مسألة مستقلة[٨] بحمد الله ولا أعلم من بسط مثل هذا .

((ظلما وعلوّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٤))) [ظلما][٩] منتصب على أنه مفعول له علة لجحدوا بها أخر[١٠] عن معلوله[١١] ، والأصل ((وجحدوا

---

(١) الانعام ١٣٠ .
(٢) الملك ٨ ـ ٩ .
(٣) كان الأولى أن يقول فأقروا لأن المقام مقام تقريع وتهديد وليس بمقام إخبار .
(٤) في (م) (النذر) .
(٥) الملك ١٠ .
(٦) هكذا في النسختين . ولعل صوابها (سمعوا ما كذّبوا به) .
(٧) في (ص) (في في مسألة) بتكرير حرف الجر .
(٨) لا ريب أنّ ما قاله المؤلف حق إذ لو لم يعلموا لسقط عنهم التكليف . وأمّا مكان بسطه لهذه المسألة فلم اهتد اليه فيما اطلعت عليه من كتبه ، إلا أن يقصد بذلك ما ذكره في إيقاظ الفكرة ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ١٧٢ ـ ١٧٥ ، وفي تطهير الاعتقاد ص ١٤ ـ ١٦ من أدلة على إقرار الكفار بربوبية الله سبحانه وتعالى .
(٩) ساقطة من (م) .
(١٠) في (م) (أخرا) .
(١١) ويصح نصبها أيضا على الحال كما ذكر ذلك أبو السعود ٦/٢٧٥ .

بها ظلما وعلوا واستيقنتها أنفسهم)) ، ولا يصحّ أن يكونا مفعولين به لقوله : ((استيقنتها)) أي يكون أنهم استيقنوا أن[١] الكفار حصل لهم يقين أن آيات الله ظلما وعلوا أي ظلما من الرسل يريدون ظلم الأمم وعلوا عليهم أي يريدون العلو كما قال فرعون : ((وتكون لكما الكبرياء في الأرض))[٢] .

فإنّ هذا باطل لأنه يكذب هذا[٣] قول موسى عليه السلام لفرعون : ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر))[٤] ، وأنّ الآيات أنزلت لإقامة الحجة ، وقد قامت عليهم .

وهذه الآية نظير قوله فيهم : ((ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا [الى فرعون وملائه][٥] فظلموا بها))[٦] . وقوله : ((بما كانوا بآياتنا يظلمون))[٧] / ولقد ظلموا آيات الله أعظم ظلم حيث حطّوها عن رتبتها [العلية][٨] وسمّوها[٩] سحرا مع تيقنهم[١٠] أنّها آيات الله . ٩/٣٧

ومثله ((وعلّوا)) أي استكبارا عن الإيمان بها[١١] والانقياد لمن جاءهم

---

(١) هكذا في النسختين ولعلّ الصواب (أي الكفار) حتى يستقيم الكلام .
(٢) يونس ٧٨ .
(٣) هكذا في النسختين وصوابه لأنه يكذّبه قول موسى ، أو لأنه يكذب قول موسى .
(٤) الاسراء ١٠٢ .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٦) الأعراف ١٠٣ .
(٧) الأعراف ٩ . وهي عامة في كل من خفت موازينه وليست خاصة ، بقوم فرعون كما يفهم من صنيع المؤلف .
(٨) ساقطة من (م) . وفي تفسير أبي السعود ٢٧٥/٦ العالية .
(٩) في (م) (وسمو سحرا) باسقاط الضمير .
(١٠) في (م) (تيقنهما) بالتثنية .
(١١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٧٥/٦ .

بها ، وهو كقوله : ((والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا))[١] ، ونظير قوله : ((وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى[٢] الأمم ... الى قوله : ((استكبارا في الأرض ومكر السيء ..)) الآية[٣] .

والحاصل : أنه لا يجحد بآيات الله ويكذب رسله الا أهل الكبر والعلو ، ولذا يتجادلون في النار فـ ((يقول[٤] الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ..)) إلى قوله : ((وقال الذين[٥] استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ..)) الآية .[٦]

ويقول[٧] : ((ربنا [إنّا][٨] أطعنا سادتنا وكبرآئنا فاضلونا السبيلا))[٩] ، ((قال [الملأ][١٠] الذين استكبروا [من قومه][١٠] للذين استضعفوا [لمن آمن][١٠] منهم أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربه ..)) الآية .[١١]

---

(١) الأعراف ٣٦ وتمام الآية ((والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) .
(٢) في النسختين (أحد) بالتذكير .
(٣) فاطر ٤٢ ـ ٤٣ .
(٤) في كلا النسختين (فيقول) باثبات الفاء .
(٥) في كلا النسختين إلى قوله ((قالوا بل مكر الليل والنهار) بالاضمار . والصواب بالاظهار .
(٦) سباء ٣١ .
(٧) إمّا أن يكون تقدير اللفظ (ويقولون) وسقطت منه الواو والنون ، أو يكون على تقدير ويقول الله اخبارا عن حسرتهم يوم القيامة .
(٨) ساقطة من النسختين .
(٩) الأحزاب ٦٧ .
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(١١) الأعراف ٧٥ .

وهم المتكبرون هم الذين عاقبهم الله بأن صرفهم عن آياته فقال : ((سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين))[١] .. ونحو هذا كثير في القرآن .

والصرف عن الآيات صرف قلوبهم عن الإيمان بها وأسماعهم عن السماع لها . ومنه : ((وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن [وحده][٢] ولّوا على أدبارهم نفورا))[٣] . ((ولقد آتينا داود وسليمان علما ..)) الآية ، تقدم قوله فيهما[٤] ((وكلا آيتنا حكما[٥] وعلما[٦])) . [أي كل واحد من داود وسليمان آتينا حكما[٧] وعلما][٨] ، وقال : ((ولقد آتينا داود منا فضلا))[٩] / وهو نظير قوله تعالى في خطاب محمد صلى الله عليه وعلى آله ٣٢/ب وسلم : ((وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما))[١٠] . ونحوه : ((ولوطا آتيناه حكما وعلما))[١١] .

والعلم [من أعظم][١٢] هبات الله لعباده . ولذا يمتن[١٣] به تعالى على

---

(١) الأعراف ١٤٧ .
(٢) ساقطة من النسختين .
(٣) الاسراء ٤٦ .
(٤) هذه الإحالة دليل على تفسيره لما تقدم من السور .
(٥) في النسختين (وكلا آتينا علما وحكما) تقديم وتأخير .
(٦) الأنبياء ٧٩ .
(٧) في (ص) (علما وحكما) تقدم وتأخير .
(٨) ما بين المبعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) سبأ ١٠ .
(١٠) النساء ١١٣ .
(١١) الأنبياء ٧٤ .
(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١٣) في النسختين (ولذا ايمتن) بزيادة الألف .

من أعطاه ، وقال الملائكة : ((لا علم لنا إلا ما علّمتنا))[١] ، وقصر الله خشيته على العلماء فقال : ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء))[٢] .

ولذا كان أعلم الخلق بالله أخشاهم له [وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ـ وأخشاهم[٣] له] ـ[٤] (إنّي لأخشاكم لله)[٥] .

((وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥))) .

هكذا رُسل الله وأنبيائه وصالحوا عباده يقابلون ما تجدد من النعم بالحمد لله[٦] الذي اسداها ، كما قال ابراهيم : ((الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق))[٧] . وأهل الجنة يقولون : ((الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي))[٨] ، ((وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين))[٩] .

وأمر الله تعالى نوحا عند صرف النقم أن يحمده كما قال : ((فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين))[١٠] .

وأمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحمده مطلقا : ((قل الحمد

---

(١) البقرة ٣٢ .
(٢) فاطر ٢٨ .
(٣) هكذا في (ص) فلعلها زائدة سهوا أو من باب عطف الصفات على بعضها بعض .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٥) هذا جزء من حديث أخرجه الشيخان وغيرهما .
انظر فتح الباري ١٠٤/٩ ـ كتاب النكاح .
(٦) في (م) (من النعم بالله) سقط لفظ الحمد .
(٧) إبراهيم ٣٩ .
(٨) الأعراف ٤٣ . وتمام الآية ((وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ...)) .
(٩) يونس ١٠ .
(١٠) المؤمنون ٢٨ .

لله وسلام على عباده الذين اصطفى))[١].

وفي قول داود وسليمان : ((على كثير من عباده المؤمنين)) لم يقل[٢] : على المؤمنين ، لعلمه[٢] بأنّ الله متفضل ومفضل لكثير من عباده ، فالمقطوع أنه فضّلهما على كثير ، إذ ليس كل أحد آتاه الله علما، بل يخص بالعلم من يشاء ممن يصطفيه من عباده ، كما خص آدم أبا البشر بتعليم الأسماء وفضّله به على الملائكة حتى قالوا : ((سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا))[٣] وأمرهم بالسجود له .

ولذا خص الله الخضر عليه السلام بعلم لم يعطه الكليم عليه السلام / وخص ٣٨/أ
الكليم بعلم لم يحط به الخضر عليه السلام ، كما قال تعالى : ((فوجدا[٤] عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما))[٥] ، وكما قال الخضر لموسى عليه السلام : (إنّك على علم علّمك الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ...) الحديث . أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف.[٦]

وفي كلامهما احتراز عما وقع لموسى عليه السلام من قوله حين سئل : هل أحد أعلم منه ؟ فقال : لا . فعتب الله عليه وأوحى إليه أنّ لنا عبدا أعلم منك .. الحديث في البخاري وغيره .

وتفرع عليه [ذهابه][٧] إلى الخضر عليهما السلام وما وقع بينهما مما قصه

---

(١) النمل ٥٩ .
(٢) أفرد الفاعل مع أنه يعود على مثنّى فكان الأولى أن يقول لم يقولا .. لعلمهما
(٣) البقرة ٣٢ .
(٤) في (م) (فوجد) . بالإفراد .
(٥) الكهف ٦٥ .
(٦) انظر : فتح الباري ٤٢٣/٨ .
(٧) ساقطة من (م) .

الله تعالى ، وإن كان قد وقع في [رواية][1] أنه قيل لموسى عليه السلام : [هل][2] تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا . ففيهما[3] أنه سئل هل تعلم[4] ولا عتب عليه في هذا ، وكأنّه كان الأحسن أن يقول : الله أعلم ، ويكل ذلك إلى الله تعالى .

وقال يعقوب عليه السلام لبنيه : ((ألم أقل لكم إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون))[5] ، وكان من علمه بالله رجاؤه أن يأتيه بولديه جميعا ، حيث قال : ((عسى الله أن يأتيني بهم جميعا))[6] ، ولقد عَلّم أولاده ((قالوا تا لله إنّك لفي ضلالك القديم))[7] .

((وورث سليمان داود))[8] . أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : (كان داود أعطي ثلاثا[9] سخرت له الجبال يسبّحن معه ، وأُلين له الحديد ، وعُلم منطق الطير[10]

---

(١) ساقطة من (م) .
(٢) ساقطة من (م) .
(٣) هكذا في النسختين . والصواب (فيها) بالافراد لأنه يعود على رواية (هل تعلم) .
(٤) كلا الروايتين اللتين ذكرهما المؤلف قد أخرجهما البخاري في صحيحه . انظر فتح الباري ٤٣١/٦ و ٤٠٩/٨ ، ٤١١ .
(٥) يوسف ٩٦ .
(٦) يوسف ٨٣ .
(٧) يوسف ٩٥ .
(٨) في (م) (داودا) بالنصب والتنوين .
(٩) في النسختين (ثلاث) بالرفع . والصواب نصبها مفعولا ثانيا لأعطى ، كما في تفسير ابن أبي حاتم والدر المنثور .
(١٠) في تفسير ابن أبي حاتم ص ١٠٩ زيادة (وسخرت له الجن) وعلى هذا يكون المعدود أربعا . وهذا خلاف ما جاء في أول الأثر ، وخلاف ما جاء في الدر المنثور ٣٤٤/٦ .

فلما مات عُلّم سليمان منطق الطير وسُخرت له الجن وكان ذلك مما ورِث[١] عنه ولم تسخر له الجبال ولم يلن[٢] له الحديد)[٣] .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ((وورث سليمان داود)) قال : (ورثه نبوته وملكه وعلمه)[٤]

---

(١) قوله (وكان ذلك مما ورث عنه) إمّا وهم من الراوي ، أو يكون محلها بعد قوله : علم سليمان منطق الطير . إذ أنّ تسخير الجن كان خاصا لسليمان عليه السلام ولم يرثه عن أبيه ، كما هو واضح في أول سياق هذا الأثر ، وكما دلت عليه نصوص القرآن الكريم .
وقال ابن كثير - بعد أن ذكر تسخير الله الجن لسليمان - : هذا كله من جملة ما هيّأه الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، ولم يكن أيضا لمن كان قبله . أهـ .
من البداية والنهاية ٢٨/٢ .
وتحت عنوان نعم الله على سليمان قال الصابوني : سخر الله تعالى له الجن ومردة الشياطين... ولم يكن هذا التسخير لأحد من الأنبياء غير سليمان عليه السلام . أهـ . من النبوة والأنبياء ص ٢٩٩ = ٣٠٠
وقد صرح المؤلف ص ٢٤٢ بأنّ تسخير الرياح والجن خاص بسليمان عليه السلام .

(٢) في النسختين (يلين) والصواب بحذف الياء (يلن) .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ص ١٠٩ ، والدر المنثور ٣٤٤/٦ .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ص ١١٢ ، والدر المنثور ٣٤٤/٦ .
وانظر معالم التنزيل ٤٠٨/٣ . فقد فسر البغوي الآية بهذا اللفظ دون أن يعزوه لأحد .
وقال ابن كثير ٣٥٨/٣ : وقوله تعالى ((وورث سليمان داود)) أي في الملك والنبوة ، وليس المراد وراثة المال ، إذ لوكان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة ، فان الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (نحن معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه فهو صدقة) . أهـ .
قلت : وهذا الحديث أخرجه الجماعة الا ابن ماجة . انظر فتح الباري ١٩٧/٦ كتاب فرض الخمس ، ومسند أحمد ٤٦٣/٢ .

((وقال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير)) . هذا من التحدّث بنعمة الله وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال : ((وأما بنعمة ربك فحدث))[١] . فحدّث سليمان بنعمة الله وهي اعطاؤه فهم منطق الطير ، أي ما ينطق به/[ويفوه][٢] به ، وهو من العلم الذي آتاه الله وأخبر بالمعجزة التي ٣٨/أ
خص بها .

ونحوه تحدث يوسف عليه السلام : ((رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث))[٣] .

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (أنا سيد ولد آدم)[٤] ونحوه من الأحاديث في ذلك .

واعلم أن المنطق يطلق ويراد به كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا أو مركبا .[٥]

وقد يطلق على كل ما يصوّت به[٦] والمؤلف المفيد وغير المفيد[٧] يقال نطقت الحمامة . ومنه قوله :

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت .. حمامة فوق غصن ذات أو قال[٨]

---

(١) الضحى ٨ .
(٢) ساقطة من (م) وتُرك لها فراغ بمقدارها .
(٣) يوسف ١٠١ .
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣ ، وأبو داود ٢١٨/٤ كتاب السنة ، وابن ماجة ١٤٤٠/٢ كتاب الزهد . وانظر صحيح البخاري مع الفتح ٣٧١/٦ ، وصحيح مسلم ١٨٤/١ كتاب الإيمان .
(٥) في (م) (مفردا ومركبا) بالعطف دون التخيير ، وفي أبي السعود ٢٧٦/٦ (مفردا كان أو مركبا) .
(٦) في الكشاف : والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد .
(٧) انظر : الكشاف ١٣٦/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٧٦/٦ .
(٨) البيت لأبي قيس بن رفاعة كما ذكر ذلك السيرافي في شرح أبيات سيبويه ٨٠/٢

والذي علمه الله سليمان من منطق الطير هو ما يفهم مراد الطير من معانيه وأغراضه[١] .

واعلم أنه جعل الله لكل مخلوق من حيوان أو غيره نطقا كما قال : ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم))[٢] . وعلم سليمان فقه منطق الطير فكان يفهم ما ينطق كما يفهم لغة من يفهمه من لغات بني آدم ، وكان يترجم لقومه ما يسمعه منها . وفي معالم التنزيل كثير من ذلك[٣] وفي غيره من كتب التفسير .

وليس تخصيص منطق الطير يقضي أنه لم يعلم منطق غيره ، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال : (كان داود يقضي بين البهائم يوما[٤] وبين الناس يوما فجاءت بقرة فوضعت قرنها في حلقة الباب فنغمت[٥] كما تنغم[٦] الوالدة على ولدها وقالت : كنت شابّة وكانوا ينتجونني ويستعملونني ثم إنّي كبرت فأرادوا أن يذبحوني . قال داود : احسنوا اليها ولا تذبحوها ، ثم قرأ :

---

(١) هكذا في النسختين ويبدو أنّ المؤلف أراد نقل كلام الزمخشري . ونصه : والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه . أهـ .
الكشاف ١٣٦/٣ ، وأبي السعود ٢٧٦/٦ .
مع أنّ المؤلف رحمه الله تعالى يعارض هذا التعريف - كما سيأتي في ص٢١٩ فما بعد - فكان الأولى به أن يقول ما قاله النسفي ٣٧٧/٣ من تفسيره . حيث قال : وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض .

(٢) الاسراء ٤٤ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤٠٩/٣ ، والكشاف ١٣٦/٣ ، والقرطبي ١٦٥/١٣ .

(٤) في تفسير ابن أبي حاتم (يومان) بالتثنية .

(٥) في تفسير ابن أبي حاتم ص ١١٦ ، والدر المنثور ٣٤٥/٦ (ثم تنغمت) .

(٦) والنغم الكلام الخفي . لسان العرب ٥٩٠/١٢ نغم .

((علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء))[١] .

((وأوتينا من كل شيء)) ضمير المفعول[٢] عائد إلى داود وسليمان معا ، أي أوتينا معا من كل شيء فلا ينافيه انه اختص داود بتسخير الجبال معه والطير وإلانة الحديد له كما قال تعالى : ((وسخّرنا مع داود الجبال/يسبحن)) الآية[٣] ٣٩/أ وقوله : ((ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد))[٤] وسليمان اختص بتسخير الريح له والجن[٥] .

وقوله : ((من كل شيء)) نظير قول الهدهد كما حكاه الله عنه أنه قال في بلقيس : ((وأوتيت من كل شيء))[٦] مع أنها لم تؤت ملك سليمان ، كما أن سليمان لم يؤت ملكها ، فهو استغراق عرفي نحو قوله في ريح عاد ((تدمر كل شيء))[٧] ولم تدمر السموات والأرض .

أخرج الحاكم عن محمد بن كعب قال (بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها[٨] ثلاثمائة مريحة[٩] وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته فأمر الريح فسارت[١٠] فأوحى الله إليه[١١]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ص ١١٦ ، والدر المنثور ٣٤٥/٦ .
(٢) هو في الأصل مفعول به ولكنه مرفوع لفظا لأنه نائب فاعل .
(٣) الانبياء ٧٩ .
(٤) سباء ١٠ .
(٥) انظر سورة الانبياء ٨١ ، ٨٢ ، وسباء ١٢ .
(٦) النمل ٢٣ .
(٧) الأحقاف ٢٥ .
(٨) في المستدرك (منها ثلاثمائة) .
(٩) الصريح الخالص من كل شيء . لسان العرب ٥٠٩/٢ (صرح) والمراد به هنا الزوجة .
(١٠) في المستدرك والدر المنثور (فسارت به) .
(١١) في المستدرك (فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك) .

إني زدت في ملكك ان لا يتكلم [1] أحد بشيء الا جاءتك [2] الريح فأخبرتك به) [3] .

وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند [4] وابن المنذر عن وهب بن منبه قال : (مرّ سليمان بن داود وهو في ملكه قد حملته الريح - على رجل حرّاث من بني إسرائيل فلما رآه قال : سبحان الله لقد أوتى آل داود ملكا فحملتها الريح حتى وضعتها في أذنه فقال : إيتوني بالرجل ، فأتي به فقال : ماذا قلت ؟ فأخبره فقال سليمان : إنّي خشيت عليك الفتنة لثوابُ سبحان الله عند الله يوم القيامة أعظم مما رأيت آل داود أوتوا . فقال الحرّاث اذهب الله همّك كما اذهبت همي) [5]

وأخرج ابن المنذر عن يحي بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لبني إسرائيل : (ألا أريكم بعض ملكي اليوم ؟ قالوا : بلى يا نبي الله . قال : يا ريح ارفعينا فرفعتهم الريح فجعلتهم بين السماء والأرض . ثم قال : يا طير اظلينا فأظلتهم الطير بأجنحتها لا يرون الشمس / فقال : يا بني إسرائيل أي ملك ترون ؟ ٣٩/ب قالوا : نرى ملكا عظيما . قال : فوالذي نفس سليمان بيده لقول العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير خير من ملكي هذا ومن الدنيا وما فيها ، يا بني إسرائيل من خشي الله في السر والعلانية وقصد في الغنى والفقر وعدل في الرضى والغضب وذكر الله على كل حال فقد أُعطي مثل ما أُعطيت) [5]

---

(١) في المستدرك (أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فأخبرتك) .

(٢) المستدرك ٥٨٩/٢ ، كتاب التأريخ ، وتفسير الطبري ١٤١/١٩ ، والدر المنثور ٣٤٥/٦ .

(٣) هكذا في النسختين ، وفي الدر المنثور ٣٤٦/٦ : في زوائد الزهد والصواب أنه في الزهد لأحمد بن حنبل ص ٥١ .

(٤) انظر الزهد لأحمد بن حنبل ص ٥١ . ومما يلاحظ أن السيوطي رحمه الله تعالى ذكره بألفاظ تختلف عن ألفاظه في الزهد .

(٥) الدر المنثور ٣٤٦/٦ ، وقد أخرج ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم وغيره ما يقارب هذا الأثر في معناه وذلك في تفسيره ١٨٧/٣ .

((إنّ هذا لهو الفضل المبين (١٦))) ..

إشارة إلى كل ما سلف من إيتاء الله لهما العلم وتعليم منطق الطير والايتاء من كل شيء، أي من كل شيء يؤتاه الانبياء عليهم السلام والملوك[١] .

قال ابن عباس من أمر الدنيا والاخرة[١] . وهو من عطف العام على الخاص ، ولذا قال : ((إنّ هذا)) أي الذي اعطاهما الله تعالى . ((لهو الفضل)) أي الزيادة على ما أعطى كثيرا من المؤمنين الذين فضّلا عليهم . كما قال : ((الحمد لله الذي فضلنا)) ، ولا يخفى أنهما حمدا الله عز وجل وذكرا فضله وخصّا بذلك ما آتاهما من العلم تعظيما لشأن عطية العلم على كل عطية ، ولهبته على كل هبة . والمبين الذي أبان للعباد [نفسه فان هذا الفضل أبان للعباد][٢] عظمته فانه ظاهر لكل أحد وأي شيء أظهر من تعليم منطق الطير وتسخير الريح والجن والإنس والطير له .

((وحشر لسليمان)) كانت[٣] الآيات عامة لداود وسليمان ، وهذا خاص بسليمان . والحشر الجمع ، ومنه ((فأرسل فرعون في المدائن حاشرين))[٤] . ومنه : ((وإذا الوحوش حشرت))[٥] . ومنه : ((ثم إلى ربهم يحشرون))[٦] .

((جنوده)) جمع جند . ومنه : ((وما يعلم جنود ربك إلا هو))[٧] . ومنه

---

(١) معالم التنزيل ٣/٤١٠ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٣) في (م) (كان الآيات) بتذكير الفعل .
(٤) الشعراء ٥٣ .
(٥) التكوير ٥ .
(٦) الأنعام ٣٨ .
(٧) المدثر ٣١ .

((وهم لهم جند محضرون))[١] . ومنه حديث : (الأرواح جنود مجنّدة)[٢] .

((من الجن)) ..

يحتمل أنّ المراد منهم الشياطين ، فان إبليس كان [منهم][٣] لقوله تعالى : ((والشياطين / كل بنّاء وغوّاص))[٤] . ((ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك))[٥][٦] . ٤٠/٢١

ويحتمل أنه سخر له الجن والشياطين منهم *

((فهم يُوزعون (١٧))) ..

قال قتادة : " كان على كل صنف[٧] من جنوده وزعة يرد[٨] أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير ."[٩]

---

(١) يس ٧٥ .

(٢) أخرجه البخاري وغيره ، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ٣٦٩/٦ كتاب الأنبياء .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من النسختين وهي مما يقتضيه السياق .

(٤) ص ٣٧ .

(٥) الانبياء ٨٢ .

(٦) ومما يشهد بأن إبليس كان من المسخرين لسليمان عليه السلام ـ الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنّ عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي . فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة . فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة) . أهـ .
من صحيح مسلم ٣٨٥/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

(٧) في معالم التنزيل صف .

(٨) في معالم التنزيل ترد بالمثناة الفوقية .

(٩) معالم التنزيل ٤١٠/٣ . وانظر تفسير الطبري ١٤١/١٩ ، فقد أخرجه عن ابن عباس وعن قتادة أيضا ..

* على القول الأول فسر الجن بالشياطين فقط ، وأما على القول الثاني فقد فسر الجن بما هو أعم من الشياطين وهو أولى عند الأول .

والوازع الحابس[١] وهو النقيب[٢] . ومنه : ((ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون))[٣] أي يحبس أولهم ليلحق بهم آخرهم ثم يساقون إلى النار .[٤]

((حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده)) ..

دليل على أنّ النمل لها إدراك لما ينفعها وما يضرها وآراء صائبة تجلب بها منافعها وتسترفع[٥] مضارها ، وانظر فيما حكاه الله عنها من قولها للنمل وندائها لهم وأمرهم بدخول مساكنهم واضافتها اليهم ليدخل كلٌّ مسكن نفسه ، ولا يأخذه الدهش ومخافة الحطم فيدخل مسكن غيره .

وتعليل الأمر بالدخول بأنه مخافة حطم سليمان وجنوده إيّاهنّ وتنزيههم أن يفعلوا ذلك الحطم وهم يشعرون بل يتفق منهم على غير قصد وإرادة ، ولو تكلم إنسانة من أكمل ذوي العقول لما زاد على هذا وقد لا يبلغه .[٦]

وهذا يحقق قوله تعالى : ((وما من دآبة في الأرض ولا طآئر يطير بجناحيه

---

(١) معالم التنزيل ٤١٠/٣ ، وتفسير الطبري ١٤٢/١٩ ، ولسان العرب ٣٩٠/٨ وزع .
(٢) معالم التنزيل ٤١٠/٣ .
(٣) النمل ٨٣ .
(٤) انظر : معالم التنزيل ٤٣٠/٣ ، وتفسير الطبري ١٧/٢٠ .
(٥) هكذا في النسختين ولعل الصواب (وتدفع) .
(٦) أمّا إذا كان الانسان من أكمل ذوي العقول كما وصفه المؤلف ـ فلا شك أنه من أبلغ مخلوقات الله وأفصحهم ويشهد لهذا قوله تعالى : ((الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان)) ٤ .
وقوله تعالى : ((ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) ٧٠ الاسراء .

وأمّا بلاغة كلام النملة وفصاحتها في هذه الآية فذلك راجع إلى فصاحة الحاكي لقول وهو الله عزوجل ولا شك أنّ كلامه تعالى عجزت الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله

إلا أمم أمثالكم))[١] . وقوله : ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده))[٢] وأنه تسبيح حقيقي ولكن لا نفقهه كما قال : ((ولكن لا تفقهون تسبيحهم))[٢] . وهذا العام مخصوص بسليمان عليه السلام . فان الله فقّهه تسبيحهم وما تنطق به وهو أيضا خاص بالطير[٣] من قوله : ((وإن من شيء)) فمن قال من المفسرين[٤] : أنّه شبّه ما وقع منها من الأمر ولمن سمعها بالامتثال بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم ، حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم[٥] ....[٦]

نكتة : / في الكشاف أن قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس . فقال : ٤٠/ب سلوني عما شيئتم . وكان أبو حنيفة حاضرا ـ وهو غلام حدث ـ فقال : سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى ؟ فسألوه فأفحم . فقال أبو حنيفة : كانت أنثى فقيل له : من أين عرفت ؟ قال من كتاب الله تعالى وهو قوله ((قالت نملة)) ولو كان ذكرا لما قال : قالت نملة ، وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في

---

(١) الانعام ٣٨ .

(٢) الاسراء ٤٤ .

(٣) ذكر المؤلف في ص ٢١٩ ، أن سليمان عليه السلام لم يختص بعلم منطق الطير ، بل ذكر أنه كان يعلم منطق غيرها من الحيوانات واستشهد لذلك بما أخرجه ابن أبي حاتم من قصة البقرة التي شكت إلى داود مما يراد بها من الذبح ، وسبقه الى هذا القول ابن كثير رحمه الله تعالى . فقد ذكر في تفسيره ٣٥٨/٣ ، وفي تاريخه ١٩/٢ أن سليمان عليه السلام كان يعرف لغة الحيوان أيضا . أهـ .

(٤) هذا القول ذكره الزمخشري . انظر الكشاف ١٣٧/٣ .

(٥) في (م) مفعولا .

(٦) يلاحظ أن كلام المؤلف لم يتم ولم تعرف خبر الاسم الموصول ، ولعل تقدير الكلام هنا (أنّ ذلك القول ليس بصحيح) . بدليل أن المؤلف صرّح بذلك في ص ٢١٩ فما بعدها .

وقوعها على الذكر والأنثى فميّز بينهما بعلامة مثل قولهم : حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي . أهـ[١]

وتعقبه في الحواشي* بقوله فيه : إن التاء للوحدة فهي في حكم المؤنث اللفظي جاز أن يعامل معاملته كتمر وتمرة كما نص عليه في المفصل .[٢]

((وهم لا يشعرون (١٨))) ..

أي سليمان وجنوده . وهذا نظير قوله تعالى[٤] : ((فتصيبكم منهم معرة بغير علم))[٥] بعد ((و[٦] لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات))[٥] . فهنا أخبرت النملة أنه لا يقصد سليمان وجنوده وانهم لا يظلمون أحدا فنزههم[٧] عن الظلم كما نزه الله تعالى رسوله عن إصابة رجال ونساء مؤمنات بمعرة بغير علمه صلى الله عليه وسلم ومعرفتها لذلك فرع معرفتها لله تعالى .

---

(١) الكشاف ١٣٧/٣ ، ولقد رد هذا القول جماعة من المفسرين ومنهم أبو حيان في تفسيره ٦١/٧ ، وكذلك تاج الدين الحنفي في حاشيته على البحر المحيط ٦٠/٧ ، وأحمد الاسكندري في حاشيته على الكشاف ١٣٧/٣ ، والسمين كما ذكر ذلك عنه الجمل في حاشيته على الجلالين ٣٠٦/٣ . وقالوا : إن التاء في هذا الموضع هي للفرق بين المفرد والجمع وليست للتأنيث .

* وأمّا هذه الحاشية التي نقل عنها المؤلف فلعلها حاشية أخرى غير حاشية الاسكندري فان الاسكندري - وإن كان رد على الزمخشري قوله هذا - إلا أنّ ما أورده المؤلف هنا ليس بنص كلام الاسكندري .

(٢) لعله يشير الى قول الزمخشري : وما لا يتخذو لا يؤلف فيحتاج الى التمييز بين أفراده كالطير والوحوش وأحناش الأرض وغير ذلك ، فان العلم فيه للجنس بأسره ليس بعضه أولى من بعض . أهـ .
من المفصل ص ٦ .

(٤) لفظ الآية في النسختين (أن تصبهم منكم معرة بغير علم) .

(٥) الفتح ٢٥ .

(٦) الواو ساقطة من النسختين .

(٧) هكذا في النسختين . والصواب (فنزهتهم) اذ أنه يتكلم عن النملة .

فالقائل[(١)] : إنما هذه أمثلة وتنزيل لما لا يعقل منزلة ما يعقل بنوع من المجاز لم يأت بطائل ولا أقام على ما قاله الدلائل .

وقال الله : ((وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ..)) الى الآية[(٢)] . و[(٣)] في قصة الهدهد هذه ما دل على أنه عاقل علم توعده[(٤)] بالعقوبة ولأنه لو كان لا يعقل لما توعده سليمان عليه السلام ولا حل له أن يتوعده فوعيده له دليل أنه [فرّط][(٥)] في غيبته عنه باختياره - وكل مختار عاقل - .

وقولهم أنه[(٦)] معجزة لنبي يبطله قول سليمان عليه السلام : ((سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين))[(٧)] ، ولو كان كلامه معجزا من قبل الله لوجب تصديقه ولم يكن محتاجا إلى احتماله ، ثم لا وجه[(٨)] / لقصر هذا على الهدهد ٤١/أ لقوله عليه السلام : ((علمنا منطق الطير)) .

وسليمان عليه السلام خطب في الناس وأخبرهم أن الله علمه منطق كل شيء[(٩)] . والزمخشري تأول ذلك فقال المنطق كلما يصوت به في المفيد وغير المفيد ، وحكي

---

(١) القائل هو الزمخشري كما ذكرته سابقا وتبعه أبو السعود أيضا . انظر تفسير ابي السعود ٣٧٨/٦ .
(٢) النحل ٦٨ .
(٣) الواو ساقطة من (م) .
(٤) في (م) (علم بوقوعه) .
(٥) ساقطة من (م) .
(٦) في (م) (أنهم) .
(٧) النمل ٢٧ .
(٨) في (م) (لا وجه له) بزيادة له .
(٩) لعل المؤلف يريد أن يستشهد بقوله تعالى عن سليمان : ((وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين)) مع أن هذه الآية لم تصرح بأن سليمان علم منطق كل شيء ، وانما أفادت ذلك ضمنا لا نصا

عن العرب أنهم يقولون : نطقت الحمامة[١] . ومراده أن النطق الذي علمه سليمان لا يفيد نطقا حقيقيا . وقال : إن الذي علمه الله سليمان عليه السلام فهم أغراضها[١] ورد عليه بأن فهم أغراضها لا يختص به سليمان ، بل كثير من الناس يفهم أغراض العجماوات سيّما من مارسها .

فانّ كل سُواس[٢] الخيل والفيلة يفهمون حاجاتها للمأكل والمشرب ، وطلب البقر لانزاء الأثوار عليها وغير ذلك .

ولقد أقر بأنه حقيقة لما ذكر في قصة النملة قولها : ((وهم لا يشعرون)) فقال : إنّ ضحك سليمان كان مما دل عليه قولها من ظهور رحمته ورحمة جنوده ، وشفقتهم على شهرة حاله وحالهم التقوى . وذلك قولها ((وهم لا يشعرون)) يعني لو شعروا لم يفعلوا . أهـ .[٣]

وفيه من الاقرار لعقلها وفهمها لمكان نبوة سليمان عليه السلام وعدله الذي لم يهتد إليه كثير من العقلاء من المدعيين للتبريز[٤] في علم المعقولات من الفلاسفة وأشباههم .

قال السيد محمد بن إبراهيم[٥] بعد

---

(١) انظر الكشاف ١٣٦/٣ .

(٢) يقال : هويسوس الدواب إذا قام عليها وراضها .
لسان العرب ١٠٨/٦ (سوس) .

(٣) انظر الكشاف ١٣٨/٣ .

(٤) هكذا في النسختين ولعل صوابها (المدعين التبريز) والتبريز السبق . ففي لسان العرب : وبرز الفرس على الخيل : سبقها ، وقيل كل سابق مبرز ٣١٠/٥ (برز) .

(٥) هو محمد بن ابراهيم المشهور بابن الوزير يتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد في شهر رجب سنة ٧٧٥ ، قرأ على أخيه الهادي ابن ابراهيم وعلى السيد علي بن محمد بن أبي القاسم وعلى جماعة غيرهما . نعته الشوكاني بقوله : وفاق الأقران واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه
===

ذكره تأويل الزمخشري[١] بقوله : ((علمنا منطق الطير)) وعدم[٢] لما هنا من قولها ((وهم لا يشعرون)) فيا هذا - مخاطبا للزمخشري - ان كان مثل هذا جائزاً عندك داخلا في مقدور الله تعالى فما أحل تأويل ((علمنا منطق الطير)) وأوجب عليك الايمان بكلام النملة ، وان كان هذا الجنس عندك من المحال ، فكيف صح عندك الايمان به في هذه الآية وحدها ؟[٣]

وإذا كان هذا كلام تفسير[٤] المسمى بالعلّامة المشهود له في علوم المعاني والبيان [بالإمامة][٥] وهو كذا في هذا [الشيء][٦] كلمة[٧] حق لا نجحدها ولا نحسده / عليها فما ظنك بكثير من المفسرين الذين لم يعضّوا على هذا ١٤١/ب

== في الأقطار وهو ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله .
من مؤلفاته : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، وله كتاب جمعه في التفسير النبوي جمع فيه ما في جامع الأصول ومجمع الزوائد والمستدرك للحاكم .
توفى في محرم ٨٤٠ . البدر الطالع ٨١/٢ - ٩٣ .

(١) هكذا في النسختين ولعل الصواب (لقوله) باللام دون الباء .

(٢) الكلام غير مستقيم فلعل هنا نقصا كما تشير اليه النسختان فيكون تقدير الكلام (وعدم تأوّله لما هنا) .

(٣) وأما هذا الكلام الذي نقله المؤلف عن ابن الوزير فاني لم أجده فيما اطلعت عليه من مؤلفاته المطبوعة فلعله ضمن مؤلفاته المخطوطة وبالأخص كتابه الذي سماه قواعد التفسير كما ذكره الزركلي في الاعلام ٣٠١/٥ .

(٤) هكذا في النسختين والصواب بحذف إحدى الكلمتين .

(٥) ساقطة من (م) .

(٦) هذه اللفظة كتبتها اجتهادا اذ لم استطع قراءتها ، اذ هي في (ص) : (لس كلمة حق) .
وفي (م) (لين كله حق) .
وربما أراد بها بيّن بمعنى ظاهر.

(٧) في (م) (كله حق) .

العلم بناجذ، ولا حطوا من الاتقان له بطرف صالح فما أحق الناظر في كتاب الله بعدم الإتكال على تقليد الرجال .

وذكر القاضي [عياض](١) رحمه الله في كتابه(٢) في تكليم الذراع المسموم له ( ) ما لفظه : اختلف(٤) أهل النظر في هذا الباب ، فمن قائل يقول : هو كلام يخلقه الله في الشاة(٥) والحجر والشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب أبي الحسن(٦) والقاضي أبي بكر(٧) رحمهما الله تعالى وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة لها أولا ثم الكلام

---

(١) كلمة عياض ساقطة من (م) . وهو عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ولد سنة ٤٧٦ . روى عن القاضي أبي علي بن سكرة الصدفي وعن أبي بحر بن العاص وغيرهما كثير ذكرهم في كتابه الغنية في فهرست شيوخه .
ولي قضاء سبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل عنها الى قضاء غرناطة ثم قدم قرطبه ، وأخذ عنه خلق كثير منهم ابنه محمد وخلف ابن بشكوال ، لهكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك . توفى رحمه الله سنة ٥٤٤ .
سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠ ـ ٢١٨ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٦٩/١ .

(٣) أي نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٤) في الشفا (واختلف أئمة أهل)

(٥) في الشفا (الشاة الميتة) .

(٦) هو علي بن إسماعيل الأشعري يتصل نسبه الى أبي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد سنة ٢٦٠ ، وأخذ عن أبي خليفة الجمحي وأبي علي الجبائي وغيرهما . وكان عجبا في الذكاء وقوة الفهم ، برع في مذهب المعتزلة ، ثم تبرأ منه فأخذ يرد عليهم ويهتك عوراتهم ، وأخذ عنه أبو الحسن الباهلي وأبو الحسن الكرماني وغيرهما خلق كثير ، له كتاب في تفسير القرآن وكتاب الرد على المجسمة ، وكتاب النقض على الجبائي . وله مؤلفات كثيرة غيرها . توفى ببغداد سنة ٣٢٤ . سير أعلام النبلاء ٨٥/١٥ ـ ٩٠ .

(٧) هو محمد بن الطيب بن محمد المعروف بأبي بكر الباقلاني ، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه سمع أبا بكر القطيعي وأبا محمد بن ماسي وغيرهما ، وحدث عنه الحافظ أبو ذر الهروي وأبو جعفر محمد بن أحمد السماني . صنف في الرد على بعض الفرق

من بعده .

وحكي هذا عن شيخنا أبي الحسن [١] أيضا ، وكلٌ محتمل والله أعلم ، إذ [٢] لم تجعل [٣] الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات [لا يمتنع] [٤] إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها [٥] خلافا للجبائي [٦] من [بين] [٧] سائر متكلمي الفرق في احالته [٨] وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزام ذلك في [الحصا] [٩] والجذع والذراع . وقال إنّ الله خلق فيها [١٠] حياة وخلق [١١] لها فما ولسانا ومكنها [١٢] من

== المخالفة وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري . ومن مؤلفاته : اعجاز القرآن وكشف الاسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية . مات في ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ . سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٧ ـ ١٩٣ ، والبداية والنهاية ٣٥٠/١١ ـ ٣٥١ .

(١) شيخه في المذهب وإلا لم تتحقق معاصرتهما .

(٢) في (ص) (إذا) .

(٣) في النسختين (يجعل) بالمثناة التحتية والصواب ما أثبته من الشفا .

(٤) هذه الكلمة ليست في الشفا واثباتها هنا فيه اخلال بالسياق .

(٥) يوجد في الشفا بعد قوله بمجردها (فأما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام نفسي الا من حي خلافا للجبائي) .

(٦) هو : أبو علي محمد بن عبدالوهاب البصري رأس المعتزلة . ولد سنة ٢٣٥ أخذ عن أبي يعقوب الشحام ، وأخذ عنه ابنه أبو هاشم الجبائي وأبو الحسن الأشعري ثم هدى الله الاشعري فخالف الجبائي وتصدى للرد عليه وابطال حججه . للجبائي عدة مؤلفات منها : كتاب التفسير الكبير ، وكتاب النقض على ابن الراوندي وغيرهما من المؤلفات . مات بالبصرة سنة ٣٠٣ .
سير أعلام النبلاء ١٨٣/١٤ ـ ١٨٤ ، والبداية والنهاية ١٢٥/١١ .

(٧) ساقطة من (م) .

(٨) في الشفا (احالة) .

(٩) ساقطة من كلا النسختين وتُرك لها فراغ بقدرها واثبتها من الشفا .

(١٠) في (ص) (فيهما) بالتثنية .

(١١) في الشفا (وخرق) .

(١٢) في الشفا (ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام) .

الكلام ، وهذا لو كان لكان نقله والتهمم[(١)] به آكد من[(٢)] نقل تسبيحه أو حنينه .

ولم ينقل [عن][(٣)] أحد من أهل السير والرواة[(٤)] شيئا[(٥)] من ذلك ، فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله تعالى . أهـ .[(٦)]

وفي الحديث الصحيح : (أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام قرصه نملة فأمر باحراق قرية النمل فأوحي اليه : من أجل نملة أحرقت أمة تسبح الله؟)[(٧)] .

وهو تنصيص على تسبيح بعض افراد ((وإن من شيء الا يسبح بحمده))[(٨)] .

وتأويل الآيات والأحاديث / لموافقة رأي الجبائي [ليس][(٩)] من طريقة[(١٠)] ٤٢/أ العالم التقي . بل اذا التبس عليه الأمر و[(١١)]وكل الأمر الى الله . ويقول قد ثبت

---

(١) في (م) (والتهمة) .
(٢) في الشفا (آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه) .
(٣) حرف الجر ليس موجودا في الشفا ويدل على زيادته نصب (شيئا) .
(٤) في الشفا (والرواية) .
(٥) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب حذف (عن) لتصبح (شيئا) مفعولا به كما في الشفا ، وأما على اثباتها كما هنا فيلزم حينئذ أن تكون مرفوعة (نائب فاعل) .
(٦) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٦٩/١ ـ ٢٧٠ .
(٧) أخرجه البخاري بلفظ مقارب لما أورده المؤلف . انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٥٤/٦ كتاب الجهاد والسير .
(٨) الاسراء ٤٤
(٩) ما بين المعقوفتين زيادة عما في النسختين يقتضيها السياق .
(١٠) في (م) (من طريق) باسقاط التاء المربوطة .
(١١) هكذا في النسختين . ولعل صوابها اذا التبست عليه الأمور وكل الأمر إلى الله .
فهذه الواو الزائدة هي الراء من الأمور وجعل واو الأمور راءً .

نسبة الله ورسله الأقوال الى الحيوانات الغير الناطقة والى الجمادات فيجب بـــــه الإيمان والسكوت عن الكيفية والبيان .

وقد ذكر ابن [(١)] إسحاق أن أول ما بدئ [(٢)] به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله . [(٣)]

وفي صحيح مسلم [(٤)] وسنن الترمذي [(٥)] أيضا أن رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم [قال] [(٦)] : (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن ينزل علي) .

وفي بعض المسندات أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود . [(٧)]

---

(١) في (م) (أبو إسحاق) وهو خطأ ظاهر .
وهو : محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة النبوية . ولد سنة ٨٠ هـ ورأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وحدث عن سعيد المقبري والزهـــري وغيرهما خلق كثير ، وهو أول من دون العلم بالمدينة .
حدّث عنه يحي بن سعيد الأنصاري وشعبة والثوري وغيرهم خلق كثير .
قال ابن عدي : ولو لم يكن لابن اسحاق من الفضل الا أنه صرف الملوك عـن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء الى الاشتغال بمغازي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها .
وقال عنه الذهبي : قد كان في المغازي علاّمة . مات سنة ١٥٠ وقيل بعدها .
سير أعلام النبلاء ٣٣/٧ ـ ٥٥ .

(٢) في النسختين (بِئَ) بالبناء للفاعل والصواب ما أثبته .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢٥١/١ .

(٤) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل .

(٥) سنن الترمذي ٥٩٣/٥ كتاب المناقب .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٧) لم أجده فيما عندي من المراجع ، وهذه العبارة التي أوردها المؤلف هـــي نص عبارة السهيلي في الروض الأنف ٣٨٨/٢ .
وقال القاضي عياض ـ في الشفا ٢٦٠/١ بعد ما أورد حديث مسلم في تسليـم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم ـ قيل أنه الحجر الأسود .

قال السهيلي[١] في الروض : وهذا التسليم الأظهر أنه كان حقيقة وأن يكون الله انطقه انطاقا كما خلق الحنين في الجذع ، وليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحروف الحياة والعلم والارادة لأنه صوت مثل سائر الأصوات ، والصوت عرض في قول الأكثرين[٢] ، ولم يخالف فيه الا النظام[٣] فزعم أنه جسم .

قال[٤] : ولو قدّرنا في الكلام صفة ما هو بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه . لم يكن من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أي ذلك كان . أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر مؤمنا . أم كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ؟ وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة .

وأمّا حنين الجذع فقد سمي حنينا وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة وكل هذه علم من أعلام النبوة غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إنما تحدي

---

(١) هو : عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي نسبة إلى قرية سهيل إحدى قرى المغرب تقع بالقرب من مالقة ، ولد سنة ٥٠٨ وقرأ القراءات وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف ـ مع أنه فقد بصره في السابعة عشرة من عمره ـ له كتاب الأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، وتفسير سورة يوسف وغيرها من المؤلفات . توفى سنة ٥٨١ هـ .
البداية والنهاية ٣١٨/١٢ ، والاعلام ٣١٣/٣ .

(٢) في (م) (الأكثر) .

(٣) هو أبو اسحاق ابراهيم بن سيار سمي بالنظام لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، وهو شيخ المعتزلة في عصره . وله مصنفات شتى منها كتاب الجواهر والأعراض وكتاب الوعيد ، وهو شيخ الجاحظ .
قال عنه الذهبي : ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم . وقد كفّره جماعة . سقط من غرفة ـ وهو سكران ـ فمات سنة بضع وعشرين ومئتين .
سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٠ ـ ٥٤٢ ، والفرق بين الفرق ص ١٣١ ـ ١٥٠ .

(٤) أي السهيلي : ونص كلامه : ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام .. الخ .

به [1] الخلق فعجزوا عن معارضته . أهـ[2]

قلت : قال الله تعالى : ((اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون))[3] . والظاهر أن تكلم الأيدي وشهادة أرجلهم وهي كما هي من / دون أن يخلق لها أفواها [4] والا لكان ذاك كشهادة أفواههم ٤٢/ب لا فائدة للختم عليها ، وكذلك قوله تعالى : ((و[5] ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم))[6] ، فانه ظاهر في شهادة السمع والبصر وهما على ما هما من دون أن يخلق لهما أفواها . ومنه : ((وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء))[7] ... وهذا عام لكل شيء من حيوان وجماد .

وثبتت الأحاديث بأن الصحابة كانوا يسمعون تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم [وفي كف أبي بكر][8] [9] . وقال الله تعالى[10] في الأرض أنها تحدث أخبارها ووردت روايات في تفسيرها .

---

(١) في (م) (إلا ما تحدى له بحلق فعجزوا ...) وهو خطأ ظاهر .
(٢) انظر الروض الأنف ٣٨٨/٢ ـ ٣٨٩ ويلاحظ أن المؤلف تصرف في النقل فترك بعض كلام السهيلي فلم يورده هنا .
(٣) يس ٦٥ .
(٤) في (م) (أفواه) بالرفع .
(٥) في (م) (أماكنتم) وليست بقراءة .
(٦) الشورى ٢١ .
(٧) الشورى ٢٠ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٨/٨ وعزاه للبزار وللطبراني في الأوسط وانظر فتح الباري ٥٩٢/٦ .
(١٠) حيث أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يورد نص الآية ، فكان الأولى به أن يقول وقد أخبر الله تعالى .

أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة قال : (قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((تحدث أخبارها)) قال : تدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة ما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا وكذا فهذه أخبارها)[١] .

وأخرج الطبراني عن عقبة[٢] الجرشي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (تحفظوا من الأرض فانها أمكم وأنه ليس من أحد عمل على ظهرها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة)[٣] .

وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم [قال][٤] : (إنّ الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عُمل [على][٥] ظهرها . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((إذا زلزلت الأرض زلزالها ..)) حتى بلغ : ((يومئذ تحدث أخبارها)) فقال : أتدون[٦] ما أخبارها ؟

---

(١) انظر مسند الامام أحمد ٣٧٤/٢ ، ومسند عبدالله بن المبارك ٥٦ ، وسنن الترمذي ٤٤٦/٥ ، وتفسير ابن جرير ٢٦٧/٣٠ ، والمستدرك ٢٥٦/٢ ، ٥٣٢ ، وموارد الظمآن ص ٦٤١ ، وشعب الايمان للبيهقي ٣٧/٢ - ٣٨ . وتفسير النسائي ص ٢٧٦ ، والدر المنثور ٥٩٢/٨ .

(٢) هكذا في النسختين (عقبة الجرشي) والذي في مجمع الزوائد والدر المنثور (ربيعة الجرشي) وهو الصواب كما في تقريب التهذيب ٢٠٨ .

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤١/١ ثم قال : رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .
وانظر كشف الخفاء ١٨/٢ ، والدر المنثور ٥٩٢/٨ .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) حرف الجر ساقط من (ص) .

(٦) في (ص) (تدرون) باسقاط الهمزة .

قال : جاء جبريل بخبرها إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عُمل على ظهرها (١)

والآثار واسعة في هذا حتى ورد أنها تسأل بعضها / بعضا كل يوم هل مر بك من ٤٣/أ
أحد يذكر الله ؟ (٢)

فهذه أدلة واضحة وقدرة الله لكل ممكن صالحة ، وأحوال النشأة الأولى والأخرى في قدرته على سواء وما مع منكر ذلك الا مجرد الاستبعاد يستبعد على قدرة الله مراد (٣) . وأي حاجة الى اخراج ما ورد عن ظاهره (٤) وحمله على المجاز ؟ ولقد أفسد الحمل على المجاز آيات الاعجاز كما يعرف ذلك أئمة العلم الجامعين * بين العلم والانصاف الخارجين عن التكلف (٥) والاعتساف والقضايا في ذلك لا تحيط بها العبارات ولا يفي بحصرها الاسفار الواسعات والايمان وتصديق الرسل قد وسع أبلغ من هذا وأعجب وأن الله تعالى أسرى برسول الله (٦) صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى أعلى السموات وأراه عجائب من آيات ربه الكبرى ، وأراه النار والجنات في ليلة وأصبح بين أهله يحدثهم (٧) عن عجائب الملكوت وآمن بذلك من هداه الله من عباده المؤمنين ، وكفر بذلك من لاحظ له في الدين واليقين ، اللهم زدنا يقيناً من عذاب الدنيا والآخرة يقينا . (٨)

---

(١) الدر المنثور ٥٩٢/٨ وعزاه الى ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان ، ولم أجده في الأجزاء - الثمانية - المطبوعة من شعب الإيمان فلعله ضمن الأجزاء التي لم تطبع بعد .

(٢) لم أهتد اليه فيما عندي من المراجع .

(٣) هكذا في كلا النسختين . ولعل الصواب (مراده) باثبات الهاء ، أو تكون (يستبعد على قدرة الله ما أراد) .

(٤) في (م) (على ظاهره) . * هكذا في النسختين وصوابه (الجامعون)

(٥) في النسختين (التكليف) .

(٦) هكذا في النسختين والأحسن (برسوله صلى الله عليه وسلم) اذ الاضمار هنا أبلغ .

(٧) في (م) (ويحدثهم) بزيادة الواو .

(٨) في م : الأربعينا ، وهو خطأ ظاهر لزدنا و (يقينا) الثانية جملة قلقة في محل نصب صفة لليقين . وقد أخطأ ناسخ (م) عندما صرف الثانية فكتبها (يقينا) .

((فتبسم ضاحكا)) ..

أي تبسم آخذا في الضحك وشارعا فيه[١] ((من قولها)) بيان لوجه تبسمه وذلك أن قولها دل على معرفتها برحمته ورحمة جنوده وأنه لا يحطمهم وهم يسعون[٢] اذ لا يفعلون ذلك .

((وقال رب أوزعني ..)) اجعلني ارتبط بشكر نعمتك عليّ . والمراد اجعلني لا أنفك [لك][٣] شاكرا[٤] ، والآية نحو قوله ((حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي)[٥] [٦])) ونعمتك التي أنعمت ((على والدي)) . تقدم[٧] قوله وقول أبيه عليهما السلام . ((وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)) .

وهذا شكر منه ومن أبيه ثم شكر هو النعمة التي شملته[٨] وشملت أبويه اقرارا بأن النعمة عليهما[٩] نعمة عليه . ولذا أمر الله تعالى بني إسرائيل بذكر

---

(١) الكشاف ١٣٨/٣ .

(٢) هكذا في كلا النسختين ، ولعل أعم من هذا أن يقال (وهم يشعرون) كما صرح الله بذلك .
ففي تفسير ابن جرير ١٤٢/١٩ (وهم لا يشعرون) يقول وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم . ولعل المؤلف أراد هذا بدلاله قوله (إذ لا يفعلون ذلك) .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) انظر الكشاف ١٣٨/٣ .

(٥) الاحقاف ١٥ .

(٦) ما بين القوسين هو جزء من آية الأحقاف وجزء من آية النمل التي يفسرها المؤلف ، فما أدري هل أراد الآية المفسِرة (بالكسر) أو أراد الآية المفسَره بالفتح .

(٧) انظر ص٢٠٦

(٨) في (م) (شملها) وهو خطأ ظاهر

(٩) في (م) (عليها) .

نعمته عليهم بانجاء آبائهم من فرعون ((وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم / [1] وأغرقنا ٤٣/ب آل فرعون وأنتم تنظرون)) [2] .

وكرر تعالى ذلك [3] في الكتاب . وقال تعالى : ((أن أشكر لي ولوالديك)) [4] ومن شكر الوالدين شكر الله على ما أنعم عليهما وليس المراد نعمة معينة ، بل كل نعمة أنعم الله بها عليهم .

وأوزعني ((أن أعمل صالحا)) .. عملا صالحا وهو ما وافق أمر الله وطابق مراده وخلص لوجهه وسلم عن البدعة .

((وأدخلني برحمتك)) لا بعملي وهو مطابق لحديث (أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله) [5] ، ويأتي تحقيق الكلام في قوله تعالى في سورة الجرز [6] ((جزاء

---

(١) في كلا النسختين (فأنجيناكم من آل فرعون)) خلط بين آية البقرة هذه وآية الأعراف ١٤١ .

(٢) البقرة ٥٠ .

(٣) أي امتنانه على بني اسرائيل بنجاة آبائهم .

(٤) لقمان ١٤ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق . انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٩٤/١١ .

(٦) قال المؤلف عند تفسيره لقوله تعالى : ((جزاء بما كانوا يعملون)) ١٧ هو بيان للحكمة في وعدهم بما ذكر فانتصاب جزاء على أنه مفعولا لأجله ، والقرآن مشحون بذلك ((هل جزاء الاحسان الا الاحسان)) ((وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)) .. وغيرها من الصرائح في ذلك ولا ينافيه الحديث الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل أحد الجنة بعمله . قيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ..) الحديث . لأن المراد أن العمل الذي يدخلون به الجنة سببه رحمة الله وفضله كما نطق به قوله ((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا)) فهذا الفضل والرحمة هو السبب للأعمال التي بها دخول الجنة فها هنا سبب للسبب . ولذ أقر صلى الله عليه وسلم قول ابن رواحة : والله لولا الله ما اهتدينا .. ولا تصدقنا ولا صلينا . فالحديث مطابق للآيات . ق ١٥/أ .

بما كانوا يعملون))[١] . .

((في عبادك الصالحين (١٩))) .. تكرر سؤال الرسل لله تعالى أن يجعلهم من عباده الصالحين ، وقد ذكرنا كثيرا من الآيات في ذلك .[٢]

وأخبر تعالى أن خليله ابراهيم في الآخرة من الصالحين ((وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين))[٣] .

((وتفقد الطير)) .. أي تعرفها وعرضها ((فقال ما لي لا أرى الهدهد)) كأنه هدد معين والا فجميع الهدهد لديه لعموم قوله ((وحشر لسليمان ..)) الى [قوله][٤] ((.. والطير)) أي أي شيء منعني عن رؤيته وهو حاضر ؟

((أم كان من الغائبين (٢٠))) .. ثم ظهر له أنه غائب ، فأتى بأم المنقطعة أي بل هو من الغائبين .

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه سئل كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ فقال : " ان سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد يدل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده "[٥]

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ذكر لنا

---

(١) السجدة ١٧ .
(٢) وذلك في ص ١٠٢
(٣) العنكبوت ٢٧ . والذي في النسختين (وانه في الآخرة من الصالحين) باسقاط اللام .
(٤) ساقطة من (م) .
(٥) تفسير ابن أبي حاتم ص ١٣٥ الأثر ١٢٨ ، والمستدرك ٢/٤٠٥-٤٠٦ ، والدر المنثور ٦/٣٤٨ ، وتفسير ابن جرير ١٩/١٤٣-١٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٣/٣٥٩ .

أن سليمان أراد أن يأخذ مفازة[1] /. فدعا بالهدهد وكان سيد الهداهد .[2] ٤٤/أ

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عنبر .[3]

((لأعذبنه عذابا شديدا)) ..

أخرج عبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه عن ابن عباس في قوله ((لأعذبنّه عذابا شديدا)) قال : انتف ريشه كله .[4]

ومثله أخرج عن قتادة .[5]

والآية تدل[6] أن للطير ادراكا يفضي بمعرفته الإحسان والإساءة وأنه بتخلفه استحق التعذيب الشديد ، وهو من أدلة ما أسلفناه .[7]

((أو لأذبحنه)) .. فالعذاب وهو حي والذبح أشد منه .

((أو ليأتينّي بسلطان مبين (٢١))) .. بحجة بينه واضحة في عذره عن تخلفه حتى لم أر ه ، وسميت الحجة سلطانا لأنه الآتي بها على خصمه .[8]

---

(١) في النسختين (معاره) .
(٢) تفسير أبي حاتم ص ١٤١ الأثر ١٣٤ . والدر المنثور ٣٤٩/٦ .
(٣) تفسير ابن أبي حاتم ص ١٤٣ الأثر ١٣٨ ، والدر المنثور ٣٤٩/٦ .
(٤) تفسير عبدالرزاق ص ٣٨٥ ، وتفسير ابن جرير ١٤٥/١٩ ، والمستدرك ٤٠٥/٢ والدر المنثور ٣٤٩/٦ .
(٥) اخرجه عبدالرزاق ص ٣٨٥ ، وابن جرير ١٤٥/١٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٦ .
(٦) هكذا في النسختين ولعل الصواب (على أن) بزيادة حرف الجر .
(٧) وذلك ص١٩٢ فما بعد
(٨) هكذا في كلا النسختين . ولعل صوابها لأن الآتي بها يتسلط بها على خصمه قال الفراء : السلطان عند العرب الحجة ، ويذكّر ويؤنّث فمن ذكر السلطان ذهب به الى معنى الرجل ، ومن أنثه ذهب به الى معنى الحجة .
لسان العرب ٣٢١/٧ (سلط) .

وهذا من انصاف رسل الله انهم لا يعاقبون ولا يكذبون الا من أذنب ولا حجة في ذنبه وهي سنة لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قال أهل الكتابيـــن لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .(١)

بل صرح إبليس مع(٢) بأنه لم يكن له سلطان ((وما كان لي عليكم مـــن سلطان))(٣) ، واللام في ليأ[تيني](٤) جواب قسم محذوف ولا إشكال فيه كما قالـــه الكشاف بأنه كيف يصح الحلف على فعل الغير(٥) .

واشار في الاتحاف(٦) الى أنه لا اشكال ، لأن الحلف نوع من / الأنواع التـي ٤٤/ب تؤكد بها الجملة ، ولا يشترط في أفراد الجملة القطع بمضمونها ، فيجوز تأكيـد المظنون نحو : ((بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا))(٧) في المرة الآخرة ، فانه خبـر عن ظنه الناشيء عما فعلوه مع يوسف . والحاصل أن الخبر عن الظن والحلف عليـه جائز .

---

(١) يشير الى آية البقرة ١١١ .

(٢) الكلام مبتور ولعل تمامه (بل صرح إبليس مع من أضلهم بأنه لم يكن لـــه عليهم سلطان) مع أنه يوجد في هامش النسختين (رسل الله قال تعالى) ولم أعرف لها محلا ولا تناسب هذا الموضع ، اذ هو كما أخبر عنه اللـــه عز وجل في قوله : ((إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهـــم يتوكلون (٩٩). إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركيـــون ١٠٠)) النحل .

(٣) ابراهيم ٢٢ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) ,

(٥) انظر الكشاف ١٣٩/٣ فقد أورد الزمخشري اشكالا ثم رد عليه ولا حاجـــة لذكره هنا .

(٦) الاتحاف لطلبة الكشاف لصالح مهدي المقبلي ت ١١٠٨ مخطوط بالجامـــع الكبير بصنعاء برقم ١٣٢ تفسير ، وقد صرح المؤلف باسم المقبلي وكتابـــه عند تفسيره لسورة البقرة ق ٥٥/أ .

(٧) يوسف ٨٣ .

((فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به)) ..

الاحاطة كمال الاطلاع على الشيء[١] من قوله ((ألا[٢] إنّه بكل شيء محيط))[٣] وهذا هو السلطان ، فان في علم كلامه حجة على من لم يعلم دعائه[٤] .

((وجئتك من سباء بنباء يقين (٢٢))) .. ثم بيّن ذلك النباء بقولـــه : ((إنّي وجدت امرأة تملكهم)) أهل سباء الدال عليهم ذكر المحل ، أي تمـــلك الحكم عليهم ((وأوتيت من كل شيء)) أي اعطا[٥] من كل شيء أو كل شيء يؤتيه الله الملوك[٦] ، اذ من المعلوم أنها لم تؤت ما آتاه الله سليمان عليه السلام . وقد قال سليمان : ((وأوتينا من كل شيء)) أي يؤتاه رسل الله ، ومنه ((وآتاكم من كل ما سألتموه))[٧] أي ما تقتضي حكمته اعطاكم اياه .

((ولها عرش عظيم (٢٣))) .. هو سرير الملك .[٨] كقوله ((ورفع أبويـــه على العرش))[٩] ، ونكّره ونكّر وصفه تحقيرا له بالنسبه الى ما يأتي من تعريـــف عرش الله وتعريف عظمته ، والى هنا انتهى سلطان الهدهد وحجته ، ثم استأنـــف الخبر عن عبادتهم فقال : ((وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ..))

---

(١) في لسان العرب ٢٨٠/٧ ، وفي تفسير البغوي ٤١٣/٣ ، والاحاطة : العلـــم بالشيء من جميع جهاته .

(٢) في كلا النسختين (انه على كل شيء محيط) ولم أجد آية بهذا اللفظ .

(٣) فصلت ٥٤ .

(٤) في كلا النسختين هكذا (دعامر) ولم أعرف قراءتها ولعلها دعواه .

(٥) هكذا في كلا النسختين ولعلها زائدة أو (أعطيت) .

(٦) في (م) (أنم الملوك) . حيث كتب ناسخ ص لفظ الجلالة هكذا (الله) ثم جاءت من فوقه نقطتي كلمة عليهم فظنها ناسخ م (الله)

(٧) ابراهيم ٢٤ .

(٨) لسان العرب ٣١٣/٦ .

(٩) يوسف ١٠٠ .

فهم من عباد الشمس الذين نهاهم الله بقوله : ((لا تسجدوا للشمس ولا للقمر))[١] الآية[٢] . ويقال : ان عبادة الكواكب[٣] ممن بعث اليهم الخليل عليه السلام ، وكذا قال[٤] : كلما رأى كوكبا ((قال هذا ربي ..)) الآية[٥] الى قوله في الشمس : ((.. هذا أكبر)) .

((وزيّن لهم الشيطان أعمالهم)) .. وهو السجود لغير الله ((فصدهم عن السبيل)) سبيل الحق . نحو قوله : ((وإنّهم ليصدونهم / عن السبيل ويحسبون ٤٥/أ أنّهم مهتدون))[٦] .

((فهم لا يهتدون (٢٤))) الى سبيل الرشد ((ألاّ يسجدوا لله)) بالتشديد أي أنّي لهم عدم السجود لله ولقراءة الفتح ـ التخفيف ـ توجيهات معروفة[٧] الذي

---

(١) ليست هذه الآية واردة فيهم نصا ـ كما يفهم من صنيع المؤلف ـ ولكن جميع الأنبياء اتفقت دعواهم الى توحيد الله والتحذير من الشرك كما قال تعالى : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ..)) الاية ٣٦ النحل .

(٢) فصلت ٣٧ .

(٣) يوجد في (ص) بياض في آخر السطر بمقدار كلمة فلا اعلم هل ترك مراعاة لنهاية السطر أم هناك كلمة ساقطة ، ولعل تقديرها (أن عبادة الكواكب ظهرت ممن بعث اليهم الخليل عليه السلام) مع أنه ليس في (م) أي اشارة الى ذلك .

(٤) هكذا في النسختين ولعل الصواب : ولذا كلما رأى كوكبا قال هذا ربي .

(٥) الانعام ٧٦ ـ ٧٨ .

(٦) الزخرف ٣٧ .

(٧) الآية فيها قراءتان :
الأولى : بتشديد اللام (ألاّ يسجدوا) وهي قراءة الجمهور .
والثانية : بتخفيف اللام من قوله (ألا) . فتبصح حرف استفتاح وتنبيه ويوقف على الياء باعتبارها حرف نداء لمنادى محذوف تقديره (ألا ياهؤلاء اسجدوا) . وهذه قراءة الكسائي وأبي جعفر ورويس .
انظر النشر في القراءات العشر ٣٣٧/٢ ، والاتحاف ص ٣٣٦ ، وأضواء البيان ٤٠١/٦ .

يخرج الخبء) المخبوء[١] . ((في السموات ..)) التي من جملتها الشمس والمطر والوحي والبرد منها من جبال من برد[٢] . ((والأرض)) من النبات والمعادن وغير ذلك .

((ويعلم ما يخفون))[٣] ما تكن صدورهم وغيرها . ((وما يعلنون[٣](٢٥))) والآية دالة على توحيد هذا الحيوان ومعرفته بعظمة شأن الله تعالى أعرف من كثير من نوع الإنسان . ولذا قال : ((الله لا اله الا [هو][٤] رب العرش العظيم (٢٦))) .. فالعجب ممن ينكر توحيد الحيوانات ومعرفتها بباري البريات وحمل ما ورد على المجازات .[٥]

ولما كان الخبر يحتمل الصدق والكذب قال سليمان[٦] : ((سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧))) .. وهو نحو قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ((عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين))[٧] أي الذين صدقوا في معاذيرهم والكاذبين فيها ، وفي تقديم الصدق فيهما تأكيد

---

(١) غير واضحة في النسختين وانما كتبتها اجتهادا مني واعتمادا على ما ذكره أبو السعود ٢٨٢/٦ .

(٢) هكذا في النسختين فلعله أراد الاستشهاد بآية النور فأخطا نصها اذ نص الآية ((وينزل من السماء من جبال فيها من برد ..)) الآية ٤٣ النور .

(٣) قرأ الكسائي وحفص بالخطاب (تخفون ، تعلنون) وقرأ الباقون بالغيب انظر النشر ٣٣٧/٢ .

(٤) كلمة (هو) ساقطة من (ص) .

(٥) في (م) (المجاز) بالافراد .

(٦) في (م) قال سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، بزيادة قال الثانية وهي وان كانت من الآية الا أنها اثباتها والحالة هذه يخل بالسياق .

(٧) التوبة ٤٣ .

لما قاله الرضي[١] من أن الخبر الصدق والكذب [لا واسطة بينهما][٢] وأيده السعد[٣] وأبان قوله ((سننظر)) بقوله : ((اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ..)) لما كان كتابه خطابا لها ولكل من تحتها من الرعية جمع الضمير ((ثم تول عنهم ..)) ليتشاور[٤] في جوابه .

((فانظر ماذا يرجعون (٢٨))) .. أي فذهب فألقى ثم تولى عنهم ، وانما هذا من اختصارات القرآن نحو الطي في قوله ((و[٥] قال [الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة][٥] أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون))[٦] أي فأرسلوه . فقال : يا يوسف

---

(١) هو : محمد بن الحسين بن موسى العلوي ولي نقابة الطالبيين ببغداد بعد أبيه وكان شاعرا مطبقا له عدة مؤلفات منها حقائق التأويل في متشابه التنزيل وتلخيص البيان عن مجاز القرآن ، والمجازات النبوية - وهو الذي نقل منه المؤلف هذا الكلام كما أخبرني بذلك استاذ البلاغة في كلية اللغة العربية - توفي الشريف الرضي ببغداد سنة ٤٠٦ هـ .
انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٧ ، والبداية والنهاية ٣/١٢ ، والأعلام ٩٩/٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين ترك له فراغ في النسختين وأثبته من المطول للتفتازاني ص ٣٨ .

(٣) هو مسعود بن عمر التفتازاني ولد بتفتازان وأخذ عن أكابر علماء عصره كالعضد وطبقته وفاق في النحو والصرف والمعاني والبيان وغيرها من العلوم وطار صيته واشتهر ذكره . ومن مؤلفاته شرح العقائد النسفية وحاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب في الأصول ، وله حاشية على تفسير الزمخشري ، وله المطول في البلاغة وغيرها من المؤلفات . توفي بسمرقند سنة ٧٩٢ .
انظر ترجمته في البدر الطالع ٣٠٣/٢-٣٠٥ ، والأعلام ٢١٩/٧ .

(٤) هكذا في النسختين ولعل صوابها (ليتشاوروا) بزيادة واو الجماعة ، الا أن يريد بناء الفعل للمجهول فيبقى كما هو في الأصل، أو تكون الياء زائدة ويصح معنى الكلام ليتشاور

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وكذلك الواو من قوله تعالى ((وقال)) .

(٦) يوسف ٤٥ .

((قالت يا أيها الملأ إنّي ألقي إليّ كتاب كريم (٢٩))) .. فُسر بأنه مختوم[١] ثم فصّلت مجمله[٢] بقولها ((انه من سليمان)) .. الظاهر أن هذا اللفظ مكتوب في الكتاب .

وقوله : ((وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (٣١))) هو الذي اشتمل عليه باطنه ، وفيه أنه يبدأ الكتاب باسم الكاتب وان لم يذكر اسم المكتوب اليه أو ذكر كما في كتبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم / حيث كتب كتب الى قيصر (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم)[٣] . ٤٥/ب

قالت : ((يا أيها الملأ أفتوني في أمري ...)) هو نحو قول صاحب مصر ((أفتوني في رؤياي))[٤] ، وقول رسوله ليوسف ((أفتنا ..)) الآية[٥] . والمراد هنا أشيروا علي .[٦]

((ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢))) .. وهذا من كمال عقلها ، فان التشاور والتراود في الحادثات سنة عقلية وطريقة شرعية . ولذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ((وشاورهم في الأمر))[٧] ، وحين طلبت الفتيا أجابوا بما هم عليه ((قالوا نحن أولو[٨] قوة وأولوا[٨] بأس شديد)) فلم يفتوها

---

(١) ليس معنى كريم مختوم كما يتبادر من كلام المؤلف ، وإنما وصفته بكريم لكونه مختوما كما ذكر ذلك ابن جرير ١٥٣/١٩ ، والبغوي ٤١٦/٣ .
(٢) في (م) (محله) .
(٣) انظر نص كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل في صحيح البخاري مع الفتح ٣٢/١ .
(٤) يوسف ٤٣ .
(٥) يوسف ٤٦ .
(٦) معالم التنزيل ٤١٦/٣ .
(٧) آل عمران ١٥٩ .
(٨) في (ص) (أولى قوة وأولي بأس شديد) .

وان كان في كلامهم اشادة أنها اذا رأت[1] القتال فهم أهله وعندهم عدته ، ثم ردوا الأمر اليها ((فانظري ماذا تأمرين (٣٣))) ، ارجاع منهم للرأي الى نظرها . ((قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ...)) كأنها عرفت أنّها إن تمنعت جاءها سليمان عليه السلام ودخل أرضها ((وجعلوا أعزة أهلها أذلة ..)) لأنها تنقلب الدولة والعزة لهم .

قال المفسرون : انه انتهى كلامها الى هنا وأنه تعالى قرر كلامها بقوله : ((وكذلك يفعلون (٣٤))) من الإفساد وجعل الأعزة أذلة .[2]

((واني مرسلة اليهم بهدية ..)) اطال المفسرون في ذكرها وتقصيها[3] بما يطول وليس فيها حديث مرفوع[4] ، وكأن ما ذكروه من الاسرائيليات قالوا : وقالت ان كان نبيا فانه لا يقبل الهدية وان كان ملكا من ملوك الدنيا فانه يقبلها .[5]

وعندي في هذا بُعد فانها قد علمت أنه نبي من كون رسوله بالكتاب طائر فليس لملوك الدنيا من الطير رسل ، وأما حمام الرسائل التي عرفت مع ملوك

---

(١) في النسختين (رأيت) بزيادة الياء .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ١٥٤/١٩ ، ومعالم التنزيل ٤١٧/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٦٢/٣ .

(٣) في (ص) (وتقصها) .

(٤) في (م) (المرفوع) .

(٥) انظر تفسير ابن جرير ١٥٥/١٩ ، ومعالم التنزيل ٤١٧/٣ ، وأما ابن كثير رحمه الله تعالى فلم يخض فيما خاض فيه بعض المفسرين ، بل اكتفى بذكر ما جاء عن ابن عباس وغيره . حيث قالوا : أنها قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .
انظر : تفسير ابن كثير ٣٦٢/٣ .

الاسلام في مصر والشام ، فلم تكن في الأعصار المتقدمة فيما علمنا ، ولأن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويكافيء عليها[١] ، ولعل كل نبي قبله كان كذلك .

((فناظرة بم يرجع المرسلون[٣٥] . فلما جاء)) من أرسل بالهدية ((سليمان قال أتمدونني بمال)) فيه دليل أن الهدية[٢]

((فما آتاني الله خير مما آتاكم)) .. فانه تعالى آتاه من كل شيء كما قال ((وأوتينا[٣] من كل شيء)) / وهو نظير قول ذي القرنين لما قال له القوم ٤٦/أ
الذين طلبوا منه أن يجعل بينهم وبين عدوهم السد أن يجعلوا له خرجا .

((قال ما مكنني[٤] فيه ربي خير ..))[٥] الآية ((بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦))) ، لِما علم من طبع البشر أنه يفرح بما يُعطى .

((ارجع اليهم)) خطاب لمن جاء بالهدية ((فلنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها)) لا طاقة ، وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة[٦] . ((ولنخرجنّهم منها)) من سباء ((أذلة وهم صاغرون (٣٧))) فالذل بإذهاب عزهم والصغار بوقوعهم في

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢١٠/٥ كتاب الهبة .
(٢) هكذا في النسختين ولعل تمام الكلام (فيه دليل أن الهدية مشتملة على مال) ويؤيد هذا التقدير ما ذكره بعض المفسرين كابن جرير ١٥٦/١٩ ، والبغوي ٤١٧/٣ .
(٣) في (م) (وأوتي) بالافراد وهو خلاف نص الآية .
(٤) هكذا في (ص) وهي قراءة ابن كثير (بنونين خفيفتين الأولى منهما مفتوحة والثانية مكسورة) .
وفي (م) (مكنّي) بادغام نون الفعل في نون الوقاية وهي قراءة الجمهور . انظر اتحاف فضلاء البشر ٢٩٥ .
(٥) الكهف ٩٥ .
(٦) الكشاف ١٤٣/٣ . وانظر لسان العرب ٥٤٣/١١ (قبل) .

الأسر والاستعباد [١] . ومنه ((عن يد وهم صاغرون)) [٢] .

((قال)) سليمان ((يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها)) الذي وصفه الهدهد بقوله : عرش عظيم .

والمراد بالملأ : جنده من الجن [٣] لِما يعلم أنه لا يطيق مطلوبه خطاب [٤] الانس .

((قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨))) كأنه قد أوحي اليه أنهم يأتونه مسلمين وكأنه أراد بالاتيان بعرشها لتراه بحضرته ، وقد تركته في قصرها فتعلم أنها معجزة [٥] لا تكون الا لنبي زيادة فيما قد عرفته من دلائل نبوته .

((قال عفريت من الجن)) قيل كان اسمه ذكوان [٦] ((أنا آتيك [به] [٧] قبل أن تقوم من مقامك)) الذي أنت فيه ((وإني عليه لقوي أمين (٣٩))) .

هو نحو قول ابنة شعيب في صفة خير من استأجره أبوها ((إنّ خير من استأجرت القوي الأمين)) [٨] وفيه قدرة الجن على حمل الأثقال مع أنهم أجسام

---

(١) الكشاف ١٤٣/٣ .
(٢) التوبة ٢٩ .
(٣) تقييد الملأ بالجن ليس بمسلّم ، اذ أن لفظ الملأ يراد به الجماعة فيدخل فيه جماعة الجن والانس ولو لم يكن الخطاب شاملا للانس لما بادر الذي عنده علم من الكتاب بقوله ((أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)) مع أن هذا الذي عنده علم من الكتاب هو من الانس كما ذكر ذلك ابن جرير ١٦٢/١٩ وابن أبي حاتم ص ٢٤٣ الأثر رقم ٢٩٣ وابن كثير ٣٦٤/٣ .
(٤) هكذا فيهما ولم أفهمه ولعله أراد : أنه لا يطيق مطلوب خطابه الانس ، أو تكون كلمة خطابه زائدة فيصبح السياق (لا يطيق مطلوبه الانس) .
(٥) في (م) (معجز) .
(٦) انظر معالم التنزيل ٤١٩/٣ .
(٧) ساقطة من (ص) .
(٨) القصص ٢٦ .

لطاف لا تدرك بالأبصار ولا عجيب من قدرة الله على إقدارهم ، فإنّ الملائكة يفعل الواحد منهم من الأفعال ما لا يطيقه جميع الرجال كقلع جبريل قرى قوم لوط وهي سبع حتى بلغت عنان السموات ، بل التحقيق أنه لا يحمل الأثقال الا ما [لا] يدرك[1] بالأبصار ، فان هذه / الجمال تباشر حمل الأثقال ، فاذا خرج منها ٤٦/ب الروح لم تحمل ذرة من ذاتها . فضلا عن غيرها ، وبه يعلم أن روحها هو كان حاملا للأثقال ، وهذه الرياح تقلع الشوامخ كما قال تعالى : ((ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم))[2] .

وقد جعل الله تعالى كل روح على قدر الجسم الذي تخلق[3] فيه ، فروح النملة [ليس كروح العصفور وروحه][4] ليس كروح الانسان وروحه [ليس كروح الجمال وروحها][4] ليس كروح الفيلة التي تحمل الاثقال وغير ذلك من قدرة الكبير المتعال .[5]

وأما الذي أتى به قبل ارتداد[6] الطرف ، فلم يحمله بل دعا بالاسم الأعظم فأتى العرش كما سيأتي .

((قال الذي عنده علم من الكتاب)) .. تنكير علم للتعظيم ، ومن الكتاب أي من كتاب الله . قيل الاسم الأعظم ،[7] وفي تعيينه خلاف .

---

(١) في (م) (ما يدرك) باسقاط حرف النفي .
(٢) الذاريات ٤٢ .
(٣) في النسختين (يخلق) بالمثناة التحتية .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٥) والذي يظهر لي أن التفاوت في حمل الأثقال هو بحسب ما اعطى الله تلك المخلوقات من بنية في الجسم .
(٦) في (م) (قبل اراد الصرف) .
(٧) تفسير ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٤٧ الاثر رقم ٣٠٠ ومعالم التنزيل ٤٢٠/٣ .

قيل : يا حي يا قيوم (١) .

وقيل : يا إلـٰهنا وإلٰه كل شيء إلـٰهاً واحدا لا إلٰه الا أنت . (٢)

وقيل : يا ذا الجلال والاكرام (٣) . واختلفوا في الذي عنده من الكتاب .

قيل : آصف بن برخيا (٤) .

وقيل : جبريل .

وقيل : سليمان (٥) . ورجحه الرازي في مفاتح الغيب (٦) وغيره

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره روايات أنه الخضر (٧) . وفيها أنه رجل من بني آدم يقال له ذو النون (٨) .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الزهري قال : دعا الذي عنده علم من الكتاب : يا إلـٰهنا وإلٰه كل شيء إلـٰها واحدا لا إلٰه الا أنت ائتني بعرشها . قال : فمثل بين يديه (٩) .

((أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)) ..

أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن سعيد بن جبير في قوله / ((قبل أن ٤٧/أ

---

(١) اخرجه البغوي في معالم التنزيل ٤٢٠/٣ وعزاه للكلبي .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ وابن أبي حاتم ص ٢٤٦ الأثر ٢٩٨ كلاهما عن الزهري .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وابن أبي حاتم ص ٢٤٧ ، كلاهما عن مجاهد . وانظر الدر المنثور ٣٦١/٦ .

(٤) تفسير ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وابن أبي حاتم ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وابن الجوزي ١٧٤/٦ .

(٥) ذكر هذه الأقوال جميعا البغوي ٤٢٠/٣ ، وابن الجوزي ١٧٤/٦ - ١٧٥ ، والرازي ١٩٧/٢٤ .

(٦) تفسير الرازي ١٩٧/٢٤-١٩٨ ، وجعل الخطاب من سليمان للعفريت .

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٤٤ ، والدر المنثور ٣٦٠/٦ .

(٨) في تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٤٢ ذو النور بالراء بدل النون وهو كذلك في الدر المنثور ٣٦٠/٦ .

(٩) تفسير ابن جرير ١٦٣/١٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٤٦-٢٤٧ ، والدر المنثور ٣٦١/٦ والبغوي ٤٢٠/٣ ، والقرطبي ٢٠٤/١٣ ..

يرتد إليك طرفك)) قال[١] : قال[٢] لسليمان[٣] انظر الى السماء . قال : فمأطرق حتى جاءه به فوضعه بين يديه .[٤]

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس مثله[٥] .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن عساكر عن ابن عباس : لم يجر[٦] عرش صاحبة سباء بين الأرض والسماء ، ولكن انشقت به[٧] الأرض فجرى تحت الأرض حتى ظهر بين يدي سليمان عليه السلام[٨] .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن سابط[٩] قال : دعا [الله][١٠] باسمه الأعظم فدخل[١١] السرير فصار له نفق [في الأرض][١٢] حتى ظهر بين يدي سليمان .[١٣]

---

(١) أي سعيد بن جبير .
(٢) أي الذي عنده علم من الكتاب .
(٣) في (م) (قال سليمان) .
(٤) الدر المنثور ٣٦١/٦ .
(٥) الدر المنثور ٣٦١/٦ .
(٦) في (م) (لم يجد) .
(٧) في (م) (انشقت له) .
(٨) انظر تفسير ابن جرير ١٦٤/١٩ - ١٦٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٥٠-٢٥٢ ومصنف ابن أبي شيبة ٣٣٦/٦ ، والدر المنثور ٣٦١/٦ .
(٩) في (م) (ابن ساقط) والصواب سابط كما في (ص) والدر المنثور ٣٦١/٦ .
وانظر ترجمته في تقريب التهذيب برقم ٣٨٦٧ ص ٣٤٠ .
(١٠) لفظ الجلالة سقط من (م) .
(١١) في (م) (بدخل السرير) .
(١٢) ساقط من (م) .
(١٣) الدر المنثور ٣٦١/٦ ، وقريبا منه ما أخرجه ابن أبي حاتم ص ٢٥٢ الأثر ٣٠٧ .

((فلما رآه مستقرا عنده قال)) سليمان ((هذا من فضل ربي)) الذي أعطاني وتقدم[1] قول سليمان : ((وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين)) .

((ليبلوني ءاشكر أم أكفر))[2] لأن كل نعمة وفضل يجب على العبد شكره فان لم يفعل فقد كفر النعمة والفضل ، ثم أخبر أن الشاكر انما يفيد نفسه .

((ومن[3] شكر فانما يشكر لنفسه)) لأن فائدته عائدة[4] له ، فان الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة فالشاكر يقيّد ويصطاد .

((ومن كفر فان ربي غني كريم (٤٠))) .. غني عن شكر الشاكرين فما ضر الكافر لنعمه الا نفسه ، وقد أمر بشكره ونهى عن كفره ((و[5] اشكروا لي ولا تكفرون))[6] . وكم بين قوله وقول قارون ((إنّما أوتيته على علم عندي))[7] .

((قال نكّروا لها عرشها)) .. اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما

---

(١) وذلك ص ٢١٢ فما بعدها

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو وهشام وأبو جعفر بتسهيل الثانية وادخال الف (ءأشكر) .
وقرأ ابن كثير ورويس بتسهيلها من غير ادخال ألف (ءشكر) .
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وروح وخلف بتحقيق الهمزتين بلا ألف بينهما (ءأشكر)
النشر ٣٦٣/١ ، واتحاف فضلاء البشر ص ١٢٨ .
ورسم الآية في المخطوطتين هكذا (اشكر أم اكفر) فلا أدري أي قراءة أراد ولكني اثبتها على رواية قالون عن نافع بناء على ملازمته لهذه القراءة في أغلب الآيات .

(٣) في النسختين (فمن شكر) بالفاء بدل الواو وهو خلاف الآية .

(٤) في (م) (غائة له) .

(٥) في النسختين (فاشكروا) .

(٦) البقرة ١٥٢ .

(٧) القصص ٧٨ .

يتنكّر الرجل عن هيئته للناس [١] .

((ننظر [٢] أتهتدي [٣])) بلقيس لمعرفته [٤] وتجيب بالصواب ان سئلت / عنه [٥] ٤٧/ب

((أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا)) ثلاث كلمات حـــــرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة . [٦]

لم يقل : أهذا ((عرشك)) أي [٧] مثل هذا لأنه قد غير عن هيئته .

((قالت كأنه هو)) لم تقل هو هو لأنه قد نُكّر وغير .

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : لما دخلت وقد غير عرشها فجعل كل شيء من حليته أو فرشه في غير موضعه ليلبسوا عليها قيل : أهكذا عرشـــك ؟ فرهبت أن تقول نعم [٨] ، فيقال : ما هكذا كان حليته ولا كسوته ، ورهبت أن تقـول ليس هو فيقال لها : بل هو ولكن غيرناه . فقالت : كأنه هو . [٩]

((وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (٤٢))) .. ذُكر فيه احتمالان :

الأول : أنه من قولها وأنّها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهـــار

---

(١) الكشاف ١٤٤/٣ .

(٢) في (م) (تنظر) وهو خطأ ظاهر .

(٣) في النسختين (أتهدي) والصواب ما أثبته .

(٤) في (م) (بمعرفته) والصواب (لمعرفته) كما هو في (ص) . وفـــي الكشاف ١٤٤/٣ .

(٥) انظر الكشاف ١٤٤/٣ .

(٦) الكشاف ١٤٤/٣ .

(٧) في الكشاف : لم يقل أهذا عرشك . ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكـــون تلقينا .

(٨) في (م) (فقال فيقال) بزيادة فقال . وهو خطأ ظاهر .

(٩) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٦٦ ، والدر المنثور ٣٦٢/٦ ، وانظر معالـــم التنزيل ٤٢١/٣ .

معجزة لها. فقالت : ((وأوتينا العلم)) بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة والمعجزة مما تقدم من الآيات .(١)

والثاني : من كلام سليمان وقومه(٢) عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوّزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمةّ من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على الأنبياء عليهم السلام يقولون : ((وأوتينا العلم)) بالله وقدرته وصحة ما جاء به من عنده من قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه تحدثاً منهم بنعمة الله وشكرا لها.

وهذا الاحتمال أخرجه ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد(٣) .

وأخرجه أيضا هو وغيره عن مجاهد(٤) .

((وصدّها)) .. والمراد صدّها سليمان(٥)

---

(١) انظر : معالم التنزيل ٤٢١/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٨٨/٦ .

(٢) وهذا ما سير جه المؤلف ص٥٠

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٦٦ ، والدر المنثور ٣٦٢/٦ ، وزهير بن محمد هو التميمي المتوفى سنة ٦٢ كما في تقريب التهذيب ص ٢١٧ .

(٤) أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١٦٧/١٩ ، وابن أبي حاتم عن مجاهد أيضا ص ٢٦٦ والبغوي ٤٢١/٣ ، واقتصر عليه الزمخشري ١٤٤/٣ ، وانظر الدر المنثور ٣٦٢/٦

(٥) الفاعل في قوله (وصدها) اما أن يكون :
أ ـ الاسم الموصول في قوله تعالى ((ما كانت تعبد)) ويكون معنى الآية : منعتها عبادتها الشمس من عبادة الله . وهذا ما اختاره ابن جرير وعزاه إلى مجاهد .
ب ـ أو يكون الفاعل هو سليمان عليه السلام ، ويكون معنى الآية حينئذ : وصدها سليمان عمّا كانت تعبد من دون الله . وهذا ما اختاره المؤلف واشار إليه ابن جرير بقوله : ولو قيل : وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله بمعنى منعها وحال بينها وبينه كان وجها حسنا .
ج ـ أو يكون الفاعل لفظ الجلالة بتقدير وصدها الله ذلك بتوفيقها للإسلام وهذا حكاه ابن جرير أيضا . ثم قال بعده ما معناه : ولو قيل هذا كان أيضا وجها صحيحا . انظر : تفسير الطبري ١٦٧/١٩ ـ ١٦٨ ، ومعالم التنزيل ٤٢١/٣ ، والكشاف ١٤٥/٣ .

بما ظهر لها[١] من معجزاته ((ما كانت)) عما كانت[٢] / ((تعبد من دون الله)) وهو سجودها وقومها للشمس كما قاله الهدهد . ٤٨/أ

((انها كانت من قوم كافرين (٤٣))) .. فهداها الله وأخرجها من كفرهم .

((قيل لها ادخلي الصرح)) .. قال مجاهد : الصرح بركة[٣] ماء ضرب عليها سليمان قواريرا[٤] ألبسها وكانت بالقيس هلباء[٥] شعراء قدماها كحافر الحمار . أخرجه عنه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .[٦]

((فلما رأته حسبته لجة)) .. [قال ابن عباس : بحرا][٧] ((وكشفت عن ساقيها)) .

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : كان نُعت له خلقها فأحب[٨] أن ينظر إلى ساقيها ، فكشفت عن ساقيها[٩] فنظر الى ساقيها[٩] (١٠) عليها شعر كثير[١١]

---

(١) هكذا في النسختين . ولعل الصواب (بما أظهر) بهمزة التعدية .

(٢) في (م) (عما كانت عما كانت) مكررة .

(٣) في (م) (تركة) وهو خطأ ظاهر .

(٤) هكذا في النسختين والصواب منعها من الصرف .

(٥) في (م) (صلبا) والصواب (هلباء) كما في تفسير ابن جرير وغيره . والهلب : كثرة الشعر . كما في لسان العرب ٧٨٦/١ .

(٦) تفسير ابن جرير ١٦٩/١٩ ، وابن أبي حاتم ص ٢٦٨ ، والدر المنثور ٣٦٣/٦ .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . والأثر أخرجه ابن جرير ١٦٩/١٩ عن ابن جريج ، وابن أبي حاتم ص ٢٧١ عن عكرمة .

(٨) في (ص) (بعث له خلفها صاحب) .
وفي (م) (نعت له خلفها صاحب) .

(٩) هكذا في النسختين . والاضمار في هذا المقام أصح .

(١٠) في (م) (ساقها) بالإفراد .

(١١) في النسختين (كثيرة) بزيادة التاء .

فوقعت من عينه فكرهها فقالت الشياطين : نحن نصنع لك [ما][1] يذهب به فصنعوا له النورة من أصداف فطلوها فذهب الشعر ونكحها سليمان .[2]

((قال انه))[أي الذي ظننتيه ماء][3] ((صرح ممرد)) مملس ((مـــــن قوارير)) .

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح قال : (كـان الصرح من زجاج وجعل فيه تماثيل السمك فلما دخلت ظنت أنه ماء)[4] . ((قالـت رب اني ظلمت نفسي)) .. أي فيما مضى بعبادتها غير الله . وهو نحو قول آدم : ((ظلمنا أنفسنا))[5] . ((وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٤٤))) .

هو مما يدل أن قوله ((وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)) من كلام سليمان وقومه .

وإلى هنا انتهت قصة سليمان . وهذا شروع في قصة ثمود .

---

(١) الاسم الموصول ساقط من (م) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٦٩ الاثر ٣٤٨ وص ٢٧٣ الأثر ٣٥٤ .
وجمعهما السيوطي في سياق واحد . انظر الدر المنثور ٣٦٣/٦ .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٦٩ الأثر ٣٤٧ . و ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ الأثر ٣٥٨ و ٣٥٩ .
وجمعها السيوطي في سياق واحد في الدر المنثور ٣٦٣/٦ .

(٥) الأعراف ٢٣ .

((ولقد أرسلنا الى ثمود)) .. تقدمت قصتهم مرارا وجرت الحكمة أنه يذكر قصتهم[١] بعد قصة عاد ، وهنا أفردوا بالذكر كما أفردوا في سورة الشمس وضحاها[٢] ، وذكروا[٣] في الحجر[٤] بعد أصحاب الائكة ، والحجر مسكنهم وكان واديا بين مكة والشام[٥] .

ومن قال بين الحجاز[٦] فهو واحد ((أخاهم صالحا)) لأنه واحد من القبيلة مجمعهم[٧] ثمود بن عابر بن ارم بن سام[٨] قائلا لهم ((أن اعبدوا الله)) ..

طوى هنا ما جاء به / في سورة الأعراف من قوله : ((ما لكم من إله غيره قد ٤٨/ب جاءتكم بينة من ربكم ....)) الى آخر ما هنالك[٩] .

لأن هذا اجمال تقدم بيانه على قواعد القرآن ((فاذا هم فريقان)) تقدم بيانهما [في قوله : ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه[١٠] للذين استضعفوا لمن آمن منهم ..)) الآية[١١]][١٢] .

---

(١) في (م) (قصصهم) بالجمع .

(٢) لعل مراده أفردوا عن قوم عاد ، والا فقد ذكر الله في هذه السورة قصة موسى قبلهم وقصة قوم لوط بعدهم .

(٣) في النسختين (وذكر في الحجر)

(٤) الحجر ٨٠ .

(٥) في معجم البلدان ٢٢١/٢ : والحجر : اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام .
قلت : ولا تناقض في ذلك فهو بين مكة والشام من باب أولى .

(٦) لعله أراد أن يقول : ومن قال بين الحجاز وتبوك فهو واحد . فقد قال ذلك ابن حجر في فتح الباري ٣٧٩/٦ ، وابن كثير في تاريخه ١٣٠/١ .

(٧) في (م) (يجمعهم) .

(٨) انظر : تاريخ ابن كثير ١٣٠/١ ، وفتح الباري ٣٧٩/٦ .

(٩) الأعراف ٧٣ ـ ٧٩ .

(١٠) في (ص) (الذين استكبروا منهم) بالاضمار بدل الاظهار وهو خلاف الآية .

(١١) الأعراف ٧٥ .

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

((يختصمون (٤٥))) .. بيّنه أيضا قول المؤمنين ((إنا[1] بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون))[2] ((قال)) صالح : ((يا قوم لم تستعجلون بالسيئة)) .. خطاب للكفار من قومه وهم الذين استكبروا عن الايمان واستعجالهم هو قولهم :((وقالوا يا صالح إيتنا[3] بما تعدنا ان كنت من المرسلين))[4] .

((قبل الحسنة)) .. أي قبل التوبة وذلك أنهم كانوا يقولون اذا (.....)[5] اتبعناه فيؤخرون اننا[6]

((لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون (٤٦))) .. فلا ينزل بكم العذاب ، وطوى هنا قولهم : ((انما أنت من المسحرين [ما أنت الا بشر مثلنا][7] فأت

---

(١) في (م) (انما بما أرسل) وهو خطأ ظاهر .

(٢) الأعراف ٧٥ ـ ٧٦ .

(٣) في (ص) (ايتا) باسقاط النون .

(٤) الأعراف ٧٧ .

(٥) فراغ في النسختين بقدر كلمة . ولعل تقديرها كما يفهم من الكشاف (يقولون اذا وقعت ـ أي السيئة ـ اتبعناه) .

(٦) هكذا في النسختين ويبدو أن العبارة لا تخلو من السقط والأحسن أن نورد هنا كلام الزمخشري حيث قال : كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام ان وقعت ـ على زعمه ـ تبثا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت ، وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم . الكشاف ١٤٥/٣ .
وانما ذكرت تفسير الزمخشري لأنه أقرب شيء الى كلام المؤلف مع أن الصواب في تفسير الآية هو ما ذكره ابن كثير ٣٦٧/٣ قال : أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته . أهـ .
وهذا ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد في قوله ((لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة)) قال السيئة : العذاب ، قبل الحسنة : قبل الرحمة .
تفسير ابن جرير ١٧١/١٩ .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .

بآية ان كنت من الصادقين ، قال هذه ناقة ...)) الآيات[١] . كما طوى قوله[٢] لهم ((أتتركون فيما هاهنا آمنين ..)) الآيات[٣] . وذكر هنا ما طوىهنالك من قولهم : ((قالوا اطيرنا بك وبمن معك)) أي تشاءمنا . ((قال طائركم عند الله)) .

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس في قوله ((طائركم عند الله)) قال : (مصائبكم)[٤] . وهذا نظير قول قوم فرعون لموسى : ((وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه))[٥] .

ومثله قول أهل القرية المذكور في يس ((قالوا انا تطيرنا بكم ..)) الآية[٦] .

((بل أنتم قوم تفتنون (٤٧))) .. تختبرون[٧] بتعاقب السراء والضراء من قوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة))[٨] .

((وكان في المدينة)) (كأن المراد بها سدوم[٩] وكانت أعظم قراهم

---

(١) الشعراء ١٥٣ ـ ١٥٥ .
(٢) في (م) (قولهم) .
(٣) الشعراء ١٤٦ ـ ١٥٢ .
(٤) تفسير ابن جرير ١٧١/١٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٩١ ، والدر المنثور ٣٧٠/٦ .
(٥) الاعراف ١٣١ .
(٦) يس ١٨ .
(٧) انظر تفسير ابن جرير ١٧١/١٩ ، ومعالم التنزيل ٤٢٣/٣ .
(٨) الأنبياء ٣٥ .
(٩) هذا وهم ـ من المؤلف أو من الناسخ رحمهما الله تعالى ـ فان المراد بالمدينة هنا مدينة قوم صالح وهي الحجر ، وأما سدوم فهي احدى قرى قوم لوط كما ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره ٢٣٤/٨ وابن كثير في تاريخه ١٧٦/١ ومما يلاحظ أن الآيات تتحدث عن قوم صالح عليه السلام ، بينما ترى ما بين القوسين من كلام المؤلف يتحدث فيه عن قوم لوط عليه السلام . فلعل المكان المناسب لهذا الكلام هو في ص ٢٥٩ بعد قوله ((من قريتكم)) من قوله تعالى ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون)) .

فانها سبع قرى كما قال الله تعالى : ((والمؤتفكات))[١] . وقوله ((والمؤتفكة أهوى))[٢] . فانه أخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد عن عكرمة في قوله ((والمؤتفكة أهوى)) قال : قوم لوط ائتفكت بهم الأرض بعد أن رفعها الله الى السماء فهي تجلجل فيها الى يوم القيامة)[٣])

((تسعة رهط يفسدون في الأرض)) .. زيادة على كفرهم ((ولا يصلحون (٤٨))) ليس فيهم[٥] شيء من الصلاح . ((قالوا تقاسموا بالله)) أي يقسم[٦] بعض لبعض وفيه أنهم مقرون بالله تعالى ((لنبيّتنه وأهله)) أي نقتلهم ليلا .

لم تتقدم ارادتهم قتله في القصص الماضية . الذي تقدم عقرهم الناقة ، وكأنهم بعد عقرها أرادوا / قتله . فهذا مما طوى فيما[٧] سلف ، كما طوى عقر ٤٩/أ الناقة .[٨]

((ثم لنقولن لوليه)) الطالب بدمه ((ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون (٤٩))) .

قال جار الله[٩] : ان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه[١٠] ؟

---

(١) التوبة ٧٠ والحاقة ٩ .
(٢) النجم ٥٣ .
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦٦٥/٧ . وعزاه لعبد بن حميد فقط . ولم أجده في تفسير عبدالرزاق بهذا اللفظ ولكن قريبا منه ما أخرجه عبدالرزاق عن قتادة ص ٢٢٣ ٥٢٤
(٥) في (م) (ليس فيها) بالتأنيث .
(٦) في (م) (يقتسم) بزيادة التاء وهي خطأ .
(٧) في (م) (مما سلف)
(٨) أي كما طوى عقر الناقة هنا .
(٩) الكشاف ١٤٦/٣ .
(١٠) في النسختين (المخبر به) .

قلت : كأنهم اعتقدوا[١] أنهم اذا بيّتوا صالحا وبيّتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله ، فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما .[٢]

((ومكروا مكراً)) .. هو ما أخفوه من تدبير القتل بصالح[٣] .

((ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون (٥٠))) .. رُوي أنهم قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث ، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث ، فخرجوا الى الشعب الذي كان يصلي فيه وقالوا : اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم[٤] فبادروا فطبقت الصخرة عليهم[٥] فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ؟ ولم يدروا ما فعل بقومهم ، وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجّى صالحا ومن معه .[٥] ((وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم))[٦] ، وتقدم ((ويكروا ومكر الله والله خير الماكرين))[٧] في الأنفال[٨] في قوله :

---

(١) في النسختين (اعتذروا) .

(٢) قال أحمد الاسنكدري في حاشيته على الكشاف ما معناه : أن الحامل للزمخشري على هذا القول هو قاعدة التحسين والتقبيح العقلي ، والا فهم كاذبون لا محالة ، اذ كيف يتواطؤن على قتله وأهله ثم يقولون ((ماشهدنا مهلك أهله)) ثم يكونون صادقين !!! انظر حاشية أحمد الاسكندري على الكشاف ١٤٦/٣ ، والبحر المحيط ٨٥/٧ ، والدر اللقيط بحاشية البحر المحيط ٨٤/٧ .

(٣) انظر الكشاف ١٤٦/٣ .

(٤) في النسختين (هيالهم) والصواب (حيالهم) كما في الكشاف ١٤٧/٣ .

(٥) الكشاف ١٤٧/٣ .

(٦) سورة ابراهيم عليه السلام ٤٦ .

(٧) آل عمران ٥٤ .

(٨) قوله (في الانفال) يحتمل أمرين :
أ - أنه يشير الى أن هذه الآية في الأنفال وهذا خطأ ، اذ أن آية الأنفال جاءت بصيغة المضارع ((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) ٣٠ .
بينما الآية التي أوردها جاءت بصيغة الماضي وهي في آل عمران كما بينت ذلك سابقا .
==

((واذ يمكر بك الذين كفروا ...)) الآية[1] . ((فانظر كيف كان عاقبة مكرهم)) فانه قد حاق بهم ((ولا يحيق المكر السيء الا بأهله))[2] .

((أنا دمرناهم وقومهم أجمعين (٥١))) .. طوى هنا بماذا كان تدميرهم وصرح به في آيات .

ففي الأعراف[3] : ((فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم[4] جاثمين)) .

وفي الحجر[5] : ((فأخذتهم الصيحة مصبحين)) .

وفي هود[6] : ((وأخذ[7] الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين))

وفي السجدة[8] : ((فأخذتهم صاعقة العذاب الهون))[9]

== ب ـ والاحتمال الثاني أن يكون أورد هذه الآية وما شابهها من الآيات عند تفسيره لآية الأنفال . فهذه احالة على التفسير لا على نص الآية . وفي هذا دليل على أنه تناول تفسير القرآن من بدايته .

(١) الأنفال ٣٠ .

(٢) فاطر ٤٣ .

(٣) الأعراف ٧٨ .

(٤) في كلا المخطوطتين (ديارهم) بالجمع وليست قراءة .

(٥) الحجر ٨٣ .

(٦) هود ٦٧ .

(٧) في النسختين (فأخذت) والصواب ما أثبته .

(٨) فصلت ١٧ .

(٩) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : واعلم أن الله جل وعلا عبّر عن الهلاك الذي أهلك به ثمود بعبارات مختلفة . فذكره في سورة فصلت آية ١٧ ، ١٣ باسم الصاعقة وذلك في قوله تعالى : ((فأخذتهم صاعقة العذاب الهون)) ، وقوله : ((فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) . وعبّر عنه أيضا بالصاعقة في سورة الذاريات ٤٤ في قوله تعالى : ((وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)) . وعبر عنه بالصيحة في آيات من كتابه كقوله تعالى في سورة هود ٦٧ ـ ٦٨ : ((وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ألا أن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود)) . ===

((فتلك بيوتهم خاوية ..)) [خالية][1] عن الساكنين .

كما قال في هود[2] ((كأن لم يغنوا فيها)) يقيموا بها[3] ((بما ظلموا)) بسبب ظلمهم . ((إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون (٥٢))) بقدرة الله وانتقامه

== وقوله تعالى في الحجر ٨٢ ـ ٨٣ : ((وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ، فأخذتهم الصيحة مصبحين)) .

وقوله تعالى في القمر ٣١ : ((انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)) . وقوله تعالى في العنكبوت ٤٠ ((ومنهم من أخذته الصيحة)) يعني به ثمود المذكورين في قوله قبله : ((وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ..)) الآية ٣٨ .

وعبر عنه بالرجفة في سورة الأعراف ٧٧ ـ ٧٨ في قوله تعالى : ((فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)) .

وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل ٥١ في قوله تعالى : ((فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)) .

وعبر عنه بالطاغية في الحاقة ٥ في قوله تعالى : ((فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)) ، وعبر عنه بالدمدمة في الشمس ١٤ في قوله تعالى : ((فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)) .

وعبر عنه بالعذاب في سورة الشعراء ١٥٧ ـ ١٥٨ في قوله تعالى ((فعقروها فأصبحوا نادمين ، فأخذهم العذاب ...)) الآية .

ومعنى هذه العبارات كلها راجع الى شيء واحد وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم والصيحة الصوت المزعج المهلك . والصاعقة تطلق أيضا على الصوت المزعج المهلك ، وعلى النار المحرقة وعليهما معا . ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم رجفت بهم الأرض من تحتهم ، أي تحركت حركة قوية فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة ، وكون ذلك تدميرا واضح .

وقيل لها طاغية لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك . أهـ .

من أضواء البيان ١٢٧/٧ ـ ١٢٩ .

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (م) .

(٢) هود ٦٨ .

(٣) انظر معالم التنزيل ٣٩٢/٢ .

من الظالمين[1] ((وأنجينا الذين آمنوا)) وهو صالح ومن معه [2] وتقدم في هود[3] : ((فلما جاء أمرنا نجّينا صالحا والذين آمنوا معه [2] برحمة منا ومن خزي يومئذ ..)) فالآية[4] هذه بيّنت[5] الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما أجملت هنا .

((ولوطا)) .. أي أرسلناه[6] ((إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة)) أجملها هنا وبيّنها بقوله ((أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء))[7] . وفي قوله : ((أتأتون الذكران من العالمين))[8] ، ووصفها في غير هذه الآية بقوله ((ما سبقكم بها من أحد من العالمين))[9] ((وأنتم تبصرون (٥٤))) .

فسره ما أخرجه / عبد بن حميد والفريابي وسعيد بن منصور والخرائطي[10] ٤٩/ب في مساوئ الأخلاق عن مجاهد في قوله : ((وتأتون في ناديكم المنكر))[11] قال :

---

(١) في (ص) (الظالين) باسقاط الميم . وفي (م) (الضالين) بالضاد واسقاط الميم .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٣) هود ٦٦ .

(٤) في (م) (الآية) باسقاط الفاء .

(٥) في (م) (بينت صالحا الذين آمنوا وكانوا يتقون) بزيادة لفظ صالح . وهو خطأ ظاهر . فلعله نقل ما استدركه الناسخ من الآية دون أن يعرف مكانه .

(٦) في الكشاف ١٤٧/٣ واذكر لوطا أو أرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه .

(٧) النمل ٥٥ .
وفي الأعراف ٨١ ((إنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء)) .

(٨) الشعراء ١٦٥ .

(٩) الأعراف ٨٠ ، والعنكبوت ٢٨ .

(١٠) هو أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي مؤلف كتاب مكارم الأخلاق وكتاب مساوئ الأخلاق ، سمع الحسن بن عرفة وعلي بن حرب ، وحدّث عنه أبو سليمان ابن زبر والدرابلني ، مات سنة ٣٢٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٥ .

(١١) العنكبوت ٢٩

كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس .[1]

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ((وتأتون في ناديكم المنكر)) ، قال : كانوا يعملون الفاحشة في مجالسهم[2] (وآتما)[3] فيه تفسيره بالضراط والحذف[4] وغير ذلك لأنهم يفعلون هذا وهذا ثم بيّن هذه الفاحشة بقوله : ((أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥))) .

وفي الأعراف[5] : ((مسرفون)) وهم يجهلون الحق ويسرفون في اتباع الشهوات . ((فما كان جواب قومه)) على انكاره ((الا أن قالوا أخرجوا آل لوط)) أي لوطا وآله . وفي العنكبوت[6] ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين)) . فذكر تعالى في كل موضع أحد الجوابين .

(من قريتكم إنهم[7] أناس يتطهرون (٥٦))) .. يحتمل أنه استهزاء[8] كما قال ابن عباس ، ويحتمل أنهم معترفون بقذارة ما يأتونه وقبحه ويسؤوهم انكار لوط عليهم فقالوا أخرجوا آل لوط ((فأنجيناه وأهله)) باخراجنا لهم من بين

---

(١) مساوىء الأخلاق ص ٦٢٩ ، وتفسير ابن جرير ١٤٦/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٤١١/٣ ، والدر المنثور ٤٦١/٦ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٤٦/٢٠ ، والدر المنثور ٤٦١/٦ .

(٣) هذا في كلا النسختين ولعل صوابها (ولا ينافيه تفسيره بالضراط والحذف وغير ذلك) .

(٤) انظر تفسير ابن جرير ١٤٥/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٤١١/٣ - ٤١٢ ، ومعالم التنزيل ٤٦٦/٣ ، والكشاف ١٨٩/٣ ، والدر المنثور ٤٦١/٦ ، وسنن الترمذي ٣٤٣/٥ .

(٥) الأعراف ٨١

(٦) العنكبوت ٢٩ .

(٧) يحسن نقل كلام المؤلف الذي أورده في ص٢٥٣-٢٥٤ الى هذا الموضع .

(٨) أخرجه ابن جرير عن مجاهد ١/٢٠ ، وذكره القرطبي ٢١٩/١٣ عن مجاهد أيضا . وكذلك في الدر المنثور ٤٩٦/٣ .

اظهرهم ولم نمكنهم من اخراجهم لهم ((الا امرأته)) تقدم في هود وجه ابقائها مع الهالكين واخبار الله تعالى [له][1] انها من الهالكين وسمّاها في الشعراء[2]: ((عجوزا في الغابرين)) وضرب بها وبامرأة نوح عليه السلام في سورة التحريم.[3]

((قدّرناها من الغابرين (٥٧))) من الباقين الهالكين[4]. ومثله ((قدّرنا انها لمن الغابرين))[5]. ونحوه ((إنه مصيبها ما أصابهم ..)) الآية[6].

٦/٥٠ ((وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (٥٨) / قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما تشركون[7] (٥٩))) ، لما تم الاخبار عن القصص الأربع قصة موسى عليه السلام وسليمان عليه السلام وثمود وقوم لوط عليه السلام أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالحمد لله والسلام على من اصطفاه ، وهذا ابتداء[8] كلام[9] والحمد والسلام كالخطبة[10] وهو كلام مستقل في الاستدلال على الوحدانية[11]. لكنه تعالى على ما جرت به حكمته من

---

(١) ساقطة من (م) .
(٢) الشعراء ١٧١ .
(٣) الكلام غير تام ولعل تقديره (وضرب بها وبامرأة نوح عليه السلام في سورة التحريم مثلا للذين كفروا) كما في الآية ١٠ من سورة التحريم .
(٤) انظر الكشاف ٧٣/٢ .
(٥) الحجر ٦٠ .
(٦) هود ٨١ .
(٧) قرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء (يشركون) ، وقرأ الباقون بالخطاب (تشركون) .
انظر النشر في القراءات العشر ٣٣٨/٢ ، واتحاف فضلاء البشر ص ٣٣٨ .
(٨) في (ص) (ابتد) باسقاط الألف والهمزة .
(٩) هكذا في النسختين ولعل صوابه بالحمد والسلام .
(١٠) في النسختين (كالخطية) بالمثناة التحتية .
(١١) انظر تفسير القرطبي ٢٢٠/١٣ ، والبحر المحيط ٨٨/٧ .

توسيع [١] الأدلة على المدعي* زيادة في الايضاح وازاحة لعلل الجهال ومبالغة في العذر فانه لا أحد أحب اليه العذر من الله كما في الحديث الصحيح وتمامه : (... من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب الأولى)[٢].

قوله : ((أم من خلق [السموات][٣] والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنتبوا شجرها [أإله مع الله][٤])) هذا استفهام للانكار الابطالي وهو يقتضي[٥] بأن ما بعد الهمزة غير واقع وأن[٦] مدعيه كاذب . نحو (أفأصفاكم [ربكم][٧] بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا)) وهنا لا خالق للسموات [والأرض][٨] الا الله ، والكفار مقرون بذلك بنص قوله : ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض][٨] ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون))[٩]

---

(١) في (ص) (توستع) بالتاء بدلا من الياء وهو خطأ ظاهر .
(٢) متفق عليه . ولفظه أقرب الى ما في صحيح مسلم ٢١١٤/٤ كتاب التوبة .
(٣) في (ص) (أم من خلق والأرض) باسقاط لفظ السموات
وفي (م) (أم من خلق الأرض) باسقاط لفظ السموات مع حرف العطف .
(٤) ما بين المعقوفتين ليس في النسختين ولكن يقتضي السياق اثباته هنا . اذ أن المؤلف سيتكلم عن الاستفهام الإبطالي وليس في الآية استفهام ابطالي الا هذا وخاصة أن المؤلف سيحيل عليه في ص ٢٦٢
(٥) في (ص) (يقضي) باسقاط التاء .
(٦) في (م) (وان كاد مدعيه) بزيادة حروف لا معنى لها .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . والآية من سورة الإسراء ٤٠
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) في النسختين (لا يعقلون) والصواب ما أثبته . والآية من سورة لقمان ٢٥ .
(*) جواب لكن لم يذكر في السياق ولعل صحة السياق " لكنه تعالى ... ذكر ذلك زيادة في الايضاح ... الخ " .

(والهمزة تأتي للانكار التوبيخي فتقتضي أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم نحو ((أتعبدون ما تنحتون))[٢] [١] ، وكذلك انبات الحدائق هم به مقرون أنه تعالى وحده أنبتها كما قال تعالى : ((أأنتم[٣] أنشأتم شجرتها[٤] أم نحن المنشئون))[٥] ، وخص الحدائق لعظمها عندهم وكثرت منافعها ، وإلا فانه تعالى أنبت بالماء كل شيء كما قال تعالى : / ((فأنبتنا [به][٦] جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد))[٧] ، وأنزله طهورا ليحيي[٨] به بلدة ميتا ويسقى[٩] به أنعاماً وأناسي كثيرا ، ومنها[١٠] ((لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات))[١١] . ٥٠/ب

((أ إله مع الله)) .. كالاستفهام الأول[١٢] أي أإله معه تعالى خلق ما ذكر

---

(١) ما بين القوسين أرى أن يؤخر إلى نهاية السطر الثامن بعد قوله : (من كل الثمرات) كي يبقى الكلام هنا مستقيما .

(٢) الصافات ٩٥ .

(٣) في (م) (انتم أنشأتم) باسقاط الهمزة والتاء .

(٤) في (ص) (شجرها) باسقاط التاء وليست بقراءة .

(٥) الواقعة ٧٢ .

(٦) في (م) (فانبتنا جنات) باسقاط الجار والمجرور .

(٧) ق ٩ ـ ١١ .

(٨و٩) في (م) (لنحيي ... ونسقي) بنون المتكلم بدلا من ياء الغيبة والصواب ما أثبته من (ص) ، لأن المؤلف لم يرد نص الآية وانما اقتبس من آية الفرقان ٤٩ ثم ان ناسخ (م) لم يلتزم بنص الآية حتى يُعوّل عليه .

(١٠) هكذا في كلا النسختين ولم أجد للجار والمجرور عائدا من كلام المؤلف . ولعل تقديره : ومن الآيات الدالة على أن بالماء حياة كل شيء قوله :(لكم منه شراب .. الخ الآية) حيث أنه ذكر بقاء أنّ الله أنبت بالماء كل شيء .

(١١) النحل ١٠ ـ ١١ .

(١٢) وهو ما اثبته في ص ٢٦١ وهذا الاستفهام المذكور هنا هو ـ في الحقيقة أول استفهام ابطالي في هذه الآيات ، ولكونه تكرر خمس مرات ، فلعل المؤلف رحمه الله تعالى وهم ففسره هناك ، فلهذا اضطررت الى اثباته هناك كي يستقيم كلام المؤلف .

وأنزل ما وصف وأنبت ما ترونه لا يستطيعون أن يقولوا أن معه الها أوجد ما ذكر لاقرارهم بأنه المنفرد بذلك . ولذا قال تعالى : ((بل هم قوم يعدلون (٦٠))) .. أي يعدلون [عما][1] علموه إلى ما لا يعلمونه باتخاذهم من دونه أندادا لايخلقون شيئا وهم يُخلقون .

وهو نظير قوله تعالى : ((الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون))[2]، فهذه ثلاثة أدلة [على][3] وحدانيته تعالى ، ثم ذكر أدلة أربعة :

الأول : ((أم من جعل الأرض قرارا)) . وقد قال تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام قوله : ((والله جعل لكم الأرض بساطا))[4] . وقال : ((الذي جعل لكم الأرض فراشا))[5] .

وفي الآية الأخرى[6] : ((الذي جعل [لكم][7] الأرض مهادا))[8] .[((ألم نجعل الأرض مهادا))][9] . وهم مِقرّون بأنه خالقها[10] فهم مقرون بأنه جاعلها قرارا .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٢) الأنعام ١ .
(٣) حرف الجر ساقط من النسختين ويقتضي السياق اثباته .
والأدلة الثلاثة : ١ ـ خلق السموات والأرض . ٢ ـ انزال المطر .
٣ ـ انبات الحدائق .
(٤) نوح ١٩ .
(٥) البقرة ٢٢ .
(٦) طه ٥٣ والزخرف ١٠ .
(٧) قوله (لكم) ساقط من (ص) .
(٨) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح الميم واسكان الهاء بلا ألف (مَهْدا) وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها (مِهَادا) .
اتحاف فضلاء البشر ٣٠٣ .
(٩) هذه الآية ساقطة من (م) وهي الآية ٦ من سورة النبأ .
(١٠) في (م) (خلقها) .

الثاني : قوله : ((وجعل خلالها أنهارا)) . هو نحو قوله في سورة إبراهيم [١] :((وسخّر لكم الأنهار)) ونحو ((وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا)) [٢] أي / وجعل فيها أنهارا [٣] وهو من أدلة وحدانيته ، وقد اعترفوا ٥١/أ بأن الأرض خلقه وما ذكر هو من الأرض .

الثالث : قوله : ((وجعل لها [٤] رواسي)) .. أي جبالا راسية ، وذكر حكمة هذا الجعل بقوله ((أن تميد بكم)) وسمّاها الله أوتادا ((والجبال أوتادا)) [٥] وقال : ((وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها)) [٦] .

والرابع : قوله : ((وجعل بين البحرين)) .. أي العذب والمالح ((حاجزاً)) أي برزخا . كما قال : ((وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)) [٧] . ومنه [٨] : ((مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)) [٩] .

((أإله مع الله)) يفعل الأربعة الأشياء التي قام بها البرهان بأنه لا اله غيره تعالى . ((بل أكثرهم لا يعلمون (٦١))) علماً ينقادون [١٠] به لطاعة الله

---

(١) ابراهيم عليه السلام ٣٢ .
(٢) النحل ١٥ .
(٣) معالم التنزيل ٦٤/٣ .
(٤) في المخطوطتين (وجعل فيها) والصواب (وجعل لها) .
(٥) النبأ ٧ .
(٦) فصلت ١٠ .
(٧) الفرقان ٥٣ .
(٨) في (م) (ومنه قوله) بزيادة لفظة قوله .
(٩) الرحمن ١٩ ـ ٢٠ .
(١٠) في (م) (علما ينقاد به) بالافراد بدلا من الجمع .

وافراده بها وطاعة رسله وأما أنهم يعلمون أنه تعالى تفرد بما ذكر فهم يعلمون لكنهم لم يعملوا[١] بمقتضى علمهم ، فهم كمن لم يعلم ، ثم أخذ تعالى في زيادة اقامة الأدلة على الوحدانية فقال : ((أم من يجيب المضطر اذا دعاه)) ، ذكر في الآية ثلاثة أدلة هذا أولها ، والمضطر هو الذي تحوجه شدة ما نزل به الى [اللجا][٢] الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة[٣] وفيه دليل لا يمكن للثقلين[٤] دفعه ، فان من اتخذ إلهاً من دون الله يعلم أنه لا يسمعه اذا دعاه ولا يغيثه اذا ناداه .

قال الخليل عليه السلام لقومه : ((هل يسمعونكم اذ تدعون / أو ينفعونكم ٥١/ب أو يضرون))[٥] فـ ((قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون))[٦] وأقروا بأنهم لا يسمعونهم ولا يضرون ولا ينفعون .

وقال تعالى : ((إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين))[٧] . بعد قوله : ((سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)) . وقال تعالى : ((إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم))[٨] . وقال : ((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا[٩] يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا))[١٠] .

---

(١) في (م) (يعلموا) تقديم وتأخير .
(٢) ساقطة من (م) .
(٣) انظر الكشاف ١٤٩/٣ .
(٤) في النسختين (لا يمكن الثقلين) باسقاط حرف الجر .
(٥) الشعراء ٧٢ ـ ٧٤ .
(٦) في النسختين (بل وجدنا آباءنا لها عابدين) فخلط بين آية الأنبياء ٥٣ ، وآية الشعراء ٧٤ .
(٧) الأعراف ١٩٤ .
(٨) فاطر ١٤ .
(٩) في النسختين (لا يملكون) باسقاط الفاء والصواب اثباتها (فلا يملكون) .
(١٠) الاسراء ٥٦ .

وهم بذلك مقرون معترفون ولذا لم يقولوا للخليل عليه السلام أنّها تنفع وتضر لأنهم يعلمون أنه باطل ، ثم قال مقررا لما ذكر : ((واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إيّاه))[١] . وقال : ((حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها[٢] ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه[٣] لنكوننّ من الشاكرين ..)) الآية .[٤]

فالكفار مقرون بأنه لا يجيب المضطر الا الله ، وانما خص هنا المضطر زيادة في الامتنان والا فهو عز وجل يجيب كل من دعاه ((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم))[٥] . ((واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان[٦])) ((ادعوا ربكم تضرعا وخُفية))[٧] . فأمر بالدعاء ووعد / بالإجابة ، وتوعد من ٥٢/أ استكبر عن عبادته أي دعائه بدخول جهنم داخرين ، ومن كرمه وبديع احسانه علّمنا[٨] الدعاء الذي ندعوه به ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ..))[٩] الآية إلى ((وانصرنا على القوم الكافرين)) . ((وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين))[١٠] . وقال : ((وارزقنا وأنت خير الرازقين))[١١] .

---

(١) الاسراء ٦٧ .
(٢) في (م) (جاءتهم) وليست قراءة .
(٣) في (ص) (من هذا) بالتذكير وليست قراءة .
(٤) يونس ٢٢ .
(٥) غافر ٦٠ .
(٦) البقرة ١٨٦ .
(٧) الأعراف ٥٥ .
(٨) في (م) (علينا) والصواب (علّمنا) كما في (ص) .
(٩) البقرة ٢٨٦ .
(١٠) المؤمنون ١١٨ .
(١١) المائدة ١١٤ .

والقرآن مملؤ بتعليم الدعوات فأي جود أعظم من هذا الجود ؟ !!!

أمر بدعائه ووعدنا اجابته وعدا صادقا فهو تعالى ((لا يخلف الميعاد))[١] ((ومن أوفى بعهده من الله))[٢] وعده الحق وله الملك[٣] . ثم علّمنا الدعاء وجعله عبادة نؤجر عليه ونثاب بها في الآخرة .

ثم إنّه تعالى قص علينا دعاء جماعة من أنبيائه واجابته لهم ، فقص أربع قصص من ذلك في سورة الأنبياء فقال ((ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له [فنجّيناه][٤] وأهله من الكرب العظيم ، ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا [إنهم كانوا قوم سوء][٥] فأغرقناهم أجمعين))[٦] .

وقال : ((وأيوب إذ نادى ربه أنّي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا[٧] ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم ..)) الآية[٨] .

وقال : ((وذا النون اذ ذهب مغاضبا ...)) إلى قوله تعالى / :((فاستجبنا له ونجيّناه من الغم ..)) الآية[٩] . ٥٢/ب

وقال : ((وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا ..)) إلى قوله : ((فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه))[١٠] .. وغير ذلك مما قصه

---

(١) آل عمران ٩ .
(٢) التوبة ١١١ .
(٣) لم أجد آية بهذا النص ولكن قريبا منه قوله تعالى في سورة الأنعام : ((قوله الحق وله الملك)) ٧٣ .
(٤) ساقطة من (م) .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٦) الأنبياء ٧٦ ـ ٧٧ .
(٧) في النسختين (وكشفنا) بالواو . والصواب (فكشفنا) بالفاء .
(٨) الأنبياء ٨٣ ـ ٨٤ .
(٩) الأنبياء ٨٧ ـ ٨٨ .
(١٠) الانبياء ٨٩ ـ ٩٠ .

في كتابه ومما أخبر به رسوله[١] صلى الله عليه وسلم إلا أن العبد كما قال الله ((كفور))[٢]، فانه اذا نادى ربه وفرّج عنه كربه ((أعرض ونأدى بجانبه))[٣] كما حكاه الله عنه ((وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ..))[٤] الآية.

وقال : ((ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة))[٥].

وقال : ((وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا[٦] الى ضر مسه))[٧].

وقال : ((ولئن أذقنا الانسان [منا][٨] رحمة [ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ، ولئن أذقناه نعماء][٨] بعد[٩] ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنّه لفرح فخور ..))[١٠] الآيات.

((وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء[١١] مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون))[١٢].

---

(١) في (م) (رسول الله) بالاظهار بدلا من الاضمار .
(٢) هذا جزء من الآية ٩ من سورة هود والآية ٤٨ من الشورى .
(٣) هذا جزء من الآية ٨٣ من سورة الاسراء والآية ٥١ فصلت .
(٤) الزمر ٨ .
(٥) فصلت ٥٠ .
(٦) في (ص) (لم يدعنا) باسقاط النون ، وفي (م) (يدنا) باسقاط العين .
(٧) يونس ١٢ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٩) في كلا النسختين (من بعد ضراء) بزيادة (من) وهي خلاف الآية .
(١٠) هود ٩ ـ ١٠ .
(١١) في (م) (ضر) باسقاط الألف والهمزة .
(١٢) يونس ٢١ .

وقال : ((وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأ ى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض))(١)

فالعبد اذا نزل به البلاء دعا مولاه / فاذا كشفه أعرض عنه كأنه لم ٥٣/أ يدعه إلى كشف بلواه ، فسبحان الحليم على من عصاه لا إله لنا سواه . وقد يجمع الى الاعراض عن شكر [مولاه](٢) دعواه أنه يستحق ما أعطاه كما قال تعالى : ((فاذا مس الإنسان ضر(٣) دعانا ثم اذا خوّلناه(٤) نعمة منا قال إنّما أوتيته على علم))(٥) بوجوه كسبه أو باستحقاقه(٦) (٧) العطاء من الله لما فيه(٧) مما يقتضي ذلك ولم يقل هذا من فضل ربي كما قال العبد الصالح سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس قد جاء قبل أن يرتد اليه طرفه بل قال هذا الذي خوله الله فضل(٨) (من مولاه فاعترف لربه بنعماه لا)(٨) كما قاله الشقي من خلق الله قارون ((انما أوتيته على علم عندي))(٩) !

---

(١) فصلت ٥١ .

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في النسختين وهو مما يقتضيه السياق .

(٣) في (م) (الضر) بالتعريف .

(٤) في النسختين (خولنا) باسقاط ضمير الغائب .

(٥) الزمر ٤٩ .

(٦) في (ص) (باستحقاقه) باسقاط القاف الأولى .

(٧) ضمير الغيبة يرجع الى ذلك القائل الشقي فيكون معنى الآية : أي على علم مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق ، أو على علم من الله بي وباستحقاقي أو على علم مني بوجوه الكسب . أهـ .
من الكشاف ٣٥٠/٣ .

(٨) هكذا في النسختين وأرى أن صحة الكلام تكون بنصب فضل مفعولا ثانيا لخوّل وتوضع كلمة منه بدلا من كلمة من مولاه ثم يحذف ما بين القوسين فيصبح الكلام بل قال هذا ـ الذي خوله الله فضلا منه كما قاله الشقي ... الخ .

(٩) القصص ٧٨ .

الثاني[١] من الأدلة في الآية على الوحدانية ((ويكشف السوء)) هو أحد أنواع الاجابة وهو أخص منها اذ الاجابة قد تكون باعطاء المطلوب وغيره .

وهذا لكشف[٢] المرهوب . وهذا خاص به تعالى كما قال لرسوله : ((وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ..)) الآية[٣] . وقال في أصنامهم وما يعبدونه ((فلا[٤] يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا))[٥] . ((واذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون الا إيّاه))[٦] .

فآلهتهم لا يرجون منها كشف ضر كما قال / الخليل[٧] : ((أو ينفعونكم أو يضرون))[٨] فلم يجيبوا عليه إلا بأنّه عبدها آباؤهم . ٥٣/ب

والسوء هو كل ما يسوء الانسان في دنياه[٩] أو بدنه أو أهله أو ولده أو ماله أو جاهه أو غير ذلك .

ومن السوء ما ينزل بهم في البحر اذا ركبوه من الضر فيفزعون الى الله .

والثالث : ((ويجعلكم خلفاء الأرض)) هو نحو قوله ((و[١٠] هو الذي

---

(١) مما يلاحظ أن المؤلف أطنب في تقرير الدليل الأول فقد بدأ به من ص ٢٦٥

(٢) في النسختين (وهذا الكشف) بزيادة الألف .

(٣) الأنعام ١٧ .

(٤) في النسختين (لا يملكون) باسقاط الفاء .

(٥) الاسراء ٥٦ .

(٦) الاسراء ٦٧ .

(٧) في (ص) (اللخليل) بزيادة اللام .

(٨) الشعراء ٧٣ .

(٩) هكذا في النسختين ولعل الصواب دينه . وفي لسان العرب ٩٩/١ والسوء اسم جامع للآفات والداء . أهـ .
وقال ابن الجوزي : والسوء : ما يسوء وسميت العورة سوْأة : لأن كشفها يسوء . وذكر أهل التفسير أن السوء في القرآن على أحد عشر وجها . ثم ذكرها من ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩ من كتاب نزهة الأعين النواظر .

(١٠) الواو ساقطة من كلا النسختين .

جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ..)) الآية[1] . ونحوها كثير[2] .

والمراد تخلفون من تقدّمكم من الأمم بأن أوجدكم من العدم بعد اهلاكه لمن تقدم من الأمم فهل غيره تعالى أوجدكم واستخلفكم كما قال : ((إنّي جاعل في الأرض خليفة))[3] أي موجد له وجاعله خليفة ، وكما قال الكليم عليه السلام لقومه : ((عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون))[4] ثم فعل الله تعالى ذلك وقال : ((وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ..)) الآية[5] . وكما قال هود عليه السلام لقومه : ((واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح))[6] ... ونحوها من الآيات .

((أإله مع الله)) كما سلف[7] ((قليلا ما تذكرون[8](٦٢))) .. أي تذكرون دعاء المضطرين واجابته تعالى لهم وتذكرون كشفه تعالى السوء عنكم وجعلكم خلفاء الأرض ، والمراد بالقلة العدم[9] أي عدم تذكركم لهذه الدلائل الدالة على انفراده

---

(١) الانعام ١٦٥ .
(٢) انظر الآية ٣٩ فاطر و ١٤ يونس و ١٣٣ الأنعام وغيرها .
(٣) البقرة ٣٠ .
(٤) الأعراف ١٢٩ .
(٥) الأعراف ١٣٧ .
(٦) الأعراف ٦٩ .
(٧) وذلك في ص ٢٦١ فما بعدها
(٨) أ ـ قرأ أبو عمرو وهشام وروح بالغيب مع تشديد الذال ((قليلا ما يذّكرون)) .
ب ـ وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بالخطاب مع تخفيف الذال ((تذكرون)) .
جـ ـ وقرأ الباقون بالخطاب مع تشديد الذال ((قليلا ما تذّكرون)) وعلى هذه القراءة جرى المؤلف في تفسيره للآية .
(٩) قال أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى ((قليلا ما تذكرون)) أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى . أهـ .
تفسير أبي السعود ٦/٢٩٥ .

بالإلهية ووحدته بها . ثم استدل تعالى[١] بقوله : ((أم من يهديكم / في ظلمات ٥٤/أ البر والبحر)) ، بيان الآية وشرحها في قوله تعالى في سورة الأنعام : ((وهو الذي جعل [لكم][٢] النجوم لتهتدوا[٣] بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون))[٤] أي من يجعلكم مهتدين بالنجوم التي جعلها[٥] لكم هادية ومنه ((وبالنجم هم يهتدون))[٦] .

والكفار مقرون بأنه تعالى خالق السموات كما سلف[٧] والنجوم فيها [فهم][٨] معترفون أنه وحده الذي هداهم[٩] .

والدليل الثاني[١٠] من الآية قوله : ((ومن يرسل الرياح[١١] نشرا بين يدي رحمته)) .. شرحها وبيانها في آية الأعراف ((وهو الذي يرسل الرياح[١١] نشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء

---

(١) أي على وحدانيته كما صرح بذلك المؤلف ص٢٦٠ ، ٢٧٠

(٢) في (م) (جعل النجوم) باسقاط الجار والمجرور .

(٣) في (ص) (لتهدوا) باسقاط التاء الثانية .

(٤) الأنعام ٩٧ .

(٥) في (ص) (فعلها) .

(٦) النحل ١٦ .

(٧) وذلك ص٢٦١-٢٦٢

(٨) ساقطة من (م) .

(٩) أي هداية الدلالة والارشاد .

(١٠) والدليل الأول هو قوله (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) .

(١١) أ ـ قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب ((الرياح نُشُراً)) بالجمع وضم النون والشين .
ب ـ وقرأ ابن كثير ((الريح نُشُراً)) بالافراد مع ضم النون والشين .
جـ ـ وقرأ ابن عامر ((الرياح نُشْرا)) بالجمع وضم النون واسكان الشين .
د ـ وقرأ عاصم ((الرياح بُشْرا)) بالجمع وبالباء المضمومة واسكان الشين .
هـ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف (الريح نَشْراً)) بالافراد وفتح النون واسكان الشين .

فأخرنا به من كل الثمرات))[1] . وفي آية الروم[2] ((الله الذي يرسل الريـــــاح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج مـــن خلاله)) .

وقرئ ((نَشْراً)) بالنون من قوله ((والناشرات نشرا)) . وقرئ بالبـــاء من قوله ((وأرسلنا الرياح مبشرات)) .

فهو تعالى يبشّر عباده بالغيث الذي فيه حياتهم وحياة أرضهم بارســـال الرياح أولا تبشيرا لهم وادخالا للمسرة عليهم [ثم][3] تنشر السحاب تبشيـــرا آخر وتحذيرا من وقوع الغيث لئلا يأتيهم بغتة فيضر بهم ويفوت الزّراع نفعـــه . بل تأتيهم المبشرات / فيأوي المسافر الى كنانه[4] ويعتني الزراع بسواقي أرضهـــم ٥٤/ب واصلاحها ويرفع أهل الأسواق متاعهم الى حيث تصان عن وقوع المطر بها واتـــلاف ما يتلف منها .

فسبحانه سبحانه ما أعظم احسانه وما اشمل امتنانه وما أقهر سلطانـــه وما أوضح بيانه وما أصدق برهانه نسأله غفرانه ورضوانه .

((أإله مع الله)) هي كما سلف[5] ، وقوله ((تعالى الله)) أدلة[6] التوحيد التي أنوارها ساطعة ، وهي براهين على وحدته تعالى بالإلهية قاطعة . ((عمـــا يشركون (٦٣))) .. أي تقدس وتعاظم عن شركهم وعن شركائهم التي يتخذونهـــا

---

(١) الأعراف ٥٧ .
(٢) الروم ٤٨ .
(٣) ساقطة من (م) .
(٤) الكنان وقاء كل شيء وستره . لسان العرب ٣٦٠/١٣ مادة كن .
(٥) انظر ص ٢٦١
(٦) الكلام غير مستقيم وأقرب تقدير لصحته هكذا : وقوله ((تعالى الله)) نـزّه ذاته بعد أن ساق أدلة التوحيد التي أنوارها ساطعة .. ألخ .

من دونه بعد قيام الأدلة . ثم استدل تعالى بقوله : ((أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أأله مع الله)) . هو نظير قوله أول الأدلة : ((أم من خلق السموات والأرض)) فان ذلك أيضا بدء[١] للخلق لكنه خاص بخلق السموات والأرض وهذا عام لكل ما خلق نظير ((وهو الذي يبدأ الخلق))[٢] ، ومثله : ((أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيد [إنّ ذلك على الله يسير]))[٣] .

فبدايته تعالى للخلق واضحة اذ هم يشاهدون كل يوم بل كل حين [خلقا][٤] يبدأه الله بقدرته من النبات والأشجار وبني آدم والأنعام والحيوانات وما لا يعدّه حصره ، كل أحد يشاهد ذلك ويعلمه في ملكوت السموات / والأرض ، فانك ترى ٥٥/أ هذه الشمس الطالعة يطلعها كل يوم ضئيلة حمراء لا ضوء لها ولا شعاع أشبه شيء بكل مخلوق في بداية أمره كالطفل والنبات ، ثم لا يزال ينمو ضوؤها ويعم الآفاق شعاعها تدريجا إلى بلوغها قبة الفلك و[٥] هو كبلوغ الانسان سن البلوغ ، ثم لا تزال في قوّتها الى وقت العصر كما لا يزال كل مخلوق من الانسان والأنعام والنبات في قوته ، ثم من بعد العصر تذهب قوة سلطانها[٦] ويفتر حرها ويخف شعاعها ، ولا تزال في ضعف حتى تصفرّ[٧] ويدركها الغروب ، وهو فناؤها والليل برزخها . ثم يعيدها الله بعد الفناء ويطلعها ((كما بدأنا أول خلق نعيده))[٨]

---

(١) في النسختين (بدا) بالنصب والصواب بالرفع خبر ان .
(٢) الروم ٢٧ .
(٣) العنكبوت ١٩ ، وما بين المعقوفتين نتاقط من (م) .
(٤) ساقطة من (م) .
(٥) في (ص) (ثم هو كبلوغ) جعل ثم بدل الواو .
(٦) في (م) (سلطانه) .
(٧) في النسختين (تصغر) بالغين ولعل الصواب بالفاء مع تشديد الراء (تصفرّ) .
(٨) الأنبياء ١٠٤ .

فتعود في اليوم الثاني كما كانت في اليوم الأول ولا تزال كل يوم لها بدء وخلق وفناء ثم اعادة في اليوم الآخر ، كما لا يزال كل مخلوق يذهب قوته وسلطانه ، الانسان من بعد الأربعين وسائر الحيوانات عند انتهاء قوّتها وكمالها ينقص ذلك على التدريج ، والنباتات كذلك لا تزال في النمو الى كمال الانتفاع بها ثم تضعف وتصفرّ (١) وتذهب خضرتها ونضارتها كما يذهب على الإنسان رونقه وطراوة وجهه ولين اعضائه ثم تُقطع تلك النباتات / وذلك أجلها ويقبض (٢) روح الانسان . ٥٥/ب

فالشمس لها بداية وفناء واعادة في كل يومين ، وكذلك هذه النباتات (كما لو رُرع) (٣) فإنّ العبد يلقي الحبة في الأرض ذات البله ففلقها فالق الحب والنوى ثم يخرج نباتها ضعيف (٤) أضعف من الطفل الخارج من بطن أمه ، ثم لا تزال تنمو وخالقها ينميها (٥) تدريجا كل يوم لها منظر [حتى] (٦) يأتي عليها الكمال كما قدّمناه .

فهذا ابدأُ خلقٍ ثم يفنيه تعالى ثم يعيده كذلك كالانسان (٧) يبدأه الله من ماء مهين في قرار مكين ثم لا يزال يربّيه أكمل تربية ويغذّيه أحسن تغذية ثم يفنيه كما قدمناه ثم تواريه الأرض . قال تعالى : ((ثم أماته فأقبره)) (٨) كما وارت (٩) الحبة التي ذكرنا ثم يفنيه التراب ويبقى منه عجب الذنب كما صحت به

---

(١) في النسختين (تصغر) بالغين ولعل الصواب بالفاء مع تشديد الراء (تصفرّ)
(٢) هكذا في (ص) ولعل الصواب (وتقبض) بالبناء للمفعول .
(٣) هكذا في النسختين ولم أعرف لها معنى . إلا أن يكون صوابها : كما تُزرع بالبناء للمجهول .
(٤) هكذا في النسختين والصواب (ضعيفا) بالنصب على الحال .
(٥) في (م) (وخالقها تنمل) .
(٦) كلمة (حتى) ساقطة من (م) .
(٧) هكذا في النسختين والصواب بحذف الكاف (كذلك الانسان .. الخ) .
(٨) عبسى ٢١ .
(٩) فاعل وارت هو الأرض السابق ذكرها في قوله ثم تواريه الأرض .

الأحاديث[١] ثم ينشئه الله تعالى ويعيده كما كان ، ولا فرق [بين][٢] النباتات في ذلك والإنسان كما نبّه الله تعالى عليه بقوله : ((والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا))[٣] . وشرح الآية هو ما ذكرناه .

ولذلك كرّر الله تعالى الاستدلال[٤] على الاعادة بأحوال ما تخرجه الأرض من الثمار[٥] . انظر كيف قال تعالى : ((وهو الذي يرسل الرياح نشرا[٦] بين يدي رحمته / حتى اذا أقلت سحابا ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء ٦/٥٦أ فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون))[٧] .

وقال تعالى : ((يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ..))[٨] الآية إلى قوله : ((وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور)) .

والاستدلال على الاعادة للعباد بعد فنائهم بأحوال الثمار كثيرة[٩] أدلة يقينية لا يرتاب فيها الا ضال مظلم القلب لا خور له ((ومن لم يجعل الله له

---

(١) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ٨/٥٥١ كتاب التفسير .
(٢) ساقطة من (م) .
(٣) نوح ١٧ ـ ١٨ .
(٤) في (م) (الاستدلال الا على الاعادة) بزيادة الا وهو خطأ .
(٥) في (م) (بأحوال ما يخرجه من الأرض من الثمار) والمعنى صحيح أيضا .
(٦) هذه قراءة نافع ومن وافقه ولمعرفة القراءات في هذه الآية ارجع الى ص٢٧٦ فقرة ١١
(٧) الأعراف ٥٧ .
(٨) الحج ٥ ـ ٧ .
(٩) في (م) (وكثيرة) بزيادة الواو وهو خطأ .

نوراً فما له من نور))[١] ، وبما قررناه عرفت أن الرؤية في قوله تعالى : ((أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده))[٢] رؤية حقيقية مشاهدة لهم بعيونهم ، كما قررناه[٣] في الأحوال العلوية السماوية والأرضية لا أنه أريد بالرؤية العلم بما قامت عليه الأدلة السمعية الدالة على الاعادة كما قال المفسرون[٤] ، بل رؤية حقيقية مُشاهدةٌ للموحد والجاحد بخلاف العلم بالأدلة السمعية فانه خاص / بالموحد ٥٦/ب ويأتي إن شاء الله [زيادة][٥] على هذا في سورة العنكبوت والروم وغيرهما .[٦]

ولما أقام الله تعالى على إلاهيته ووحدانيته أربعة عشر دليلا[٧] أو خمسة عشر إن جعلنا قوله ((ما كان لكم أن تنبتوا شجرها)) فرعاً عن قوله ((فأنبتنا

---

(١) النور ٤٠ .

(٢) العنكبوت ١٩ .

(٣) انظر ذلك من ص ٤٧ فما بعد ، ومراد المؤلف بالأحوال العلوية السماوية ما ذكره من تدرج الشمس في طلوعها ثم غروبها ثم ظهورها في اليوم الثاني فانها أحد الكواكب العلوية السماوية .

(٤) المراد بالرؤية في هذه الآية لا يخلو من حالات ثلاث :
أ - أن تكون بصرية ومتناولة للبدء والإعادة وهذا ما قرره المؤلف واقتصر عليه وذكره القرطبي وجها من أوجه تفسير الآية ٣٣٦/١٣ .
ب - ان تكون بصرية أيضا ولكنها خاصة بالفعل الأول (يبدئ) وأما قوله تعالى (ثم يعيده) فيكون كلاما مستأنفا .
وهذا يفهم من كلام ابن جرير ١٣٨/٢٠ .
جـ - أن تكون علمية كما ذكر ذلك أبو السعود ٣٤/٧ .
ونص عليه الكرخي أيضا . انظر حاشية الجمل على الجلالين ٣٧١/٣ .

(٥) كلمة (زيادة) ساقطة من (م) .

(٦) انظر ص ٤٥٦ و ص ٥١٩-٥٢٩ مع أن المؤلف أحالنا في كلا السورتين الى هذا الموضع .

(٧) وهذه الأدلة هي قوله : ١ - أمن خلق السموات والأرض . ٢ - وأنزل لكم من السماء ماء . ٣ - فأنبتنا به حدائق . ٤ - أمن جعل الأرض قرارا . ٥ - وجعل خلالها أنهارا . ٦ - وجعل لها رواسي . ===

به حدائق ذات بهجة)) بل دليلا مستقلا[1] .

قال تعالى : ((قل)) يامحمد لهم بعد اقامتنا أدلة التوحيد والانفراد بالإلاهية الدالة على كمال علم الله وقدرته وحكمته ورحمته وعلى ثبوت كل صفة كمال له تعالى ((هاتوا برهانكم)) أي حجتكم اليقينية أن مع الله آلهة أخرى ((ان كنتم صادقين (٦٤))) . وانما قلنا اليقينية لأن حقيقة البرهان هو علم قاطع الدلالة غالب القوة كما يشعر به صيغته ، فالبرهان آكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدا بلا محالة .

ولذا يقول أهل المنطق : هو قول مؤلف في اليقينيات[2] .

وذلك كهذه البراهين التي ساقها ربنا عز وجل في هذه الآيات ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله)) أمر له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن يذكر لهم من خواص الالاهية وصفاتها انفراده تعالى بعلم الغيب ، والغيب هو ما غاب عن العقل والحس / بحيث لا يدركه واحد منهما لا بالبديهة ولا بالاستدلال[3] ٥٧/أ

وقوله : ((من في السموات والأرض)) عام لكل موجود فيهما[4] من ذوي العلم ليشمل الملائكة والجن والإنس وما لا يعلمه الا الله ، والكل مقرّون بأنه لا يعلم الغيب الا الله . قالت الملائكة ((لا علم لنا الا ما علمتنا))[5] . وقال

== ٧ ـ وجعل بين البحرين حاجزا . ٨ ـ أمّن يجيب المضطر اذا دعاه . ٩ ـ ويكشف السوء . ١٠ ـ ويجعلكم خلفاء الأرض . ١١ ـ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر . ١٢ ـ ومن يرسل الرياح . ١٣ ـ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده . ١٤ ـ ومن يرزقكم من السماء . ويحسن استئناف الخامس عشر من قوله تعالى « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله »

(١) ولعل المؤلف عد هذا دليلا مستقلا لما فيه من تحقير لأولئك المخالفين ولما ظهر لهم فيه بالذات من معجزة أخرى غير الانبات وهي كونه يسقى بماء واحد ، ومع هذا يختلف بعضها عن بعض في الطعم والرائحة .. ألخ .

(٢) انظر التعريفات ص ٤٤ .

(٣) وعرّفه الأصفهاني بقوله : والغيب : ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول وإنّما يعلم بخبر الانبياء عليهم السلام . مفردات الراغب ص ٣٦٧ .

(٤) في النسختين (منهما) بوضع من مكان في .

(٥) البقرة ٣٢ .

الجن : ((و[1] إنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا))[2] .

وقال الرسول[3] : ((و[4] لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء))[5] . وقال تعالى في سليمان[6] عليه السلام : ((فلما خرّ تبيّنت[7] الجن أن لو كانوا [يعلمون][8] الغيب ما لبثوا في العذاب المهين))[9] . ويأتي ان شاء الله في سورة سباء بيان ذلك .[10]

وقد استثنى الله تعالى من هذا من اطلعه هو على الغيب فقال : ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ..)) الآية[11] . والرسول يشمل الملك والبشر بنص ((الله[12] يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس))[13] .

---

(١) الواو ساقطة منهما . وفي همزة (إنا) قراءتان :
أ ـ فقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف بفتح الهمزة (وأنّا) .
ب ـ وقرأ الباقون بكسر الهمزة (وإنّا) . الاتحاف ٤٢٥ .

(٢) الجن ١٠ .

(٣) الأولى بالصواب أن يقول : وقال الله تعالى معلما لرسوله : ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء .

(٤) الواو ساقطة من النسختين .

(٥) الأعراف ١٨٨ .

(٦) والصواب أن يقول : وقال تعالى في الجن لأنها هي التي كان الناس يظنون أنها تعلم الغيب ثم هي التي كانت تعمل في العذاب المهين اذ سليمان عليه السلام قد توفى آنذاك .

(٧) في (ص) (تيقنت) وليست بقراءة .

(٨) ساقطة من (م) .

(٩) سباء ١٤ .

(١٠) لم يذكر المؤلف شيئا هناك ، بل انه ترك تفسير الايات من ١٤ ـ ٣٠ من تلك السورة .

(١١) الجن ٢٦ ـ ٢٧ .

(١٢) في (م) (بنص الله تعالى يصطفي) بزيادة تعالى ولا محل لها هنا .

(١٣) الحج ٧٥ .

ولما كان تعالى لا يشمله من في السموات ومن في الأرض لتنزهه عـــــن الأماكن[1] استشكل القراءة بالرفع لكلمة الجلاله[2] فانه استثناء منقطع والأكثر فيه نصبه .

ولـــذا قـــال ابـــن الحاجـــب[3] / : أو منقطعـــا ١٥٧/ب

---

(١) في (م) (الأمكان) تقديم وتأخير .

(٢) وهذا الاشكال إنما يرد على الزمخشري ومن نحى نحوه في تعطيل صفات الله عز وجل ولو أنهم أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه من صفات الكمـــال اللائقة بجلاله وعظمته لما اعترضهم أي اشكال .
اذ مذهب أهل السنة والجماعة اثبات صفة العلو أو الفوقية لله عز وجـل وأنها صفة كمال ثابتة بوابلٍ من أدلة الكتاب والسنة ودرج على اثباتهـــا جميع الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، ولا يستلزم اثباتها نقصـــا ولا يوجب محذورا .
وانما شبهة من نفى عن الله صفة العلو أنهم تصوّروا - خطأً - أن النصـوص التي نطقت بأن الله في السماء تدل بظاهرها على أنه تعالى مظروف فـــي جوف السماء فشبهوه بمخلوق داخل مخلوق آخر فأردوا أن يفرّوا من هـــذا التشبيه الذي وقعوا فيه لسوء فهمهم فوقعوا في التعطيل .
وبهذا نعلم أن قوله تعالى ((من في السموات)) لفظ عام يشمل الخالـــق والمخلوق مع تنزيه الخالق عن الأمكنة . إذ جميع الأمكنة مخلوقة لـــه ومفتقرة إليه وهي أحقر وأصغر من أن يحل فيها رب السموات والأرض الـــذي هو أعظم من كل شيء وأعلى من كل شيء محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ، فالسماوات والأرض في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا ولله المثل الأعلى .
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٤١/٣ - ٤٢ ، ٥١ - ٥٣ ، وأضواء البيـــان ١٨٢/٢ - ١٨٣ ، والصفات الالهية في الكتاب والسنة النبوية ص ٢٢٥ - ٢٣٨ والبيهقي وموقفه من الإلهيات ص ٢٧٢ - ٢٨٩ .

(٣) هو ابو عمرو عثمان بن عمر الكردي حفظ القرآن وأخذ بعض القراءات عـــن الشاطبي وسمع منه التيسير وقرأ على الشهاب الغزنوي وعلى أبي الجـــود وسمع من أبي القاسم البوصيري ومن بهاء الدين القاسم بن عساكر وغيرهم .
وكان رأسا في علم العربية وتخرّج به الأصحاب وسارت بمؤلفاته الركبـــان .
وممن روى عنه المنذري والدمياطي وياقوت الحموي وغيرهم خلق كثير .
ومن مؤلفاته الكافية في النحو ، والشافية في الصرف (ومنتهى الســـول
===

في الأكثر[١] . فالاية ورد رفعها على الأقل من باب :

وبلدة ليس بها أنيـــس ... الا اليعافيـر والا العيـــس[٢]

واذا علمت انفراد الله تعالى بعلم[٣] الغيب وأنها لا تدري نفس مـــاذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت علمت أن قوله صلى الله عليه وعلى آلـه وسلم : (من أتى عرّافا أو كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) أراد به هذه الآية ونحوها .[٤] (وأن من صدق من ذكر فقد كفر بالقرآن وكـــذب هذه الآية)[٥] . وهذا الحديث أخرجه أحمد والحاكم وصححه من حديث[٦] أبي هريرة .

وأخرج أحمد ومسلم[٧] عن بعض أمهات المؤمنين ([من أتى][٨] عرافـــا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[٩] .

وأخرج الطبراني عن واثلة : (من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنـــه

== والأمل في علمي الأصول الجدل) في اصول الفقه وله مؤلفات غيرها .
توفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣ ، والبداية والنهاية ١٧٦/١٣ ، والأعلام ٢١١/٤ .

(١) انظر الكافية ٢٢٨/١ .

(٢) البيت لعامر بن الحرث المشهور بجران العود . انظر ديوانه ص ٩٧ .

(٣) في (ص) (يعلم الغيب) بالمثناة التحتية .

(٤) وذلك كقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) ٥٩ الأنعام . وكقوله تعالى ((وما كان الله ليطلعكم على الغيب ..)) الآية ١٧٩ آل عمران وقوله تعالى ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى مـــن رسول ..)) الآية ٢٦ الجن .
وخاتمة سورة لقمان وغيرها من الآيات .

(٥) الجملة التي بين القوسين مكررة في (م) .

(٦) مسند أحمد ٤٢٩/٢ والمستدرك ٨/١ .

(٧) مسند أحمد ٦٨/٤ ، وصحيح مسلم ١٧٥١/٤ كتاب السلام .

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٩) في (م) (أربعين له) باسقاط الياء واللام .

التوبة أربعين ليلة فان صدّقه بما قال كفر)[1]

وفي النهاية لابن الأثير[2] : العراف المنجم و[3]الحازي[4] الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به . أهـ .

فيدخل في ذلك الرّمّال الذي يضرب الرمل والذي يضرب بالحصى والبن وأعواد[5] القات وزاجر الطير ولذا قال :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع[6]

وبالجملة كل من يتعاطى الاخبار بالغيب بآلة أو بغيرها فهو داخل تحت هذا الوعيد الذي في الأحاديث ، ولله در رسله حيث ينفون عن أنفسهم علم الغيب كما قال نوح عليه السلام : ((ولا أعلم الغيب))[7] . وقال تعالى لرسوله[8] : صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب))[9] . ٥٨/أ

ولذا أمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول : ((قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا [الا ما شاء الله][10] ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من

---

(١) مجمع الزوائد ١١٨/٥ .
(٢) النهاية في غريب الحديث ٢١٨/٣ .
(٣) في النهاية (المنجم أو الحازي) بالتخيير بدل العطف .
(٤) الحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهّن . لسان العرب ١٧٤/١٤ (حز) .
(٥) في (م) (وأعوات القات) بالتاء بدلا من الدال .
(٦) من شعر لبيد بن ربيعة في قصيدته التي رثى بها أخاه أربد . انظر ديوانه ص ٩٠ .
(٧) هود ٣١ .
(٨) في (م) (لرسول الله) .
(٩) الانعام ٥٠ . (١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .

الخير وما مسني السوء))[١] .

وأما قول عيسى عليه السلام : ((وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم))[٢] .

فهو باعلام الله تعالى له الداخل تحت قوله تعالى : ((فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول))[٣] .

ومنه قول يوسف عليه السلام : ((لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما))[٤] .

ولذا قال : ((ذلكما[٥] مما علمني ربي ...)) الآية[٤] .

ولا يقال تأويل الأحلام من علم الغيب ، فان الله تعالى قد أذن فيها وربط تأويلها بأمارات كما ربط ظن وقوع الغيث بأمارات وليست من علم الغيب لأنه لا يفيد تأويلها العلم بل يفيد الظن . ولذا قال تعالى : ((وقال)) أي يوسف عليه السلام ((للذي ظن أنه ناج / منهما))[٦] ، وقد قال[٧] له في تأويل ١٥٨/ب رؤياه : ((أمّا أحد كما فيسقي ربه خمرا))[٨] وهو فرع نجاته ونجاته مظنونة بالنص .

والذي استأثر الله به هو علم الغيب ، واطلع بعض عباده على قرائن تثير

---

(١) الأعراف ١٨٨ .
(٢) آل عمران ٤٩ .
(٣) الجن ٢٧ .
(٤) يوسف ٣٧ .
(٥) في النسختين (ذلكم) والصواب بالتثنية (ذلكما) .
(٦) يوسف ٤٢ .
(٧) في (م) (وقد قاله) باسقاط لام قال .
(٨) يوسف ٤١ .

ظنا بما يقع وأعظم ذلك علم الرؤيا[١] ، ولم يأذن في الكهانة والنهر والعرافة[٢] حسما لباب التطلع الى ما استأثر الله به وان كانت أقاويلهم لا تفيد الا الظن .

((وما يشعرون آيان يبعثون (٦٥))) .. قد علمت شمول من في السموات والأرض لكل كائن فيهما وضمير ((يشعرون)) عائد على الكل من الملائكة والمؤمنين والكفار فالأولان يؤمنون بأنهم يبعثون بل هم على يقين من ذلك كما قال تعالى في صفاتهم : ((وهم بالآخرة هم يوقنون))[٣] فلا يتم الايمان لعبد حتى يوقن[٤] بالبعث والنشور ، لكنهم لا يشعرون بوقته كما قال الله : ((قل انما علمها عند ربي))[٥] لأن البعث من أحوال الساعة . وكما قال تعالى : ((ثم[٦] إذا شاء أنشره))[٧] .

وأما الآخرون[٨] فهم غير موقنين بالبعث ، فبالأولى عدم شعورهم بزمانه فهو تعالى يخبر هنا بأن من في المظلة والمقلة لا يشعرون بأهم الأشياء وأعظمها وهو خروجهم من الأجداث فلو كانوا يعلمون الغيب لعلموا ما هو أهم شيء لهم وأعظمه فكيف من يجهل أعظم أموره وألصقها بعلم الغيب ؟

---

(١) ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) أخرجه البخاري ٣٧٣/١٢ كتاب التعبير .

(٢) في النسختين (ولم يأذن في الكهانة والتهي والقرابه) ولا معنى لها فلعل الصواب ما أثبته .

(٣) النمل ٣ .

(٤) في (م) (يومن بالبعث) .

(٥) الأعراف ١٨٧ .

(٦) في كلا النسختين (واذا شاء أنشره) وهو خلاف الآية .

(٧) عبس ٢٢ .

(٨) يريد بهم صنف الكفار .

فقوله : ((بل ادّارك[1] / علمهم في الآخرة بل هم في شك منها)) الضمير ٢/٥٩
لبعض العام الماضي وهم الكفار ومثل هذا كثير في القرآن وهو اعادة الضمير من المتأخر الى بعض افراد ما تقدمه للقرينة[2] فهو مثل قوله تعالى : ((وبعولتهن أحق بردهن في ذلك))[3] بعد قوله : ((والمطلقات يتربصن بأنفسهن))[3] العام للبوائن والرجعيات[4] ، والضمير خاص بالرجعيات . كذلك هنا في قوله ((علمهم في الآخرة)) خاص بالكفار .

((وادارك)) فيه أقوال : أحدها :-أظهرها-انتفى واضمحل[5] من قولهم ادركت الثمرة ، لأن تلك غايتها التي عندها تعدم فالمراد به علم الآخرة لهم ،

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بوصل الهمزة وتشديد الدال وألف بعدها (بل ادّارك) . وقرأ الباقون بهمزة قطع مع تسكين الدال المخففة بدون ألف بعدها (بَلْ أدرك) على وزن (أفعل) .
انظر اتحاف فضلاء البشر ٣٣٩ .

(٢) هكذا في النسختين ولعل صوابها / لقرينة . بلام واحدة .

(٣) البقرة ٢٢٨ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٢٠/٣ ، مع أن-ابن كثير رحمه الله تعالى يضعّف الاستشهاد بهذه الآية على تلك القاعدة لأنه يرى أن وقت نزول هذه الآية لم يكن هناك مطلقة بائن . انظر تفسير ابن كثير ٢٧١/١ .

(٥) اكتفى المؤلف رحمه الله تعالى بهذا القول . وقد أخرج ابن جرير في تفسيره ٧/٢٠ عن ابن عباس وابن زيد ما يقارب هذا القول الا أنه لم يرجحه .
بل رجّح أن يكون معنى الآية على قراءة (بلْ أدرك) أي تم وتكامل علمهم في الآخرة حين لم ينفعهم يقينهم بها اذ كانوا بها في الدنيا مكذبين واستشهد على ذلك بما أخرجه في تفسيره ٧/٢٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله (بل أدرك علمهم) قال : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر .
ورجّح هذا المعنى الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى ولكنه حمله على قراءة عاصم ومن معه (بل ادّارك) بالتشديد والألف بعدها ، وأمّا على قراءة ابن كثير ومن معه (بل أدرك) بهمزة القطع وترك التشديد واسقاط الألف فرجّح ما قاله البغوي ٤٢٦/٣ أن (أدرك) بمعنى بلغ وطمع
انظر أضواء البيان ٤١٣/٦ - ٤١٥

فضلا عن معرفتهم وقت البعث فهو إضراب عن قوله ((أيّان يبعثون)) كأنه قيل أضرب عن هذا بالنسبة إلى بعض أفراد العام فانه انتفى علمهم بالآخرة بالكلية ، ثم اضرب عن انتفاء علمهم وأنهم في شك منها . فلم ينف علمهم ويحكم ببقائهم على الجهل الأصلي ، بل وقع لهم شك فيما دلائله تفيد اليقين . لكن لم ينظروا فيها حق النظر .

فلذا[1] قال تعالى اضرابا ثالثا ((بل هم منها عمون (٦٦))) .. جمع عمٍ يقال في عمى القلب عمٍ وفي عمى البصر أعمى[2] قال تعالى : ((فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور))[3] .

والمراد أنها عميت بصائرهم عن ادراك أدلة الاعادة / اليقينية فبقوا في العمى وهو نظير ((إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون))[4] أي يتحيرون في عماهم وظلمات تكذيبهم . ولذا قالوا ((أيذا[5] ضللنا في الأرض إنّا[5] لفي خلق جديد)) ، قال الله تعالى : ٥٩/ب

=== والقول الثالث في معنى (بل ادّارك) على قراءة حفص ومن معه هو أن تكون بل بمعنى أم الاستفهامية ويكون الاستفهام للانكار . وهذا رجّحه ابن جرير على قراءة عاصم ومن معه واستشهد لذلك بما أخرجه عن مجاهد في تأويل قوله ((بل ادّارك علمهم)) أم أدرك . انظر تفسير ابن جرير ٧/٢٠ ـ ٨ ، وهناك أقوال أخرى ذكرها القرطبي في تفسيره ٢٢٧/١٣ .

(١) في (ص) (بلذا) بالباء بدل الفاء .

(٢) معالم التنزيل ٤٢٦/٣ ، ولسان العرب ٥١٨/١٣ (عمه) .

(٣) الحج ٤٦ .

(٤) النمل ٤ .

(٥) أ ـ قرأ نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول والاخبار في الثاني (أئذا ... إنّا) .
ب ـ وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني (إذا ... أإنا) .
جـ ـ وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما (أئذا ... أئنّا) . انظر النشر في القراءات العشر ٣٧٢/١ ، واتحاف فضلاء البشر ص ٣٥١ .

((بل هم بلقاء ربهم كافرون))[١] . واعلم أن الذي يدل عليه القرآن أن المكذبين بالبعث منهم من يجزم ببطلانه ويكذّب به قاطعا بذلك ، ومنهم من يحصل له شك فيها أي ظن به وهم الذين قيل لهم إنّ وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ، قالوا ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين .[٢]

ولعلهم الذين أريدوا بقوله هنا ((بل هم في شك)) ولكن الكل مكذبون. ولذا يقولون في النار ((وكنا نكذب بيوم الدين))[٣] ، ويقال لهم : ((هذه النار[٤] التي كنتم بها تكذبون))[٥] ، ويقال لهم : ((انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون))[٦] .

وقالوا في هذه الآية ما حكاه الله عنهم بقوله : ((وقال الذين كفروا)) ، وهو من وضع الظاهر موضع الضمير لأنه كله حكاية أحوالهم من قوله ((بل ادّارك علمهم)) ، وانما وضع كذلك تسجيلا عليهم بالكفر وذما لهم .

وقوله تعالى[٧] : ((أيذا[٨] كنا ترابا وآباؤنا أإنا[٨] لمخرجون (٦٧))) ..

---

(١) السجدة ١٠ .
(٢) هذا اقتباس من الآية ٣٢ من سورة الجاثية وليس بنص الآية .
(٣) المدثر ٤٦ .
(٤) في النسختين (هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون) ولم أجد آية بهذا اللفظ ، وانما قريب منها آية يس ٦٣ ، وآية الرحمن ٤٣ ، وليست بهذا النص أيضا .
(٥) الطور ١٤ .
(٦) المرسلات ٢٩ .
(٧) في (م) (وكقولهم هو تعالى) ولم استطع قراءتها من (ص) .
(٨) هكذا في النسختين مع أن قراءة نافع وأبي جعفر بالاخبار في الأول ، والاستفهام في الثاني .
وقرأ ابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأول والاخبار في الثاني .
وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما . انظر اتحاف فضلاء البشر ص ٣٩٩ .

تكرر حكايته تعالى لأقوالهم في انكار الاعادة ((وقالوا / أيذا كنا عظاما ورفاتا إنا[1] لمبعوثون خلقا جديدا))[2] . ((وقالوا أيذا[3] متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد[4])) . ٦٠/أ

وقال : ((وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم))[5] .

وغير ذلك مما حكاه عنهم وأجاب عليهم بنحو قوله : ((قل يحييها الذي أنشأها أول مرة))[6] ، وبقوله : ((قل الذي فطركم أول مرة))[7] ، وبقوله ((قد علمنا ما تنقص الأرض منهم))[8] لمّا قالوا : ((ذلك رجع بعيد))[8] استبعدوا رجوعهم من بين أجزاء التراب وأنها قد تلفت أجزاء ذواتهم فيه . فقال : ((قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ))[8] .

---

(١) قرأ نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول (أإذا) . والاخبار في الثاني (إنا) .
وقرأ ابن عامر وابو جعفر بالاخبار في الأول (إذا) ، والاستفهام في الثاني (أإنا) .
وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما (أإذا ... أإنا) .

(٢) الاسراء ٤٩ .

(٣) مما يلاحظ أن المؤلف رحمه الله سهل الهمزة الثانية في جميع هذه المواضع فلعله كان يكتب بقراءة قالون عن نافع .

(٤) ق ٣ .

(٥) يس ٧٨ .

(٦) يس ٧٩ .

(٧) الاسراء ٥١ .

(٨) ق ٣ ـ ٤ .

ثم زادوا هنا في الجرأة على الانكار بقولهم : ((لقد وعدنا هذا)) .. أي البعث ((نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الأولين (٦٨))) ، وتقدم نظيرها في سورة قد أفلح المؤمنون حيث قالوا : ((أيذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا[١] لمبعوثون ، لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الأولين))[٢] .

حكى تعالى هذا عنهم بعد قوله : ((بل قالوا مثل ما قال الأولون))[٣] ، وهو دال على أن هذه حالة هؤلاء الكفار هم وآباؤهم الأولون .

وحكى عنهم في هذه[٤] السورة : ((أيعدكم أنّكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون[٥] ، هيهات هيهات لما توعدون ...))/إلى قوله : ((قال [رب][٦] انصرني بما كذبون)) . ٦٠/ب

وفي الواقعة[٧] أنهم كانوا يقولون : ((أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا[٨] لمبعوثون أو آباؤنا الأولون)) .

[وفي الصافات[٩] : ((أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعثون أو آباؤنا الأولون][١٠])) .

---

(١) هكذا في النسختين (أئنا) بالاستفهام في الأول والثاني ، والصواب أن قراءة قالون بالاستفهام في الأول (أيذا) والاخبار في الثاني (إنا) . انظر الاتحاف ص ٣٢٠ .

(٢) المؤمنون ٨٢ ـ ٨٣ .

(٣) المؤمنون ٨١ .

(٤) أي سورة المؤمنون ٣٥ ـ ٣٩ .

(٥) في النسختين (لمخرجون) بزيادة اللام وهي خلاف الآية .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .

(٧) الواقعة ٤٧ ـ ٤٨ .

(٨) في (ص) (ائنا) بالاستفهام في كلا الموضعين .

(٩) الصافات ١٦ ـ ١٧ .

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

وانما سقنا الآيات ليعلم الناظر أنه ليس لهم دليل على نفي الاعـــــادة الا [(١) مجرد الاستبعاد] (١) وليس شيء على قدرة الله تعالى مستبعدا ، وقـــد أقام الله تعالى الأدلة اليقينية على امكانها بل على وقوعها وضرب لهم الأمثـــال وكرر لهم اليقين من الاستدلال ، وهنا أمرهم بقوله : ((قل سيروا فـــي الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (٦٩))) أي انظروا أن المجرمين الذين كذبـــوا رسل الله وكذبوهم (٢) فيما أمروهم به وأخبروهم عنه . والمراد بهم (هنا الذين) (٣) أخذوا بعذاب الاستئصال وأنجا الله تعالى منه رسله ومن آمن بهم ، نحو قولـــه : ((فأنجيناه والذين (٤) معه)) (٥) . ونحو : ((ولما جاء أمرنا نجّينا هودا والذيـــن آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ)) (٦) ، وقوله : ((فلما جاء أمرنـــا نجّينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ..)) (٧) .. وغيرها مـــن الآيات .

وفي هذا الأمر (٨) إعراض عن إقامة أدلة الاعادة عنهم (٩) واخبار لهم أنـــه قد حق عليهم القول / كما حق على من قبلهم ، فانه اذا لم تنفع الأدلة اليقينيـــة ٦١/أ

---

(١) في (م) (الا نفي وليس شيء) سقط منها ما بين المعقوفتين وزاد كلمة نفي بعد حرف الاستثناء .

(٢) هكذا في النسختين ولعلها زائدة أو مخففة من كذبه اذا نسبه للكذب مع علمه بصدقه .

(٣) ما بين القوسين مكرر في النسختين مع زيادة لا في نسخة (م) اذ نصها : (هنا الذين لا هنا الذين) .

(٤) في (ص) (والذين آمنوا معه) بزيادة لفظة آمنوا وهي ليست من الآية .

(٥) الأعراف ٦٤ ، ٧٢ .

(٦) هود ٥٨ .

(٧) هود ٦٦ .

(٨) يريد بالأمر ما جاء في قوله تعالى ((قل سيروا في الأرض)) .

(٩) هكذا في النسختين فأمّا أن يكون تقدير الكلام : وفي هذا الأمر اعـــراض عنهم عن اقامة أدلة الاعادة .. الخ . أو تكون عن في قوله (عنهـــم) بمعنى على كما في قوله تعالى ((ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) الآية ٣٨ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

فليس بعدها الا اهلاك الفرقة المكذبة الغوية .

ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : ((ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون (٧٠))) نظير قوله : ((فلا تذهب نفسك عليهم حسرات))[١] ، وقوله : ((فلعلك[٢] باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا))[٣] ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان حريصا على هداية قومه وإسلامهم ونجاتهم من غضب الله وعذابه .

ولذا قيل له : ((انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء))[٤]

((ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٧١))) توعد الله تعالى من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالعذاب ان أصروا على كفرهم بقوله : ((فان أعرضوا[٥] فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود))[٦] وبقوله : ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير))[٧] .. وغير ذلك . فكذّبوا واستعجلوا العذاب كما كان من الأمم المكذبة كقوم نوح عليه السلام حيث قالوا : [((فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين))[٨] . وقوم صالح عليه السلام حيث قالوا][٩] : ((ائتنا[١٠] بما تعدنا ان كنت من المرسلين))[١٠] . وقوم هود عليه

---

(١) فاطر ٨ .
(٢) في النسختين (لعلك) باسقاط الفاء .
(٣) الكهف ٦ .
(٤) القصص ٥٦ .
(٥) في النسختين (فان تولوا) .
(٦) فصلت ١٣ .
(٧) تبارك ١٦ ـ ١٧ .
(٨) هود ٣٢ .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١٠) في النسختين (فاتنا) والصواب باسقاط الفاء اذ نص الآية ((وقالوا ياصالح أئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين)) ٧٧ الأعراف .

السلام حيث قالوا : ((فأتنا بما تعدنا / ان كنت من الصادقين))[١] . ٦١/ب

فالكل من مكذبي رسل الله يغترفون من بحر ضلالة واحد ((تشابهت[٢] قلوبهم)) ، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يجيب عليهم بقوله : ((قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون (٧٢))) أي تبعكم ويلحقكم[٣] بعض العذاب الذي تستعجلونه وهو مخافتهم ومخافة طرقهم وما حفّهم من القحط وقتلهم[٤] وأسرهم يوم بدر وغير ذلك ، وهذا لطف من الله بمن بُعث اليهم محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أخّر عنهم العذاب الأكبر[٥] واستئصالهم أجمعين ، كما كان ذلك في الأمم الماضية المستعجلين للعذاب ممن ذكرنا ، فانهم بعد الاستعجال أُخذوا بعذاب الاستئصال بخلاف من بُعث صلى الله عليه وعلى آله وسلم [إليهم][٦] ، فان الله عز وجل أبقى عليهم بسببه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما أفاده قوله تعالى : ((وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم))[٧] ، وعجّل لهم تعالى بعض ما يستعجلونه ليكون سببا لإيمان من بقي منهم واليه أشار قوله تعالى : ((ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون))[٨] . بخلاف سائر الأمم فأخذهم أخذة واحدة كإغراق قوم نوح عليه السلام ، وأخذ الصاعقة[٩] لعاد وثمود وإغراق فرعون / وقومه وغير ذلك . ٦٢/أ

---

(١) الأعراف ٧٠ .
(٢) في النسختين (تشا قلوبهم) فلعل صوابها ما أثبته .
(٣) في النسختين (ويحلقكم) والتصويب من الكشاف ١٥١/٣ .
(٤) في (م) (وقتلهم وقتلهم) مكررة .
(٥) تسمية المؤلف لعذاب بالاستئصال بالعذاب الأكبر فيه نظر اذ أن العذاب الأكبر لجميع المكذبين سيكون يوم القيامة فلعله سماه الأكبر بالنسبة لما دونه .
(٦) ساقطة من (ص) .
(٧) الأنفال ٣٣ .
(٨) السجدة ٢١ .
(٩) في النسختين (الصاقة) باسقاط العين .

((وان ربك[١] لذو فضل على الناس)) ، هذا إجمال قد بيّنه الله تعالى في مواضع من كتابه ولا يحيط حقيقة تبيانه الا الله تعالى ، قال الله تعالى مخبرا لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بفضله عليه ((ولولا فضل الله عليك[٢] ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما))[٣] .

وقال تعالى : ((ولقد آتينا داود منا فضلا))[٤] . قال سليمان : ((هذا من فضل ربي))[٥] . وقال يوسف : ((ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس))[٦] . ونحو : ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض))[٧] [((ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض))[٨]][٩] . ((وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله))[١٠] ، ((ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله ..)) الى قوله : ((فما آتاهم من فضله ..)) الآية[١١] .

وقال تعالى : ((ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر [ورزقناهم من الطيبات][١٢] وفضلناهم [على كثير][١٣] ممن خلقنا تفضيلا))[١٤] .. أي

---

(١) في (م) (وان الله) .
(٢) في (م) (عليكم) .
(٣) النساء ١١٣ .
(٤) سباء ١٠ .
(٥) النمل ٤٠ .
(٦) يوسف ٣٨ .
(٧) البقرة ٢٥٣ .
(٨) الاسراء ٥٥ . (٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١٠) التوبة ٥٩ . ونص الآية ((ولو أنهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا الى الله رغبون)) .
(١١) التوبة ٧٥ ـ ٧٦ . (١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(١٣) ساقطة من (م) . (١٤) الاسراء ٧٠ .

كرّمنا آدم وبنيه بدليل قوله تعالى حاكيا عن إبليس (أرايتك[١] هذا الذي كرمت عليّ))[٢] . وأجمل تعالى تكريمهم وذكر منه حملهم في البر والبحر ، وقد ذكر ما حملهم عليه في البر في قوله : ((والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون))[٣] . وقال : ((وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها [يأكلون]))[٤] / ومما حملهم عليه في البحر ((ربكم الذي يزجي لكم الفلك في ٦٢/ب البحر لتبتغوا من فضله))[٥] .. وكرر ذلك في كتابه العزيز .[٦]

فقوله : ((ذو فضل على الناس)) من جملة بيانه تكريمه لبني آدم وحملهم في البر والبحر . ومنه ((ومن رحمته[٧] جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله))[٨] ، ومنه : ((وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا[٩] فضلا من ربكم))[١٠] ، ومنه : ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله))[١١] ، [ومنه : ((وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله))[١٢][١٣]

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية ، وحذفها الكسائي وحققها الباقون . الاتحاف ص ٢٨٥ .
(٢) الاسراء ٦٢ .
(٣) النحل ٨ .
(٤) يس ٧٢ ، وسقط من (ص) قوله (يأكلون) .
(٥) الاسراء ٦٦ .
(٦) انظر سورة ابراهيم ٣٢ ، والنحل ١٤ ، والحج ٦٥ ، والمؤمنون ٢٢ ، ولقمان ٣١ ، وغيرها .
(٧) في النسختين (هو الذي جعل لكم) والصواب ما أثبته
(٨) القصص ٧٣
(٩) في النسختين (لتبتغوا من فضله) .
(١٠) الاسراء ١٢ .
(١١) الجمعة ١٠ .
(١٢) المزمل ٢٠ .
(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

ومنه : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم [وأموالهم][1] يبتغون فضلا من الله ..)) الآية[2] ، ومنه : ((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون))[3] ، ومنه : ((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا))[4] .

وما ذكره من فضله على عباده لا تستوفيه الأقلام ولا يحيط به الكلام ، وتكريمهم على كثير مما[5] خلق تعالى كما أفاده قوله : ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر [ورزقناهم من الطيبات][6] وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا))[7] .

وقد ذكر أئمة التفسير في الآية وجوها تقريبا[8] ، والا فوجوه التكريم غير منحصرة .

منها ما روي عن ابن عباس قال : (كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم فانه يأكل بيديه)[9] .

ومنها بالنطق والتمييز[10] فان من عرف شيئا / اما أن يعجز عن تعريف ٦٣/أ
غيره كونه عارفا بذلك أو يقدر على هذا التعريف، الأول حال جملة الحيوانات ، الشي

---

(١) ساقطة من النسختين .
(٢) الحشر ٨ .
(٣) يونس ٥٨ .
(٤) النور ٢١ .
(٥) في (م) (ممن) .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٧) الاسراء ٧٠ .
(٨) انظر الكشاف ٣٦٨/٢ ، والبغوي ١٢٥/٣ ، والقرطبي ٢٩٣/١٠ ، وابن كثير ٥١/٣ .
(٩) انظر معالم التنزيل ١٢٥/٣ . (١٠) ذكره القرطبي ٢٩٣/١٠ ونسبه للضحاك .

فانه اذا حصل في باطنها ألم أو لذة تعجز عن تعريف غيرها ذلك تاما وافيا .

والثاني الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل[(١)] ما عرفه ووقف عليه واحاط به ، فهذه تكرمة للانسان .

ومنها خلقه الانسان في أحسن تقويم[(٢)] .

ومنها أنه آتاه الخط[(٣)] ولذا امتن تعالى بذلك فقال : ((علّم بالقلم)) في أول سورة اقرأ . وأقسم به فقال : ((ن ، والقلم)) ، وفوائد الخط تقصر[(٤)] عن العبارة عنها كل لفظ وخط ، فبه وصلت إلينا الكتب السماوية والعلوم الشرعية والعقلية والأخبار عن الأمم الخالية ، والبيان لأحوال القرون الفانية ، والعلوم اللغوية والسنن النبوية والآثار السلفية والمنافع الطبية ، ويكفيك في تكرمة بني آدم أن الله خلق لبني آدم ما في الأرض جميعا بنص قوله : ((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا))[(٥)] .

وفي الأرض نوعان أوجدهما[(٦)] الله تعالى باعتبار ادراك العبد :

البسائط وهي الأرض ، والماء ، والهواء ، والنار .

فهذه الأربع كلها منافع للانسان .

أما الأرض: فهي للانسان كالأم الحاضنة له ، وفيها / منقلبهم ومثواهم ٦٣/ب ومماتهم ومحياهم بنص ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى))[(٧)] وهي لنا فراشا ومهادا وقرارا[(٨)] وفيها لنا الرياض والغياض ( ) والمزارع والفواكه

---

(١) في النسختين (كلما) .
(٢) البغوي ١٢٥/٣ ، وابن كثير ٥١/٣ .
(٣) ذكره الزمخشري ٣٦٨/٢ ، والقرطبي ٢٩٤/١٠ .
(٤) هكذا في الأصل والصواب (يقصر) بالتذكير .
(٥) البقرة ٢٩ . (٦) في (م) (أوجدها) .
(٧) طه ٥٥ .
(٨) هكذا في النسختين ولعل صوابه (فراشا ومهادا وقرارا)

كما تقدم [١] من قول الله : ((وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة)) .

وأما الماء : فانتفاع العباد به في شربهم وسقي دوابهم ومزارعهم وطهورهم وغسل أدرانهم وغسل أثوابهم والوضوء به وما لا تحصيه العبارة ظاهر [٢] لا يجهله أحد] ، ومنه تسخير البحر لتأكل [٣] منه لحما طريا وتستخرج [٤] منه حلية ، ولتجري الفلك فيه بأمر الله لابتغاء فضله كما قال : ((ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله)) [٥] .

وأما الهواء : فهو مادة حياة العباد ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على هذه المعمورة .

وأما النار : فهي متاع للمقوين وهي التي نطبخ بها الأغذية والأشربة ، وبها في أيام البرد التدفئة تقوم مقام الشمس ، ومنها الأضواء والأنوار التي بها يعود الليل كأنه نهار ويسمر السامر في الأنوار ويستعين بها على مطالعة [٦] الأسفار وعلى معاودة التلاوة والأذكار .

فهذه التي يسمونها البسائط .

/ وأما المركبات فهي الآيات العلوية كالشمس والقمر والنجوم ، وكلها ٦٤/أ مسخرات للانسان كما قال تعالى : ((وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر

---

(١) انظر ص٢٦١ فما بعد هذا

(٢) ما بين المعقوفتين غير ظاهر في (ص) وترك له فراغ في (م) بقدر ما بين المعقوفتين .

(٣) في (م) (ليأكل) بالمثناة التحتية وهو خطأ ظاهر .

(٤) في (م) (وتستخرج) بالمثناة الفوقية وهو خطأ أيضا .

(٥) الاسراء ٦٦ .

(٦) في (م) (مطالع .

والنجوم مسخرات بأمره))[١] ، ((وسخر لكم الشمس والقمر دائبين))[٢] .. وغير ذلك

وأما الأرضية من المعادن والنبات والحيوان فكلها مسخرات للانسان ، فانه المستولي على جميع ما ذكر وهو المنتفع بها والمسخرة له جميع أقسامها . فهذا العالم بأسره[٣] كأنه قرية معمورة وجميع منافعها ومصالحها [معروفة][٤] فالانسان فيها كالرئيس المخدوم والملك المطاع ، وسائر الحيوانات بل والكائنات كالعبيد يتصرف فيهم كيف يشاء .

وهذه من آيات تفضيله[٥] وتكريمه ((فأي آيات الله تنكرون))[٦] ، ولذلك يقول الله تعالى : ((الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار))[٧]

وصدق الله تعالى ان الانسان كما وصفه الله تعالى ، من صفتي[٨] الظلم لنفسه والكفران للنعم / . ٦٤/ب

ومن التكريم للانسان والتفضيل قوله تعالى : ((ورزقناهم من الطيبات))[٩] وهو لفظ مجمل ، والطيبات هي كل ما طاب للانسان من أي شيء ينتفع به كالأطعمة

---

(١) النحل ١٢ .
(٢) ابراهيم ٣٣ .
(٣) في (م) (بأمره) بالميم بدل السين .
(٤) هذه العبارة اثبتها اجتهادا مني اذ لم اعرف معناها في النسختين .
(٥) في (م) (تفصيلية) .
(٦) غافر ٨١ .
(٧) ابراهيم ٣٢ ـ ٣٤ .
(٨) هكذا في النسختين ، ولعل الصواب (بصفتي) .
(٩) الاسراء ٧٠ .

ولا ينحصر طيبها ولا تحيط به عبارة . قال تعالى : ((يا أيها الرسل كلوا من الطيبات))[١] ، وقال : ((يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم))[٢] ، فانه تعالى بحكمته وقدرته ورحمته فاضل بين أرزاقه لعباده فجعل الحبوب[٣] أنواعا في لذتها وطبائعها منها الحار الرطب ، ومنها البارد اليابس ، ومنها المعتدل بين الأمرين .

وجعل بحكمته طبائع العباد مختلفة[٤] أيضا منهم من يلذ له الأول ويوافقه ومنهم من يلذ له الثاني ويلائمه ، ومنهم من لا يعجبه ولا يلذ له الا الثالث ، وهذا مثال والا فأنواع أرزاق الله غير داخلة تحت حصر ولا عدد ، ولا يحيط بها نطاق عبارة .

وكذلك جعل تعالى لكل قطر من الأقطار أنواعا من رزقه يوافق سكانه واليه أشار قوله تعالى : ((وقدّر فيها أقواتها))[٥] ، فهو أعطى عباده الطيبات مأكولا ومشروبا وملبوسا ومنكوحا ومركوبا وشملهم افضاله وعمهم احسانه واجماله ، وقد وكل تعالى النظر في التفضيل إلى نظر كل ناظر في قوله : ((انظر كيف فضلنا بعضهم على / بعض))[٦] . فانه خطاب لكل ناظر بعين فكره وحذقه وفهمه ونور ٦٥/أ بصيرته من باب قوله تعالى : ((ولو ترى إذ المجرمون[٧] ناكسوا رؤوسهم))[٨] كما ذكره أئمة البيان .

---

(١) المؤمنون ٥١ .
(٢) البقرة ٢٦٧ .
(٣) في (م) (الحبوت) بالمثناة الفوقية .
(٤) في (م) (مختلف) باسقاط التاء .
(٥) فصلت ١٠ .
(٦) الاسراء ٢١ .
(٧) في النسختين (الظالمون) بدل المجرمين .
(٨) السجدة ١٢ .

ولا ريب أنه تعالى ما ترك افضاله على أحد من عباده ، لكن بحكمته وعلمه بما يصلح كل من العباد له [١] عدّد أنواع التفضيل ، فمنهم من فضله تعالى بوحيه كرسله وجعلهم سفراء بينه وبين عباده ثم فاضل بينهم كما قال : ((**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات**)) [٢] ، وقال : ((**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا**)) [٣]

ومنهم العلماء فوضع فيهم علمه [٤] وآتاهم فهما لما أنزله من كتبه وأورثهم كتابه (**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ..**)) الآية . [٥]

ومنهم من فضله بمزية جهاد أعدائه وآتاه قوة في قلبه وإقداما على اعدائه ومحبة للقتال وشوقا الى الطعان والنزال كما يقال : والطعن عن محبيهن كالقبل [٦] .

وقد أثنى الله عليهم في كتابه لما [٧] أثنى على من قبلهم : ((**وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**)) [٨] .

ومنهم من فضّله [٩] بالتخلي لعبادته والمحبة للصيام والقيام وسهر الأجفان وترك المنام . / ٦٥/ب

---

(١) هكذا في النسختين ، ولعل الصواب (به) .
(٢) البقرة ٢٥٣.
(٣) الاسراء ٥٥ .
(٤) الاولى أن يقول ما شاء من علمه لقوله تعالى ((وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) .
(٥) فاطر ٣٢ .
(٦) هذا عجز بيت من قصيدة للمتنبي يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :
أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل ... والطعن عند محبيهن كالقبل
انظر ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ١٦٣/٣ .
(٧) هكذا في النسختين ولعل الصواب (كما أثنى على من قبلهم) أي الأنبياء والعلماء .
(٨) النساء ٩٥ . (٩) في (م) (فضل) باسقاط الهاء .

ومنهم من فضّله بالصبر على الأسقام والآلام والحاجات والافتقار وعدّه[١] لذلك من نعم الله الكبار كما كان من أيوب عليه السلام حيث ابتلاه الله تعالى ، ثم أثنى عليه بقوله : ((انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب))[٢].

ومنهم من فضّله بالملك والعلم كيوسف الصديق عليه السلام فشكر نعماه وقال ((رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث [فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة][٣] توفني مسلما وألحقني بالصالحين))[٤].

وكذلك فضله بالجمال فشكر نعمته بالعفة كما قال تعالى : ((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين))[٥].

واعلم أن رتب الفضل تقصر كل عبارة عن التفصيل لها ، لكن نذكر جملة من ذلك فنقول إنه تعالى فضّل جملة النوع الإنساني مطلقا من مؤمن وكافر بما سردناه في قوله : ((خلق لكم ما في الأرض جميعا))[٦] ، وقوله : ((ولقد كرمنا بني آدم))[٧] وغيرها[٨].

وخصّ أهل الإيمان بفضائل : منها : ارساله الرسل ((لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ..)) الآية[٩].

---

(١) أي وعدّ الصابرُ ذلك الابتلاءَ نعمةً من الله .
(٢) ص٤٤
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٤) يوسف ١٠١ .
(٥) يوسف ٢٤ .
(٦) البقرة ٢٩ .
(٧) الاسراء ٧٠ .
(٨) احالة المؤلف الى تفسير هاتين الآيتين وغيرها يحتمل أنه يريد به ما مر قريبا في تفسير آية النمل هذه ص٢٩٣ فما بعد ، ويحتمل أنّه تناول تفسير هذه الآيات في مواضعها من القرآن فيكون فسر القرآن كاملا .
(٩) آل عمران ١٦٤ .

وخص المؤمنين لأنهم الذين قبلوا منة الله وافضاله عليهم ، وإلا فان الله يقول : ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))[1] .

وكذلك فضلهم بإنزال / كتابه عليهم كما قال : ((يا أيها الناس قد ٦٦/أ جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته [فبذلك][2] فليفرحوا هو خير مما يجمعون))[3] .

وتفضيل المؤمنين باب واسع ومنهج نافع ، وانما فتحنا الباب لمن أراده الله من أولي الألباب ، ثم فضّل بعض أفراد المؤمنين على بعض كتفضيلة[4] بعض[5] الرسل / على بعض كما قدمناه في آيتي البقرة وبني اسرائيل[6] . ثم فضل من أفراد[7] هذا النوع الذكور على الاناث ((وللرجال عليهن درجة))[8] و((للذكر مثل حظ الانثيين))[9] ، ((فرجل وامرأتان))[10][11] .

---

(١) الأنبياء ١٠٧ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ص
(٣) يونس ٥٧ ـ ٥٨ .
(٤) في (م) (كتفضيل بعض الرسل) باسقاط الضمير .
(٥) من قوله على بعض .. اختلف الخط في النسخة المحمودية (م) . وهناك اشارة تدل أيضا على اختلاف النسخ في الأصل المنقولة منه الصنعانية (ص) حيث يوجد في هامش (ص) ما نصه : (أول النسخ قوله على بعض) .
(٦) يريد الآية ٢٥٣ من سورة البقرة ، والآية ٥٥ من سورة الاسراء .
(٧) في النسختين (من الافراد) بزيادة الألف واللام .
(٨) البقرة ٢٢٨ .
(٩) النساء ١١ .
(١٠) في كلا النسختين (ورجل وامرأتان) بالواو .
(١١) البقرة ٢٨٢ .

ثم فضل أهل العلم على الجهال فقال : ((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))[١] .

بل فضل الكلاب المعلمة على غير المعلمة فقال : ((فكلوا مما أمسكن عليكم))[٢] .

وقامت الحجة للهدهد على سليمان عليه السلام لما علم ما لم يعلم وقال : ((أحطت بما لم تحط به [٣]))[٤] .

ثم فضل السابقين الى الايمان والجهاد والانفاق على من تأخر ((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا))[٥] .

((ولكن أكثرهم[٦] لا يشكرون (٧٣))) .. لما كان الشكر للمنعم واجبا[٧] عقلا كما تقرر في موضعه وواجبا[٧] شرعا بقول الله ((واشكروا لي ولا تكفرون))[٨] ذكر تعالى / اخلال اكثر الناس بشكر نعمه ، وصرح بمفهوم الآية قوله ((وقليل من عبادي الشكور))[٩] . ودلت على أن مفهوم[١٠] هنا هو قليل لا كثير[١١] كما ٦٦/ب

---

(١) الزمر ٩ .
(٢) المائدة ٤ .
(٣) النمل ٢٢ .
(٤) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله تعالى استطرد في فضل العلم حتى خرج عن النوع الانساني الى غيره من المخلوقات الأخرى .
(٥) الحديد ١٠ .
(٦) في النسختين (ولكن أكثر الناس) بالاظهار بدل الاضمار .
(٧) في (ص) (واجب) والصواب (واجبا) بالنصب كما هو في هامش (م) .
(٨) البقرة ١٥٢ . (٩) سبأ ١٣
(١٠) هكذا في النسختين ولعل الصواب (مفهومها) أي ودلت آية سبأ على أن مفهوم آية النمل قليل لا كثير . أو يكون الصواب (المفهوم هنا) أي في آية النمل .
(١١) في هامش (م) ما نصه: (الظاهر والله أعلم أن المفهوم هنا كثير لأن في قوله ((وقليل من عبادي الشكور)) لا يدل على أن مطلق الشاكر قليل فتدبره) .

هو المتبادر من أكثر

وقد وصف الله تعالى الانسان بأنه ظلوم كفار فقال بعد نعم أسبلها على عباده : ((وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار))[١] ، فوصفه بصيغ المبالغة من كفار وكفور .

وقد بين تعالى بعض كفرانه[٢] النعم كقوله : ((واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا))[٣] .

وقوله - أنهم يقولون عند اتيان الريح العاصف في البحر - : ((وجاءهم الموج من كل مكان ..)) الى قوله : ((.. دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم[٤] اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق))[٥]

وقال في من أدر [عليه][٦] سحائب النعم وقابلها بكفرانها والإعراض عن واجب شكرها فعاقبه الله بسلبها : ((لقد كان لسباء في مساكنهم[٧] آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنتيّهم جنتيّن ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من

---

(١) ابراهيم ٣٤ .
(٢) الضمير يعود على الانسان الموصوف بكفار وكفور .
(٣) الاسراء ٦٧ .
(٤) في كلا النسختين (فلما نجاهم) باسقاط الهمزة وليست بقراءة .
(٥) يونس ٢٢ - ٢٣ .
(٦) كلمة (عليه) ساقطة من (ص) .
(٦) أ - قرأ حفص وحمزة بسكون السين وفتح الكاف بلا ألف على الافراد (مسْكَنهم) .
ب - وقرأ الكسائي وخلف بالافراد وكسر الكاف (مسكِنهم) وهي لغة فصحاء اليمن .
ج - وقرأ الباقون بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع (مسَاكِنهم) انظر : الاتحاف ص ٣٥٨ .

سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى[1] الا الكفور ...)) الآيات[2] / الى ٦٧/أ آخرها .

وقال في قصة قوم ن[3] ((إذ أقسموا ليصرِمُنّها مصبحين ,,)) إلى قوله : ((... ألاّ يدخلنّها اليوم عليكم مسكين ..)) الآيات[4] . فحين كفروا نعمة الله ومنعوا منها حق المساكين ((طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون)) اقتلعها من أصلها ونقلها عن أرضهم .

ولا ريب ولا شك أن المطعم[5] المتصل الذي آتاه الله عباده هو انزال كتابه الكريم اليهم وبقاؤه لديهم ، فانه قال تعالى : ((يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين))[6] ، وقال ((فبذلك فليفرحوا ..)) الآية[7] ، فأمر عباده بالفرح بما آتاهم من آياته وكيف لا يفرحون به وهو الكتاب الذي دلهم على إلاهيته ووحدته وعموم قدرته وحكمته وشمول علمه

---

(١) أ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر (يُجازَى) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنيا للمفعول ورفع الكفور على النيابة .
ب ـ وقرأ الباقون (نجازي) بنون العظمة وكسر الزاي ونصب الكفور مفعولا به .

(٢) سبأ ١٥ ـ ٢١ .

(٣) في النسختين (نون) رسمت كما تُقرأ . والمراد بهم أصحاب الجنة الذين ذكرهم الله في سورة (ن) فأضافهم المؤلف الى اسم السورة التي تناولت قصتهم وهم ناس من الحبشة كما ذكر ذلك ابن جرير ٢٩/٢٩ .

(٤) القلم ١٧ ـ ٣٣ .

(٥) كان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يعبر عن انزال الكتاب بالفضل أو المنة أو النعمة أو غيرها من العبارات التي تكون أشمل وأليق بوصف القرآن من عبارة (المطعم) .

(٦) يونس ٥٧ .

(٧) يونس ٥٨ .

ورحمته وهو الذي عرّفهم بصدق محمد (١) ـ صلى الله عليه وعلى (٢) آله وسلم ـ وبعثته ووضوح أدلة نبوته وظهور آياته ومعجزاته ، وهو الذي علّمنا معرفة بدء الخلق ونهايته ، كأنّا شاهدنا ملكوته قبل ايجاده سمواته وأرضه بقدرته وكأنا رأينا آدم (٣) ... في طينته ، ورأيناه حين نفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء وأسجد الملائكة لعزته وحين ارتكب ما نهى عنه من خطيئته وحين تاب عليه واجتباه برحمته وحين أهبطه (٤) الأرض بزوجته / وكأنا رأينا أحد أبنيه حين قتل أخاه لغيرته ، وحين علمه الغراب ١٦٧ب دفن جثته ، وشاهدنا نوحا وأيام نبوته ولبثه في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله وطاعته واغراق الله لهم ونجاتهم في الفلك وقد فُجّرت الأرض عيونا وفتحت أبواب السماء بماء منهمر لاجابة دعوته ، وكأنا لاقينا هودا وهو يدعو الى الله وعبادته وقد كذّبه قومه واستهزؤا بدعوته ، وقالوا أئتنا بما تعدنا ، انكارا لما وعدهم به من نقمته (٥) ، فأنجاه الله ومن معه من عذاب غليظ أذاقه من كذبه وأعرض عن اجابته .

وكأنّا (٦) اجتمعنا بصالح وقد أخرج لهم من الصخرة الصماء ما اقترحوه من آيته ، ورأيناهم وقد اجتمع تسعة رهط لعقر ناقته ونزل بهم عذاب الله فأخذهم بصيحته .

ولاقينا ابراهيم الخليل حين كسر أصنام أبيه وأهل قريته وحين جمعوا له

---

(١) هم يعرفون صدقه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كما قال تعالى ((فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)) ٣٣ الأنعام .
ولكن يحمل كلام المؤلف على من أتى بعد عصر النبوة .

(٢) في كلا النسختين (عليهم) بالجمع .

(٣) بعد قوله (وكأنا رأينا آدم) فراغ في كلا النسختين يتسع لكلمتين ، ولعل تقديرها (وكأنا رأينا آدم قبل النفخ في طينته) .

(٤) في (م) (اهبط الأرض) باسقاط الضمير .

(٥) في كلا النسختين (من نعمته) وقوم هود انما استعجلوا العذاب .

(٦) في (ص) (وكان) والصواب (وكأنا) كما هو في (م) .

الحطب وأجّجوا النار لإحراقه واماتته .

ورأيناها وقد انقلبت بردا وسلاما برحمة ربه وقدرته ، وسايرنا لوطا حين أمر بأن يسري بأهله ويخرجهم من بلدته ورأيناه وقد جاءته الملائكة الكرام لاقتلاع قرى الأمم العاصية من أمته .

ورأينا يوسف عليه السلام عند / مكيدة اخوته وشاهدناه في الجب منفردا في ٦٨/أ
وحدته وأتيناه الى (١) السجن عند محنته ، ورأيناه وقد ملك مصر وجميع رعيته وقد جاءه ليمتار منه من ألقاه في الجب من اخوته وكان ما كان حتى رأيناه وقد رفع أبويه على العرش وقد خروا له سجدا تصديقا لرؤياه في أول مدته .

ويرينك روح الله عيسى حين ولدته العذراء البتول وجاءت به الى قومها عند ولاته وخاطبهم طفلا بأني عبدالله آتاني الكتاب ، وأخبرهم بنبوءته . وما كان من كفر بني إسرائيل به واجابة الحواريين لدعوته .

وكأنك سمعت زكريا عند ندائه ربه وطلب الولد وهبته. وسمعت اجابة الله له بارساله ملائكته بالبشرى بقضاء حاجته .

وحضرت الكليم موسى عند القاء امه له في التابوت ورميها له في البحر ولجته، وأئتيانه إلى فرعون وارآته باهر حجته وطول جداله لهم وانقلاب عصاه ثعبانا تتلقف عظيم سحر سحرته ، وكأنا رأينا السحرة سجّدا مؤمنين بالله لظهور ما جاءهم من بينته ، وكأنا سمعنا فرعون وهو يقول بجهله وغباوته لأُقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل جهلا منه بأن من آمنوا (٢) يعصمهم عن فتنته . وكأنا رأينا التقاط آل فرعون / له وهو في ثياب ولادته ورأيت انقلاب ٦٨/ب
قلب فرعون عن ارادته وانصراف عزيمته وتطلّبه من يرضعه بما يعطيه من أجرته ،

---

(١) في (م) (في السجن) .
(٢) في هامش (م) زيادة (به) ليصبح الكلام (من آمنوا به يعصمهم عن فتنته)
(...) ... .

ورأيت أخته تقصه فبصرت به عن جُنبٍ وهم في المرضعة وهمته وسمعها حين قالت هل أدلكم على من يكفله[1] ويبالغ في نصحته ، ورأيته حين استغاثه الذي من شيعته فنصره على عدوه وقتله بوكزته ثم مرّ خائفا مترقبا من بلدته وقدم مدين في ذل الغربة وحاجته ، وكأنك شاهدته وقد قال له شعيب ((لا تخف)) فأمنه وزوّجه بابنته[2] ولبث[3] في أهل مدين سنين كما قاله الرب في قصته ورأيته بالواد المقدس وقد قال له ربه[4] تعظيما لبقعته واعطاه أعظم العطايا من تكليمه ونبوّته وصيّر عصاه ثعبانا يهتز ففر من خيفته فأمّن الله ما كان من خيفته وأعاد عصاه سيرتها الأولى بقدرته وزاده اخراج يده بيضاء معجزة الى الكبرى من معجزته .[5]

((وإنّ ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٧٤))) .. أي ما يبدونه ، ونظيره ((يعلم سركم وجهركم))[6] ، ((انه يعلم الجهر وما يخفى))[7] ، ((وأسروا قولكم أو جهروا به))[8] .

وانما يذكر عز وجل الجهر والا فعلمه به معلوم للاشارة الى أن علمه بالسر كعلمه بالجهر ، وأنهما سواء وقد أشار الى / هذا [قوله][9] ((سواء منكم من أسر القول ومن جهر به))[10] ، وهو نظير ((يعلم ما تبدون وما تكتمون))[11] ٦٩/أ

---

(١) في (ص) (يكلفه) تقديم وتأخير . ٢- انظر هامش (١) من ص ٣٤٥

(٣) في (ص) (ليث) بالمثناة التحتية وهو خطأ ظاهر

(٤) هكذا في النسختين ولعل صحة العبارة (وقد قال له ربك اخلع تعليك تعظيما لبقعته

(٥) في هامش السنختين ما نصه (هذا الخوض النفيس العظيم في ذكر الكليم فيه تقديم وتأخير ظاهر) .

(٦) الأنعام ٣ .

(٧) الأعلى ٧ . (٨) الملك ١٣ .

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(١٠) الرعد ١٠ .

(١١) المائدة ٩٩ والنور ٢٩ وتمامها ((والله يعلم ما تبدون وما تكتمون))

ونظير ذكره لعلمه الشهادة مع علمه الغيب ((عالم الغيب والشهادة[١])) لا يكاد يفرد أحدهما عن الآخر الا نادرا ، فان ذلك للاشارة الى أن علمه الغيب كعلمه الشهادة ، ولذا يقدم الغيب على الشهادة كتقديمه السر على العلانية ، لزيادة الاعلام على استوائهما ، بل ان السر أقدم من العلانية في معلوميته .[٢] وأبلغ منه ((يعلم السر وأخفى))[٣] والأخفى ما له خطر بالبال ولم تحدث به النفس[٤] ، وانما كرر تعالى ذكر ذلك تحذيرا للعباد من خواطر السوء والقبائح ، كما أشار اليه قوله : ((واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه))[٥] ، وان كان قد ثبت عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الله تجاوز عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تفعل أو تقل[٦][٧] .

لكن إذا حدّث العبد نفسه بالقبائح واسترسل في حديثها وأصغى اليها صارت عزما ثم برزت الى الخارج .

ولذا يقال : أوّل الخطيئة نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة . ولذا نهى عن الغناء وورد أنه رقية الزنا[٨] لأنه يثير الخواطر الى القبائح ، ونهى عن النظر الى الصور المحرمة[٩] لئلا تتولد عنه الأفكار في كيفية الوصول الى المحذور

---

(١) وردت هذه اللفظة في كثير من الآيات . انظر على سبيل المثال سورة الأنعام ٧٣ ، الرعد ٩ ، السجدة ٦ ، الحشر ٢٢ .

(٢) إذ مامن جهر الا وكان سرا وعلم الله سابق به .

(٣) طه ٧ .

(٤) انظر تفسير أبي السعود ٥/٦ .

(٥) البقرة ٢٣٥ .

(٦) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ٥٤٩/١١ كتاب الأيمان .

(٧) في النسختين (تقول) باثبات حرف العلة مع وجود الجازم .

(٨) قال القاري في الموضوعات هو من كلام الفضيل بن عياض . كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٠٦/٢ .

(٩) لعله يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ... الحديث في مجمع الزوائد ٦٣/٨ وانظر ما أورد ابن كثير من آثار عند تفسيره لقول الله تعالى : ((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)) الآية ٣٠ سورة النور ٢٨١/٣-٢٨٢ .

فلا ينبغي للعبد أن ينقش في لوح / خاطره وصحيفة فؤاده الا ما يدعوه الى افعال الخير ٦٩/ب
ويقوده الى أنواع الهداية .

ثم هذه الآية ونحوها اعلام ببعض جزئيات علم الغيب الذي انفرد بعلمه الرب تعالى كما سلف أنه ((لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله)) فا لعجب من جماعة من المخذولين يدّعون كشف ما في أسرار العباد ويقال : كاشفه بكذا وفي كذا ، ويقبل ذلك كل ضال من الجهال ويحكون في ذلك أقوالا وحكايات كلها باطلة كاذبة .

ومن نازع في ذلك قالوا : انكرت كرامات الأولياء ، مع أن هذا الذي[1] يدّعون له الاخبار بالغيب من أبعد خلق الله عن الله ومن أعظم مجانبة لأولياء الله وأشدهم إقبالا على[2] معاصيه وادبارا عن مراضيه .

((وما من غائبه في السموات والأرض)) أي عن أعين العباد وعن علمهم ، اذ لا غائب عنه تعالى ، والمراد غائبة من الأقوال والأفعال والأسرار وهو كالتذييل للآية الأولى[3] ، وهو علمه ما تكن الصدور وما تعلن به ، واخبار بأنها وان كانت معلومة فهي مكتوبة .

((إلا في كتاب مبين (٧٥))) المراد به أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وهو اخبار بأنه كتب تعالى ما علمه من كل غائبة وقريب منه - وان كان هذا / ٧٠/أ عاما - قوله تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير))[4] .

---

(١) في (ص) (الذيدعون) باسقاط الياء .
(٢) في (م) (الى معاصيه) .
(٣) في (ص) (الأوالى) بزيادة ألف بعد الواو .
(٤) الحديد ٢٢ .

ومثل الآية قوله تعالى : ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ..)) الى قوله [١] : ((ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)) [٢] وقوله : ((وكل صغير وكبير مستطر)) [٣] أي مسطور في اللوح المحفوظ .

((إنّ هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم [فيه] [٤] يختلفون (٧٦))) .. أي من الأمور التي أفادها قوله تعالى : ((وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة)) [٥] ، وهو نظير قول عيسى عليه السلام [٦] لبني اسرائيل : ((قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه)) [٧] فقد اختلفوا من قبل مجيء عيسى عليه السلام ، ثم اختلفوا من بعد بعثته في شأنه فبهته وبهت أمه أقوام وآمنت به طائفة كما قال تعالى : ((فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة)) [٨] .

فأبان الله حقيقة عيسى عليه السلام وأنه روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وأبان لهم كثيرا مما اختلفوا وقال تعالى : ((يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)) [٩] ، وهو مثل هذه الآية فيما قصه الله تعالى، بيّن الله [١٠] تعالى فيه أمورا اختلفوا فيها ، والأقرب والله أعلم أنّ المراد الذي فيه يخالفون

---

(١) في (مَ) اثبت الآية بتمامها من غير اختصار .
(٢) الأنعام ٥٩ .
(٣) القمر ٥٣ .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ص) .
(٥) البينة ٤ .
(٦) في النسختين (عيسى عليهم لبني اسرائيل) .
(٧) الزخرف ٦٣ .
(٨) الصف ١٤ .
(٩) المائدة ١٥ .
(١٠) هكذا في النسختين والأولى حذف الفاعل في هذا الموضع لأنه معلوم مما قبله .

الحق[١] مثل قولهم : ((لن تمسنا النار الا أياما معدودة))[٢] . وقال تعالى : ((قل أتخذتم عند الله عهدا))[٢]، وفي الآية الاخرى : ((الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون))[٣]، وقولهم : ((نحن ابناء الله واحباؤه))[٤] ، قال تعالى : / ((قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق)) الآية[٤]. ٨٠/ب

وقولهم : ((يد الله مغلومة)) قال تعالى : ((غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ..)) الآية[٥].

وقولهم : ((إنّ الله فقير ونحن أغنياء))[٦]، وقولهم : ((عزير ابن الله))[٧] وقولهم في[٨] المسيح كذلك .. وغير ذلك مما خالفوا فيه الحق .

وكأنه طوى تعالى كثيرا مما خالفوا فيه الحق ولذا قال أكثر[٩] ، وقال عيسى عليه السلام: ((ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه))[١٠]، وقولهم ((انا قتلنا[١١] المسيح))[١٢] قال الله : ((وما قتلوه وما صلبوه ..)) الآية[١٢].

---

(١) قلت : بل الأولى حمله على العموم ليشمل كل ما اختلفوا فيه من أمر الدين.
(٢) البقرة ٨٠ .
(٣) آل عمران ٢٤ .
(٤) المائدة ١٨ .
(٥) المائدة ٦٤ .
(٦) آل عمران ١٨١ .
(٧) التوبة ٣٠ .
(٨) الذين قالوا المسيح ابن الله هم النصارى فقط ، ولكن المؤلف ذكر ما حصل من اليهود والنصارى بلفظ واحد من غير تفريق بين طائفة وأخرى لأنه يتناولهم جميعا قوله تعالى : ((يا أهل الكتاب)) ، وقوله ((يقص على بني اسرائيل)) فهم بنوا إسرائيل وهم أهل الكتاب .
(٩) يريد المؤلف قوله تعالى ((ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)) .
(١٠) الزخرف ٦٣ .
(١١) في (ص) (انا قلنا المسيح) باسقاط التاء وهو سهو من الناسخ .
(١٢) النساء ٥٧ .

((وانه لهدى ورحمة للمؤمنين (٧٧))) .. وصف تعالى القرآن بأنه هـــدى ورحمة للمؤمنين في عدة آيات منها : (([وما][1] أنزلنا عليك الكتاب [إلا][1] لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون))[2] ، ((أولم يكفهم أنـــا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إنّ في ذلك لرحمةً وذكرى لقوم يؤمنون))[3] ، ((قد جاءتكم[4] موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة[5] للمؤمنين))[6]

وقوله[7] ((ونزلنا[8] عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشـــرى للمسلمين))[9] ، ومنه : ((قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذيـن آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين))[10][11] .

وفي سورة لقمان : ((هدى ورحمة / للمحسنين))[12] . والايات في وصفـــه ٧١/أ بذلك واسعة ، وانما خص المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا والا فهو هدى للنـــاس ، ((ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم))[13] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ـ ما النافية وحرف الاستثناء ـ ساقطة من كلا النسختين .
(٢) النحل ٦٤ .
(٣) العنكبوت ٥١ .
(٤) في (ص) (قد جاءكم) بالتذكير وليست بقراءة .
(٥) في كلا النسختين (لقوم يؤمنون) والصواب ما أثبته .
(٦) يونس٥٧ .
(٧) في كلا النسختين (وقولك) .
(٨) في النسختين (وأنزلنا اليك) والصواب ما اثبته .
(٩) النحل ٨٩ .
(١٠) في (م) (ليثبت الذين به الذين آمنوا) بزيادة الاسم الموصول الأول والجار والمجرور .
(١١) النحل ١٠٢ .
(١٢) لقمان ٣ .
(١٣) الاسراء ٩ .

((إن ربك يقضي بينهم)) .. أي بين بني اسرائيل ((بحكمه)) أي بما يحكم به وهو الحق ، ((قل[1] رب احكم بالحق))[2] ((وهو العزيز)) الذي لا يرد حكمه ((العليم (٧٨))) بجميع ما اختلفوا وما خالفوا فيه وغير ذلك .

((فتوكل على الله انك على الحق المبين (٧٩))) .. هو أمر معناه استمر على ما أنت عليه من التوكل ليس أمرا يراد به احداث شيء لم يكن عليه، وتعليل الأمر بأنه على الحق لأن من كان عليه فهو الذي يتوكل .

وفسر التوكل في التعريفات : بالثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[4] .

قال جار الله : وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق [بمنع][5] الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل .[6]

((انك لا تسمع الموتى)) أي الكفار المعرضين عن الانتفاع بالسماع بما جئت به ، وقد سمّاهم الله موتى في عدة مواضع ((إنّما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون))[7] .

وقال فيمن أجاب وكان ميتا قبل الاجابة : ((أومن[8] كان ميتا[9] فأحييناه

---

(١) في النسختين (وقل) بزيادة الواو وهي خطأ .
(٢) أ ـ قرأ حفص (قال) بصيغة الماضي .
ب ـ وقرأ الباقون (قل) بصيغة الأمر . الاتحاف ص ٣١٢ .
(٣) الأنبياء ١١٢ .
(٤) التعريفات للجرجاني ص ٧٠ .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من كلا النسختين .
(٦) الكشاف ١٥٢/٣ .
(٧) الأنعام ٣٦ .
(٨) في النسختين (أفمن) بالفاء والصواب بالواو (أومن) .
(٩) أ ـ قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (ميّتا) بتشديد الياء .
ب ـ وقرأ الباقون (ميتا) بدون تشديد .

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس))[١] ، وقال : ((وما[٢] يستوي الأحيـــاء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور))[٣]

وفي قوله : ((والموتى يبعثهم الله)) / بأنهم في[٤] القبور كما في هذه الآية . ٧١/ب

((ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين (٨٠))) .. وصف الله تعالـــى الكفار بأنهم صم في عدة آيات نحو ((صم بكم عمي فهم لا يعقلون[٥]))[٦] ، وهذا الصمم هو بعد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم . ومنه : ((أم تحسب أن أكثرهم يسمعون))[٧] ، ومنه ((ما كانوا يستطيعون السمع))[٨] ، لعدم انتفاعهم باسماعهم ، اذ لو كانوا لا يستطيعونه حقيقة لما كُلفوا بالاستمـــاع ، لأن الاستطاعة شرط التكليف .

((وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم)) .. نفى عنهم السمع ، ثم نفى عنهـــم البصر لعدم انتفاعهم بالحاستين ، فكأنهم صم عمي كما قال ((صم بكم عمـي)) ، وهو فرع الطبع على مشاعرهم ، وقد سماهم الله عميا في عدة آيات ، من ذلـــك ((ومنهم [من][٩] يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلـون ،

---

(١) الأنعام ١٢٢ .
(٢) في النسختين (ولا يستوي) بلام ألف والصواب بالميم (وما يستوي) .
(٣) فاطر ٢٢ .
(٤) هكذا في كلا النسختين ويلاحظ أن الكلام غير تام ولعل تمامه : وفي قولـه ((والموتى يبعثهم الله)) اشارة بأنهم - أي الكفار - بمنزلة من فـــي القبور .
(٥) في كلا النسختين ((فهم لا يبصرون)) والصواب ما أثبته .
(٦) البقرة ١٧١ .
(٧) الفرقان ٤٤ . وتمام الآية ((أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الّا كالانعام بل هم أضل سبيلا)) .
(٨) هود ٢٠ وتمامها ((ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)) .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .

ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون))[١] . ومنه : ((ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا[٢] أهواءهم))[٣] .

ومنه في الأنعام[٤] : ((ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ..)) الآية[٥] ، ويحتمل عمى / البصيرة لأنها لا تعمي ٧٢/أ الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور[٦] ، ومن لا ينتفع بمشاعره فهو كعادمها ولذا قيل[٧] :

ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوا[٨] ... في رأسك الواعيان السمع والبصر

((ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٨١))) .. أي هم الذين يسمعون الحق سماع انتفاع وانقياد . ونحوه : ((انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب))[٩] ، ومنه : ((سيذكر من يخشى))[١٠] ، ((انما تنذر من اتبع

---

(١) يونس ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) في النسختين (وأعمى أبصارهم) بدلا من قوله ((واتبعوا أهواءهم) ، والصواب ما اثبته .
(٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ١٦ .
(٤) الأنعام ٢٥ .
(٥) مما يلاحظ أن المؤلف يفسر قوله تعالى ((وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم)) ، ثم أورد آية محمد وآية الأنعام مع أنه لم ترد فيهما غشاوة البصر سوى قوله تعالى في آية الأنعام : ((وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها)) فلعل استشهاده بهاتين الآيتين أنسب لتفسير الآية السابقة .
(٦) يشير الى آية الحج ٤٦ .
(٧) القائل هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيان الأندلسي التستري ت ٥١٧ كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٢٢٧/٣ .
(٨) في تفسير ابن كثير ٢٢٧/٣ (ترى) بدلا من ثوا .
(٩) فاطر ١٨
(١٠) الأعلى ١٠ .

الذكر وخشي الرحمن بالغيب))[١] ، فهؤلاء [هم][٢] الذين يسمعون الذكرى . ((انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم ..)) الآية .[٣] .

((واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دآبة من الأرض)) .. كأنه لما قالوا ((متى هذا الوعد ان كنتم صادقين))[٤] . وسألوه صلى الله عليه وسلم عن الساعة أيان مرساها[٥] قالوا[٦] ما ندري ما الساعة[٧] ؟ أجاب تعالى بأن لها أشراطا وعلامات ومقدمات وأن من اشراطها[٨] الكبرى اخراج الدابة . وفي الأحاديث مرفوعة وموقوفة ذكر أوصاف الدابة وبيان محل خروجها وغير ذلك .

منها أن خروجها عند عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٩] .

ومنها : أن موسى عليه السلام سأل الله[١٠] أن يريه الدآبة فخرجت[١١] ثلاثة أيام ولياليهن[١١] تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها[١٢] فرأى

---

(١) يس ١١ .
(٢) ما بين المعقوفيت ساقط من (م) . -
(٣) السجدة ١٥ .
(٤) وردت هذه الآية في عدة مواضع ولعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير الى ورودها في هذه السورة ص ٢٩١ الآية ٧١ .
(٥) يشير الى آية الأعراف ١٨٧ وآية النازعات ٤٢ .
(٦) هكذا في النسختين ولعل الصواب وقالوا بزيادة الواو .
(٧) يشير الى آية الجاثية ٣٢ .
(٨) في النسختين (من اشراط الكبرى) باسقاط الضمير .
(٩) انظر تفسير عبدالرزاق ص ٣٨٩ ، وتفسير ابن جرير ١٤/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣٨٠ ، وتفسير البغوي ٤٢٨/٣ ، والدر المنثور ٣٧٧/٦ ، والمستدرك ٤٨٥/٤ .
(١٠) في الدر المنثور (سأل ربه) .
(١١) في كلا النسختين (فخرج ثلاثة أيام ثلثاها) .
(١٢) في الدر المنثور (من طرفها) بالافراد .

منظرا فظيعا فقال : يا رب ردها فردها .[1]

ومنها : أنها تخرج من جياد[2] شعب من شعاب مكة / ، وفي رواية أنها تخرج حضر[3] الفرس الجواد ثلاثا . وما خرج ثلثاها[4] فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد . ٧٩/ب

---

(١) الدر المنثور ٣٧٩/٦ ومن جملة الكتب التي عزا اليها السيوطي في تخريج هذا الأثر تفسير ابن أبي حاتم مع أني لم أجد هذا الأثر في تفسير ابن أبي حاتم .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ص ٤٠٢ ، ومعالم التنزيل ٤٣٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٦/٣ ، والدر المنثور ٣٧٩/٦ و ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، والبعث ص ١٦٢ ، وضعيف الجامع ص ٣٤٧ .

(٣) هكذا وردت في كلا النسختين وكذلك في تفسير ابن أبيحاتم ٣٩٦ ، وفي تفسير ابن كثير ٣٧٦/٣ ، وكذلك في الدر المنثور ٣٨٢/٦ ، ففي جميع هذه المراجع (حضر الفرس) وهو صحيح اذ جاء في لسان العرب ٢٠١/٤ (مادة حضر) والحضر والاحضار ارتفاع الفرس في عدوه . بينما نجد في كلا النسختين تصحيح هذه اللفظة الى (مجرى) فلا أعلم هل أراد بها تفسير (خضر الفرس) أو أراد تصحيحها لتوافق الرواية الأخرى التي أوردها السيوطي في الدر المنثور ٣٨٢/٦ ونصها (تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها) . وقد أخرجها ابن أبي حاتم ص ٤٠٣ ، وابن جرير ١٤/٢٠ ، والبغوي ٤٣٠/٣ وفيه (كجرس الفرس) وهو خطأ من الطابع وابن كثير ٣٧٦/٣ .
فعلى هذا تكون هاتان روايتين متغايرتين اذ الأولى موقوفة على علي رضي الله عنه . والثانية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) الى قوله (وما خرج ثلثاها) تنتهي الرواية الموقوفة على علي رضي الله عنه واما قوله (فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد) فهو من تمام الرواية السابقة لرواية علي اذ نصها (تخرج دابة الأرض من جياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد وهذه الزيادة ـ اعني قوله فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد ـ انفرد باخراجها البيهقي في البعث ص ١٦٣ ، وابن مردويه في تفسيره كما نقل ذلك السيوطي في الدر المنثور ٣٨٢/٦.
فعلى هذا يكون في كلام المؤلف رحمه الله تعالى تقديم وتأخير نتج عنه خلط بين الروايات . ولعل الصواب كما يلي :

===

وجياد - بكسر الجيم ومثناة تحتية آخره دال مهمة - .

ومنها أن لها عنقا مشرفا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه الانسان ولها منقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب .(١)

وفي رواية ذات وبر وريش .(٢)

ومنها أن معها خاتم سليمان وعصا موسى وأنه لا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعصا موسى فتفشو تلك النكتة حتى يبيّض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء فتفشو تلك النكتة حتى يسوّد وجهه حتى أن الناس يتبايعون في الأسواق بكم يا مؤمن ؟ بكم ياكافر ؟(٣)

ومنها أنها تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه وتستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه .(٤)

== ومنها أنها تخرج من جياد - شعب من شعاب مكة - فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد . وجياد بكسر الجيم ومثناة تحتية آخره دال مهملة وفي رواية انها تخرج حضر الفرس . الخ .

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٨٠/٦ ، وعزاه الى ابن مردويه . والزغب هو الشعيرات الصفر على ريش الفرخ كما في لسان العرب ٤٥٠/١ زغب

(٢) أورده السويطي في الدر المنثور ٣٧٨/٦ وعزاه الى عبد بن حميد ، وهذه اللفظة جزء من أثر أخرجه ابن جرير ١٥/٢٠ والبغوي ٤٣٠/٣ ، والبيهقي في البعث ص ١٦٤ .

(٣) انظر مسند الامام احمد ٢٩٥/٢ و ٢٦٨/٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٣٤ الأثر رقم ٢٥٦٤ ، وسنن الترمذي ٣٤٠/٥ ، وابن ماجة ١٣٥١/٢ الاثر ٤٠٦٦ والمستدرك ٤٨٥/٤ ، وتفسير الطبري ١٥/٢٠ ، ١٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣٨٨ ، و ص ٣٩٩ ، وتفسير البغوي ٤٢٩/٣ ، والدر المنثور ٣٨١/٦ ، ٣٨٣ ، والبعث والنشور ص ١٥٧ .

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم ص ٤٠٢ ، وتفسير البغوي ٤٣٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٦/٣ ، والدر المنثور ٣٨٢/٦ مع اختلاف بينهم في ألفاظه .

ومنها أنها تخرج ثلاث خرجات .(١)

ومنها أنه يتعوذ منها الرجل بالصلاة فتأتي من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي ، فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق .(٢)

كل هذه روايات في الدر المنثور معزوه الى من أخرجها .(٣)

---

(١) انظر مسند الطيالس ص ١٤٤ ، الاثر رقم ١٠٦٩ ، والمستدرك ٤٨٤/٤ والبعث ص ١٥٨ ، وتفسير ابن جرير ١٤/٢٠ ، وتفسير البغوي ٤٢٩/٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣٩١ - ٣٩٢ ، والدر المنثور ٣٨١/٦ .

(٢) هذه جزء من الرواية السابقة وليست برواية مستقلة كما يفهم من كلام المؤلف .

(٣) خلاصة القول في الدابة :

لا أريد أن استطرد القول في وصف هذه الدابة ومكان خروجها لان هذا أمر قد سبقني اليه الاخ نشأت الكوجك عند تحقيقة لسورة النمل من تفسير ابن أبي حاتم ، ثم إنّ كل ما جاء في وصفها من آثار لا يُعوّل عليها إمّا لضعف سندها ، أولكونها متلقاه عن أهل الكتاب اذ لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص صحيح في وصفها ، وانما الذي يجب على المسلم الإيمان به هو خروجها وكلامها للناس ،-اذ هذا أمر قطعي ثبت بنص هذه الاية وخروجها من أشراط الساعة الكبرى كما جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد قال : كان الرسول صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال (ما تذكرون ؟ قلنا الساعة . قال : ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات بخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعرة عدن تَرْحَلُ الناس .

أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيحه ٢٢٢٦/٤ ، والترمذي في كتاب الفتن من سننه ٤٧٧/٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودآبة الأرض) .

أخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه ١٣٨/١ .

====

.....

== وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدآبة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا) .
أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/٢٢٦٠ .
ويتضح من هذا كله أنّ انكار خروج دابة الارض خروج عن منهج الإسلام ، اذ خروجها ثابت بنص قرآني واضح وبأحاديث صريحة صحيحة لا مجال للطعن فيها [illegible]
وفي تعليق لأحمد شاكر رحمه الله على ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥/٧٩-٨٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تخرج الدابة ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام ... الحديث .
فبعد أن بين صحة هذا الحديث قال رحمه الله : وهذا الحديث بيان للدابة المشار إليها في قوله تعالى ((وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دآبة من الارض تكلمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)) .
والاية صريحة بالقول العربي أنها دابة ، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح لا يحتاج الى تأويل .

وقد بين هذا الحديث بعض فعلها ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة وأنها تخرج آخر الزمان .

ووردت آثار آخر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢ المبلغ عن ربه والمبين آيات كتابه فلا علينا أن ندعها ... ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول والباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ولا يريدون الا أن يقفوا عند حدود المادة ... فلا يستطيعون أن يؤمنوا بما تؤمن به ، ولا يستطيعون أن ينكروا انكارا صريحا فيجمجمون ويحاورون ويداورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب يجعلونه أشبه بالرموز لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون ... فانظر إليهم أنى يُتَبردون ويُصرفون وأي نار يقتحمون ؟!

ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون . أهـ .

((تكلمهم)) .. أي الدابة تكلم الناس ((أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (٨٢))) ، والمراد بالناس الكفار والمنافقين / فانهم الذين لا يوقنون ٢/٧٣أ
بآيات الله تعالى ، ولما ذكر الله تعالى من أشراط الساعة الدآبة ذكر عز وجل ما بعدها من قيام الساعة فقال ((ويوم نحشر)) أي نجمع العباد يوم القيامة ((من كل أمة)) من أمم الرسل ((فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣))) ، الفوج الجماعة الكثيرة ، ومنه : ((يدخلون في دين الله أفواجا))[١] ، ومنه ((هذا فوج مقتحم معكم))[٢] ، ومنه ((يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا[٣])) أي جماعات .

أخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب أن معاذا[٤] بن جبل قال : يا رسول الله ما قول الله ((يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا)) قال : (يا معاذ سألت عن عظيم من[٥] الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال : عشرة أصناف قد ميّزهم الله من جماعة المسلمين يبدّل الله[٦] صورهم، فبعضهم على صور القردة، وبعضهم على صور الخنازير، وبعضهم منكّسين[٧] أرجلهم فوق ووجوههم [أسفل يسحبون عليها][٨] ، وبعضهم عمي يترددون ، وبعضهم صم بكم عمي[٩] لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا[١٠] يقذرهم أهل الجمع وبعضهم

---

(١) النصر ٢ .
(٢) ص ٥٩ .
(٣) النبأ ١٨ .
(٤) في (ص) (أن معاذ بن جبل) باسقاط الألف .
(٥) في الدر (عن أمر عظيم) .
(٦) في الدر (وبدّل صورهم) .
(٧) في الدر (منكبين) .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين اذ نص الكلام فيهما (أرجلهم فوق وجوههم ، وبعضهم عمي .. الخ) والتصحيح من الدر المنثور ٣٩٣/٨ .
(٩) قوله (عمي) زيادة عما في الدر المنثور.
(١٠) في النسختين (ويقذرهم) بزيادة الواو .

مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف، وبعضهم لابسون[١] جبابا سابغة[٢] من قطران لازقة بجلودهم ، فأما الذين على صور / القردة فالقتات من الناس ، وأما الذين على صور الخنازير فأهل ٧٣/ب السحت[٣] ، وأما المنكسون على رؤوسهم[٤] فأهل[٥] الربا ، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم ، وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم ، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص[٦] الذين خالف قولهم أعمالهم ، وأما الذين قُطّعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران ، وأما المصلّبون على جذوع نار فالسعاة بالناس الى السلطان ، وأما الذين أشد نتنا من الجيف فهم الذين يتبعون[٧] الشهوات واللذات ومنعوا حق الله[٨] في أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء) أه[٩] .

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف[١٠] : أنه ذكره الثعلبي وابن مردويه من رواية زهير[١١] عن محمد بن المهتدي عن حنظلة السدوسي عن أبيه عن

---

(١) في الدر (يلبسون) .
(٢) في الدر (سابغات) .
(٣) في الدر (فأكلة السحت) .
(٤) في الدر (على وجوههم) .
(٥) هكذا في النسختين ، وفي باقي المراجع (فأكلة الربا) .
(٦) في الدر (فالعلماء والقضاة) .
(٧) في الدر (يتمتعون بالشهوات) .
(٨) في الدر (ويمنعون حق الله وحق الفقراء من أموالهم) .
(٩) الكشاف ١٧٨/٤ ، وتفسير الثعلبي ٢٦/١٣/أ - ٢٧/أ ، وتفسير القرطبي ١٧٥/١٩ - ١٧٦ ، والتذكرة له ص ٢٣١ ، والدر المنثور ٣٩٣/٨ ، مع اختلاف بينهم في ألفاظه ولم يسنده منهم سوى الثعلبي فقد ساقه بالإسناد الذي ذكره ابن حجر ، وفيه حنظلة السدوسي ، قال فيه ابن حجر - في التقريب ص ١٨٤-: ضعيف . وباقي رجاله لم أقف لهم على ترجمة .
(١٠) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨١ ، وهو ملحق بالجزء الرابع من الكشاف .
(١١) في الكافي (محمد بن زهير عن محمد بن الهندي) وفي تفسير الثعلبي (محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي) . وفي (م) (محمد المهتدي) .

البراء بن عازب عنه بقوله ((حتى اذا جاؤا[1] قال أكذبتم بآياتي)) التي بعثت بها رسلي ، استفهام تقرير .[2]

((وقوله : ((ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون (٨٤))) .. جملة حالية أي أكذبتم قبل احاطت علمكم بها ، وذلك أنهم لم ينظروا فيها بل هم الذين قالوا : ((لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه))[3] ، فلما لم ينظروا ولا استمعوا لم يحيطوا بها علما فعُذبوا لإعراضهم[4] عن استماع آيات الله ويحتمل أن حرف الاستفهام وتقديره أو لم / تحيطوا[5] بها انكارا[6] عليهم وتوبيخا لهم ٧٤/أ بأنهم قد علموا حقية[7] آياته فكذبوها[8] ، ويوافق ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا))[9] فاستحقوا العذاب على تكذيب ما هو حق عندهم .

---

(١) في النسختين (جاؤها) بزيادة الهاء وهي خطأ .

(٢) هكذا في النسختين والصواب أنه استفهام توبيخ وتقريع واهانة كما في البحر المحيط ٩٨/٧ .

(٣) فصلت ٢٦.

(٤) في (م) (باعراضهم) .

(٥) في (ص) (يحيطوا) بالياء بدلا من التاء .

(٦) هكذا في النسختين ولعل صحة الكلام هكذا : ويحتمل أن حرف الاستفهام معاد وتقديره أولم تحيطوا بها ، فيكون انكارا عليهموتوبيخا لهم .. الخ .

(٧) في (م) (حقيقة) .

(٨) اذا جعلنا الواو - في قوله تعالى ((ولم تحيطوا بها)) - حاليه ، فالمعنى ما قرره أولا أي أكذبتم بها قبل احاطة علمكم بها ، واذا جعلنا الواو عاطفة فيكون قوله ((ولم تحيطو)) معطوف على الاستفهام السابق ، ويكون تقدير الكلام حينئذ : (أكذبتم .. أولم تحيطوا بها علما فيكون المعنى أكذبتم بآياتي وقد احطتم بها علما) فيوافق آية النمل المستشهد بها . انظر الكشاف ١٥٣/٣ .

(٩) النمل ١٤ .

((ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون (٨٥))) .. هذا أحد مواقفهم في الحشر والا فانه تعالى حكى عنهم في سورة الأنعام[١] في قوله ((ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول [للذين أشركوا][٢] أين شركاؤكم[٣] الذين كنتم تزعمون ، ثم لم تكن[٤] فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)) ، فحكى عنهم النطق بأنهم لم يشركوا وحلفوا على ذلك الافتراء .

وتارة يقول تعالى : ((اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون))[٥] .

ويحتمل أنه هيأ المراد[٦] وأنهم[٧] لا ينطقون لأنه تعالى ختم على أفواههم وأنها تجيب عنهم أيديهم وأرجلهم[٨] وهم الذين يقال لهم ((وما كنتم تستترون أن يشهد[٩] عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم))[١٠]

---

(١) الأنعام ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) ما بين المعقوفتين سقط من كلا النسختين .
(٣) في كلا النسختين (شركائي) وهو خطأ .
(٤) في كلا النسختين (فما كان فتنتهم) وهو خطأ .
(٥) يس ٦٥ .
(٦) هكذا في النسختين ولعل صحة السياق هكذا : ويحتمل أن المراد هنا وأنهم لا ينطقون لأنه تعالى ختم على أفواههم .. الخ .
(٧) في (م) (وأنتم لا ينطقون) .
(٨) وللجمع بين آية النمل هذه وآية الأنعام التي أوردها المؤلف وما يشابهما من آيات عدة أوجه :
أ ـ أن القيامة مواطن ففي بعضها ينطقون وفي بعضها لا ينطقون .
ب ـ أنهم لا ينطقون بما لهم فيه فائدة وما لا فائدة فيه كالعدم .
جـ ـ أنهم بعد أن يقول الله لهم ((اخسئوا فيها ولا تكلمون)) ينقطع نطقهم ولم يبق الا الزفير والشهيق . وهذا الوجه راجع الى الوجه الأول .
دفع ايهام الاضطراب ص ٢٦٥ .
(٩) في (ص) (تشهد) بالمثناة الفوقية وليست بقراءة .
(١٠) فصلت ٢٢ .

((ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦))) .. استدلال على الإعادة التي انكروها ، فانه تعالى جعل هذين الوقتين الليل للسكون وهو سكونهم[١] في البرزخ[٢] ، والنهار بأنواره كالحياة ، فلهما مبدأ ومعاد وقد قررنا ذلك قريبا .[٣]

((ويوم ينفخ في الصور ففزع من [في][٤] السموات ومن في الأرض الا من شاء الله)) .

في سورة الزمر[٥] ((فصعق)) وهنا ((ففزع)) قالوا إنه / فزع أولاً ينتهي بهم الى الصعقة[٦] وهذه هي النفخة الأولى التي ارادها الله بقوله : ((ونفخ في الصور فصعق من في السموات)) . ٧٤/ب

ثم قال : ((ثم نفخ فيه أخرى))[٧] وهي صعقة الاحياء والاستثناء لاخراج الشهداء في أكثر الروايات[٨] وجماعة من الملائكة[٩] لا يصعقون ثم يموتون من بعد ذلك .[١٠]

---

(١) هكذا في النسختين ولعل صحة العبارة : ومثله سكونهم في البرزخ .
(٢) في (م) (في البروج) .
(٣) انظر ص٢٧٤
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٥) في النسختين (الروم) وليست هذه الآية في الروم وانما هي في الزمر آية ٦٨.
(٦) انظر الكشاف ١٥٤/٣ ، والقرطبي ٢٤٠/١٣ .
(٧) الزمر ٦٨ .
(٨) وتلك الروايات أخرجها ابن جرير ١٩/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٢٢ ، وممن ذكر أنهم الشهداء أيضا البغوي ٤٣١/٣ ، والقرطبي ٢٤١/١٣ ، والدر المنثور ٣٨٤/٦ .
(٩) انظر تفسير ابن جرير ٢٩/٢٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٤٢٣ ، وتفسير البغوي ٤٣١/٣ ، والقرطبي ٢٤١/١٣ ، والزمخشري ١٥٤/٣ .
(١٠) في هامش (م) ما نصه : (الذي يظهر من سياق الآية أن المستثنى بقوله ((الا من شاء الله)) هو المذكور في قوله ((من جاء بالحسنه فله خير منها)) ثم قال ((وهم من فزع يومئذ آمنون)) أي من فزع يوم إذ ينفخ في الصور ، ويدل عليه حديث (ليس على أهل لا اله الا الله وحشه في قبورهم

((وكل أتوه داخرين (٨٧))) أي كل من في السموات والأرض يأتون الله عز وجل وهم صاغرون .

((وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)) .. ذكر الله أحوال الجبال عند حلول[(١)] الازالة بدار الزوال فقال ((ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نفسا فيذرها قاعا صفصفا[(٢)])) وهذا بعد تسييرها[(٣)] .

كما قال الله تعالى : ((ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة))[(٤)] .

وكما قال : ((وإذا الجبال نسفت))[(٥)] .

وقال : ((وتكون الجبال كالعهن))[(٦)] . وفي الآية الأخرى : ((وتكون الجبال كالعهن المنفوش))[(٧)] .

وقوله : ((وسيرت الجبال فكانت سرابا))[(٨)] وهو مثل قوله ((وبست الجبال بسا فكانت هباءً منبثا))[(٩)] بست أي فتت حتى تكون[(١٠)] كالسويق[(١١)] وهباء منبثا متفرقا[(١١)] ـ وهذا آخر أمرها وأدلة تسييرها .

=== ولا في حشرهم) فتأمل سياق الآية متأنيا . والله أعلم . أهـ .
قلت : أما الأثر الذي استشهد به فقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٢/١٠ـ ٨٣ ، ٣٣٣ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال : سنده ضعيف . وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٢٢/٢ ثم قال : رواه أبو يعلي والطبراني والبيهقي في الشعب بسند ضعيف .
وأما ما استظهره من الآيات فهو قول سديد وقد ذكره القرطبي في تفسيره ٢٤١/١٣ .

((١) في (ص) (حول) .
(٢) ناسخ (م) أكمل الآيات الى قوله تعالى ((لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)) ١٠٧ طه .
(٣) في (ص) (تسيرها) بياء واحدة فقط .
(٤) الكهف ٤٧ (٥) المرسلات ١٠
(٦) المعارج ٩ (٧) القارعة ٥ .
(٨) النبأ ٢٠ (٩) الواقعة ٥ ـ ٦
(١٠) في (م) (حتى يكون) بالياء بدلا من التاء .
(١١) الكشاف ٥٦/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٧٩/٤ .

((صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨))) أي احكمه ومن أحكامه أمر الجبال أن اذهبها على التدريج شيئا فشيئا زيادة في ابانة قدرته واظهار جبروته وحكمته فما من / شيء تراه في الوجود الا وقد أحكمه غاية الاحكام ٧٥/أ واتقنه غاية الاتقان ، وعُدّ ما يعرفه الانسان بحر* ليس له ساحل ولا يحيط به قلم كاتب ولا قول قائل .

((من جاء بالحسنة)) .. لما قال انه خبير بما تفعلون[(١)] بين أحوالهم ، واتفقت كلمة أكثر السلف أن المراد بالحسنة كلمة التوحيد .

عن أبي هريرة مرفوعا : ((من جاء بالحسنة فله خير منها)) قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (هي قول لا اله الا الله) ، ((ومن جاء بالسيئة)) قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (هي الشرك)[(٢)]

ومثله عن جابر بن عبدالله مرفوعا .[(٣)]

ومثله عن صفوان بن عسال مرفوعا .[(٤)]

ومثله عن أبي هريرة وليس مرفوعا .[(٥)]

ومثله عن كعب بن عجرة مرفوعا .[(٦)]

* هكذا في النسختين وصوابه (بحرا)

---

(١) أ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يفعلون) بالياء .
ب ـ وقرأ الباقون (تفعلون) بالتاء .

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٢/٢٠ ، والحاكم ٤٠٦/٢ ، وانظر تفسير البغوي ٤٣٢/٣ ، وتفسير القرطبي ٢٤٥/١٣ ، والدر المنثور ٣٨٥/٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٤٣٧ ـ ٤٤٥ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ص ٣٩٠ ، وانظر الدر المنثور ٣٨٥/٦ .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٨٦/٦ ، وعزاه للحاكم في الكنى .

(٥) يرجع في تخريجه الى حديث أبي هريرة السابق فقد شك يحي بن أيوب البجلي هل سمعه مرفوعا أم لا ؟

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٨٦/٦ ، وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه والديلمي .

ومثله عن ابن مسعود موقوفا[١] .

ومثله عن حذيفة[٢] موقوفا ، وعن ابن عباس كذلك[٣] ، وجماعة من التابعين[٤] .

وأما قوله : ((فله خير منها)) ففُسر الخير بالجنة[٥] ، وفُسر بمقدار جزائها[٦] ، اذ ذلك يعادل بين نفسي الطاعة والثواب لا تفاضل ، لأن لا إله الا الله خير من شجر الجنة وأنهارها ، ولذا جاء في الآية الأخرى ((عشر أمثالها[٧] ، ولا شك أن المراد أمثال ما يستحق العبد عليها من الأجر بحسب الحكمة .

فالذي يعطيه ربه تعالى خير من ذلك الذي يستحق بحكمته والمضاعفة على ذلك القدر من تلك الخيرية .[٨]

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٠٨/٨ ، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ص ٤٤٣ ، وتفسير القرطبي ٢٤٤/١٣ ، والدر المنثور ٣٨٦/٦ .

(٢) الدر المنثرو ٣٨٦/٦ ، وعزاه الى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٠٩/٨ و ٢٢/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٤٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٣ ، والدر المنثور ٣٨٦/٦ .

(٤) انظر تفسير ابن جرير ٢٢/٢٠ ـ ٢٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٤٣٨ ـ ٤٤٥ والدر المنثور ٣٨٧/٦ .

(٥) الدر المنثور ٣٨٧/٦ .

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

(٧) الانعام ١٦٠ .

(٨) يقول العلامة محمد الامين رحمه الله تعالى ما معناه :
أ ـ إذا حملنا الحسنة في هذه الآية على فعل الخير من العبد كالانفاق في سبيل الله وغيره فالمعنى واضح إذ ثواب الله مضاعف وأبدي فهو خير من فعل العبد .
ب ـ وأما اذا فسرنا الحسنة بشهادة أن لا اله الا الله فليس هناك شيء خير منها بل هي أساس الخير كله وحينئذ لا يخلو معنى الآية من وجهين :
١ ـ أن نجعل (من) سببية أي فله خير حاصل من قبلها كما قال تعالى في سورة نوح ((مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا)) .
قلت : ويؤيد هذا الوجه ما أخرجه ابن جرير ٢٣/٢٠ وابن أبي حاتم ص ٤٤٠ والبغوي ٤٣٢/٣ عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى ((فله خير منها)) أي منها وصل الى الخير .
===

((وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩))) .. فسر حين الفزع ابن عباس بأنه حين تطبق[١] النار على أهلها[٢] . وفي رواية عنه أنه النفخة الآخرة .[٣]

وعن ابن جبير مثل الرواية الأولى[٤] عن ابن عباس .

ومثله عن ابن جريج[٥] ، وفي رواية عنه (حين يذبح الموت)[٦] .

((ومن جاء بالسيئة)) .. اتفقت كلمة السلف أنها الشرك[٧] ، ((فكبت وجوههم)) الوجه كناية عن الذات كالرقبة[٨] ، ومنه ((فكبكبوا فيها هم والغاوون))[٩] تقدمت .

== ٢ ـ والوجه الثاني وهو أن نجعل خير صيغة تفضيل ـ كما هي في القول الأول ـ ولكن لا يراد بها تفضيل شيء على لا اله الا الله ولكن وجه التفضيل هو من حيث أنّ كلمة الاخلاص تُعبد بها العبد في دار الدنيا وتعبده بها يجعلها فعلاً من أفعاله المحضة وثواب الله عليها في الآخرة هو فعل من أفعاله جل وعلا ولا شك أن فعل الله خير من فعل عبده .

اضواء لبيان ٤٤٤/٦ ، وانظر تفسير القرطبي ٢٤٤/١٣ .

(١) في (م) (يطبق) بالتحتية .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦٨٢/٥ ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

(٣) اخرجه ابن جرير ٩٩/١٧ وذكره السيوطي ٦٨٢/٥ وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن جرير ٩٨/١٧ ، وذكره السيوطي ٦٨٢/٥ وعزاه الى ابن جرير والى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن جرير ٩٨/١٧ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٩٩/١٧ ، وانظر تفسير القرطبي ٣٤٦/١١ ، والدر المنثور ٦٨٢/٥ وتفسير ابن كثير ١٩٩/٣ .

(٧) انظر ← ص٣٢٨-٣٢٩ فقد سبق هناك عزو الأحاديث والآثار الواردة في ذلك .

(٨) انظر الكشاف ١٥٥/٣ .

(٩) انظر ص ١٠٨ آية الشعراء ٩٤ .

١٧٥ب

((هل تجزون الا ما كنتم / تعملون (٩٠) إنّما أمرت أن أعبد رب هـــذه البلدة)) .. هذا قصر غير حقيقي لأنه أمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبلاغ وغيره ولك أن تقول البلاغ وغيره من كل أفعال المعصوم عبادة والبلدة المراد بها مكة سمّاها بالبلدة وبالبلد ((لا أقسم بهذا البلد))[١] ، وبالبلد الأمين[٢] وبمعاد[٣] ((ان الذي فرض عليك القرآن لراوك الى معاد))[٤] ، وبكة (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة))[٥] ، وسماها[٦] البيت[٧] ((فليعبدوا رب هذا البيت))[٨] .

((الذي حرمها)) .. أي حرم القتال فيها وحرم أن يُختلى خلاها أو يُنفّر صيدها أو يُعضد شجرها أو يلتقط[٩] لقيطها الا لمعرف بها[١٠] . وفيه تنبيه لهم على قبائح ما يأتونه من الكفر بالله ونصب الأصنام في بيته وايذاء رسوله وتكذيبه.

((وله كل شيء)) كالاحتراز عن تخصيصه برب هذه البلدة ، فانه رب كل شيء .

---

(١) البلد ١ .
(٢) في سورة التين (وهذا البلد الأمين ٣) .
(٣) انظر تفسير الطبري ١٢٥/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٥٨/٢ ـ ٤٦٠ ، والبغوي ٤٥٨/٣ ، وتفسير ابن عباس ٧١١/٢ .
(٤) القصص ٨٥ .
(٥) آل عمران ٩٦ .
(٦) في (ص) (سماه) بالتذكير .
(٧) قلت المراد بالبيت هنا الكعبة باجماع المفسرين ، ولعل المؤلف تجوز هنا فحمل الخاص على العام لعلاقة المحلية .
(٨) قريش ٣ .
(٩) هكذا في كلا النسختين وفي صحيح البخاري (تلتقط لقتطتها) بتأنيث الفعل والفاعل وهو الصواب .
(١٠) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ٤٦/٤ كتاب جزاء الصيد .

وقوله : ((وأمرت أن أكون من المسلمين (٩١))) هذا بيان لعظمة شـــأن الاسلام وأهله ، وقد جعله الله الدين في قوله ((إنّ الدين عند الله الاسلام))[١] ، وأخبر أنّ من ابتغى دينا غيره فلن يقبل منه ((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبـل منه))[٢] .

وقال الخليل[٣] : ((وأنا أول المسلمين)) وقال بنوه : ((ونحن له مسلمون))[٤] وقال تعالى : ((ولا تموتن الا وأنتم مسلمون))[٥] .

((وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنّما يهتدي / لنفسه ومن ضل [فقـل][٦] ٧٦/أ انما أنا من المنذرين (٩٢) وقل الحمد لله)) حذف المحمود عليه ليشمل[٧] كـل نعمة .

((سيريكم آياته)) .. أي في الدنيا مما نطق به القرآن كخروج الدآبـة ، وسائر الأشراط ، ((فتعرفونها)) تعرفون أنها آيات الله التي أخبرت بها الرسل لكنكم تعرفونها حيث لا تنفعكم المعرفة .

---

(١) آل عمران ١٩ .
(٢) آل عمران ٨٥ .
(٣) إذا أراد بالخليل هنا محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله بذلك كما في سورة الأنعام ١٦٣ ، ولكن يشكل عليه ما بعده من السياق فانه في ذرية إبراهيم عليه السلام لا ذرية محمد صلى الله عليه وسلم .
وأما إذا أراد به إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ وهذا هو الغالب ـ فمسلّـم بأنه أول مسلمي زمانه أيضا ، ولكن لم ترد آية تخبر عنه بهذا اللفـظ ، فلعل هذا من أوهام المصنف رحمه الله تعالى كما سبق في ص ٨٦
(٤) البقرة ١٣٣ .
(٥) آل عمران ١٠٢ .
(٦) كلمة (فقل) ساقطة من (م) .
(٧) في (م) (ليشتمل) بزيادة التاء .

وقيل سيريكم[١] في الآخرة[٢] ولا بعد أن يراد أرآتهم في الدارين . وختم هذه السورة الشريفة بما ختم به سورة هود من قوله : ((وما ربك بغافل عما يعملون[٣] (٩٣))) .. اذ كل واحدة من السورتين اشتملت على عجائب القصص وعلى أحوال المعاد وأدلته وتقسيم العباد فيه الى شقي وسعيد فهي شبيهة[٤] فكان الختام واحداً .[٥]

---

(١) في (ص)(سيركم) باسقاط الياء الثانية .

(٢) تفسير أبي السعود ٣٠٧/٦ .

(٣) هكذا في كلا النسختين (يعملون) بالياء ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف في كلا السورتين - هود والنمل - .
ب - وقرأ الباقون - ومنهم نافع - (تعملون) بالخطاب في كلا السورتين فلا أعلم هل مخالفة المؤلف هنا لقراءة نافع هو خطأ من الناسخ أم أنه كان يقرأ بقراءة ابن كثير .

(٤) لعل الصواب (فهي شبيهة بها) .

(٥) في كلا النسختين (واحد) والصواب بالنصب كما أثبته .

سورة القصص

" سـورة القصـص "

بسم الله الرحمن الرحيم

((الحمد لله الذي لم يزل يشرف الأمة بقصة الكليم بأساليب تأخذ بمسامع[1] أذهان كل نبيه حليم فقال :

((طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢))) .. تقدم الكلام في ذلك.[2]

((نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣))) .. أوردتعالى مفاتيح الاخبار عن قصة موسى عليه السلام على أنواع تفننا في الكلام .

ففي سورة طه : ((وهل أتاك حديث موسى))[3] .

وفي النازعات : ((هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه ..)) الآية[4]

وفي النمل : ((اذ قال موسى لأهله ..)) الآية[5] .

وهكذا ينبه سبحانه في أول كل قصة / لها شأن كقوله في قصة يوسف وإخوته ٧٦/ب ((نحن نقص عليك أحسن القصص))[6] ، وقوله في أول الكهف ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق ..)) الآية[7] ، والنبأ[8] هو الخبر[9] وهو الحديث وهو يناسب من

---

(١) هكذا في (ص) ، وفي (م) (بمسامع كل أذهان كل نبيه) بزيادة (كل) الاولى . ولعل الصواب بمسامع واذهان .. ألخ .

(٢) اذا كان يريد الكلام عن الحروف المقطعة فلم يمر بنا شيء من كلامه عنها ولعلها في الجزء المفقود ، وأما اذا كان يريد الكلام عن تفسير قوله تعالى ((تلك آيات الكتاب المبين)) فقد ذكر شيئا من ذلك في أول سورة النمل ص١٨٨

(٣) طه ٩ .

(٤) النازعات ١٥ .

(٥) النمل ٧ .

(٦) يوسف ٣ . (٧) الكهف ١٣ .

(٨) في (ص) (والبنا) تقديم وتأخير .

(٩) لسان العرب ١٦٢/١ (نبأ) .

قال إن أنبأنا وأخبرنا بمعنى واحد .[1]

((ان فرعون علا في الأرض)) .. أي تجبر وطغى ، وقد وصفه الله وقومه أنهم جحدوا آيات[2] الله ظلما وعلوا كما قال تعالى لإبليس لما امتنع عن السجود : ((استكبرت أم كنت من العالين))[3] ، ولم يجعل الدار الآخرة الا للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا[4] ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا))[5] .

((وجعل أهلها شيعا)) أي أهل مصر .

قال قتادة : يتعبد[6] طائفة ويذبح[7] طائفة ، ويقتل[8] طائفة ، ويستحيي طائفة[9] ،

---

(١) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير مع الباعث الحثيث لأحمد شاكر ص ٩١ وتقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ٨/٢ .

(٢) في (م) (بآيات الله) بزيادة حرف الجر .

(٣) سورة ص ٧٥ .

(٤) هذه العبارة فيها قصور وكان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يقول : والمتكبرين لم يجعل الله لهم نصيبا في الدار الآخرة .

(٥) القصص ٨٣ .

(٦) هكذا في النسختين وفي الدر المنثور (يتعبد) ، وفي باقي المراجع (يستعبد) .

(٧) في (م) (يدع) بدلا من يذبح .

(٨) في تفسير ابن جرير (ويغذب طائفة) بدلا من قوله (ويقتل طائفة) وهو الصواب .

(٩) تفسير عبدالرزاق ص ٣٩١ ، وتفسير ابن جرير ٢٧/٢٠ ، والدر المنثور ٣٩١/٦ الا أنه لم يذكر قوله (ويذبح طائفة) .

وبين الله تعالى أنه يستضعف طائفة منهم وهم[1] بنو إسرائيل . (([يستضعف طائفة منهم][2] يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم)) بيان الاستضعاف وسبب ذلك ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أنّ نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اذا اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا السحرة والكهنة والعافة والحزاة[3] وهم العافة الذين يزجرون الطير[4] فسألهم عن رؤياه / فقالوا له : يخرج من هذا ٧٧/أ البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت المقدس - رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر بني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام[5] الا ذبحوه ولا تولد لهم جارية الا تركت ، وجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود الا ذُبح فلا يكبر الصغير[6] وقذف الله في مشيخة بني اسرائيل الموت فأسرع فيهم ثم أنه أمر فرعون بذبح ابناء بني اسرائيل سنة ويتركوا سنة ، فولد في السنة التي لا يذبحون فيها هارون، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها ، فلما[7] وضعته أمه أرضعته ثم دعت له نجار* فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخله وجعلته [فيه][8] وألقته في اليم وهو النيل . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أحجار عند بيت فرعون ، فخرجت[9] جواري آسيا-امرأة فرعون-يغتسلن فوجدن

---

(١) في كلا النسخيتين (وهو بنو اسرائيل) بالمفرد والصواب ما أثبته .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وهو من هامش ص
(٣) في الدر المنثور (الزجرة) وفي تفسير ابن أبي حاتم وابن جرير (الحازة) وهي بمعنى واحد .
(٤) انظر لسان العرب ١٤/١٧٥ (حزا) .
(٥) في الدر المنثور (ولد) بدلا من غلام .
(٦) في الدر المنثور (صغير) بالتنكير .
(٧) في (ص) (فلما فلما) مكررة . * هكذا في النسختين وصوابه (نجاراً)
(٨) كلمة (فيه) ساقطة من (م) .
(٩) في الدر (فخرجن) .

التابوت فأدخلنه الى آسيا وظنن أن فيه مالا ، فلما تحرك الغلام رأته آسيا صبيا فلما نظرت إليه تحركت رحمتها عليه وأحبته ، فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل آسيا تكلمه حتى تركه لها وقال:إني أخاف أن هذا من بني إسرائيل الذي يكون هلاكنا على يديه .(١)

((إنّه كان من المفسدين (٤))) جمع الشقي بين العلو في الأرض/ والفساد ٧٧/ب ولذا أقدم على قتل أطفال لا ذنب لهم خيفة على ملكه وعلوه .

ولذا قال فرعون في خطابه لموسى ((وتكون لكما الكبرياء في الأرض))(٢) ، يريد وهي له .

((ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا في الأرض)) .. اخبار عن ارادته تعالى التفضل على بني إسرائيل بانقاذهم من فرعون وقومه وأخبر بعد بوقوع المنة بقوله : ((ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم))(٣) وكرر عز وجل تذكيرهم وتذكير ابناءهم بهذه المنة في عدة آيات ((وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم))(٤) ، ((ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين))(٥) ، وأكثر عز وجل من ذكر هذه المنة ليشكر الأبناء نجاته تعالى للآباء .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ٢٧/٢٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، حيث جزّأه في عدة مواضع ، وانظر تفسير ابن أبي حاتم فقد جزّأه أيضا في عدة مواضع فانظر ص ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ، والدر المنثور ٣٨٩/٦ ـ ٣٩٠ بألفاظ متقاربة .
(٢) يونس ٧٨ .
(٣) الصافات ١١٤ ـ ١١٥ .
(٤) البقرة ٤٩ .
(٥) الدخان ٣٠ ـ ٣١ .

((ونجعلهم أئمة)) .. أي قادة في الدين يقتدى بهم[١] من يتبعهم، ويحتمل جعلنا منهم أئمة وهم الأنبياء منهم كما قال تعالى : ((وجعلناه[٢] هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة))[٣] . وكما قال موسى : ((اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ...)) الآية[٤] .

((ونجعلهم الوارثين (٥))) هذا اخبار عن ارادته جعلهم وارثين / لفرعون وقومه ، وقد أخبر عن وقوع ما أراده من ذلك بقوله : ((وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها))[٥] ، وقوله ((فأخرجناهم[٦] من جنات وعيون ..)) الى قوله : ((... كذلك وأورثناها بني اسرائيل))[٧] ، وقوله في الآية الأخرى : ((كذلك وأورثناها قوما آخرين))[٨] ، فقوله : ((قوما آخرين)) ، وقوله : ((الذين كانوا يستضعفون)) بيّنهما قوله ((بني إسرائيل)) .

٧٨/أ

((ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ..)) أي من المستضعفين ((ماكانوا

---

(١) انظر معالم التنزيل ٤٣٤/٣ .

(٢) في كلا النسختين (وجعلنا هدى) باسقاط الضمير .

(٣) السجدة ٢٣ . ويفهم من استشهاد المؤلف بهذه الآية أن المراد بالأئمة فيها الانبياء ، وقد سبقه الى هذا البغوي ٥٠٣/٣ ، حيث فسر الأئمة في آية السجدة بالأنبياء ، بينما جمهور المفسرين قالوا المراد بالأئمة فيها هم القادة الذين يقتدى بهم في الخير .
انظر تفسير ابن جرير ١١٢/٢١ ، والقرطبي ١٠٩/١٤ .

(٤) المائدة ٢٠ .

(٥) الأعراف ١٣٧ .

(٦) في كلا النسختين ((كم تركوا من جنات وعيون)) الى قوله ((كذلك وأورثناها بني اسرائيل)) فخلط بين آية الدخان وآية الشعراء ، ولكونه صرح بآية الدخان بعد ذلك فجعلت هذه آية الشعراء وحذفت ما كان من آية الدخان .

(٧) الشعراء ٥٧ ـ ٥٩ .

(٨) الدخان ٢٨ .

يحذرون (٦))) ، قد صرح فرعون بحذرهم منهم بقوله ((وإنّا لجميع حذرون[1])[2] بعد أن قال قبل ذلك ((لأجعلنّك من المسجونين))[3] . فأذله الله وأهانه وأنزل به المخافة وبقومه ، ثم أغرقهم فأراهم ما كانوا يحذرون كما قال أصدق القائلين .

((وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه [في اليم][4] ولا تخافي ولا تحزني إنّا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧))) .

تقدم في طه[5] ((اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له))[6] ، فطوى هنا قذفه في التابوت والقاء أليم له بالساحل اكتفاء بما سلف ، كما طوى هنالك وعدها برده اليها / وبجعله من المرسلين اكتفاء بما هنا . ٧٨ ب

((فالتقطه آل فرعون)) .. هذا في معنى قوله ((يأخذه عدو لي وعدو له)) الا أنه هنالك صرح بعداوته لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفيهما دليل على أنّ ذكر آل فرعون مراد به فرعون نفسه لتعبيره عنهم بقوله : ((عدو لي وعدو له)) وطوى هنالك ما يفيده قوله : ((ليكون لهم عدوا وحزنا إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨))) . وهو بيان غاية الالتقاط ومآله

---

(١) أ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (حاذرون) بألف بعد الحاء .
ب ـ وقرأ الباقون (حذرون) بدون ألف .
(٢) الشعراء ٥٦ .
(٣) الشعراء ٢٩ .
(٤) قوله (في اليم) ساقطة من (ص) .
(٥) قلت : وهذا ما يؤيد أنه تناول تفسير القرآن من أوله .
(٦) طه ٣٨ ـ ٣٩ .

لا أنه علة التقاطه . وهذا[1] موافق لقوله : ((عدو لي وعدو له)) ، فان موسى عند أخذ فرعون له والتقاطه إيّاه لا يتصف بأنه عدو له لعدم ادراكه لشيء من ذلك وانما التقطه ليكون عدوا فيما يستقبل ويؤول اليه أمره[2] .

وقوله : ((حزنا)) أي سببا لحزنهم بما أصابهم من السنين والجراد والقمل والضفادع والدم وغير ذلك .

((وقالت امرأة فرعون)) وهي آسية بنت مزاحم[3] من أولاد أنبياء بني إسرائيل وهي التي أنزل فيها قوله تعالى : ((وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين))[4] .

---

(١) في (م) (وهدى) .

(٢) يقول العلاّمة محمد الأمين رحمه الله تعالى : اعلم أنّ التحقيق إن شاء الله أنّ اللام في قوله ((ليكون لهم عدوا وحزنا)) لام التعليل المعروفة بلام كي وذلك على سبيل الحقيقة لا المجاز ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ((وما تشاءون إلا أن يشاء الله)) ، فهذا صريح في أن الله تعالى يصرف مشيئة العبد وقدرته بمشيئته جل وعلا الى ما سبق به علمه ، وقد صرف مشيئة فرعون وقومه بمشيئته جل وعلا الى التقاطهم موسى ليجعله لهم عدوا وحزنا ، فكأنه يقول : قدّرنا عليهم التقاطه بمشيئتنا ليكون لهم عدوا وحزنا وهذا معنى واضح لا لبس فيه ولا اشكال كما ترى ...
وبهذا التحقيق تعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين وينشدون له الشواهد من أن اللام في قوله ((ليكون)) لام العاقبة والصيرورة خلاف الصواب .
وأن ما يقوله البيانيون من أن اللام في قوله ((ليكون)) فيها استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف خلاف الضواب أيضا . أهـ .
أضواء البيان ٦/٤٥٢ .

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/٤٣٧ .

(٤) التحريم ١١ .

((قرة عين لي ولك)) من / قوله تعالى : ((هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين))[1] . ٧٩/أ

((لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)) ... هو في حكم التعليل للنهي عن قتله ، وكلام امرأة فرعون مما طواه تعالى في سورة طه .

((وهم لا يشعرون (٩) وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه الى أمه كي تقرعينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حق ...)) .

اعلم أن من أهم قواعد العقائد العلم بأن ما وعد الله به حق ولا يتم إيمان عبد من العباد حتى يكون علمه بهذا مستقرا في الاعتقاد معمورا به الفؤاد ، فانه بعلمه هذا يجود بماله وفي سبل الخير ينفقه[2] ثقة بوعد ربه اذ قال ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه))[3] ، ويبذل نفسه[4] في اكتساب الحسنات وافعالها ثقة بقوله ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها))[5] .

وقد علم كل أحد أن وعد الله حق حتى قال إبليس[6] ((إنّ الله وعدكم

---

(١) الفرقان ٧٤ .
(٢) في كلا النسختين (سلعه) ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) سباء ٣٩ .
(٤) في (م) (النفس) .
(٥) الأنعام ١٦٠ .
(٦) يُحمل كلام المؤلف هنا على الدار الآخرة ، وأما في دار الدنيا فان أكثر الناس لا يؤمنون بوعد الله وإلا لما أنكروا البعث والساعة وما بعدهما . وينظر كلام المؤلف ص٣٤٣

وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم))[١] ، وقال الكافرون يوم القيامة وقد قال لهم أهل الايمان ((فهل[٢] وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم))[٣] .

وأخبر[٤] تعالى عن وعد إبليس / بأنه غرور ((يعدهم ويمنيهم وما يعدهم ٧٩/ب الشيطان الا غرورا))[٥] ، ((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا))[٦] .

وقال تعالى : ((ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى [وهو مؤمن][٧] فأولئك يدخلون الجنة ...))[٨] إلى قوله : ((... ومن أصدق من الله قيلا))[٨] .

وخلفُ الوعد من صفات المنافقين كما ثبت في صحيح الأخبار أن أربعا من خصال المنافقين[٩] (واذا وعد أخلف)

---

(١) إبراهيم ٢٢ .
(٢) في كلا النسختين (هل وجدتم) باسقاط الفاء والصواب اثباتها إن اراد الآية .
(٣) الأعراف ٤٤ .
(٤) في (م) (وأخبر الله تعالى) بزيادة لفظ الجلالة .
(٥) النساء ١٢٠ .
(٦) البقرة ٢٦٨ .
(٧) سقط من (م) قوله (وهو مؤمن) .
(٨) يلاحظ أنّ هناك تقديم وتأخير في ذكر آيتي سورة النساء ، فالأولى منهما هي متأخرة في التلاوة ورقمها ١٢٤ . والثانية التي جعلها خاتمة هي متقدمة في التلاوة ورقمها ١٢٢ .
ولعل الصواب أنه أراد أن يستشهد بالآية ١٢٢ ونصها ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعدا الله حقا ومن أصدق من الله قيلا)) .
إلا أنه تشابهت عليه الآيات فساق الآية ١٢٤ بدلاً من الآية ١٢٢ .
(٩) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠٧/٥ كتاب المظالم .

ولهذا ذهب أئمة الى وجوب الوفاء بالوعد والحكم على من وعد غيره بشيء أن يوفيه إياه[١] ، ويدل له أن الخلف من خصال المنافقين ويجب تجنب العبد المؤمن لها ، ويدل له قوله تعالى : ((كبر مقتا عند الله أن تقولو ما لا تفعلون))[٢] وهو[٣] يجب على العبد ألا يعرض نفسه لمقت الله .

والوفاء بالوعد من صفات الله تعالى . ولذا كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكثر من (صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده)[٤] ، وهو من صفات الرسل والأنبياء . قال تعالى في إسماعيل مثنيا عليه ((انه كان صادق الوعد))[٥] .

((ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣))) .. أي أن وعد الله حق اذ لو علموه لما اتعبوا أنفسهم في شيء من الأمور التي وعد الله بها .[٦]

---

(١) انظر فتح الباري ٥/٢٩٠ كتاب الشهادات .

(٢) الصف ٣ .

(٣) هكذا في النسختين والصواب (ويجب على العبد) باسقاط الضمير ، أو يكون الكلام هكذا : وهو ـ أي الوفاء بالوعد ـ يجب على العبد لئلا يعرض نفسه لمقت الله .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ١١/١٨٨ كتاب الدعوات .

(٥) مريم ٥٤ .

(٦) بل قد يوعد الله سبحانه عباده بأمر من الأمور ويعلق وقوعه على سبب من الأسباب فلا يقع ذلك الموعود إلا بسلوك ذلك السبب ، فحينئذ لا يكفي الاعتماد على الوعد دون مباشرة ذلك السبب . وهذه مسألة يغفل عنها كثير من الناس .

ومن قال : لا يعلمون أن الله وعد أم موسى بنجاته ورجوعه إليها[1] / فقد ٨٠/أ
قصّر .

((ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٤)))
في يوسف الآية بلفظها الا أنه لم يأت بلفظ ((واستوى)) فينظر في نكتة
زيادتها[2] هنا[3] .

((ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان[4]
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين (١٥))) .

وقع في قصة يوسف عليه السلام ذكر ما أُبتلي به من مروادة التي هو في
بيتها له وما كادته به وما كان من ارآتها نسوة المدينة إياه وسجنه بعد ذلك
الى آخر ما قصه تعالى من قوله ((يانبي حفيظ عليم))[5] . كذلك هنا قص من
أحوال موسى وما أُبتلي به من قتل القبطي وخوفه حين أراد الملأ قتله وفراره من
مصر خائفا يترقب وتوجهه تلقاء مدين الى آخر ما قصه الله تعالى من ابتلائه

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤٣٨/٣ .
(٢) قال الفيروز آبادي : وزاد فيها (واستوى) لأن يوسف عليه السلام أُوحي
اليه وهو في البئر ، وموسى عليه السلام أوحى اليه بعد أربعين سنة ،
وقوله ((استوى)) اشارة الى تلك الزيادة .
ومثله (وبلغ أربعين سنة) بعد قوله ((حتى اذا بلغ أشده)) الأحقاف ١٥
بصائر ذوي التمييز ٢٥٧/١ .
قلت : ويشهد لما ذكره الفيروز آبادي ما أخرجه عبدالرزاق في تفسيره
ص ٣٩٢ عن قتادة ومجاهد أنهما قالا : استوى : بلغ أربعين سنة .
(٣) في (م) (هذا) بدل هنا .
(٤) في كلا النسختين (يقتلان) بتاء واحدة وهو خطأ .
(٥) يوسف من الآية ٢٣ ـ ٥٥ .

الى قول شعيب[١] له ((نجوت من القوم الظالمين))[٢] . فهذا الابتلاء الذي ابتلي الله به يوسف وموسى عليهما السلام بعد أن آتى كلا منهما حكما وعلما ووصفهما بالاحسان .

وقوله : ((انه عدو)) قد أكثر الله تعالى الاخبار بعداوة الشيطان للانسان بل قال عند اهباطه للأبوين ((اهبطا[٣] منها جميعا بعضكم لبعض عدو)) ، وقال ((ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا))[٤] ، وقال : ((أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو))[٥] .. وغير ذلك .

فأخبر موسى أن قتله من لم يؤمر بقتله من عمل العدو أي من تزيينه واغوائه ، وقوله ((مضل)) مشتق من قول إبليس ((لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ../))/الآية[٦] ٨٠/ب

((قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم (١٦)))
هو كقول أبي البشر ((ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين))[٧]

---

(١) جزم المؤلف رحمه الله تعالى بأن صاحب موسى هو شعيب لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة والأولى بالمسلم أن يقف عند حدود ما أوقفه الله تعالى ولا يبحث عما وراء ذلك اذ لا يجني بعد ذلك الا ضياع الوقت وتسويد الصحف وما أحسن ما قاله ابن جرير في هذا الموضع حيث قال : وهذا مما لا يدرك علمه الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته . أهـ .
تفسير ابن جرير ٦٢/٢٠ .

(٢) القصص من الآية ١٥ ـ ٢٥ .

(٣) في كلا النسختين (اهبطوا منها جميعا) بالجمع وهذا وهم من المؤلف حيث تشابهت عليه آيات البقرة ٣٦ ، ٣٨ ، والاعراف ٢٤ ، وأقرب الآيات الى نصه هي آية طه ١٢٣ ولهذا عدّلت لفظه الى آية طه .

(٤) فاطر ٦ .

(٥) الكهف ٥٠ .

(٦) النساء ١١٨ ـ ١١٩ .

(٧) الأعراف ٢٣ .

((قال رب بما[1] أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧))) أي معينا لهم وهو من قوله ((وكان الكافر على ربه ظهيرا))[2] .

((فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ان تريد ألا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون[3] بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين (٢٠) فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢))) .

نظير قول الخليل ((اني ذاهب الى ربي سيهدين))[4] وأمره لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((وقل[5] عسى أن يهديني[5] ربي[5] لأقرب من هذا رشدا))[6] .

((ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير (٢٤) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ..)) .

---

(١) في (م) (رب ما أنعمت علي) باسقاط الباء .
(٢) الفرقان ٥٥ .
(٣) في (م) (يأمرون بك) باسقاط التاء وهو خطأ ظاهر .
(٤) الصافات ٩٩ .
(٥) في كلا النسختين ((فقل عسى أن يهدينا ربنا لأقرب من هذا رشدا)) والصواب ما أثبته .
(٦) الكهف ٢٤ .

الإتيان بالفاء اعلاما بسرعة اجابة الله تعالى له لما قال ((اني لما أنزلت إليّ من خير فقير)) فألقى تعالى في قلب / أبيهما استدعاءه لطعامه . ((قالت ٨١/أ
إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)) .

اعلام بأن المكافأة على الاحسان واجبة وان كان[١] شكر المنعم واجبا[٢] عقلا وأوجبه الله تعالى شرعا وقال تعالى : ((هل جزاء الإحسان الا الإحسان))[٣] بعد ذكر ما أعده لعباده أهل الاحسان من نعم الجنان فجازى تعالى احسانهم بطاعتهم له احسانه اليهم بالاثابة وأوجبه بين[٤] عباده والآيات والأحاديث واسعة في هذا ، بل ايجاب البر بالوالدين هو مكافأة لهما على التربية كما اشار اليه قوله تعالى ((وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا))[٥] أي لأجل التربية ، وأشار اليه في الأم بخصوصها بقوله ((حملته[٦] أمه كرها ووضعته كرها))[٧] .

((فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥)))
هو كالجواب من الله تعالى ألقاه على لسان شعيب[٨] عليه السلام لما قال موسى ((رب نجني من القوم الظالمين)) كان الجواب على لسان شعيب بقوله ((نجوت من القوم الظالمين)) .

((قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦)))

---

(١) هكذا في النسختين ولعل الصواب ولذا .
(٢) في النسختين (واجب) والصواب نصبه خبرا لكان .
(٣) الرحمن ٦٠ .
(٤) في (م) (بين من عباده) بزيادة من
(٥) الاسراء ٢٤ .
(٦) في كلا النسختين (حملته كرها ووضعته كرها) باسقاط كلمة (أمه) .
(٧) الأحقاف ١٥ .
(٨) انظر الفقرة (١) من هامش ص ٣٤٥

هو كوصف يوسف عليه السلام نفسه [بالحفظ والعلم][1] بقوله ((اني حفيظ عليم))[2] وان كانت الواصفة له بالقوة والأمانة ابنه شعيب لكنه وصف تسبب عن فعل موسى عليه السلام فكأنه الواصف لنفسه[3]، وهو كالتلقين من الله سبحانه أنه لا يكون على خزائن بيوت الأموال الا حفيظ لما فيها عليم بكيفية التصرف فيها وأنه لا يستأجر على أمور العباد الا القوي في ذاته / الأمين على ما أقيم فيه . ٨١/ب

ومن هنا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي ذر (اني أرا ك ضعيفا)[4] ونهاه عن الولاية وعن التعلق بمال الأيتام ؛ فمن ضعف عن الأمور ضعف بدن أو ضعف عزيمة حرم عليه الدخول فيها .

((قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين)) انظر في حسن تأدب شعيب عليه السلام بأدب الله تعالى فانه لما علم محبة الله تعالى للتناكح وحثه عليه عرض على رجل غريب ـ لا يعرفه بمخالطة ولا مساكنة ولا عرف نسبه إنّما قص عليه أنه هارب[5] من بلده لقتله بعض أهلها وارادتهم قتله ـ أن يزوجه وهو رجل فقير غريب قد أخبره أنه قتل[6] نفسا فألهم الله تعالى شعيبا تزويجه لما علمه الله من أنه سيعلي أمره ويصيره من أنبيائه ورسله[7] ، وليس عرض الانسان ابنته ونحوها

---

(١) في النسختين (بالقوة والأمانة) .
(٢) يوسف ٥٥ .
(٣) قول المؤلف عن موسى عليه السلام ((فكأنه الواصف لنفسه)) غير مسلم به اذ فرق كبير بين وصف الانسان نفسه ووصف غيره له .
(٤) انظر صحيح مسلم ١٤٥٨/٣ كتاب الإمارة .
(٥) في النسختين (هارباً) بالنصب وهو خطأ .
(٦) في كلا النسختين (أنه قد نفساً) والصواب (قتل) كما أثبته .
(٧) هذا الكلام لا دليل عليه من كتاب ولا سنة وكان الأولى بالمولف رحمه الله تعالى أن يقول : لما توسم فيه من الخير ولما عرف من حاله ولما شهدت به البنت من القوة والأمانة .

على أجنبي ليزوجه بها مما يذم أو يقدح في المروءة ، بل هو [من][1] أعظم المروءة ومن خير الشيم ومكارم الأخلاق .

وفي الصحيح من الأخبار[2] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرض ابنته حفصة رضي الله عنهما على أبي بكر وعلى عثمان رضي الله عنهما . وكان أبو بكر قد فهم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يريدها لنفسه فلم يجب على عمر عند أن عرضها عليه .

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يعرض احدى ابنتيه ، وعمر كذلك ويعدل[3] الناس عن ثغر قبيح، وهو أنهم يرون من يعرض ابنته على أجنبي آتياً بخلاف المعروف منافيا للمروءة .

((على أن تأجرني ثماني حجج فان / أتممت [عشرا][4] فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين (٢٧))) . ٨٢/أ

هذا بيان لما أجمله قوله تعالى في قصته في طه ((فلبثت[5] سنين في أهل مدين))[6] .

فبين هنا عدتها[7] وهو نظير قوله في أهل الكهف ((فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا))[8] .

---

(١) في (م) (بل هو أعظم) باسقاط من . والصواب ما أثبته من (ص) .
(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٧٥/٩ كتاب النكاح .
(٣) هذه الكلمة ليست واضحة في النسختين وانما اجتهدت في تصويبها .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٥) في كلا النسختين (ولبثت) بالواو والصواب (فلبثت) بالفاء .
(٦) طه ٤٠ .
(٧) وزاد ايضاح عدتها ـ أيضا ـ ما أخرجه البخاري في صحيحه ٢٨٩/٥-٢٩٠ مع الفتح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قضى أكثرهما وأطيبهما . أهـ .
(٨) الكهف ١١ .

فأجملها هنا وبينها في قوله ((ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا))[1] .

وفيه أن المهر لا يشترط في شرعهم أن يكونَ مالا ، بل يجوز أن يكـــــون منفعة وعليه في شرعنا الحديث الصحيح[2] (أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلـــم زوج التي وهبت له نفسها بعض فقراء أصحابه على تعليم عشرين آية) والقصة معروفة وسقناها في سبل السلام .[3]

ولكن الظاهر من الحديث أنه لا يجعل المهر منفعة الا اذا تعذر المـــال فانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمره يلتمس شيئا ولو خاتما من حديد ، فلما لم يجد شيئا زوجه بما معه من القرآن .

((قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله علـــى ما نقول وكيل (٢٨) . فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النـــار لعلكم تصطلون (٢٩))) .

---

(١) الكهف ٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ٢٠٥/٩ من فتح الباري ، وأما تعيين الآيات بعشرين آية فأخرجها أبو داود في كتاب النكاح من سننه ٢٣٧/٢ .

(٣) انظر سبل السلام ٢٤٤/٣ ـ ٢٤٨ .
وضمن الفائدة التاسعة ـ من فوائد الحديث التي ذكرها المؤلف هنـــاك ـ قال : وأنه يصح أن يكون الصداق منفعة كالتعليم فانه منفعة ، ويقاس عليه غيره ، ويدل عليه قصة موسى مع شعيب ، وقد ذهب الى جواز كونه منفعـــة الهادوية، وخالفة الحنفية وتكلّفوا لتأويل الحديث وادعوا أن التزوج بغيـــر مهر من خواصه صلى الله عليه وسلم وهو خلاف الأصل .

تقدم في طه[١] بقبس وفي النمل[٢] بشهاب قبس ، وتقدم الكلام عليه وأنه يدور على معنى واحد[٢] .

((فلما أتاها)) في طه ((فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني[٣][٤] أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ...)) الآية[٥] .

وفي النمل[٦] : ((فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ..)) الى قوله : ((إنه[٧] أنا الله / العزيز الحكيم)) . ٨٢/ب

والكل عائد الى معنى الاخبار بالواحدانية .

((نودي من شاطئ الواد[٨] الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى)).. التعريف في الوادي للعهد مراد به الواد المقدس طوى الذي تقدم في طه[٩] وفيها ((وواعدناكم جانب الطور الأيمن))[١٠] ، وطوى هنالك ما ذكر هنا من بركة البقعة وأن النداء من الشجرة بل قال تعالى هنالك ((نودي يا موسى))

---

(١) طه ١٠ .
(٢) النمل ٧ وانظر ص ١٩١-١٩٢
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وهو من تمام الآيات .
(٤) في كلا النسختين (اني) بنون مشددة فقط والصواب (انني) بثلاث نونات .
(٥) طه ١١ ـ ١٤ .
(٦) النمل ٨ ـ ٩ .
(٧) في كلا النسختين (اني انا الله) بضمير المتكلم والصواب (انه) بضمير الغائب .
(٨) في (ص) (الوادي) باثبات الياء وليست بقراءة .
(٩) طه ١٢ .
(١٠) طه ٨٠ .

وحذف ما هنا على قاعدة القرآن في نشر شيء من القصة في محل وطيّه في آخر .

((اني أنا الله رب العالمين (٣٠))) هذا هو المنادى به[١] كما عرفت أنه المنادى به في غيره من المواضع .

((وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنّها جآن)) . في غيرها[٢] ((وما[٣] تلك بيمينك يا موسى ...)) الى قوله[٤] ((حية تسعى)) ، وقوله ((وألق عصاك فلما رأها تهتز كأنها جان)) في النمل[٥] ، وهنا مثل ذلك .

وفي الشعراء[٦] ((فاذا هي ثعبان مبين)) عند إرآة فرعون الآيات ، ومثله في الأعراف[٧] ، وتقدم وجه الجمع بين تسميتها حية وجانا وثعبانا[٨]

---

(١) ليس هذا هو المنادى به فحسب بل عطف الله عليه أمورا أخرى كما في هذه السورة . وفي طه والشعراء والنمل وغيرها ولكن ما ذكره المؤلف هو رأسها وأهمها وهو القاعدة لما بعده من الأمور .
انظر كلام المؤلف ص١٩٦

(٢) طه ١٧ ـ ٢٠ .

(٣) في كلا النسختين (ما تلك) باسقاط الواو والصواب باثباته (وما تلك)).

(٤) في كلا النسختين (الى قوله : قال ألقها أي قوله حية تسعى) فلا يستقيم الكلام الا بحذف ما تحته خط ولهذا حذفته من الأصل .
أو تكون أي في هذا السياق محرفة من الى فيكون السياق (الى قوله قال ألقها الى قوله حية تسعى) ولكن يبقى في الكلام ركاكة بهذا التقدير .

(٥) النمل ١٠ .

(٦) الشعراء ٣٢ .

(٧) الأعراف ١٠٧ .

(٨) قلت : لعله في سورة الأعراف أو طه مما هو مفقود . ولكن الجمع واضح فقد شبهها بالثعبان لعظم خلقتها وبالجان ـ الحية الصغيرة ـ في اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها فهي جامعة بين العظم وخفة الحركة على خلاف العادة .
دفع ايهام الاضطراب ص ١١٨ ، وانظر معالم التنزيل ٣/٢١٥ .

((ولىّ مدبرا)) موليا دبره خوفا من الحية ((ولم يعقب)) لم يرجع .

وفي طه لم تذكر توليته مدبرا بل أشير الى أنه خافها بقوله ((قال[1] خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى))[2] . كما طوى هنا اعادتها سيرتها الأولى وهنا أُمر بالاقبال بعد ادباره وبأنه لا يخف وبأنه من الآمنين ((اني لا يخاف لدي المرسلون))[3] .

((يا موسى أقبل ولا تخف إنّك من الآمنين (٣١) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء)) .

في النمل[4] ((وأدخل يدك في جيبك ..)) الآية .

وفي طه[5] ((واضمم يدك الى جناحك / تخرج بيضاء من غيرسوء آية أخرى)) ٨٣/أ

قال في الكشاف ((واضمم اليك جناحك من الرهب)) أي من أجل الرهب ، وهو الخوف أي افعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك .[6]

ولم يأت هذا التعليل الا هنا

((فذانك برهانان من ربك)) قد سمى الله تعالى ما جاء به موسى من الآيات[7] آية[8] وآية كبرى[9] ،

---

(١) في كلا النسختين (قلنا لا تخف) وصواب الآية ما اثبته .
(٢) طه ٢١ .
(٣) النمل ١٠ .
(٤) النمل ١٢ .
(٥) طه ٢٢ .
(٦) انظر الكشاف ١٦٥/٣ ـ ١٦٦ .
(٧) لعل تمام السياق هكذا : (قد سمى الله تعالى ما جاء به موسى من الآيات برهانا وآية) بزيادة كلمة برهان اذ من أجلها ذكر هذه الأسماء .
(٨) كما في سورة طه ٢٢ ، ٤٧ .
(٩) كما في طه ٢٣ والنازعات ٢٠ .

وسماه الحق ((فلما جاءهم الحق [من عندنا][1] قالوا إنّ هذا[1] لسحر مبين))[2] وسماه سلطانا[3] .. وغير ذلك .[4]

ولم يأت تسمية ذلك معجزة كما اصطلح عليه أهل علم الكلام وهو وان كان صحيحا لكن تسمية الله أولى .

((الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين (٣٢) قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدّقني اني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (٣٥) فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى)) .

لا يزالون يتلونون في وصف ما جاء به الحق تارة يقولون هذا سحر ، وأخرى قال تعالى عنهم : ((فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون))[5] .

وتارة قال له فرعون :(اني لأظنك يا موسى مسحورا ..))[6] بعد قوله : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات))[6] . هكذا المبطل يتلوّن عند رد الحق ولا تجده يمشي في طريق واحدة ، لأنه لا يعتمد على شيء بل تفرّق به السبل،سبل الضلالة

---

(١) في كلا النسختين (فلما جاءهم الحق قالوا هذا سحر مبين) ولم أجد آية بهذا النص . وانما أقرب آية اليه هي آية يونس ولهذا أثبتها في الأصل .

(٢) يونس ٧٦ .

(٣) كما في آية النساء ١٥٣ وآية الذاريات ٣٨ وغيرهما كثير .

(٤) لا أعلم لها من الأسماء الا ما ذكره المؤلف الا اذا اعتبرنا بعض الصفات اسماء كما في قوله تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام ـ(قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وانّي لأظنك يا فرعون مثبورا) الاسراء ١٠٢ .

(٥) الزخرف ٤٧ . .

(٦) الاسراء ١٠١ .

والجهالة .

((وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (٣٦) وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى / من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون (٣٧) وقال ٨٣/ب فرعون يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيري ...)) .

هذا من أوضح كذبه وافترائه كما دل لكذبه[١] قول موسى عليه السلام : ((لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض))[٢] فهو يعلم بأن الله تعالى إله العالمين . كما قال ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا))[٣] وهذا كقوله ((أنا ربكم الأعلى))[٤] .

((فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (٣٨))) .

هذا من تلبيسه على قومه الضلال وشغلهم بما يلهيهم عن اتباع موسى والنظر في براهينه ، بل تُصرف[٥] أفكارهم وأحاديثهم وأخبارهم الى بناء الصرح والخوض فيه ، وهكذا أهل الجهالة من ملوك الدنيا اذا جاءهم أمر أو فعلوا أمرا فظيعا تسير به الركبان بادروا الى شغله[٦] خواطر رعاياهم واجنادهم بما يلهيهم عن ذلك الأمر الفظيع ويشغلهم عن كل ضيغ[٧] ، وأعظم ذلك شغلتهم[٨]

---

(١) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (على كذبه) .
(٢) الاسراء ١٠٢ .
(٣) النمل ١٤ .
(٤) النازعات ٢٤ .
(٥) هكذا في النسختين ولعل الصواب (يصرف) بالبناء للفاعل .
(٦) هكذا في النسختين والصواب (شغل) .
(٧) أي ضيعة وحذف التاء ليتم السجع ، والضيعة : الحرفة . لسان العرب ٨/٢٣٠ ضيع .
(٨) هكذا في النسختين ولعل الصواب (شغلهم) باسقاط التاء .

بالعمائر لكثرة أحاديث العامة عنها ، وفي سورة غافر[1] ((وقال[2] [فرعون][2] يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات)) ، والصرح لفظ مشترك فانه أريد به هنا المنارة أو القصر الرفيع ، وأريد به في قوله تعالى في قصة بلقيس ((صرح ممرد)) صحن الدار[3] ، وكل هذا تلبيس منه على قومه وتدليس .

وقال الزمخشري رحمه الله : وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن / وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة .[4] أهـ . ٨٤/أ

والظاهر أنه لم يكن الا شيطانا رجيما[5] عارفا بالحقائق لكنه غلبه الضلال والشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب ، فمن تتبع كلماته في جدال موسى عليه السلام علم أنه شيطان مريد ليس على مكايدته مزيد .

((واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (٤٠) وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون (٤١) وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (٤٢))) .

---

(١) غافر ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) في كلا النسختين (قال يا هامان ...) باسقاط الواو والفاعل ـ فرعون ـ والصواب ما أثبته .
(٣) انظر لسان العرب ٥١١/٢ مادة (صرح) .
(٤) الكشاف ١٦٩/٣ .
(٥) في (م) (رجما) باسقاط الياء

قوله ((واستكبر هو وجنوده)) .. هذا بيان الحامل لهم على تكذيبهم وضلالهم وعمى بصائرهم عن معرفة حقيقة آيات الله التي أرسل الله بها موسى وأنه غلب عليهم[١] الشح برياستهم ، كما قال فرعون : ((أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض))[٢] . ولذا صرفهم[٣] الله عن آياته لاستكبارهم كما قال ((سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ...)) الآية[٤] .

فالاستكبار هو الذي أوردهم النار وبئس القرار ، ولذا قال تعالى في النار : ((فبئس مثوى المتكبرين))[٥] . فلا تجد أحدا يترك الحق الا كبرا واعراضا .

وقوله ((واتبعناهم)) أي فرعون وجنوده ((في هذه الدنيا لعنة)) تقدم في هود[٦] ((وأُتبعوا في هذه .. لعنة))[٧] ، وهنا بين فاعل الاتباع أنه الله عز وجل ، والمراد أنهم يُلعنون في الدنيا والآخرة ، ولذا قال تعالى ((ويوم القيامة بئس الرفد المرفود))[٨] فاللعنة / في الدنيا رفد للعذاب وهو الاغراق ومدد له ، وقد رفدت باللعنة في الآخرة .[٩] ٨٤/ب

---

(١) في كلا النسختين (وأنه غلب عليهم والشح) بزيادة واو ، والصواب حذفها ويؤيده أن هناك اشارة صغيرة فوق حرف الواو من نسخة (م) فلعلها تشير الى زيادته .

(٢) يونس ٧٨ ، ونص الآية ((قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين)) .

(٣) في كلا النسختين (ولذا صرف الله عنهم آياته) ، والصواب ما أثبته ، وانظر كلام المؤلف ص ٥٣٥

(٤) الأعراف ١٤٦ .

(٥) الزمر ٧٢ وغافر ٧٦ .

(٦) هود ٩٩ وأما شرحه للآية فهو في الجزء المفقود .

(٧) في كلا النسختين ((واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) بزيادة كلمة (الدنيا) وهي ليست من الآية

(٨) هود ٩٩. (٩) الكشاف ٢٣٣/٢ .

أخرج ابن جرير عن مجاهد ((واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ، أزيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان ، ((بئس الرفد المرفود)) اللعنة في أثر اللعنة .[1]

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ((بئس الرفد المرفود)) قال : لعنة الدنيا والآخرة .[2]

وأخرج ابن جرير عن السدي قال : لم يبعث نبي بعد فرعون الا لُعن على لسانه ويوم القيامة يزيد لعنة أخرى .[3]

قلت : انظر عاقبة الكفر اللعن في الدارين . وانظر عاقبة الايمان فانه التسليم على أهله . قال الله تعالى في نوح عليه السلام ((وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين))[4] .

أخرج عبد بن حميد عن عكرمة ((وتركنا عليه في الآخرين)) قال : هو السلام كما قال ((سلام على نوح في العالمين))[5] أهـ .

وكما قال في ابراهيم ((سلام على ابراهيم))[6] ، وكما قال تعالى في موسى وهارون ((وتركنا عليهما في الآخرين ، سلام على موسى وهارون))[7] ، وكما قال

---

(١) تفسير الطبري ١١٠/١٢ ، ١١١ ، والدر المنثور ٤٧٢/٤ .
(٢) تفسير الطبري ١١١/١٢ ، والدر المنثور ٤٧٢/٤ .
(٣) هذا الأثر لم أجده في تفسير الطبري فنسبته اليه وهم من المؤلف رحمه الله تعالى والصواب وأخرج ابن أبي حاتم كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور ٤٧٢/٤ .
(٤) الصافات ٧٨ ـ ٧٩ .
(٥) الدر المنثور ٩٩/٧ .
(٦) الصافات ١٠٩ .
(٧) الصافات ١١٩ ـ ١٢٠ .

في إلياس ((وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل[1] ياسين))[2] ، ومنه ((والسلام على من اتبع الهدى))[3] .

وأعم من ذلك كله قوله ((قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى))[4] ، أمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسلم على كل من اصطفاه ، وكما أخبر أن الملائكة يدخلون على أهل الجنة قائلين ((سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[5] ، ((سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين))[6] ، فالثناء الطيب والدعاء بالسلامة / في الدارين لأهل الايمان واللعنة والتقبيح لأهل العصيان فاختر لنفسك أيها الانسان حال أهل الجنان أو أهل النيران . ٨٥/أ

((ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ..)) الذين منهم فرعون وقومه ، فان الله ما أعطاه التوراة الا بعد اغراق فرعون ، لأنه واعده أربعين ليلة بعد ذلك وآتاه الألواح وعاد الى قومه بها ووجدهم على عبادة العجل ولذا قال تعالى ((ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي[7] أحسن))[8] ، أي من ابلاغه ما أمر به من دعائه فرعون وقومه .[9]

---

(١) أ ـ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (ءالِ ياسين) بفتح الهمزة وكسر اللام وألف بينهما وفصلها عما بعدها فأضافوا آل إلى ياسين ، والمراد ولد ياسين وأصحابه .
ب ـ وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام بعدها ووصلها بما بعدها كلمة واحدة (إلْ ياسين) جمع الياس المتقدم باعتبار أصحابه ، أو على جعله اسما للنبي المذكور صلى الله عليه وسلم . اتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٠.

(٢) الصافات ١٣٠ .
(٣) طه ٤٧ .
(٤) النمل ٥٩ .
(٥) الرعد ٢٤ .
(٦) الزمر ٧٣ .
(٧) في (ص) (الذين أحسن) وهو خطأ ظاهر
(٨) الأنعام ١٥٤
(٩) انظر تفسير البغوي ١٤٣/٢ .

((بصائر للناس)) .. سبق قول موسى عليه السلام لفرعون ((ما أنـــــزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر))[١] ، وأراد بالآيات هنالك التسع التى أتـــى بها فرعون[٢] دلائل وبراهين على النبوة . وقال تعالى : ((فلما جاءتهم آياتنـــا مبصرة))[٣] فهي بصائر وهي مبصرة .[٤]

((وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (٤٣))) .. وصف الله التوراة بأنها هـــدى ورحمة في آيات قال ((ثم آتينا موسى الكتاب ..)) الى قوله ((.. وهدى[٥] ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون))[٦] .

ووصفها بالهدى والنور ((انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور))[٧] . ووصـــف الإنجيل بأن فيه الهدى والنور فقال ((وآتيناه الإنجيل[٨] فيه هدى ونور))[٩] ، ووصف القرآن بأنه هدى ورحمة في عدة[١٠] آيات ، وبأنـــه نـــور[١١] وخصّـــه

---

(١) الاسراء ١٠٢ .
(٢) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (أتى بها الى فرعون) بزيادة الى .
(٣) النمل ١٣ .
(٤) فوصفها بالبصائر باعتبار ذاتها اذ هي براهين ساطعة وأدلة قاطعـــة ، ووصفها بالمبصرة باعتبار المتأمل فيها فهي تبصّره الحق من الباطل . انظر الكشاف ٣٧٧/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٥٢/٢ .
(٥) في كلا النسختين (الى قوله ((هدى ورحمة لقوم يؤمنون))) وهذا ليـــس بختام آية الأنعام ، بل هو ختام آية الأعراف ٥٢ ، ٢٠٣ ، ويوسف ١١١ ، والنحل ٦٤ ، وأما ختام آية الأنعام فهو ما أثبته .
(٦) الأنعام ١٥٤ .
(٧) المائدة ٤٤ .
(٨) في (ص) (الانجينل) بزيادة النون الثانية وهو خطأ ظاهر .
(٩) المائدة ٤٦ .
(١٠) الأنعام ١٥٧ ، والأعراف ٥٢ ، ٢٠٣ ، ويوسف ١١١ ، والنحـــل ٦٤ ، وغيرها .
(١١) الأعراف ١٥٧ ، والتغابن ٨ ، والنساء ١٧٤ .

بوصفه بالبركة[١] ، فلم يصف كتابا من الكتب السماوية بها غير القرآن ، وبركته ظاهرة قد سبق لنا ذكر شيء من ذلك[٢] وتكرر اخبار الله تعالى / لرسوله صلى ٨٥/ب الله عليه وعلى آله وسلم أنه آتى موسى الكتاب ((ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه))[٣] ، ((ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب))[٤] . تكررت في موضعين[٤] بلفظها .

وقال تعالى : ((وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء))[٥] ، وقال : ((تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء))[٦] .

والحاصل أن كل كتب الله هدى ونور ورحمة ، وأنزل الله القرآن آخرها مهيمنا[٧] عليها فيه ما فيها[٨] وزيادة .

---

(١) الأنعام ٩٢ ، ١٥٥ ، والأنبياء ٥٠ ، وص٢٩
ومما خص به القرآن ـ أيضا هيمنته على سائر الكتب كما قال تعالى : ((وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ...)) الآية ٤٨ من المائدة وهذا ما سيذكره المؤلف بعد قليل .
وخصه أيضا بالحفظ كما قال تعالى ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) الحجر ٩ .
وهناك خصائص أخرى امتاز بها القرآن عن غيره من الكتب لا يتسع لمجال لذكرها .

(٢) انظر ص١٩٦ ، ٣٠٥-٣٠٨

(٣) السجدة ٢٣ .

(٤) هود ١١٠ وفصلت ٤٥ .

(٥) الأعراف ١٤٥ .

(٦) الأنعام ١٥٤ .

(٧) انظر آية المائدة ٤٨ .

(٨) يحمل كلام المؤلف رحمه الله على مافي تلك الكتب من الخير ، فانه موجود في القرآن بل فيه زيادة على ما فيها من الخير ، وأما التكليف فلم يأت فيه الا التيسير والسماحة كما قال تعالى ((هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ...)) الآية ٧٨ من الحج . وقال تعالى :
===

((وما كنت بجانب الغربي)) .. وصف عز وجل جانب الطور بالأيمن في آيتين في مريم ((وناديناه من جانب الطور الأيمن))[١] . وفي طه ((و واعدناكم جانب الطور الأيمن))[٢][٣] وكلاهما صفة للجانب .

وقرىء الأيمن[٤] بالجر[٥] على الجوار كما في الكشاف[٥] من باب جحر ضب خرب ، وبالفتح[٦] فقيل الأيمن الذي على يمين موسى حين أقبل من مدين .

وفي الكشاف[٧] من اليمين ، أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن صفة للطور أو للجانب .

وفي الكشاف[٨] الغربي : المكان الواقع في شق الغرب ، وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله له فيه الألواح .أهـ[٩]

فيكون غربيا ويكون أيمن الطور أو أيمن موسى عليه السلام .

== ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ...)) الآية ١٨٥ من البقرة . وقال تعالى ((الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ...)) الآية ١٥٧ من الأعراف .

(١) مريم ٥٢ .

(٢) في كلا النسختين (واعدناكم) باسقاط واو العطف .

(٣) طه ٨٠ .

(٤) في كلا النسختين (وقرىء الآخر) بوضع الآخر بدل الأيمن .

(٥) لم أجد أحدا ذكر هذه القراءة سوى الزمخشري في الكشاف ٤٤٢/٢ .

(٦) أي وقرىء بالفتح . وهي القراءة المجمع عليها .

(٧) الكشاف ٤١٤/٢ .

(٨) الكشاف ١٧١/٣ .

(٩) في الكشاف (وكتب الله له في الألواح) وهو الصواب .

((إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (٤٤))) هو نظير قوله ((وقضينا اليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين))[١] ، ومنه : ((وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتُفسدن في الأرض مرتين ../)) الآية[٢] ، ٨٦/أ أي أوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا مبتوتا كما في الكشاف وغيره[٣] ، فالمراد وإذ قضينا الى موسى ، وإذ أوحينا والمراد بالأمر هو الموحى به .

وقوله ((وما كنت من الشاهدين (٤٤))) من الحاضرين المشاهدين وحينما إليه ، اذ قد يكون بالجانب الغربي قريبا فلا يشاهد فنفى عنه الأمرين : القرب ، والمشاهدة .

وهذه الآية مثل قوله في قصة كفالة مريم واستهامهم أيهم يكفلها ((وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم))[٤] ، ومثل قوله في آخر قصة يوسف عليه السلام ((وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون))[٥] .

واعلم أن هذه الأخبار ليست لإفادة الحكم ، اذ هو معلوم عقلا ولا لإفادة لازمه أيضا ، اذ هو معلوم شرعا أنّ الله عليم بكل شيء ، وانما هي مسوقة للتهكم بالسامعين والتطليح[٦] عليهم ، وبيان ضلال عقولهم وعزوب أفهامهم عن أحوال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنه أتى اليهم يقص عليهم أخبارا لم يعلمها بالمشاهدة ولا تعلّمها من أحد فانهم[٧] ما خرج من بين أظهرهم

---

(١) الحجر ٦٦ .
(٢) الاسراء ٤ .
(٣) الكشاف ٣٥١/٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٥/٣ .
(٤) آل عمران ٤٤ .
(٥) يوسف ١٠٢ .
(٦) هكذا في النسختين وفي الصحاح ٤٠١/١ اللطح هو الضرب اللين على الظهر ببطن الكف . فلعل المؤلف استعار هذه اللفظة لتقريع الله لهم وتوبيخه إيّاهم .
(٧) هكذا في النسختين وصوابه (فانه) بالافراد .

أربعين عاما ولا كان ممن ينظر في كتب الأولين . قال تعالى ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك))[١] ، ولا جالس أحدا ممن يعلم هذه القصص ، يعلم أهل مكة هذا علما يقينا لا ريب فيه ويقرون [به][٢] ولا يدعونه[٣]

وأما قولهم ((أساطير الأولين اكتتبها))[٤] ، وقولهم ((يعلّمه بشر))[٥] فهذه من أكاذيبهم وافترائهم ، مثل قولهم (إنه ساحر ، شاعر) ثم مع هذا جاءهم [بأخبار][٦] / محققة منقحة حتى كأنه حاضر استهام[٧] الأحبار وغلبة ٨٦/ب زكريا ، وكأنه مشاهد لإخوة يوسف حين تراودوا في قتله ، أو طرحه أرضا وجميع ما تفرّع عن ذلك . فكيف يروج لعاقل أن يكذبه أو يجهل أن هذا - الإتيان بهذه الأخبار - لا يأتي به الا عن وحي من الله تعالى خصّه به . وفي هذه الآيات دليل بأن من وجوه اعجاز القرآن إخباره بالغيبيات .

((ولكنا أنشأنا قرونا)) في الكشاف[٨] ان اتصال هذا الكلام بما قبله وكونه استدراكا أن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة

---

(١) العنكبوت ٤٨ .
(٢) كلمة (به) ساقطة من (م) .
(٣) هكذا في كلا النسختين ومعناها - والله أعلم - ولا يدعون أنه نظر في كتب الأولين ولا جالس أحدا يعلم هذه القصص ، أو يكون معناها (ولا يدفعونه) فسقط منها الفاء .
(٤) الفرقان ٥ .
(٥) النحل ١٠٣ .
(٦) ما بين المعقوفتين زيادة على النسختين كي يستقيم الكلام .
(٧) في النسختين (استها) باسقاط الميم .
(٨) الكشاف ١٧١/٣ .

فتطاول على آخرهم-وهو القرن الذي أنت فيه - العمر أي أمد انقطاع الوحـــي ، واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وكسيناك العلم بقصص الأنبيـاء ، وقصة موسى عليه السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنـــا أوحيناه[1] ، فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ، ودل[2] على المسبـــب على عادة الله في اختصاراته . أهـ .

وهو كلام حسن تابعه عليه أبو السعود وغيره[3] ، ودلّ له قوله تعالـــى : ((يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولـــوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير))[4] .

((فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين)) .. هو أيضـــا تبكيت للمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قد أخبرتهـــم / ٨٧/أ بأحوال موسى عليه السلام وما جرى من قدومه مدين وسقيه لابنتي شعيب عليـــه السلام وايوائه الى الظل . وقوله ((اني لما أنزلت إليّ من خير فقير)) وارســـال شعيب اليه الى آخر ما قصه الله تعالى . وهم يعلمون - أي المنكرون لنبوتك - أنـــك ما عرفت مدين فضلا عن الثواء والإقامة بها ، وأين زمانك من زمانهم ، فمـا بـال المنكرين يصرون على الجحد ويصممون عليه[5]

((تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين (٤٥))) أي تقرأ عليهم بطريـــق التعلم منهم[6] ، فانه يقال تلى عليه اذا تعلم منه ، وتلى عليه اذا أملى عليـــه

---

(١) في الكشاف (ولكنا أوحينا اليك) .
(٢) في الكشاف (ودل به على المسبب) .
(٣) انظر تفسير أبي السعود ١٦/٧ ، وتفسير الرازي ٢٥٧/٢٤ ، والبحر المحيط ١٢٢/٧ .
(٤) المائدة ١٩ .
(٥) صمم على الأمر أي مضى فيه . انظر لسان العرب ٣٤٨/١٢ و ٣٤٧ (صمم) .
(٦) تفسير أبي السعود ١٦/٧ .

ومنه حديث أبي بن كعب وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إن الله أمرني أن أقرأ عليك [١]) أي أملي عليك وأتلوا .[٢]

((وما كنت بجانب الطور اذ ناديا)) .. هو الجانب الأيمن كما قال : ((وناديناه من جانب الطور الأيمن))[٣] ، وهو أيضا زيادة في التبكيت والتهجين والتضليل للمنكرين .

((ولكن رحمة من ربك)) .. أي ولكن أرسلناك رحمة[٤] ، فحذف المعلل لظهوره ولقوله ((لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون(٤٦))) وهم قريش ، كما قال ((وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير))[٥] .

وقوله ((أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك))[٧] [و][٨] قوله : ((لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون))[٩] ، قيل لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام ، وهي خمسمائة

---

(١) اخرجه البخاري ٧٢٥/٨ ، ٧٢٦ كتاب التفسير .
(٢) والذي يفهم من كلام ابن حجر رحمه الله تعالى أن التلاوة في حديث أُبيّ هي بمعنى الاستماع ، فيكون الحديث شاهدا للوجه الأول لا الثاني ، ولعله هو مراد المؤلف أيضا اذ الوجه الثاني مشهور ومعروف لا يحتاج الى دليل انظر فتح الباري ١٢٧/٧ .
(٣) مريم ٥٢ .
(٤) انظر تفسير أبي السعود ١٦/٧ .
(٥) سباء ٤٤ .
(٦) السجدة ٣ .
(٧) واو العطف ساقطة من كلا النسختين .
(٨) يس ٦ .

وخمسون سنة[١] ، أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل / قاله أبو السعود[٢] . ٨٧/ب

قلت : الظاهر أن بعثة موسى وعيسى خاصة ببني إسرائيل بدليل قوله تعالى : ((أن[٣] تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ..))[٤] الآية[٥] فان قلت : قوله تعالى : ((وإن من أمة الا خلا فيها نذير))[٦] ، وقوله : ((ولكل أمة رسول))[٧] كيف الجمع بينه وبين قوله ((وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير))[٨]

---

(١) اختلف أهل التأويل في قدر مدة الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم . ١ ـ فأخرج البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال (فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ستمائة سنة) صحيح البخاري مع الفتح ٢٧٧/٧ ، ومثله ما أخرجه ابن جرير عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة أنه قال : كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ذكر لنا أنها كانت ستمائة سنة أوماشاء من ذلك الله أعلم . تفسير ابن جرير ١٦٧/٦ .

٢ ـ وأخرج عبدالرزاق في تفسيره ص ١٥٠ وابن جرير في تفسيره ـ أيضا ـ ١٦٧/٦ عن قتادة من طريق معمر أن قال (كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة وستون سنة) .

٣ ـ وأخرج عبدالرزاق وابن جرير عن معمر أنه قال (وقال الكلبي خمسمائة سنة وأربعون سنة .

٤ ـ واخرج ابن جرير عن الضحاك أنه قال (كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم أربعمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى والمشهور هو القول الأول وهو أنها ستمائة سنة تفسير ابن كثير ٣٥/٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ١٦/٧ .

(٣) في كلا النسختين (أو تقولوا) والصواب ما أثبته .

(٤) الأنعام ١٥٦ .

(٥) ويشهد لما استظهره المؤلف قوله صلى الله عليه وسلم (... وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) أخرجه البخاري ٤٣٦/١ كتاب التيمم .

(٦) فاطر ٢٤ .

(٧) يونس ٤٧ .

(٨) سبأ ٤٤ .

قلـــت : المراد من نذير بكتاب فانه لم ينزل عليهم كتاب الا القـــرآن كما قال تعالى ((وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك مـــن نذير))[1] أي بكتاب يدرسونه .

ولذا قال تعالى ((وانه لذكر لك ولقومك))[2] خصّهم لأنه لم يأتهم قبلـه كتاب والا فهو ذكر لكل من بعث اليهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلـم ، ولا يقال انهم على ملة إبراهيم عليه السلام ، وقد أنزلت عليه الصحف[3] كمـا قال تعالى : ((صحف إبراهيم وموسى))[4] ، لأن صحف إبراهيم كانت مواعظ وليس فيها أحكام ولا تُنوقلت كتناقل التوراة والإنجيل ولا بقيت للدراسة كالكتابيـن ، ولذا قال ((من كتب يدرسونها)) .

((ولولا أن تصيبهم مصيبة)) عقوبة ((بما قدمت أيديهم)) فيه أنـه لا يصاب العباد إلا بذنوبهم ، كما قال تعالى ((وما أصابكم من مصيبة فبمـا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير))[5] ، ((قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم))[6] وقال : ((أو يوبقهن بما كسبوا))[7] والقرآن مملوء بذكر هذا المعنى .

---

(١) ســـبأ ٤٤

(٢) الزخرف ٤٤ .

(٣) وقد وافق المؤلفَ - في رد هذا القول - الشنقيطيُ رحمه الله حيث قال : وما أجاب به بعضهم - من أن عندهم بقية من انذار الرسل الماضين تلزمهم بها الحجة - فهو جواب باطل لأن نصوص القرآن مصرحة بأنهم لم يأتهـم نذير . ثم استشهد بالآيات التي ساقها المؤلف هنا .
انظر دفع ايهام الاضطراب ص ٥٨ .

(٤) الأعلى ١٩ .

(٥) الشورى ٣٠ .

(٦) آل عمران ١٦٥. ونص الآية ((أَولَمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثيلها قلتـم أنّى هذا ...)) .

(٧) الشورى ٣٤ .

((فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (٤٧))) .. هو نحو قوله : ((ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله)) / أي من ٨٨/أ قبل إتيان محمد ((لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى))[٢] ، وهذا يقولونه في الآخرة .

ومثل[٣] قوله ((وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم)) أي اليهود والنصارى[٤] ، ((فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا))[٥] ، ونظير قولهم ((لولا أنزل عليه آية من ربه ...)) الى قوله : ((... أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم))[٦] .

وقد أقام تعالى عليهم الحجة وقطع معاذيرهم الباطلة بقوله ((وهذا كتاب)) أي القرآن[٧] ((أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا)) ـ أي أنزلناه[٧] لئلا تقولوا ـ ((إنّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين، أوتقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم))[٨] أي من الطائفتين اللذين[٩] هم اليهود والنصوى ، كقولهم ((من إحدى الأمم))[١٠] ،

---

(١) .. سبق ذكره .
(٢) طه ١٣٤ .
(٣) هذا الكلام معطوف على قوله ـ سابقا ـ هو نحو قوله .
(٤) معالم التنزيل ٤٢/٣ .
(٥) فاطر ٤٢ .
(٦) العنكبوت ٥٠ ـ ٥١ .
(٧) معالم التنزيل ١٤٣/٢ .
(٨) الأنعام ١٥٥ ـ ١٥٧ .
(٩) هكذا في النسختين وصوابه (اللتين) .
(١٠) فاطر ٤٢ .

الا أنهم هنا ادعوا أنهم يكونوا* أهدى من الطائفتين جميعا ، وفي تلك مـــــن احد هما (١)

((فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا)) أي جاء أهل مكة الرسول صلى اللـــه عليه وعلى آله وسلم بالقرآن ازاحة لأعذارهم واجابة لما طلبوه لم يؤمنوا كما وعدوا به حيث قالوا ((ونكون من المؤمنين)) ، وهذا تحقيق لصدق ((وما يُشعركـــم إنّها اذا جاءت لا يؤمنون)) (٢) ، بل قالوا تعنتا وضلالاً .

((لولا أُوتي)) أي محمد ((مثل ما أوتي موسى)) من الآيات . قال تعالى ((أولم يكفروا)) / أهل مكة ((بما (٣) أوتي موسى)) بآيات موسى التي أوتيهـا قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم* ((وقالوا ساحران)) (٤) أي موســـى ومحمد عليهما السلام ساحران ((تظاهرا وقالوا إنّا بكل كافرون (٤٨))) تعاونا (٥) بتصديق كل واحد منهما الآخر . (٦)

٨٨/ب

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه كان يقـــرأ ((ساحران تظاهرا)) قال موسى وهارون . (٧)

---

* هكذا في النسختين وصوابه (يكونون)

(١) هكذا في النسختين وصوابه (إحداهما) بالتأنيث .

(٢) الأنعام ١٠٩ .

(٣) حرف الجر ساقط من (م) . * لأنّ كفر قريش بمحمد كفر بموسى لأنه أخبر بمجيئه وذكر صفاته

(٤) أ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (سِحْران) بكسر السين وسكون الحاء بلا ألف .
ب ـ وقرأ الباقون (سَاحِران) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء .
الاتحاف ص ٣٤٣ .

(٥) قوله : تعاونا .. هو تفسير لقوله تعالى ((تظاهرا)) .

(٦) تفسير أبي السعود ١٧/٧ .

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ص ٢٦٩ ، وتفسير الطبري ٨٤/٢٠ ، والدر المنثـــور ٤٢٠/٦ .

ومن قرأها سحران تظاهرا فسرهما بالإنجيل والقرآن [١] وأنه من كلام اليهود لأنهم يكذبون بعيسى ومحمد عليهما السلام . [٢]

((قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما)) أي من التوراة والإنجيل [٣] ، وهذا أمر تعجيز من باب قوله ((كونوا حجارة أو حديدا)) [٤] ، إذ لا يأتون بذلك كما لا يقدرون أن يجعلوا أنفسهم حجارة أو حديدا ، وهو قريب من قوله ((أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون)) [٥] وقوله ((أم لكم كتاب فيه تدرسون إنّ لكم فيه لما تخيرون)) [٦] .

((أتبعه ان كنتم صادقين (٤٩))) .. جواب فأتوا ، أي ان تأتوا به أتبعه وهو من تعليق المحال بالمحال ، اذ لا يأتون به ولا يتبعه ، وهو نظير قوله

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨٥/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٧١ ، والدر المنثور ٤٢١/٦ .

(٢) جملة الأقوال في تفسير قوله تعالى ((سحران تظاهرا)) ستة ذكرها القرطبي في تفسيره ٢٩٤/١٣ : فعلى قراءة (سحران) يحتمل أنهم أرادو به
١ ـ الإنجيل والقرآن . ٢ ـ أو التوراة والقرآن .
٣ ـ أو التوراة والانجيل .
وعلى قراءة (ساحران تظاهرا) يحتمل أنهم ارادوا به :
٤ ـ موسى ومحمد ٥ ـ أو موسى وهارون ٦ ـ أو عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام جميعا .
ومع أن بعض هذه الأقوال مقدم على غيره الا أنها صحيحة جميعا وقد وردت بها الآثار جميعا كما في تفسير ابن أبيحاتم ٢٦٨ ـ ٢٧٣ ، والدر المنثور ٤٢٠/٦ ـ ٤٢١ ، وتفسير الطبري ٨٣/٢٠ ـ ٨٥ .

(٣) تنصيص المؤلف على التوراة والانجيل دون ما سواهما من الكتب يشير الى ترجيحه لذلك القول وقد سبقه الى هذا الترجيح أيضا ابن جرير ٨٥/٢٠ .

(٤) الاسراء ٥٠ .

(٥) الزخرف ٢١ .

(٦) القلم ٣٧ ـ ٣٨ .

تعالى : ((وان[1] كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله))[2] .

((فان لم يستجيبوا لك)) أي لم يأتوا بكتاب أهدى من القرآن[3] والتوراة وهو نظير قوله ((فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ...))[4] الآية ((فاعلم)) يامحمد ((أنما يتبعون)) في قولهم ((ساحران تظاهرا)) وغيره من أقوالهم الباطلة .

((أهواءهم)) أي لا مستند لهم الا الهوى ، وهو نظير ((أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه))[5] [6] ((واتبع هواه وكان أمره فرطا))[7][8] .

((ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))[9] استفهام انكار أي

---

(١) في (ص) (فان كنتم) والصواب ما أثبته .
(٢) البقرة ٢٣ .
(٣) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله تعالى فسر الكتابين هنا بالتوراة والقرآن ، وهذا غير ما ذكره في الصفحة السابقة حيث فسرهما بالتوراة والانجيل ، وكلاهما صواب ، فقد سبقه الى القول الأول ابن جرير كما بينا ذلك سابقا وسبقه الى القول الثاني ـ الذي ذكره هنا ـ البغوي ٤٤٩/٣ ، والزمخشري ١٧٣/٣ .
(٤) البقرة ٢٤ .
(٥) الجاثية ٢٣ .
(٦) يحسن في هذا الموضع تقدير (ونظير قوله) لأمن اللبس بين الآيتين .
(٧) من قوله تعالى ((واتبع هواه وكان أمره فرطا)) الى قول المؤلف : والآيات والأحاديث واسعة في التحذير من اتباع الهوى إنّما هو مستدرك في هامش الأصلين بنفس الخط الأصلي .
(٨) الكهف ٢٨ .
(٩) قول المؤلف : استفهام انكار أي لا أضل منه .
وردت هذه العبارة في المخطوط بعد قوله تعالى ((أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه)) وانما غيّرتُ مكانها ليستقيم الكلام ثم إنّ المؤلف يفسر آية القصص لا آية الجاثية .

لا أضل منه[١] ، والهوى[٢] بالقصر: ميل النفس الى ما تستلذه[٣] للشهوات من غير داعية الشرع .[٤]

وقد جعل الله الجنة مأوى من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى[٥] ، وقال تعالى [في أهل الكتاب][٦] ((أفكما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون))[٧] .

فكان عدم هواهم سببا لتكذيب الرسل وقتلهم[٨] ، وقال تعالى ((ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ..))[٩] الآية ، وقال[١٠] للرسول ((و[١١] لا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب))[١٢] ، وقال : ((وأن[١٣] احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم))[١٤] وقال ((ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ١٨/٧ .
(٢) في (م) (والهوا ما يقصر) .
(٣) هكذا في النسختين وصوابه (من الشهوات) كما في التعريفات .
(٤) التعريفات ص ٢٥٧ .
(٥) يشير الى آية النازعات ٤٠ ـ ٤١ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٧) البقرة ٨٧ .
(٨) معنى العبارة هكذا : فكان عدم هواهم لما جاءت به الرسل سببا لتكذيب الرسل وقتلهم .
(٩) المائدة ٧٧ .
(١٠) في كلا النسختين (وقال لرسول) والصواب بزيادة اللام كما أثبته .
(١١) في كلا النسختين (فلا) والصواب (ولا) بالواو .
(١٢) الشورى ١٥ .
(١٣) في كلا النسختين (واحكم) والصواب (وأن احكم بينهم) بزيادة أن كما أثبته .
(١٤) المائدة ٤٩ .

والأرض))[١] . وقال لداود : ((إنّا جعلناك خليفة ..)) الى قوله ((ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله))[٢] .

والآيات والأحاديث واسعة في التحذير من اتباع الهوى[٣] .

وتقييد اتباع / الهوى بغير هدى هو نظير قوله ((و يقتلون[٤] الأنبياء بغير حق))[٥] ، فان اتباع الهوى لا يكون الا بغير هدى من الله وهو لزيادة التقريع[٦] والاشباع في التشنيع ، والا فان مقارنته[٧] لعدم[٨] هدايته تعالى بيّنة الاستحالة . ٨٩/أ

((إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين (٥٠))) .. الثابتين على ظلمهم أنفسهم المصرين عليه المعرضين عن الآيات والنذر ، كما قال تعالى ((وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون))[٩] و[قوله][١٠] ((حكمة بالغة فما تغني النذر))[١١] .

---

(١) المؤمنون ٧١ .
(٢) ص٢٦
(٣) الى هنا انتهى ما كان مستدركا في هامش النسختين .
(٤) في (ص) (تقتلون) بالمثناة الفوقية ، والصواب (ويقتلون) بالمثناة التحتية مع اثبات الواو الساقطة من كلا النسختين .
(٥) آل عمران ١١٢ .
(٦) في النسختين (التقرير) والصواب (التقريع) كما هو في تفسير ابي السعود ١٨/٧ .
(٧) في (م) (معاوضه) وصوابها مقارنته كما في تفسير أبي السعود ١٨/٧ .
(٨) هكذا في كلا النسختين وهو كلام غير مستقيم وصوابه ، والا فان مقارنته - أي الهوى - لهداية الله تعالى بينة الاستحالة .
انظر تفسير أبي السعود ١٨/٧ .
فعلى هذا تكون كلمة (لعدم) زائدة وتنقل اللام منها وتضاف الى هدايته كي يستقيم الكلام
(٩) يونس ١٠١ .
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(١١) القمر ٥ .

((ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (٥١))) أختلف في ضمير ((لَهُمْ)) فأخرج جماعة من الأئمة باسناد جيد كما قال في الدر المنثور[١] عن رفاعة القرظي قال : نزلت ((ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)) الى قوله ((يؤتون أجرهم مرتين)) في عشرة رهط أنا أحدهم .[١] أهـ .

وهؤلاء العشرة من أهل الكتاب .

وأخرج جماعة من الأئمة عن مجاهد ((ولقد وصلنا لهم القول)) قال : فصلنا لهم لقريش القول .[٢]

وجزم الكشاف وأبو السعود[٣] بالأول وفسرا وصلنا بعد ذكرهما أنه قرىء بالتخفيف[٤] والتشديد بأنه آتاهم القرآن متتابعا متواصلاً وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ[٥] ونصائح ارادة أن يتذكروا فيفلحوا اذ[٦] نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في بعض[٦] كقوله : ((وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا

---

(١) الدر المنثور ٤٢٢/٦ ، وتفسير ابن جرير ٨٨/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٨٤ ، ومجمع الزوائد ٨٨/٧ ، وانظر زاد المسير ٢٢٨/٦ ، وتفسير القرطبي ٢٩٦/١٣ .

(٢) الدر المنثور ٤٢٢/٦ ، وتفسير ابن جرير ٨٨/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وانظر تفسير القرطبي ٢٩٥/١٣ ، وذكره ابن كثير ثم قال : وهذا هو الظاهر ٣٩٣/٣ .

(٣) الكشاف ١٧٣/٣ ، وتفسير أبي السعود ١٨/٧ .

(٤) في الاتحاف ص ٣٤٣ ، وعن الحسن (وصلنا) بتخفيف الصاد .
قلت : وقراءة الحسن البصري شاذة .

(٥) في (ص) (مواعضا) بالضاد مع التنوين وفي (م) (مواعظ) بالظا مع الاشارة الى التنوين والصواب بالظا ومنعها من الصرف لأنها على وزن (مفاعل) .

(٦) في الكشاف ١٧٣/٣ : أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض . فيكون هذا وجها آخر مستقلا عن الوجه الأول وهو ما سيشير اليه المؤلف في الصفحة القادمة .

عنه معرضين))[١] انتهى كلام الكشاف .

ويحتمل أن الآية كقوله تعالى : ((وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث))[٢] أي على مهل وتثبت فانه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وبه يتم التذكير ، ((ونزلناه تنزيلا))[٢] وهو رد لقولهم ((لولا[٣] وُسِّ نزل عليه القرآن جملة واحدة))[٤] . وقد بين الله / وجه الحكمة في إنزاله[٥] مفرقا في قوله ٨٩/ب
((كذلك لنثبت به فؤادك))[٦] ، أي فإنّ فيه تيسيرا[٧] لحفظ نظمه وفهم معانيه وضبط الكلام والوقوف على تفاصيل ما أودع فيه من الحكم وغير ذلك ، وقوله ((ورتلناه ترتيلا))[٦] أي أنزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا ، وهذا الاحتمال يناسب الوجه الثاني الذي قاله الكشاف .[٨]

---

(١) الشعراء ٥ .
(٢) الاسراء ١٠٦ .
(٣) في كلا النسختين (لولا أنزل) وليست بقراءة . والصواب بحذف الهمزة وتشديد الزاي (نُزِّل) .
(٤) الفرقان ٣٢ .
(٥) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (تنزيله) .
(٦) الفرقان ٣٢ .
(٧) في النسختين (تيسير) بالرفع .
(٨) الكشاف ١٧٣/٣ . ونص الوجه الثاني ـ الذي ذكره الزمخشري في معنى (وصلنا) هو : أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض .
قلت : وذكرُ المؤلف رحمه الله للوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري دليل على أنه أورده سابقا مع أنا وجدناه محرفا كما أشرت الى ذلك في الفقرة (٦) من الصفحة السابقة
فعلى هذا نجزم بأن التحريف أتى من الناسخ لا من المؤلف رحمهما الله تعالى .

((الذين آتيناهم الكتاب)) .. أي التوراة والإنجيل ((من قبله هم به يؤمنون (٥٢)))

هذا من العام الذي أريد به الخاص ، فإنّه أخرج عبد بن حميد وابن جرير[(١)] وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير في قوله : ((ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهبانا)) . قال : هم رسل النجاشي الذين أرسلهم بإسلامه وإسلام قومه وكانوا سبعين رجلا يختار من قومه الخيّر فالخيّر في الفقه والسن .

وفي لفظ : بعث من خير أصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثين رجلا فلما أتوا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قرأ عليهم سورة يس فبكوا حين سمعوا القرآن وعلموا أنه الحق فأنزل الله فيهم : ((الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ..)) الى قوله[(٢)] : ((.. أولئك))[(٣)] .

وأخرج البخاري في تاريخه وابن المنذر عن علي بن رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فآمنوا فأوذوا فنزلت ((الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون))[(٤)] .

---

(١) لم أجد اسم ابن جرير في الدر المنثور ١٣٠/٣ مع أنه قد أورد هذا الأثر في تفسيره ٤/٧ فيتضح أنّ اسقاطه من الدر كان من الطابع أو من أحد النساخ اذ أن المؤلف عندما يعزو إليه فانما يعتمد في ذلك على الدر المنثور .

(٢) تمام الآية : ((أولئك يُؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)) ٥٤ القصص .

(٣) انظر تفسير ابن جرير ٤/٧ ، وابن أبي حاتم ٢٨٧ ، وسيرة ابن هشام ٤٠٣/١-٤٠٤ ، وتفسير القرطبي ٢٥٥/٦ ـ ٢٥٦ ، وزاد المسير ٤٠٩/٢ ، ٢٢٩/٦ ، والدر المنثور ١٣٠/٣ .

(٤) التاريخ الكبير ٢٧٤/٦ ـ ٢٧٥ ، وتفسير ابن جرير ٨٩/٢٠ ، والدر المنثور ٤٢٢/٦ ، ومجمع الزوائد ٨٨/٧ ، ولعل الصواب (منهم أبوه رفاعة) باثبات ضمير الغائب ، أو (منهم أبي رفاعة) بالإضافة الى ياء المتكلم ، اذ لم أجد أحدا كنّاه بأبي رفاعة ، وانما اسمه رفاعة بن قرظة القرظي الانصاري كما في الإصابة ٥٠٥/١ ، وكما في الثقات ١٢٥/٣ .
وأما علي بن رفاعة فقد ذكره في الجرح والتعديل ١٨٥/٦ وأشار الى روايته قصة إسلام أبيه ولم ينقل فيه جرحا ولا تعديلا ، وذكره ابن حبان في الثقات ١٦١/٥ .

((وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (٥٣) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)) .

٩/٩٠ وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر / وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ((الذين آتيناهم الكتاب ...)) الآية . قال : كنا نتحدّث[1] أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتمون[2] إليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فآمنوا به وصدّقوه فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الأول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصبرهم على ذلك . قال : وذُكر لنا أن منهم سلمان وعبدالله ابن سلام . أه[3]

فالآية في معنيين من أهل الكتابين . واعلم أنه قد ورد في السنة بأن مؤمن أهل الكتاب يؤتى أجره مرتين[4] ، فقيل للإيمان بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والإيمان بمن قبله .[5]

---

(١) هكذا في كلا النسختين والصواب (نُحدّث) بالبناء للمفعول كما هو في الدر المنثور ٤٢٢/٦ - ٤٢٣ ، وفي تفسير ابن جرير ٨٩/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٥ .

(٢) هكذا في كلا النسختين والصواب (وينتهون) بالهاء بدلا من الميم كما هو في المصادر التي أشرت اليها سابقا .

(٣) تفسير ابن جرير ٨٩/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٥ ، والدر المنثور ٤٢٢/٦ - ٤٢٣ ، وزاد المسير ٢٢٩/٦ - ٢٣٠ .

(٤) أخرجه البخاري وغيره انظر فتح الباري ١٩٠/١ كتاب العلم .

(٥) قاله النووي في شرحه على مسلم ١٨٩/٢ .
وهذا ما يفهم من نص الحديث ولا إشكال عليه ، فإنّ إيمان ذلك الكتابي كان سابقا لمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وإيمان غيره انما حدث بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان ذلك الكتابي آمن بكلا الرسولين إيمانا تفصيليا وما عداه فان إيمانه بالنبي السابق إيمان اجمالي ولا مانع من اضافة الوجه الذي علل به المؤلف إلى هذه الوجوه .

وأُورد عليه بأن إيمان غيرهم كذلك ((لا نفرق بين أحد منهم ونحن لـــه مسلمون))[١] ، وقيل لإيمانهم بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله[٢] ، وهذا لا يعـــم أهل عصر النبوة فما بعده من الكتابين[٣] .

والأحاديث عامة وأقرب ما يعلل به وجه المضاعفة هو تحملهم صعوبة ما شـق على الأولين والآخرين ، وهو ترك المألوف ودين الآباء وأبناء الجنس وسكان بلدتـه وقطان أرضه وما تفرع على ذلك من التغيير والنفور عنه ، والتنفير وذم كل صغيـر له من أهل دينه وكبير ، وربما هجاه بعض شعرائهم وصار مسمّرا في مسمـــار كبرائهم ، ولقد دعونا الى اتباع سيد المرسلين واطراح بدع المتذهبين واظهـــار شعائر الدين النبوي واعادة ما اندرس منه كالغض الطري من سنة (١١٣٣) ، وما زالت عقارب الأذيا / تدب الينا وهجو الشعراء يفد علينا ، ولوم اللائمين[٤] ٩٠/ب وترسل المترسلين[٥] ، فالتهدد[٦] بالقتل وازهاق الروح وكل بلى لا يدخل تحت رقـم الأقلام قد علم به الملك العلام له الحمد على ما رُزِقناه من الصبر وقوة القلـــب مما تنفلق من دونه قلوب الأقوياء .

وما زال ـ بحمد الله مع الصبر ونصر الله ـ يزداد ما دعونا اليه ويتكاثـر

---

(١) البقرة ١٣٦ .
(٢) في الكشاف ١٧٣/٣ أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله .
(٣) هكذا في النسختين وصوابه (الكتابيين)ولعل صحة العبارة : وهذا لا يعم الا أهل عصر النبوة ..الخ
(٤) في (ص) (الايمين) باسقاط اللام وهو خطأ .
(٥) في لسان العرب ٢٨٣/١١ (رسل) : والترسل .. كالتمهل والتثبت . أه فكأنّهم يدبرون له المكيدة بتأن وتمهل .
(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه(فالتهديد) لأن ما ضيه على وزن فعّـــل وهو صحيح اللام .

الأتباع لما دللنا عليه فضلا من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم ، ونحن الآن بحمد الله في غرة سنة (١١٧٧) مستمرون على الدعاء الى الهداية واتباعنا - زادهم نصرة ودراية - قد صاروا أمةً يدعون الى ما اليه دعونا ويهدون الى ما اليه هدينا . نسأل الله أن يجعلنا وإياهم داخلين تحت قوله ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)) وهذا يلائم قوله ((بما صبروا)) أي بسبب صبرهم على أذية العباد .

واعلم أن هذه الآية في تضعيف الأجر تختص بالمؤمنين من أهل الكتاب .

الا أنه أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان : أنها لما نزلت ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ..)) الآية فخر مؤمنوا أهل الكتاب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته))[1] فجعل لهم أجرين مثل مؤمني أهل الكتاب وسوّى بينهم في الأجر .[2]

-

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله ((يؤتكم كفلين من رحمته)) قال : أجرين ويجعل لكم نورا تمشون به قال : القرآن .[3]

/ ٩١/أ

---

(١) الحديد ٢٨ .

(٢) ذكره السيوطي - عن مقاتل بن حيان - في الدر المنثور ٦٧/٨ ، وفي لباب النقول ص ٢٠٥ ونسبه الى ابن أبي حاتم ، ولعل ابن أبي حاتم أورد هذا اللفظ عند تفسيره لسورة الحديد .
وقريبا منه ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ٢٤٢/٢٧ ، وما أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أيضا ص ٢٩٣ ، وانظر معالم التنزيل ٣٠٢/٤ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣١٧/٣ .

(٣) الدر المنثور ٦٧/٨ ، وتفسير ابن جرير ٢٤٢/٢٧ ، ٢٤٥ .

((ويدرءون بالحسنة السيئة)) تقدم ((ادفع بالتي هي أحسن السيئة))[١] ويأتي ((ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم))[٢] .

وفُسر بالصفح عن الجاني والإحسان في مقابلة الاساءة بما لا يؤدي الى وهن في الدين ، وفُسر بكلمة التوحيد والشرك ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[٣]

((ومما رزقناهم ينفقون (٥٤))) .. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير : أنه لما أتى جعفر وأصحابه النجاشي أنزلهم وأحسن اليهم ، فلما أرادوا أن يرجعوا [قال][٤] من آمن من [أهل مملكته][٥] : ائذن لنا ... الحديث .

وفيه أنهم لما أتوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : ائذن لنا فلنأت[٦] أرضنا[٧] فإنّ لنا أموالاً فنجيء بها فننفقها على المهاجرين فأنزلت فيهم الآية ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون))[٨] .

---

(١) أي تقدم تفسيرها عند الآية ٩٦ من سورة المؤمنون وذلك ضمن التفسير المفقود .

(٢) فصلت ٣٤ . وقال المؤلف هناك ما نصه : أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن منها وهو الإحسان الى من أساء ((فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) قريب شفيق وأنت مأمور بالاحسان اليه ، فكذلك من كان عدواً أحسن اليه حتى كأنه هو ، وهذا نتيجة الأمر بالدفع بالأحسن ، الا أنها خصلة ((وما يلقاها الا الذين صبروا)) .. الخ ق ١٦٢/ب

(٣) انظر الكشاف ٥٥/٣ ، وتفسير أبي السعود ١٤٩/٦ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وأتممته من تفسير ابن أبي حاتم .

(٦) في النسختين (فلنأتي) باثبات الياء والصواب حذفها .

(٧) في (م) (أرضاً) بالتنوين واسقاط ضمير المتكلم وهو خطأ ظاهر .

(٨) تفسير ابن أبي حاتم ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، وتفسير البغوي ٤٤٩/٣ ، والدر المنثور ٤٢٧/٦ .

((واذا سمعوا اللغوا أعرضوا عنه)) في الكشاف[١] : اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل[٢] كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاؤه واطراحه . أهـ .

قلت : وقد مدح الله من أعرض عنه ووصفه بالفلاح حيث قال ((قد أفلح المؤمنون)) الى قوله ((والذين هم عن اللغو معرضون))[٣] ، وقال في صفة عباده ((واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما))[٤] ، وصان عنه جنات النعيم فقال : ((لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما))[٥] .

وهنا أريد به الإعراض عن مسافهة من سافههم فإنه أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد ((واذا سمعوا / اللغو أعرضوا عنه ..)) الآية . قال : أناس من أهل الكتاب أسلموا فكان الناس من اليهود إذا مرّوا بهم يسبّونهم ، فأنزل الله هذه الآية فيهم .[٦] ٩١/ب

((وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)) خطاب للاّغين الدّال عليهم ذكر اللغو[٧] وهو مثل قوله تعالى في أمره لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول ((لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم لا حجة بيننا وبينكم))[٨] ، ومثله قوله تعالى

---

(١) الكشاف ٤٢/٣ .
(٢) في كلا النسختين (أو قيل) والصواب (أو فعل) كما هو في الكشاف ٤٢/٣ .
(٣) المؤمنون ١ - ٣ .
(٤) الفرقان ٧٢ .
(٥) الواقعة ٢٥ .
(٦) تفسير ابن أبيحاتم ص ٣٠٢ ، والدر المنثور ٤٢٧/٦ .
وأخرجه ابن جرير ٩١/٢٠ عن مجاهد قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا فكان قومهم يؤذونهم .
(٧) انظر الكشاف ١٧٣/٣ .
(٨) الشورى ١٥ .

في أمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيضا أن يقول : ((لكم دينكم ولي دين))[١] ومثله قول نوح[٢] عليه السلام لقومه ((أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون))[٢] .

((سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين (٥٥))) .. هو كقوله تعالى في صفة عباد الرحمن ((واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما))[٣] أي قالوا قولا يسلمون فيه من الإيذاء وهو سلام متاركة وإعراض عن الجاهلين[٤] ، وهذا عكس صفات الجاهلية كما قال شاعرهم :[٥]

ألا لا يجهلنْ أحد علينا ... فنجهل فوق [جهل][٦] الجاهلينا

ومعنى [لا][٧] نبتغي : لا نريد صحبتهم والاختلاط بهم[٨] ، ومن هذا قوله تعالى : ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين))[٩] .

---

(١) الكافرون ٦ .

(٢) لعل المؤلف رحمه الله تعالى أراد أن يذكر قوله تعالى ((أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا برىء مما تجرمون)) ٣٥ هود . اذ هي الآية التي أخبرنا الله فيها عن تبرىء نوح من إجرام قومه ، وأما الآية التي استشهد بها المؤلف فهي خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي في سورة يونس ٤١ .

(٣) الفرقان ٦٣ .

(٤) انظر الكشاف ١٠٣/٣ .

(٥) وهو عمرو بن كلثوم التغلبي وذلك ضمن معلقته المشهورة . انظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٣٦ .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .

(٧) في كلا النسختين (ومعنى نبتغي الجاهلين) باسقاط لا النافية وهو خطأ ظاهر اذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٨) انظر الكشاف ١٧٣/٣ .

(٩) الأعراف ١٩٩ .

((إنّك لا تهدي من أحببت)) .. إخبار منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه ليس في قدرته ادخال الهداية المنجية الموصلة الى المراد[١] إلى[٢] قلب أحد من أمته ، وليس هو المأمور به بل هو مأمور بالبلاغ[٣] وقد فعل ، وهذا الاخبار / تسلية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنها[٤] لا تذهب ٩٢/أ نفسه على من لم يهتد حسرات كما نهاه تعالى عن [ذلك][٥] وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريصا على ادخال الهداية الى قلب كل عاص .[٦]

((ولكن الله يهدي من يشاء)) أي هو الذي يختص بهذه الهداية . ولذا قال تعالى ((إنّ علينا للهدى)) فحصره عليه لما قدّم ما حقه التأخير .

وأما الهداية المطلقة فقد هدى تعالى عباده جميعا لكن منهم من قبل ومنهم من أبى ((وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى))[٧] ، ومن الأول[٨] قوله ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها))[٩] .

---

(١) أي هداية التوفيق وخلق القدرة على الطاعة فهي خاصة بالله تعالى منفية عمن سواه ، وأما هداية الدلالة والارشاد فقد قام بها النبي صلى الله عليه وسلم أتم قيام حتى شهد الله له بذلك ، وهذه الهداية هي ما عبر عنها المؤلف فيما بعد بالهداية المطلقة .

(٢) في كلا النسختين (والى قلب) بزيادة الواو وهو خطأ اذ لا يستقيم بها المعنى .

(٣) يشهد لهذا قوله تعالى ((فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب)) الرعد ٤٠

(٤) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (لئلا تذهب) أو (بأن لا تذهب)) ، وتكون الباء حينئذ سببيه .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين ولا يستقيم الكلام بدونه ، والنهي الذي يشير اليه المؤلف هو قوله تعالى ((فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)) فاطر ٨ ونظيرها كثير من الآيات .

(٦) ويشهد له قوله تعالى ((أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) ٩٩ يونس .

(٧) فصلت ١٧ .

(٨) أي ومن هداية التوفيق وخلق القدرة على الطاعة وهي التي سبق الكلام عليها أولاً .

(٩) السجدة ١٣ .

((وهو أعلم بالمهتدين (٥٦))) أي بالقابلين للهداية فيهديهم ثم يزيدهم هدى ((والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم))[١] بخلاف المطبوع على قلوبهم ولذا عقب بهذه الآية قوله ((ومنهم من يستمع اليك ...)) الى قوله ((... أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم))[٢].

والآية نظير قوله ((الله أعلم حيث يجعل رسالاته [٣]))[٤] ، لما قالوا[٥] : ((لولا نُزّل[٦] هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم))[٧] ، وقبلها[٨] ((أليس الله بأعلم بالشاكرين))[٩] ردا على من قال ((أهؤلاء منّ اللهُ عليهم من بيننا))[٩].

---

(١) محمد صلى الله عليه وسلم ١٧ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم ١٦ .

(٣) أ ـ قرأ ابن كثير وحفص بالإفراد مع نصب التاء (رسالتَه) .
ب ـ وقرأ الباقون بالجمع مكسور التاء (رسالاتِه) .
الاتحاف ص ٢١٦ .

(٤) الأنعام ١٢٤ .

(٥) يفهم من كلام المؤلف أن ما حكاه الله من قولهم في سورة الزخرف ٣١ كان سببا لنزول آية الأنعام ـ ومع أن كلا الآيتين جاءتا للرد على الكفار المحتقرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وتخبر بأنّه أهلٌ للرسالة وأولى بها ممن يزعمون ـ الا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنّ إحداهما كانت سببا لنزول الأخرى ، اذ ذلك أمر يحتاج الى دليل نقلي ولم يرد ذلك في كتب التفسير .

(٦) في كلا النسختين (أنزل) والصواب(نُزّل) بحذف الهمزة وبالتشديد .

(٧) الزخرف ٣١ .

(٨) أي وقبل الآية الأولى التي هي آية الأنعام .

(٩) الانعام ٥٣ .

والحاصل أنه تعالى أعلم بمن يستحق التيسير لليسرى ، ومن يستحق التيسير للعسرى ، والكل من الآيات إعلام بأنه تعالى بعلمه وقدرته وحكمته أعلم بمن يستحق أن يُساق إلى الخير وبمن يستحق أن يساق الى خلافه .

/ ((وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)) ظاهره أن القائلين ١٩٢/ب
- وهم ناس من قريش [١] أو الحارث [٢] بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف - عارفون بأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو الى الهدى ، وانما اعتذروا عن اتباعه بتخطف الناس لهم ، والاختطاف : الانتزاع بسرعة [٣] من قوله تعالى : ((ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير)) [٤] . فرد الله عليهم عذرهم الباطل بقوله تعالى : ((أو لم نمكن لهم حرما)) سماه حرما لأن الله تعالى حرم التعرض [٥] له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرّم الذي حقه أن يجتنب ، أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها ، أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه . قاله الكشاف [٦] .

قلت : أو لكل ذلك الذي ذكره .-((آمناً)) ذا أمن من قوله : ((ومن دخله كان آمنا)) [٧] . وذلك بدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال :

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ٩٤/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣١٢ - ٣١٤ .
(٢) تفسير ابن جرير ٩٤/٢٠ ، وتفسير النسائي ص ١٥٩ ، وتفسير البغوي ٤٥٠/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٠٠/١٣ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٥٣ ، والدر المنثور ٤٣٠/٦ .
(٣) لسان العرب ٧٥/٩ (خطف) .
(٤) الحج ٣١ .
(٥) هذه الكلمة غير واضحة في النسختين وأثبتّها من الكشاف ٣٠٤/٢ .
(٦) الكشاف ٣٠٤/٢ .
(٧) آل عمران ٩٧ .

((اجعل هذا بلدا آمناً))[1] ، وقال : ((اجعل[2] هذا البلد آمنا))[3] .

وانما قلنا ناس من قريش لأنه أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من قريش قالوا : إن نتبعك يتخطفنا الناس .

وقولنا أو الحارث بن عثمان لأنه أخرج النسائي وابن المنذر عن ابن عباس أنّ الحارث بن نوفل الذي قال ذلك .[4]

وأخرج عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى : ((حرما آمنا)) قال : كان أهل / الحرم آمنين يذهبون[5] حيث شاؤا فاذا خرج ٩٣/٢
أحدهم قال : أنا من أهل الحرم لم يعرض له واحد[6] ، وكان غيرهم من الناس اذا خرج قُتل وسُلب .[7]

وأخرج عبد بن حميد عنه[8] في الآية قال : أولم يكونوا آمنين في حرمهم

---

(١) البقرة ١٢٦ .
(٢) في كلا النسختين (واجعل) بزيادة الواو وهي خطأ .
(٣) ابراهيم ٣٥ .
(٤) سبق تخريج هذه الآثار في الفقرة ٢٠١ من الصفحة السابقة .
(٥) في (م) (يذهبوا) بحذف النون وهو خطأ .
(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه (أحد) كما في الدر المنثور ٤٣٠/٦ .
(٧) تفسير عبدالرزاق ص ٣٩٥ ، وفيه (قتل أو سلب) بالتخيير .
وأما في الدر المنثور ٤٣٠/٦ فانه بالجمع كما في النسختين (قتل وسلب)
ولم يرد ذكر ابن المنذر في النسخة التي عندي من الدر المنثور .
(٨) أي عن قتادة .

أن يغزون[١] فيه ولا يخافون[١] . ولهذا زال عذرهم الباطل وزادهم الله من فضله .

قوله ((تُجبى[٢] اليه ثمرات كل شيء)) .. اعلام لهم بأنهم لا يحتاجون الى الخروج منه فإنهم اعتلوا بالمخافة فردّها الله وزادهم بيان إفضاله بجلب الثمرات من الأقطار اليهم فلا خوف ولا حاجة وذلك بركة دعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال : ((وارزقهم من الثمرات))[٣] قال جار الله:لا جرم أن الله أجاب دعوته فجعله حرما تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضّله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا ، وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب . أهـ[٤]

وقوله ((تُجبى)) أي تجلب وتجمع ، ويشبه الآية قوله ((إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن[٥] خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله))[٦] لأن أهل الحرم كانوا ينالون من المشركين مكسبا ومالا .

---

(١) هكذا في كلا النسختين (يغزون ... يخافون) باثبات النون ، والصواب حذفها ، ونص العبارة في تفسير ابن جرير ٩٤/٢٠ ، وفي الدر المنثور ٤٣٠/٦ (لا يغزون فيه ولا يخافون) وكذلك في تفسير ابن أبي حاتم ص ٣١٥ .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر (تُجبى) بالمثناة الفوقية .
وقرأ الباقون (يُجبى) بالمثناة التحتية .
الاتحاف ص ٣٤٣ .

(٣) ابراهيم ٣٧ .

(٤) الكشاف ٣٠٥/٢ .

(٥) في (ص) (فان خفتم) بالفاء بدلا من الواو وهو خطأ .

(٦) التوبة ٢٨ . ووقف المؤلف على قوله ((من فضله)) ليس بحسن لأنه اسقط القيد وهو قوله تعالى ((إن شاء)) .

((رزقا من لدنا)) من عندنا وهو ينتصب على المصدرية أو الحال من ثمرات ، وعلى المصدرية تقديره / رزقناهم رزقا ، لأن[1] تجبى في معنى رزقنا . ٩٣/ب

((ولكن أكثرهم لا يعلمون (٥٧))) أنّ الأمن والرزق منا وأنّ نعمة الأمان والاطعام من أعظم النعم ، وانما يعلمه القليل منهم ، فان الأمن من رزق الله ، كما أن الطعم من رزقه ، كما قال : ((أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) ولذا يقرن الله الأمان بالاطعام ((الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف))[2] .

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ((أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) قال : يعني قريشا أهل مكة بدعوة إبراهيم حيث قال : ((وارزق أهله من الثمرات)) ((وآمنهم من خوف)) قال إبراهيم : ((رب اجعل هذا البلد آمنا))[3] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ((آمنهم من خوف)) قال : من كل عدو في حرمهم[4] .

فأمتنّ تعالى بما منّ به من الأمن لهم، ونعمة الأمن نعمة مجهولة كنعمة

---

(١) في (ص) (لا تجبى في معنى رزقنا) . والكلام حينئذ غير مستقيم ، والصواب ما أثبته ويشهد له ما في الكشاف ١٧٤/٣ حيث قال الزمخشري : (... لأن معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد) . من هامش (م)

(٢) قريش ٤ .

(٣) تفسير ابن جرير ٣٠٨/٣٠ ، والدر المنثور ٦٣٦/٨ . وفيهما ((وارزقهم من الثمرات)) بدل قوله تعالى ((وارزق أهله من الثمرات)) وكلتاهما صواب ، فالآية الأولى هي في سورة ابراهيم ٣٧ ، والآية الثانية هي في سورة البقرة ١٢٦ .
وانظر تفسير القرطبي ٢٠٩/٢٠ .

(٤) تفسير ابن جرير ٣٠٨/٣٠ ، والدر المنثور ٦٣٥/٨ .

الصحة والفراغ التي ثبت فيها الحديث بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)[١] .

كذلك نعمة الأمن[٢] لا يعرفون قدرها وهي أعظم[٣] النعم . ولذا جاء في الحديث (من أصبح آمنا في سربه معافىً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[٤] .

ومن الأدعية النبوية ((اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا)[٥] .

وذمّ المرجفين - وهم الذين يخوّفون الناس بالأعداء - ذمّاً بليغا وقرنهم بالمنافقين ولعنهم فقال : ((لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض / والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين ٩٤/أ
أينما ثقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلا))[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري وغيره . انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٩/١١ الرقاق .

(٢) في النسختين (وكذلك نعمة الفراغ) والصواب ما أثبته ، لأن المؤلف يتحدث عن نعمة الأمن ، ولهذا استشهد بعد ذلك بالحديث في نعمة الأمن .

(٣) الأولى بالمؤلف أن يقول (وهي من أعظم النعم) لأن أعظم النعم على الاطلاق هي نعمة الهداية للإيمان .

(٤) أخرجه الترمذي في الزهد ٥٧٤/٤ ، وابن ماجة في الزهد أيضا ١٣٨٧/٢ ، وفيهما (معافىً في جسده) وليس فيهما كلمة (بحذافيرها) .

(٥) أخرجه الإمام احمد رحمه الله في المسند ٣/٣ ، وأبو داود في كتاب الأدب من السنن ٣١٩/٤ ، وابن ماجة في كتاب الدعاء من سننه ١٢٧٤/٢ .

(٦) الأحزاب ٦٠ - ٦١ .

ولعظمة[١] نعمة الأمن وعد الله بها المؤمنين حيث قال ((وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...)) إلى قوله : ((... وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً))[٢].

والخوف من أعظم المصائب ، ولذا قدّمه الله تعالى في قوله ((ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ...)) . ثم قال : ((الذين إذا أصابتهم مصيبة ..)) الآية[٣] فقدّمه وجعله من المصائب .

وانظر إلى قران الله الخوف بالجوع هنا وفي قوله : ((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف))[٤] .

وقرانه الأمن بالطعام في دعاء ابراهيم عليه السلام ((رب[٥] اجعل هذا بلدا[٥] آمنا وارزق أهله من الثمرات))[٦] ، وفي الآية الأخرى : ((أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف))[٧].

وناهيك أنه تعالى إذا أصاب عباده مصيبة الخوف أذن لهم بتخفيف أعظم العبادات وهي الصلاة وشرع لهم فيها ما لا تصح به حال الأمن .

---

(١) في النسختين (واعظمه) والصواب ما اثبته .
(٢) النور ٥٥
(٣) البقرة ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٤) النحل ١١٢ .
(٥) في كلا النسختين (ربنا اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات)) ، فاشتبه على المؤلف آية البقرة ١٢٦ ، بآية إبراهيم ٣٥ . والصواب ما أثبته .
(٦) البقرة ١٢٦ .
(٧) قريش ٤ .

والخوف من جوالب الحزن ، فانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه ((لا تحزن إن الله معنا))[١] ، وذلك حين خاف أبو بكر[٢] أن يطّلع عليهما كفار قريش[٣] ، ولذا يقرن الله عدم الخوف بعدم الحزن ((ولا تهنوا[٤] ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين))[٥] ، خاطب به أهل أحد ، وقالت الملائكة عليهم السلام للوط عليه السلام : ((لا تخف ولا تحزن أنا منجّوك وأهلك ...)) الآية[٦] ، وقال تعالى في تبشير أولياء الله[٧] ((لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[٧] .

واعلم أن الخوف نوعان :

نوع / مصيبة كما قدمناه يستعاذ منه ، ونوع نعمة محمود محبوب لله ٩٤/ب
مطلوب له ، والمحمود هو خوف العبد من ذنوبه أن تحول بينه وبين مرضاة ربه ولذا جعل الجنة لمن خاف مقامه ((ولمن خاف مقام ربه جنتان))[٩] ، ((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى))[١٠] ، وهذا الخوف المحمود لا يزول عن المؤمن الا عند دخوله الجنة حيث يقال لأهله ((ادخلوها

---

(١) حكاه الله تعالى عنه في سورة التوبة ٤٠ .
(٢) في (م) (أبي بكر) بالجر وهو خطأ .
(٣) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري ٨/٧ مع فتح الباري كتاب فضائل الصحابة .
(٤) في كلا النسختين (ولا تخافوا ولا تحزنوا) ونص الآية هو ما أثبته .
(٥) آل عمران ١٣٩ .
(٦) العنكبوت ٣٣
(٧) في (م) (وقد قال في تبشير) بزيادة (قد) واسقاط كلمة (تعالى) .
(٨) يونس ٦٢ و نظيرها كثير من الآيات .
(٩) الرحمن ٤٦ .
(١٠) النازعات ٤٠ ـ ٤١ .

بسلام آمنين))[١] ، فان الخوف لا يفارق أهل الايمان الا حينئذ ، ألا ترى أنه يخاف كل نبي من أنبياء الله عليهم السلام في موقف الحشر ويعتذر عن الشفاعة ويقول (نفسي نفسي)[٢] ولذا قال بعض أئمة الآل عليهم السلام[٣] :

اذا خاف الخليل وخاف موسى ... وآدم والمسيح وخاف نوح

ولم يتشفعوا للناس طرا ... فمالي لا أخاف ولا أنوح

((وكم أهلكنا من قرية)) .. أي من أهل قرية لما يدل له قوله ((فتلك مساكنهم ..)) الآية ، اذ فيه دليل على بقاء المساكن وهي القرية .

((بطرت معيشتها)) .. البطر سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها وصرفها في غير وجهها[٤] ، والمعيشة ما يتعيش به . والآية كقوله تعالى ((وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله))[٥] ، وهي نعمة الرزق والأمن المستمر ، وهي معنى البطر ((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)) الآية[٥] .

وقوله تعالى : ((فكأين[٦] من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد))[٧] ، وقوله : ((وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير))[٨]

---

(١) الحجر ٤٦ .
(٢) انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري مع الفتح ٣٩٥/٨ كتاب التفسير .
(٣) كُتب على هامش إيقاظ الفكرة أنّ القائل هو السيد محمد بن إبراهيم ابن الوزير .
ويقويّه نعت المؤلف له هنا بقوله : بعض أئمة الآل . ونعته له هناك بقوله : بعض فضلاء المتأخرين . انظر إيقاظ الفكرة ص ٢٣١ .
(٤) انظر مفردات الراغب ص ٥٠ .
(٥) النحل ١١٢ .
(٦) في كلا النسختين (وكائن) بالواو والصواب ما أثبته .
(٧) الحج ٤٥ . (٨) الحج ٤٨ .

((فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم)) / من بعد هلاكهم ((الا قليـــلا)) ٩٥/أ
أي زمانا قليلا . وفيه دليل أنها بقيت المساكن صالحة للسكون وهي نظيـــــــــر
((وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم))[١] .

والآيات دالة على أن من القرى المغضوب على أهلها ما يهلك بالكلية كمـــا يفيده ((فهي خاوية على عروشها))[٢] ، [٣]قرى قوم لوط ـ المؤتفكات [٤] ـ ودار قارون[٥] ، ومنها ما يبقى ويمكن فيه السكون[٦] ، والكل عبرةٌ للباقين ، ومفهـــوم القرية غير مراد فكم رأينا من بيت وقصر يتقلب أهله في النعيم بطروا المعيشـة فهلكوا وصارت منازلهم عبرةً خالية وخاوية[٧] على عروشها .

((وكنا نحن الوارثين (٥٨))) لديارهم ومساكنهم ، أي لم يبق منهم وارث يرثها ولا ساكن منهم يسكنها ، وهو نظير قوله ((إنّا نحن نرث الأرض ومـــــن عليها وإلينا يرجعون))[٨] .

---

(١) ابراهيم ٤٥ .
(٢) الحج ٤٥ .
(٣) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (ومنها قرى قوم لوط ...) أو كقـــرى
(٤) ذكر الله عذابهم في كثير من الآيات . وانظر ـ على سبيل المثال ـ ما قاله المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى في سورة النجم ((والمؤتفكة أهوى)) ٥٣
(٥) ذكر الله هلاك قارون وداره في الآية ٨١ من هذه السورة ، وفي الآية ٤٠ مـن سورة العنكبوت .
(٦) ويشهد له قوله تعالى في سورة هود : ((ذلك من أنباء القرى نقصه عليـك منها قائم وحصيد)) ١٠٠ .
وأما سكنى دار القوم المعذبين فقد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلـم في قوله : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ـ الا أن تكونوا باكين ـ أن يصيبكم مثل ما أصابهم) .
أخرجه البخاري ٣٧٩/٦ كتاب الأنبياء .
(٧) قوله خاليه : أي ليس فيها أحد ، وقوله خاوية : أي متهمة ساقطة .
انظر لسان العرب ٢٣٧/١٤ و ٢٤٥ (خلا ، و خوا) .
(٨) مريم ٤٠ .

((وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أُمها)) أي في معظمها وأصلها التي ما عداها قرى لها ومن أعمالها وتوابعها وذلك يكون[1] أهلها أفطن وأنبل[2] ، ولأنها مساكن الملوك والبعثة تكون إليهم والى اتباعهم .

((رسولاً يتلوا عليهم آياتنا)) نظير ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))[3] يتلوا عليهم آياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم الى الله .

وهذا من تنزيه الرب تعالى سبحانه عن الظلم وعن معاجلة العصاة ، بل يقدم اليهم الرسل تدعوهم الى النجاة . ونحو الآية ((وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون))[4] ((ذلك[5] أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون))[5] / أي عن الإنذار . ٩٥/ب

((وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون (٥٩))) عطف على ((وما كان ربك)) تنزيه وتقديس لذاته عن اهلاك من ليس بظالم بل لا نهلك الا الظالمين الذين[6] كذبوا رسلنا واستهزءوا بآياتنا ، وهو نظير ما كرره الله في كتابه بعد ذكره من أخذه بذنبه حيث قال ((وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين))[7] كما

---

(١) هكذا في كلا النسختين وفي تفسير ابي السعود (لكون أهلها) باللام بدلا من الباء .
(٢) انظر تفسير أبي السعود ٢٠/٧ .
(٣) الاسراء ١٥ .
(٤) الشعراء ٢٠٨ .
(٥) في النسختين ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون)) فخلط المؤلف بين آية هود ١١٧ وآية الأنعام ١٣١ ، فترجح لدي أنه أراد آية الأنعام بدلالة سياق الكلام بعد تمام الآية .
(٦) في (ص) (الذي) .
(٧) الزخرف ٧٦ . ومما يلاحظ أن هذه الآية لم ترد بهذا النص الا في سورة الزخرف ولكن ورد في معناها آيات كثيرة وهي ما أرادها المؤلف بقوله : (وهو نظير ما كرره الله في كتابه) فانظر على سبيل المثال سورة يونس ٤٤ ، والتوبة ٧٠ ، والنحل ٣٣ ، وآل عمران ١١٧ وغيرها كثير .

قال تعالى : ((فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون))[١] .

((وما أوتيتم من شيء)) من أمور الدنيا من مال وبنين ورياسة وغيرها ((فمتاع الحياة الدنيا)) المتاع كل[٢] ما تمتع به ، وأصله ما يُتبلغ به عن المراد ، ووصف تعالى متاع الدنيا بالقلة . ((قل متاع الدنيا قليل))[٣] كما وصف الحياة الدنيا نفسها بأنها قليل ((وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع))[٤] وفي معنى الآية الأولى ((قل تمتع بكفرك قليلا إنّك من أصحاب النار))[٥] .

وزينتها)) فان الله تعالى كما قال[٦] في جعله ما على الأرض زينة لها ((إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها))[٧] ، ((زين للناس حب الشهوات ..)) الآية[٨]

---

(١) العنكبوت ٤٠ .
(٢) في كلا النسختين (كلما) جعلاها كلمة واحدة .
(٣) النساء ٧٧ .
(٤) في كلا النسختين (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) والصواب (الامتاع) .
ولكن المؤلف اشتبهت عليه آية الرعد ٢٦ بآية التوبة ٣٨ ، وترجح لدي أنه أراد آية الرعد ، اذ هي في وصف الحياة الدنيا نفسها ، وأما آية التوبة فهي في وصف متاع الدنيا فقط ، والآيتان متقاربتان في المعنى ، اذ آية الرعد وصفت الدنيا بأنها متاع وآية التوبة ـ وكذلك آية النساء ـ وصفت ذلك المتاع بالقلة .
(٥) الزمر ٨ .
(٦) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (فان الله تعالى أخبر بأنه جعل ماعلى الأرض زينة لها) .
(٧) الكهف ٧ وتمام الآية ((لنبلوهم أيهم أحسن عملا)) .
(٨) آل عمران ١٤ .

((المال والبنون زينة الحياة الدنيا))[١] ،

((وما عند الله)) من الثواب ((خير وأبقى)) وقد بين تعالى لمن الخيرية عنده (له)[٢] بقوله ((والآخرة خير لمن اتقى))[٣] وبقوله ((و[٤] ما عند الله خير للأبرار))[٥] .

وقد نهى الله رسوله عن مدّ عينيه الى زهرةالحياة الدنيا تحقيرا لها وبيان[٦] أنها فتنة لأهلها / في قوله ((ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ٩٦/أ أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه))[٧] .

وقال في النهي عن الإعجاب بمتاع الدنيا :((فلا[٨] تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم [بها][٩] في الحياة الدنيا))[١٠] .. والآيات كثيرة في تحقير متاع الدنيا وزينتها .

((أفلا تعقلون (٦٠))) فتفكّرون في حقارتها وذهابها وقلة أيام المتاع بها فان العقل كافٍ في معرفة ذلك لا يحتاج الى ورود الشرع لبيانه .[١٢]

---

(١) الكهف ٤٦ .
(٢) هكذا في كلا النسختين والصواب بحذف الجار والمجرور .
(٣) النساء ٧٧ .
(٤) في كلا النسختين (والآخرة خير للأبرار) وليس هناك آية بهذا النص .
(٥) آل عمران ١٩٨ .
(٦) هكذا في النسختين والصواب (وبيّن) بالفعل .
(٧) طه ١٣١ .
(٨) في كلا النسختين (ولا) بالواو والصواب (فلا) بالفاء .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(١٠) التوبة ٥٥ .
(١٢) انظر تفسير الرازي ٦/٢٥ .

((أفمن[1] وعدناه وعدا حسنا)) نحو قوله ((للذين أحسنوا الحسنى وزيادة))[2] ، وقوله : ((وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم))[3] ، وقوله : ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا))[4] .

((فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا))[5] .. أي لاقيه يقينا فهو وعد من لا يخلف الميعاد ، وهو نظير قوله ((أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون))[6] ونحوه : ((أفنجعل المسلمين كالمجرمين))[7] .

والمراد بمن متعناه متاع الحياةالدنيا الذي لم يتق الله فيما أعطاه ولم يعرف شكر نعماه ، والا فان كل من على الدنيا من بني آدم وغيرهم من تقي وشقي قد أعطاه الله متاعا في الدنيا لكن من اتقاه وشكر نعماه فقد وعده وعدا حسنا .

((ثم هو يوم القيامة من المحضرين (٦١))) .. هو كقوله ((وان كل[8] لما جميع لدينا محضرون))[9] أي هو من المحضرين للحساب والعقاب .

---

(١) في كلا النسختين (فمن وعدناه) باسقاط الهمزة .
(٢) يونس ٢٦ .
(٣) المائدة ٩ .
(٤) النساء ١٢٢ .
(٥) هكذا في النسختين والأولى أن يوضع قول المؤلف: أي لاقيه .... الى قوله لا يخلف الميعاد بعد قوله تعالى (فهو لاقيه) إذ هو تفسير لهذا الجزء من الآية ، ثم يستأنف بعد ذلك بتفسير ما بقي من الآية .
(٦) السجدة ١٨ .
(٧) القلم ٣٥ .
(٨) في كلا النسختين (وان كلا) بالنصب وليست بقراءة .
(٩) يس ٣٢ .

((ويوم يناديهم / فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٦٢))) .. تكرر منه تعالى الاخبار بأنه يسأل المشركين عن شركائه في آيات كثيرة وأن ذلك النداء يكون في موقف الحشر كما قال تعالى : ((ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون))[١] . ٩٦/ب

وحكى عنهم التلوّن في الجواب كما هو شأن المبطل فتارة قالوا ((والله ربنا ما كنا مشركين))[٢] .

وتارة لما قال لهم ((ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنّاك ما منا من شهيد))[٣] .

أي أعلمناك ما أحد منا يشهد لهم بأنهم شركاؤك[٤] ويوم[٥] القيامة يخزيهم ويقول : ((أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم))[٥] ، فأجاب الذين أوتوا العلم من أنبياء الله ورسله بقولهم ((إنّ الخزي اليوم والسوء على الكافرين))[٥] ، ثم إنّ شركاءهم يكذّبونهم حيث يقولون[٦] ((ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا)) أي الشركاء ((إليهم)) اي الى عبّادهم ((القول إنّكم لكاذبون))[٧] في إنّا[٨] شركاء لله وذلك كما قالت الملائكة

---

(١) الأنعام ٢٢ .
(٢) الأنعام ٢٣ .
(٣) فصلت ٤٧ .
(٤) انظر الكشاف ٣٩٤/٣ .
(٥) إن اراد نص الآية فهي قوله تعالى في سورة النحل ٢٧ : ((ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقّون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين)) .
مع أني لم أصحح الآية في المتن اذ قد يكون المؤلف رحمه الله تعالى لم يردها بتمامها ، وانما أراد موضع الشاهد ويرشدنا الى ذلك قوله (فأجاب) فهو ليس من الآية .
(٦) واو الجماعة يعود على المشركين لا على الشركاء .
(٧) النحل ٨٦ . (٨) هكذا في النسختين والصواب في قولكم إنّا شركاء الله) .

- وهم أيضا بعض من اتخذوهم شركاء لله كما قال تعالى لهم : ((ويوم نحشرهم[1] جميعا ثم نقول[1] للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون ، قالوا [سبحانك أنت ولينا من دونهم][2] بل كانوا يعبدون الجن))[3] .

ولما أنكروا[4] لما قال تعالى للمعبودين[5] : ((أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هو ضلوا السبيل))[6] ((قالوا)) أي المعبودين[7] من الملائكة والأوثان[8] : ((سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء))[6] الى قوله : ((فقد كذّبوكم)) أي كذب المعبودون عبّادهم ((فما[9] يستطيعون [صرفا][10] للعذاب عنكم ولا نصرا))[11] .

---

(١) أ - قرأ الجمهور (نحشرهم ، نقول) بنون العظمة .
ب - وقرأ حفص ويعقوب (يحشرهم ، يقول) بياء الغيبة والفاعل هو الله تعالى .
الاتحاف ص ٣٦٠ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .

(٣) سبأ ٤٠ - ٤١ .

(٤) هكذا في النسختين والصواب (وكما أنكروا) أي الشركاء .

(٥) هكذا في النسختين والصواب (لهم) بالاضمار بدلا من الاظهار .

(٦) الفرقان ١٧ - ١٩ .

(٧) هكذا في النسختين والصواب المعبودون بالرفع .

(٨) الأولى حمله على كل من عُبد من دون الله لنص الآية على ذلك ((ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله)) . وقد جاء في آية المائدة ١١٦ سؤال الله لعيسى بن مريم وتبرؤه من ذلك ، وذلك يوم القيامة على القول الراجح من أقوال المفسرين .

(٩) أ - قرأ حفص (فما تستطيعون) بالتاء ويكون خطابا للعابدين .
ب - وقرأ الباقون (فما يستطيعون) بالياء ويراد به المعبودين .
الاتحاف ص ٣٢٨ .

(١٠) في كلا النسختين (فما يستطيعون لكم للعذاب) باسقاط صرفا وزيادة لكم في موضع قوله (صرفا) فالكلام غير مستقيم والآية ناقصة فيكون الصواب ما أثبته .

(١١) الفرقان ١٩ .

وهي مثل قوله ((أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون))[١] .

وأخبر أنهم يتلاعنون يوم القيامة كما في قوله ((إنّما / اتخذتم من دون ٩٧/أ
الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم[٢] يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا))[٣] .

وأخبر أنهم ((اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا[٤] لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا))[٥] .

والآيات كثيرة في هذا المعنى ويأتي قريبا منها في هذه السورة[٦] ، والمراد من سؤالهم عن شركائهم في ذلك الموقف الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين والجن والملائكة والشياطين تبكيت المشركين واظهار قبائحهم على مشاهدة الخلائق أجمعين ، وخزيهم بما اكتسبوا فهو يوم خزيهم المختص بهم . ولذا يقول الله : ((يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه))[٧] . ولذا أيضا دعاه تعالى عباده بقولهم ((ولا تخزنا يوم القيامة))[٨][٩] . وقال الخليل : ((ولا تخزني يوم يبعثون))[١٠] ، فهذا خزي المشركين يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد

---

(١) الشعراء ٩٢ ـ ٩٣ .
(٢) في (ص) (ويوم القيامة) بالواو بدل (ثم) .
(٣) العنكبوت ٢٥ .
(٤) في (ص) (ليكونون) باثبات النون وهو خطأ .
(٥) مريم ٨١ ـ ٨٢ .
(٦) انظر ص ٤٠٤ ، ٤٢٢
(٧) التحريم ٨ .
(٨) في كلا النسختين (ربنا ولا تخزنا يوم القيامة) بزيادة كلمة (ربنا) وهي ليست من لفظ الآية .
(٩) آل عمران ١٩٤ .
(١٠) الشعراء ٨٧.

تمام الخزي يقال لهم ((احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فأهدوهم الى صراط الجحيم))[١] . أي اجمعوا العابدين والمعبودين .

ونحوه ((فكبكبوا فيها هم والغاوون))[٢] .

ونحوه ((إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم))[٣] .

((قال الذين حق عليهم القول)) السابق في علمه تعالى بأنهم من أهل الشقاوة وهو قوله تعالى : ((وكذلك[٤] حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار))[٥] ، وقوله ((ولكن حق القول مني لأملأن جهنم / من الجنة والناس أجمعين))[٦] ، والقائلون هم الشياطين أو أئمة الكفر ورؤساء الضلال .[٧] ٩٧/ب

أخبروا[٨] الرب تعالى أنهم الذين أغووا اتباعهم بقولهم ((ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا)) أي كما أنا غوينا فأغوينا اتباعنا ، كما قال الأتباع ((لولا أنتم لكنا مؤمنين))[٩] ، وهو نظير قوله تعالى(اذا تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب))[١٠] . وقوله : ((كما غوينا)) أي اغوا مشابها لنا في الاغواء .[١١]

---

(١) الصافات ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) الشعراء ٩٤ .
(٣) الأنبياء ٩٨ .
(٤) في كلا النسختين (ولكن حقت) ولم أجد آية بهذا النص ، والصواب ما أثبته .
(٥) غافر ٦ .
(٦) السجدة ١٣ .
(٧) انظر الكشاف ١٧٦/٣ .
(٨) كان أولى من هذه العبارة أن يقول (أجابوا الرب) .
(٩) سباء ٣١ .
(١٠) البقرة ١٦٦ .
(١١) في الكشاف ١٧٦/٣ : والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا .

قال في الكشاف[1] : يعنون لم نغوا نحن الا باختيارنا لا أن فوقنا مغويين اغوونا بقسر منهم والجاء ، فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاءً فلا فرق اذاً بين غينا وغيهم في أن الكل بالاختيار .[1]

واعلم أنه تعالى سأل الأتباع العابدين فسارع الى الجواب غيرهم وهم الذين أضلوهم قبل لأنهم تيقنوا وعرفوا أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم على الإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا[2] لما[3] حكى الله تعالى عنهم أنهم في طبقات النار يقولون ((ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار))[4] ، وأجابوا عنهم[5] بقولهم : ((فما[6] كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون))[7] .

وهو نظير ((أغويناهم كما غوينا)) أي لم نقسركم على الضلال بل أنتم ضللتم باختياركم واكتسبتم العذاب لأنفسكم ... وهو نظير قولهم[8] في جواب قولهم[8]

---

(١) انظر الكشاف ١٧٦/٣ ، مع أن كلام الزمخشري هنا حق أريد به باطل ، فما قرره من أنهم المكتسبون للغواية باختيارهم فهو صواب ، ولكن أخشى أنه يقصد من ورائه الى نفي قدر الله لتلك الغواية وهذا لا يسلم له .

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٢١/٧ .

(٣) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابها (كما حكى) بالكاف وتخفيف الميم .

(٤) الأعراف ٣٨ .

(٥) هكذا في كلا النسختين وصوابها (عليهم) .

(٦) في كلا النسختين (ما كان) باسقاط الفاء والصواب (فما كان) .

(٧) الأعراف ٣٩ .

(٨) الضمير في (قولهم) الأولى يعود على المستكبرين (المتبوعين) وفي (قولهم) الثانية يعود على المستضعفين (الأتباع) فيصبح سياق الكلام كما يلي : وهو نظير قول المستكبرين في جواب المستضعفين عندما قالوا ((لولا أنتم لكنا مؤمنين)) .

((لولا أنتم لكنا مؤمنين))[1] / حيث قالوا : ((أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم[2] مجرمين))[1]. ٩٨/أ

والحاصل أنه لم يكن من الشياطين وكبراء الكفرة الا وسوسة لأتباعهم وتسويلا وتحسينا لم يكن منهم الجاء لهم ولا قسر واعتذار الأتباع لهم[3] غير نافع ولا للعذاب بدافع حيث قالوا : ((هؤلاء أضلونا))[4] ، ((إنا[5] أطعنا سادتنا وكبراءنا))[6].

وكيف يكون عذرا ورسل الله إليهم تترى وأدلة النقل[7] دائمة دالة على أنه لا يملك من عبدوه نفعا ولا يدفع ضرا .

((تبرأنا اليك)) منهم ومما اختاروا لأنفسهم[8] ((ما كانوا إيانا يعبدون (٦٣))) بل كانوا يعبدون هوى أنفسهم وما اختاروا من باطلهم .

((وقيل ادعوا شركاءكم)) .. كأنه[9] تعالى يأمر ويقول لهم تبكيتا بعد تبكيت وخزيا بعد خزي ادعو شركاءكم ((فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا

---

(١) سبأ ٣١ ـ ٣٢ .
(٢) في (ص) (بل كنتم قوما مجرمين) بزيادة (قوما) وهي خطأ .
(٣) هكذا في (ص) : ومعناه غير نافع لهم ولكنه قدم وأخر من أجل السجع ، وفي (م) (واعتذار الاتباع بهم غير نافع) فيعود الضمير حينئذ للمتبوعين أي واعتذار الأتباع بالمتبوعين غير نافع .
(٤) الأعراف ٣٨ .
(٥) في كلا النسختين (ان أطعنا) وليست بقراءة . والصواب ما أثبته .
(٦) الأحزاب ٦٧ .
(٧) في (م) (البقل) وهو خطأ ظاهر .
(٨) انظر الكشاف ١٧٦/٣ .
(٩) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابها (فإنه تعالى) .

العذاب لو أنهم كانوا يهتدون (٦٤))) ، وهو في كون القائل غيره تعالى في الظاهر [نظير][1] قوله ((وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون[2] من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون))[3] في أنه تعالى يأمر من[4] يدعوهم ليزيدهم اذلالا وخزيا و[5] ((قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون))[6] ، وقال : ((ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا))[7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .

(٢) في (ص) (تدعون) بدلا من تعبدون وهو خطأ .

(٣) الشعراء ٩٢ ـ ٩٣ .

(٤) قد جاءت آيات في كتاب الله تعالى تنص على عدم تكليم الله للكافرين يوم القيامة ، كقوله تعالى في سورة البقرة ١٧٤ ((إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم)) .
بينما جاء في آيات أخر ـ ومنها ما أورده المؤلف هنا من آية الكهف والقصص ـ ما يدل على أن الله يكلمهم في ذلك اليوم .
والجواب عن هذا بأمرين :
الأول : ـ وهو الحق ـ أن الكلام الذي نفى الله أن يكلمهم به هو الكلام الذي فيه خير ، وأما التوبيخ والتقريع والإهانة فكلام الله لهم به من جنس عذابه لهم ولم يقصد بالنفي في قوله ((ولا يكلمهم ..)) .

الثاني : أنه لا يكلمهم أصلا وانما تكلمهم الملائكة باذنه وأمره . أهـ .

أفاده العلامة محمد الأمين في كتابه : دفع ايهام الاضطراب ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٥) هذه الواو موجودة في كلا النسختين مع أنها ليست من نص الآية فلذا أثبتها خارج القوسين .

(٦) النحل ٨٦ .

(٧) الكهف ٥٢ .

((ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (٦٥))) .. تقدم في الأعراف قوله تعالى ((فلنسألنّ الذين أُرسل اليهم ولنسألنّ المرسلين))[1] ، فهذه الآية تفسير لسؤاله المرسل اليهم وهم الأمم المكذبة هنا ، وسؤاله تعالى المرسلين فسّره قوله / في المائدة : ((يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم ..))[2] الآية ٩٨/ب وهذه السؤالات منه تعالى لاستخراج ما عندهم على رؤوس الأمم ، والا فهو عالم بما قالوه وما هو في ضمائرهم مما سيقولونه[3] .

((فعميت عليهم الأنباء يومئذ)) .. أي الأخبار عن ماذا أجابوا به ، وهو مقلوب أصله عموا عن الأنباء للمبالغة .[4]

---

(١) الأعراف ٦ . ويفهم من قوله (تقدم في الأعراف) أنه تناول تفسير سورة الأعراف .

(٢) المائدة ١٠٩ .

(٣) وقد ورد في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يُدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلّغت ؟ فيقول نعم . فيقال لأمته : هل بلّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير . فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته . فيشهدون أنه قد بلغ . ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) البقرة ١٤٣) .
أخرجه البخاري ١٧١/٨ كتاب التفسير .
وليس هذا السؤال خاصا بنوح وأمته ـ كما يفهم من رواية البخاري ـ بل يشمل جميع الأنبياء ـ ما عدا محمد صلى الله عليه وسلم ـ كما صرّحت بذلك رواية الامام أحمد في المسند ٥٨/٣ ، والنسائي في كتاب التفسير ص ١٠ ، وابن ماجة في السنن ١٤٣٢/٢ كتاب الزهد .
اذ فيها : (يجي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا . فيُقال له : هل بلّغت قومك؟فيقول : نعم ، فيقال له : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ...) الحديث .

(٤) انظر تفسير أبي السعود ٢٢/٧ .

((فهم لا يتساآلون (٦٦))) .. لا يسأل بعضهم بعضا عما أجابوا به رسل الله بل يبقون في الحيرة والدهشة .

((فأما من تاب)) من الشرك[١] ((وآمن)) بالله ورسله[٢] ((وعمل صالحا فعسى أن[٣] يكون من المفلحين (٦٧))) من الفائزين بالفلاح .[٤]

((وربك)) التفات الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واخبار له بأنه تعالى ((يخلق ما يشاء ويختار)) اعلام بأن له الايجاد وله الاختيار من خلقه ، وهو الاجتباء والاصطفاء فاختار من خلقه من يشاء ، فخلق السموات السبع واختار منها أعلاها جعلها محل عرشه وفجر فيها أنهار جناته ، وخلق ملائكته واختار منهم جبريل وغيره مما لا نعلمه فانه لا علم لنا الا ماعلمنا[٥] وقد قال تعالى : ((الله يصطفي من الملائكة رسلا))[٦] وجبريل هو السفير والرسول الى رسل الله تعالى بالوحي .

وورد في إسرافيل وميكائيل وحملة العرش والكرسي وهم سادات الملائكة-كما في النهاية[٧]- أحاديث دالة على شرفهم ، ثم خلق بني آدم[٨] واختار منهم الرسل

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٢٢/٧ .
(٢) في (م) (ورسوله) بالافراد .
(٣) في كلا النسختين (فعسى أولئك أن يكونوا من المفلحين) والصواب ما أثبته .
(٤) عبارة المؤلف هذه فيها تكرار في المعنى اذ الفلاح هو الفوز كما في لسان العرب ٥٤٧/٢ (فلح) . وكان الأولى أن يقول من الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب كما قاله أبو السعود ٢٢/٧ .
(٥) في (م) (الا علمنا) وهو خطأ ظاهر .
(٦) الحج ٧٥ .
(٧) لعله يريد البداية والنهاية لابن كثير حيث أنه أفراد بابا من كتابه هذا في خلق الملائكة وصفاتهم انظر ٤٠/١ - ٥٤ .
(٨) الاولى أن يقول (ثم خلق آدم وبنيه) اذ أنه ذكر تفضيل آدم عليه السلام بعد ذلك .

كما قال ((الله يصطفي من الملائكة [رسلا][1] ومن الناس))[2] ، واختار منهم آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران كما قال تعالى ((ان الله اصطفى آدم)) / الآية[3] ٩٩/أ ثم اختار بعض النبيين على بعض كما قال ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض))[4] .

ثم اختار موسى من بني إسرائيل كما قال ((يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس))[5] ، وكما قال ((واصطنعتك[6] لنفسي))[7] .

ثم اختار بني اسرائيل كما قال ((ولقد اخترناهم على علم على العالمين))[8]

ثم لم يزل يختار مما يخلق من بني آدم حتى انتهى الاختيار إلى اسماعيل ابن ابراهيم وإلى من يليه من أولاده كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) أخرجه الترمذي عن واثلة وصححه[9] وعند مسلم[9] مثله من حديث واثلة أيضا .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من كلا النسختين .
(٢) الحج ٧٥ .
(٣) آل عمران ٣٣ ونص الآية ((ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)) .
(٤) البقرة ٢٥٣ .
(٥) الأعراف ١٤٤ ، وتمام الآية ((برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)) .
(٦) في كلا النسختين (واصطفيتك لنفسي) والصواب ما أثبته .
(٧) طه ٤١ .
(٨) الدخان ٣٢ والمراد بالعالمين في هذه الآية عالم ذلك الزمان كما أخرجه عبدالرزاق عن قتادة ص ٤٨٨ ، وابن جرير عن مجاهد وعن قتادة أيضا ١٢٧/٢٥ .
(٩) سنن الترمذي ٥٨٣/٥ كتاب المناقب ، وانظر صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، ومسند أحمد ١٠٧/٤ ، إلا أن الجملة الأولى وهي قوله (اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل) ليست في المسند ولا في صحيح مسلم .

ثم اختار تعالى مما خلق من أولاده فاطمة رضي الله عنها لقوله (فاطمة بضعة مني)[١] ، والأحاديث في فضلها كثيرة[٢] ثم اختار الله تعالى من ولد بناته أولادها فقال فيهم (كل بني أنثى ينتمون الى عصبة أبيهم الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا[٣] عصبتهم) أخرجه الطبراني عن فاطمة الزهراء[٤] .

وأخرج أيضا عن عمر أنه صلى الله عليه وعلىآله وسلم قال : (كل بني أنثى فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا عصبتهم وأنا أبوهم)[٥] ، وسمّى الحسنين ابنيه[٦] .

وثبتت الأحاديث بأنهم أهل بيته[٧] وأنزل الله فيهم : ((إنّما يريد الله

---

(١) أخرجه البخاري وغيره . انظر صحيح البخاري مع الفتح ٧٨/٧ كتاب فضائل الصحابة .

(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠٥/٧ كتاب فضائل الصحابة ، وصحيح مسلم ١٩٠٢/٤ - ١٩٠٦ كتاب فضائل الصحابة ، وسنن الترمذي ٦٩٨/٥ كتاب المناقب وغيرها من الكتب التي أفردت أبوابا في فضل فاطمة رضي اللهعنها .

(٣) في (م) (فانا عصبتهم) بالفاء بدل الواو .

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٣/٩ ثم قال : رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه شيبة ابن نعامة ولا يجوز الاحتجاج به .

(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/٤ و ٣٠١/٦ وقال : رواه الطبراني وفيه بشر بن مهران وهو متروك .

(٦) ورد في صحيح البخاري ٩٤/٧ قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه : (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين) .
وجاء في سنن الترمذي ٦٥٦/٥ ، ٦٥٧ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحسن والحسين رضي الله عنهما : (... هذان ابناي وابنا ابنتي ...) الحديث .
وفي مجمع الزوائد ٣١٦/١٠ أنه صلى الله عليه وسلم قال : (أين ابنائي ؟) يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما .

(٧) صحيح مسلم ١٨٧٣/٤ .

.ليذهب عنكم / الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[١] . ٩٩/ب

وثبت أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم جلّلهم بالكساء وقال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[٢] .

وقال تعالى : ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى))[٣] *

وأحاديث (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[٤] .

وأحاديث فضائلهم والتوصية بهم أحاديث واسعة معروفة ، وفي كتابنا الروضة الندية شرح التحفة العلوية كثير من ذلك[٥] ، وانما المراد بيان نوع من اختيار الله لبعض مخلوقاته من بني آدم .

واختار من بني آدم المهاجرين والأنصار الذين آمنوا به تعالى وبرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونصروه واختارهم لصحبته ونصرته ، وأنزل فيهم القرآن : ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ..))[٦] ، وقال : ((كنتم خير أمة أخرجت

---

(١) الأحزاب ٣٣ ، وانظر تفسير ابن جرير ٦/٢٢ ـ ٨ ، ومجمع الزوائد ٩١/٧ ، و ١٦٧/٩ ، ١٦٨ ، وسنن الترمذي ٣٥١/٥ ، والمستدرك ٤١٦/٢ .

(٢) سنن الترمذي ٣٥١/٥ ، وتفسير ابن جرير ٦/٢٢ ـ ٨ ، والمسند ٣٠٤/٦ ، وانظر صحيح مسلم ١٨٨٣/٤ .

(٣) الشورى ٢٣ .

(٤) أخرجه مسلم ١٨٧٣/٤ كتاب فضائل الصحابة .

(٥) الكتاب المذكور مخطوط بمكتبة الأوقاف برقم ٢٢٠٥ تاريخ ويقع في ١٨٠ ورقة وله عدة نسخ أيضا بالمكتبة الغربية تحت رقم ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ علم الكلام . وقد طُبع في دلهي بالهند سنة ١٣٢٢ في ١٧٦ صفحة ، ثم أُعيد طبعه في صنعاء سنة ١٣٧١ هـ بمطبعة وزارة المعارف في ٣٥٢ صفحة مع مقدمة للأستاذ / عبدالكريم الأمير .

(٦) الفتح ٢٩ .

* أخرج البخاري في صحيحه ٥٦٤/٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله « إلا المودة في القربى » فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم . فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ». فالحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه حملوا الآية على أمر المخاطبين بمودة أقارب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحمل ابن عباس على مودة النبي من أجل القرابة

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر))[1] . والثناء من الله ومن رسوله عليهم بحر لا يعرف قعره .

وخلق الأرض سبعا واختار منها هذه التي هي محل أنبيائه ورسله ومتعبد أوليائه ومحل نبوته ومساجده ، واختار منها الحرم المحرم والبيت العتيق فجعله بيته وأمر خليله بتطهيره وأوجب على عباده قصده وحرم سفك الدماء فيه وعد خصائصه لا تفي بها الأقلام .

ثم اختار طيبة مسكنا لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومهاجرا له وحرمها / كما حرم مكة[2] . ١٠٠/أ

واختار بيت المقدس وجعله متعبدا لأنبيائه عليهم السلام ، وخلق الأزمنة واختار منها رمضان فأنزل فيه كتبه كلها من السماء[3] وفضله بما لا يجهله العلماء ، ثم اختار من لياليه ليلة القدر .

---

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) يشير بهذا الى قوله صلى الله عليه وسلم (المدينة حرم ما بين عير الى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ...) الحديث . أخرجه الشيخان وغيرهما وهذا لفظ مسلم ٩٩٥/٢ ، كتاب الحج .

(٣) يشهد لهذا قوله تعالى : ((شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ...)) الآية ١٨٥ من سورة البقرة .
ويشهد له أيضا ما أخرجه أحمد رحمه الله عن واثلة بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان) .
المسند ١٠٧/٤ ، وتفسير ابن جرير ١٤٥/٢ .

ثم قدر السنة باثني عشر شهرا واختار منها الأربعة الأشهر الحرم[١] ، ثم اختار منها عشر ذي الحجة[٢] ، ثم اختار منها يوم عرفة[٣] وأيام التشريق .[٤]

---

(١) وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب وهي المذكورة في قوله تعالى : ((إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ...)) الآية ٣٦ التوبة .

(٢) يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الأيام) يعني ايام العشر .. الحديث .
أخرجه الترمذي ١٢١/٣ ، وابن ماجة ٥٥٠/١ ، وأبو داود ٣٢٥/٢ واللفظ له .
وانظر صحيح البخاري ٤٥٧/٢ كتاب العيدين .

(٣) يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم - عندما سئل عن صوم يوم عرفة - (يكفّر السنة الماضية والباقية) أخرجه مسلم ٨١٩/٢ كتاب الصيام ، وأخرج أيضا قوله صلى الله عليه وسلم (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟) .
صحيح مسلم ٩٨٣/٢ كتاب الحج .

(٣) يفهم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أن أيام التشريق هي من عشر ذي الحجة وليس كذلك ، إذ ليس فيها- الا العيد من عشر ذي الحجة والثلاثة الباقية وهي يوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ليست من عشر ذي الحجة ويحمل كلامه على التغليب ، اذ أولها وأفضلها هو يوم عشر ذي الحجة وهو يوم الحج الأكبر ، وهو أفضل الأيام عند الله . كما ورد في سنن أبي داود ١٤٩/٢ ، ومسند أحمد ٣٥٠/٤ .
وجاء في فضل أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكرٍ لله) .
أخرجه مسلم ٨٠٠/٢ .
وفي مسند أحمد ١٥٢/٤ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنّ يوم النحر ويوم عرفة وأيام التشريق هن عيدنا أهل الاسلام وهن أيام أكل وشرب)
وقد فسر ابنُ عباس الأيام المعدودات في قوله تعالى ((واذكروا الله في أيام معدودات ...)) الآية ٢٠٣ من سورة البقرة بأيام التشريق .
انظر صحيح البخاري ٤٥٧/٢ .

واختار من الأسبوع يوم الجمعة[١] ثم اختار منه ساعة الإجابة[٢] وهي من بعد صلاة العصر عند المحققين .[٣]

ثم اختار من كل ليلة الثلث الأخير وهو وقت التنزل الإلاهي[٤] والنداء

---

(١) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها) أخرجه مسلم ٥٨٥/٢ .

(٢) ورد في صحيح البخاري ٤١٥/٢ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا أعطاه إيّاه) .

(٣) ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى واحداً وأربعين قولا في تعيين ساعة الإجابة هذه مع أدلتها ومأخذها ثم قال : وليست كلها متغايرة من كل جهة بل كثير منها يمكن أن يتحد مع غيره ، ثم قال : ولا شك أن أرجح الأقوال المذكورة حديث أبي موسى وحديث عبدالله بن سلام . أهـ .
فتح الباري ٤١٧/٢ .
قلت : وحديث أبي موسى أخرجه مسلم في صحيحه ٥٨٤/٢ ونصه (هي مابين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة) .
وأما حديث عبدالله بن سلام ففيه (أنها مابين صلاة العصر وغروب الشمس وقد أخرجه ابن ماجة ٣٦٠/١ ـ ٣٦١ ، وأبو داود ٢٧٥/١ ، والنَسائي ١١٥/٣.
قلت : وقد ذكر ابنُ القيم في تعيينها أحد عشر قولا ثم رجح ما رجحه المصنف هنا ـ أنها من بعد صلاة العصر ـ انظر زاد المعاد ٣٩٠/١ .
وهنالك أدلة وردود ومناقشات ليس هذا محلها فمن أراد الوقوف عليها فليرجع الى زاد المعاد ٣٨٨/١-٣٩٧ ، وفتح الباري ٤١٦/٢ ـ ٤٢٢ .

(٤) حديث نزول الرب الى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل حديث متواتر ، وقد أخرجه البخاري في كتاب التهجد ٢٩/٣ ، وفي كتاب الدعوات ١٢٩/١١ ، وفي كتاب التوحيد ٤٦٤/١٣ ، وأخرجه مسلم ٥٢١/١ ـ ٥٢٣ ، وأبو داود ٢٣٤/٤ ، والترمذي ٣٠٧/٢ ـ ٣٠٩ ، وابن ماجة ٤٣٥/١ ، ومالك في الموطأ ٢١٤/١ . ومسند أحمد ٢٦٤/٢ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٢٥ ـ ١٣٦ ، وهبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٣٤/٣ ـ ٤٥٣ وغيرهم خلق كثير .

الرحماني (هل من سائل فأُعطيه سؤاله ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه)[١] ، واختار ليلة الجمعة بأن خصّها بما ...[٢]

واختار وقت السحر للاستغفار ((وبالأسحار هم يستغفرون))[٣] ((والمستغفرين بالأسحار))[٤]

واختار من ساعات الأيام قبل غروب الشمس وقبل طلوعها فقال ((وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناءالليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى))[٥] ، وقال : ((وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار))[٦] فاختار الاستغفار للاسحار[٧] والتسبيح للأصائل[٨] والابكار .

((وربك يخلق ما يشاء ويختار)) . وأنزل الكتب السماوية واختار منها القرآن فجعله مهيمنا على كل كتاب[٩] وأودعه من العلوم ما عجزت عن احصائها أذهان ذوي الألباب .

---

(١) هذا جزء من حديث النزول الذي تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٢) هنا فراغ في كلا النسختين بمقدار كلمة . ولا أعرف دليلا في تخصيص ليلة الجمعة بشيء من الأعمال إلا ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا) .
سنن البيهقي ٢٤٩/٣ .

(٣) الذاريات ١٨ .

(٤) آل عمران ١٧ .

(٥) طه ١٣٠ .

(٦) غافر ٥٥ .

(٧) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (فاختار للاستغفار الأسحار والتسبيح الأصائل والإبكار .

(٨) الأصائل : جمع أصيل وهو العشي كما جاء في لسان العرب ١٦/١١ (أصل) . والابكار : الغدو، لسان العرب ٧٦/٤ (بكر) وورد الأمر بالتسبيح فيهما في كثير من الآيات منها قوله تعالى في سورة الأحزاب ((وسبحوه بكرة وأصيلا))٤٢

(٩) قال تعالى ((وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)) المائدة ٤٨ .

((ما كان لهم)) أي للمخلوقين ((الخيرة)) أي الاختيار اذ لو كانت لهم الخيرة لكان فيه الفساد نحو قوله ((ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)) (١). /١٠٠/ب

ولذا نزه تعالى نفسه عن أن يجعل لهم الخيرة فقال ((سبحان الله وتعالى عما يشركون (٦٨))) ، ونزهها عن شركهم ، ومن ثم شرعت الاستخارة وعلّمهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعاءها كما علمهم السورة من القرآن (٢) لأنه لا خيرة للعباد ولا يعرفون في أي شيء الخير ، بل العلم كله لله ، ثم أخبر عما يعلمه منهم بقوله ((وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٦٩))) فهو أعلم بمن يختاره لعلمه بباطنه وظاهره وتقدمت الآية بلفظها في سورة النمل (٣).

وهي نحو ((يعلم سركم (٤) وجهركم)) ونحو ((وا علموا أنّ الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه))(٥) ، ((إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله # ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير))(٦).

---

(١) المؤمنون ٧١ .

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري ٤٨/٣ (كتاب التهجد) .

(٣) آية النمل ((وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون)) ٧٤ . وانظر شرح المؤلف لها من ص٣٠٨-٣١٠

(٤) في النسختين (يعلم سرهم وجهرهم) . فان أراد آية الأنعام ٣ فالصواب ما أثبته ، وان أراد آية التوبة ٧٨ فنصها ((ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم)) .

(٥) البقرة ٢٣٥ .

(٦) في النسختين (إن تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات والأرض والله بكل شيء عليم)) فاشتبهت عليه آية آل عمران ٢٩ - التي أرجح أنه أرادها - بآية البقرة ٢٨٤ وبآية الحجرات ١٦ ، ولذا فقد أثبت الصواب من آية آل عمران ٢٩ .

((وهو الله لا إله الا هو. له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون (٧٠))) .. اخبار بوحدانيته التي قامت عليها أدلة الآفاق والأنفس والمعجزات وأقرت بها الألسن وأذعنت لها القلوب كما قدمنا أدلته غير مرة.[١]

ثم أخبر أن له الحمد في الأولى وهي دار الدنيا فهو يختص به يحمد كل أحد كما قال تعالى ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده))[٢] ، والتسبيح يعم الحمد ، وقال تعالى ((الحمد لله الذي له ما في السموات و [ما في][٣] الأرض وله الحمد في الآخرة))[٤] ، ((الحمد لله فاطر السموات والأرض))[٥] ، ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب))[٦] .. وغيرها .

وأما في الآخرة فأول ما يقوله الداخلون الجنة ((الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي))[٧] ، ((وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين))[٨] ، ((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقُضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين))[٩] ، فلله[١٠] الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم))[١١] .

---

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكره المؤلف ص ٢٦٥ - ٢٧٨
(٢) الاسراء ٤٤ .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٤) سبأ ١ .
(٥) فاطر ١ .
(٦) الكهف ١ .
(٧) الاعراف ٤٣ وتمام الآية ((وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ..)) الآية .
(٨) يونس ١٠ .
(٩) الزمر ٧٥ .
(١٠) في كلا النسختين (ولله) بالواو والصواب ما أثبته .
(١١) الجاثية ٣٦ - ٣٧ .

وأخبر أنّ له الحكم في الدارين . أما في الدنيا فهو الذي أنزل كتبه لتحكم بين العباد وأرسل رسله بذلك قال ((إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون)) الآية [١]

وفي الإنجيل ((وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه)) [٢].

وفي القرآن ((وأنزلنا إليك الكتاب [بالحق][٣] مصدقا لما بين يديه [من الكتاب][٣] ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله)) [٤] ، ((لتحكم [٥] بين الناس بما أراك الله)) [٦].. وغيرها .

وفي يوم القيامة الحكم كله لله ((ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)) [٧] ، ((إنّ ربك هو يفصل بينهم [يوم القيامة][٨] فيما كانوا فيه يختلفون)) [٩] ، ((قل [١٠] رب احكم بالحق وربنا الرحمٰن المستعان على ما تصفون)) [١١] ((هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين)) [١٢].. وغيرها .

---

(١) المائدة ٤٤ .
(٢) المائدة ٤٧ .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٤) المائدة ٤٨ .
(٥) في النسختين (فاحكم بينهم بما أراك الله) والصواب ما أثبته .
(٦) النساء ١٠٥ .
(٧) الزمر ٣١ .
(٨) ماب ين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٩) السجدة ٢٥ .
(١٠) في النسختين (وقل) بزيادة الواو وهي خطأ .
أ ـ وأما قراءة (قل) بصيغة الأمر فهي قراءة الجمهور .
ب ـ وأما حفص فقرأ بالماضي (قال) خبراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
(١١) الأنبياء ١١٢ .
(١٢) المرسلات ٣٨ .

وأخبر أن اليه لا الى غيره يرجعون ، نحو ((إن الينا إيابهم))[١] ، ونحو : ((ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون))[٢] .

ثم أخذ في الاستدلال / على الوحدانية فقال : ١٠١/ب

((قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء)) .. لما كان الأصل هو الظلمة في الأكوان كما دل له قوله تعالى ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون))[٣] ، فانه يقال سلخ جلد الشاة إذا كشطه وأزاله عنها[٤] ، فكما يظهر ما تحت جلدها من لحمها ، كذلك يكشط النهار وأنواره عن الأكوان فيفاجؤن ظلمة[٥] الليل ، فقال تعالى[٦] اخبروني اذا جعلت عليكم الليل دائما الى يوم القيامة وأنتم تعلمون أني قادر على كل شيء ، فهل لكم إله يأتيكم بضياء؟ هذا لا تجدون الى إنكار أنه لا إله إلا أتى بالليل والنهار[٧] .

وهو نظير قوله ((قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به))[٨] ، فانهم مقرون بأن الله هو الذي جعل لهم

---

(١) الغاشية ٢٥ .
(٢) آل عمران ١٥٨ .
(٣) يس ٣٧ .
(٤) انظر لسان العرب ٢٤/٣ (سلخ) .
(٥) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (فيفاجئون بظلمة) باثبات الباء .
(٦) لم يرد المؤلف حكاية كلام الله تعالى إذ لا يجوز روايته بالمعنى وانما أراد تفسير كلام الله تعالى مع أنّ الأولى ترك هذه العبارة .
(٧) هكذا في النسختين والكلام غير مستقيم ولعل صحة العبارة كالتالي : فهم لا يجدون سبيلا إلى انكار أنه لا إله لهم إلا الذي أتى بالليل والنهار .
(٨) الأنعام ٤٦ .

السمع والأبصار والأفئدة لإقرارهم بأنه إذا سألهم من خلقهم قالوا الله[١] ، فكما أنهم يعلمون أنه لا إله غير الله يأتيهم بالسمع والأبصار ومقرون بها على انفرادها كما قال تعالى ((قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ...))[٢] الى قوله : ((فسيقولون[٣] الله))[٤] ، فكما أنهم يعلمون أنه لا إله غيره يملك السمع والأبصار ، كذلك يعلمون أنه لا إله غيره يأتيهم بالنهار وعبّر عن النهار بالضياء ليعلموا عظم المنة ـ التي لا تجهل ـ بهذه الأضواء .

وقوله : ((أفلا تسمعون[٥] (٧١))) / تبكيت لهم بأن[٦] لا يسمعون ١٠٢/أ ما يلقيه اليهم لسان الوحي من الأدلة فكأنهم صم بكم عمي كما وصفهم بذلك[٧] .

ثم زاد الحجة بقوله : ((قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة)) .. إذ هو قادر على ذلك كما أنّه قادر على اختلاف الليل والنهار كما ((إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب))[٨] وكرر هذا الذكر[٨] في الذكر .

---

(١) انظر آية ٨٧ من سورة الزخرف .

(٢) في النسختين ((ومن يملك السمع والأبصار)) بالواو مع الميم المخففة ، والصواب بهمزة الاستفهام وتشديد الميم كما أثبته .

(٣) في النسختين ((ليقولن الله)) والصواب ما أثبته اذ لم أجد آية بهذا النص الذي ذكره المؤلف رحمه الله .

(٤) يونس ٣١ .

(٥) في (م) ((أفلا يسمعون)) بالياء وليست قراءة .

(٦) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه ((بانهم لا يسمعون))

(٧) ورد وصفهم بهذه الصفات في آيات عديدة ، وانظره على سبيل المثال في آية البقرة ١٧١ .

(٨) المراد بالذكر الأول ذكر الآيات الكونية من خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والمراد بالذكر الثاني القرآن ، وقد جاء فيه عدة آيات تحث على الاعتبار بهذه الآيات الكونية ، بل إنّ ما ذكره المؤلف هو نص آية آل عمران ١٩٠ ، وانظر ايضاً البقرة ١٦٤ وغيرهما كثير من الآيات .

((من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون (٧٢))) .. لم يقل بظلام كما قال في قرينه بضياء ، لأن المنة في الأضواء أعظم من المنة في الظلمة ، [ثم إنه أراد إعلامهم بمنة السكون وهو في الليل لا في الظلمة][(١)] ، فانه اذا كان الليل مقمرا فالمنة كائنة بالسكون فيه ، فنعمة السكون نعمة عظيمة بها تقر الأعضاء وتستريح القوى و ...[(٢)] الأبدان ويلتذ به كل حيوان . ولذا قال تعالى : ((فالق الأصباح وجاعل[(٣)] الليل سكنا))[(٣)] ، ((وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه)) كما في[(٤)] آية يونس ، كذلك قال هنا :

((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار)) .. فهذا اخبار بأن هذا الجعل بسبب رحمته للعباد ، إذ لا يصلح أديانهم وأبدانهم ودنياهم إلا هذا الجعل الذي تسبب عن رحمته .

وأبان تعالى حكمة هذا الجعل بقوله ((لتسكنوا فيه)) أي في الليل ، ((ولتبتغوا من فضله)) أي في النهار ((ولعلكم تشكرون (٧٣))) فهو لف ونشر مرتب .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٢) هنا فراغ في كلا النسختين بمقدار كلمة ولعله حصل سهوا من الناسخ لا لشيء آخر ، اذ أن الكلام مستقيم لا يحتاج الى زيادة .

(٣) الأنعام ٩٦ .
أ ـ وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح العين واللام (جَعَل) فعلا ماضيا .
ب ـ وقرأ الباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام (جاعِلُ) اسم فاعل .
الاتحاف ص ٢١٤ .

(٤) في (م) كما قال في آية يونس ، بزيادة قال ، وآية يونس هي قوله تعالى ((هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون)) ٦٧ .

ولما ذكر تعالى آيتي الليل والنهار في قوله : ((وجعلنا الليل والنهار / آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة))[١] ، ذكر وجه حكمة ذلك الجعل بقوله ((لتبتغوا فضلا من ربكم))[١] . ١٠٢/ب

فهذه[٢] جعل آية النهار[٣] وهي الشمس مبصرة ، وقال ((ولتعلموا عدد السنين والحساب))[١] . فهذه حكمة محو آية الليل ، وهذا لف ونشر مشوش والأول مرتب تفنن منه تعالى في العبارات .

وهذا الأخير نظير ((يوم تبيّض وجوه وتسوّد وجوه ..))[٤] الى قوله في التفصيل ((فأما الذين اسودت وجوههم))[٤] ، فجاء بالاخبار عن الآخِر ثم أخبر عن الأول ، ولكل من البلاغة نكتة ، فالمقدم تقديم قدم رعاية لحق التقديم ، والتشويش تقديم للأقرب رعاية لحق القرب ، فلوحظ في كل مقام نكتته .

ونظير قوله ((وجعلنا الليل والنهار آيتين)) قوله ((هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب))[٥] واقتصر هنا[٦] على بيان حكمة جعل القمر نورا وتقديره منازل وطوى حكمة جعل الشمس ضياء[٧]

---

(١) الاسراء ١٢ .
(٢) معنى الكلام (فهذه حكمة جعل آية النهار ...) أو (فلهذه جعل آية النهار ..)
(٣) في كلا النسختين (آية النهاره) بزيادة هاء مربوطة ، أولا صغيرة وهي خطأ على كلا التقديرين ولا محل لها هنا .
(٤) آل عمران ١٠٦ - ١٠٧ .
(٥) يونس ٥ .
(٦) أي في آية يونس .
(٧) ليس الحكمة المصرح بها في قوله تعالى ((لتعلموا عدد السنين والحساب)) خاصة بوجود القمر ، بل هي حكمة حاصلة بوجود النيرين معاً ، فبالشمس تعرف الأيام ويسير القمر تعرف الشهور والأعوام .
انظر تفسير ابن كثير ٤٠٧/٢ ، وتفسير أبي السعود ١٦٠/٥ .

بذكرها في عدة مواضع .[1]

((ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٧٤))) .. تقدم بلفظه[2] لكنه كرره ليرتب عليه قوله ((ونزعنا من كل أمة شهيدا)) وهو رسولهم الذي أرسل اليهم ، كقوله تعالى ((فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد[3] وجئنا بك على هؤلاء شهيدا))[4] ، وقوله ((ويوم نبعث من كل أمة شهيد ثم لا يؤذن للذين كفروا / ولا هم يستعتبون))[5] وقوله ((ويوم[6] نبعث في[7] كل أمة ١٠٣/أ شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ...)) الآية[8] .

((فقلنا هاتوا برهانكم)) .. خطاب للمشركين بطلب الحجة القطعية على ما ادعوه من اثبات الشركاء لله .

((فعلموا أن الحق لله)) اذ لا برهان لهم على دعواهم . ((وضل عنهم ما كانوا يفترون (٧٥))) من أن لله تعالى شركاء وأنهم الشفعاء عند الله .

((إنّ قارون كان من قوم موسى)) .. أي من بني إسرائيل ممن آمن بموسى

---

(١) ومن حكمة وجود الشمس ما صرح به تعالى في قوله ((ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا)) ٤٥ الفرقان وما صرح به أيضا في قوله تعالى ((ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)) ١٥ ـ ١٦ من سورة نوح .

(٢) في الآية ٦٢ من هذه السورة وانظر تفسير المؤلف لها ص ٣٩٩ فما بعد

(٣) في كلا النسختين ((يوم نأتي من كل أمة بشهيد)) والصواب ما أثبته .

(٤) النساء ٤١ .

(٥) النحل ٨٤ .

(٦) في كلا النسختين (يوم) باسقاط الواو والصواب اثباتها (ويوم) .

(٧) في كلا النسختين (من كل) والصواب (في كل) كما أثبته .

(٨) النحل ٨٩ .

وعرف التوراة وكان أقرأ الناس لها[1] بعد موسى وهارون .

((فبغى عليهم)) .. أي على موسى وقومه أي خرج عما كانوا عليه من الإيمان ، ولذا بعث الله إليه وضمه إلى فرعون وهامان في قوله ((ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب))[2] .

وكان بغيه بسبب ما بسط الله له من الرزق وهو تحقيقٌ تصديقٌ[3] لقول الله تعالى ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض))[4] .

وقصة قارون إقامة للحجة على صدق آية الشورى* وأنه وقع البسط لقارون فوقع منه البغي ، ولذا قال تعالى ((إنّ ربك يبسط الرزق لمن يشاء)[5] ويقدر إنّه كان بعباده [خبيرا][6] بصيرا))[7] ، أي بتدبيرهم واعطاء كل أحد من الرزق ، يبسطه لمن يشاء بحكمته ويقدره على من يشاء ، فربك أبصر بما فيه نفعهم ، وبما فيه ضرهم . فاذا/اقتصر العبد على ما قسم له بُورك له فيه ، وإن طلب ١٠٣/ب الزيادة ربما كان فيها هلاكه .

وانظر الى قصة حليّ القبط التي استعارها بنو إسرائيل منهم ثم أغرق الله فرعون وقومه وبقيت حليهم مع بني إسرائيل ثم سوّل لهم السامري قذفها كما قالوا

---

(١) في النسختين (لهما) بالتثنية والصواب ما أثبته لأنه يعود على التوراة كما في معالم التنزيل ٤٥٤/٣ ، والكشاف ١٧٨/٣ .
(٢) غافر ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) هكذا في النسختين ولا يستقيم الكلام الا بحذف إحدى الكلمتين اذ هما بمعنى واحد .
(٤) الشورى ٢٧ .
(٥) في كلا النسختين (لمن يشاء من عباده) فكلمة (من عباده) ليست في آية الاسراء .
(٦) في كلا النسختين (انه كان بعباده بصيرا) وسقط منهما قوله (خبيرا) وهو من الآية . (٧) الاسراء ٣٠ .
(*) هكذا في النسختين ولعل الأصوب أن يقول : وقصة قارون بيان لآية الشورى فوقع له بسط ووقع منه بغي .

((حُمّلنا[1] أوزاراً من زينة القوم فقذفناها))[2] فصغها[3] السامري عجلا يعبدونه من دون الله .

وانظر إلى قصة ثعلبة بن حاطب الذي عاهد الله لئن آتاه من فضله ليصّدقن وليكونّن من الصالحين فلما آتاه [الله][4] من فضله بخل وتولى معرضا عما وعد به فأعقبه نفاقا في قلبه إلى يوم يبعثون بسبب اخلافه ما وعد به وسبب كذبه[5] .

---

(١) في (ص) (جمعنا) بدلا من (حُمّلنا) .
(٢) طه ٨٧ .
(٣) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (فصاغها) أو (فصنعها) .
(٤) لفظ الجلالة سقط من (م) .
(٥) قصة ثعلبة التي أشار اليها المؤلف أوردها ابن جرير في تفسيره ١٠/١٨٩-١٩٠ والواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٢ ، والبغوي ٢/٣١٢ - ٣١٣ ، والزمخشري ٢/١٦٣ ، وابن كثير ٢/٣٧٣ - ٣٧٤ ، وابن الجوزي ٣/٤٧٢ - ٤٧٤ وغيرهم خلق كثير ذكرهم السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٤٦ ، ولكنها لا تصح عن ثعلبة بن حاطب للوجوه التالية :

١ - أن ثعلبة بن حاطب ممن شهد بدرا وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية) مسند أحمد ٦/٣٦٢ .
وحكى عن ربه تعالى أنه قال لأهل بدر ((اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)) البخاري ٧/٣٠٥ كتاب المغازي .
فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه وينزل فيه ما نزل ؟ الاصابة ١/٤٠١ .

والوجه الثاني من أوجه تضعيف هذه القصة : هو اختلاف المفسرين في تعيين اسم صاحب هذه القصة ، فمع أن جمهور المفسرين يذكرون أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب نجد القرطبي يقول : وذكر عن ابن عباس في سبب نزول الآية أن حاطب بن أبي بلتعة أبطأ عنه ما له بالشام فحلف في مجلس من مجالس الأنصار ان سلم ذلك لأتصدقنّ منه ولأصلنّ منه فلما سلم بخل بذلك فنزلت . أهـ .
من تفسير القرطبي ٨/٢٠٩ ، وانظر تفسير ابن الجوزي ٣/٤٧٤ .

===

.....

== قلت : وحاطب بن أبي بلتعة شهد بدرا والحديبية كما في صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ ـ فضائل الصحابة ، وقال الضحاك انها نزلت في رجال من المنافقين وهم نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومُعَتِّب بن قشير .
انظير تفسير القرطبي ٢١٠/٨ ، وتفسير ابن الجوزي ٤٧٤/٣ .
الا أن ابن الجوزي جعلهم أربعة وعد معهم ثعلبة .
وجاء في تفسير ابن مردويه من طريق عطية عن ابن عباس أنها نزلت في رجل يقال له : ثعلبة بن أبي حاطب ، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة ابن حاطب الاصابة ٤٠١/١ .
وقال ابن حجر : وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي ان البدري ـ ثعلبة بن حاطب ـ استشهد بأحد .

والوجه الثالث من أوجه التضعيف : هو مخالفة هذه القصة لصريح القرآن والسنة ، فنصوص القرآن والسنة تدعو الى التوبة وترغب فيها كما قال تعالى : ((قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) . وقال تعالى ((وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)) ٨٢ طه . وقال صلى الله عليه وسلم (لله أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته اذا وجدها) . أخرجه مسلم ٢١٠٢/٤ .
وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) صحيح مسلم ٢١١٣/٤ .
بينما ورد في هذه القصة أن هذا الرجل جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الى أبي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان يسألهم جميعا أن يقبلوا صدقته فلم يقبلوها منه ، فهذا فيه سد لباب التوبة أمام ذلك التائب ، وهو خلاف الآيات والأحاديث ، بل وخلاف صفة الرحمة التي شهد الله بها لهذا النبي في عدة آيات ، فلم يبق أمامنا الا الجزم بأن هذه الرواية ضعيفة وهذا ما صرح به القرطبي في تفسيره حيث قال : وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله بالايمان ... فما روي عنه غير صحيح . أهـ .

ثم قال القرطبي بعد ذلك قال أبو عمر : ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح . تفسير القرطبي ٢١٠/٨ .
وقال ابن حجر في الاصابة ٤٠١/١ : وفي كون صاحب هذه القصة ـ ان صح الخبر ولا أظنه يصح ـ هو البدري ـ نظر .
===

وهذا قارون آتاه الله من الكنوز ما أثقلت العصبة ذات القوة مفاتح خزائن كنوزه كما قال تعالى ((وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة)) وقيّض الله له من ينصحه من قومه كما قال تعالى : ((إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين (٧٦))) أي الذين يفرحون بالدنيا اذ هي متاع زائل لا يفرح به ، وانما قيّدناه بالدنيا لأن الفرح بغيرها محبوب كقوله ((ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله))[1] ، بل أمر تعالى بالفرح بفضله ورحمته حيث قال : ((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا))[2].

فالمذموم هو الفرح بغير الحق كما قال تعالى لأهل النار : ((ذلكم[3] بما

== ثم قال في تخريج أحاديث الكشاف ص ٧٧ : حديث أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال (يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ...) الخديث . أخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب ، وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن يزيد عن القاسم بن عبدالرحمن عن أمامة ، وهذا اسناد ضعيف جدا . أهـ .

وأورد الهيثمي هذه القصة في مجمع الزوائد ٣١/٧ ـ ٣٢ ثم قال بعد ذلك : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك .

وقال السيوطي في لباب النقول ص ١٢١ : أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة ، ثم ذكر القصة .

وقال محمود شاكر في تحقيقه لتفسير ابن جرير ٣٧٣/١٤ : وهذا الخبر ضعيف كل الضعف ، ليس له شاهد من غيره ، وفي بعض رواته ضعف شديد أهـ بتصرف

(١) الروم ٤ ـ ٥ .

(٢) يونس ٥٨ .

(٣) في كلا النسختين (ذلك بما كنتم) والصواب ما أثبته .

كنتم / تفرحون في الأرض بغير الحق))[١] ، ثم أردفوها بالنصيحة الثانية ((وابتغ ٦١/١٠٤
فيما آتاك الله الدار الآخرة)) ، وذلك أن الله يقول ((وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظمَ أجرا))[٢] . فقوم قارون يحثونه على انفاق ما أعطاه الله فيما يعود عليه نفعه في الدار الآخرة وثلثوا نصحه[٣] بقولهم : ((ولا تنس نصيبك من الدنيا)) قال السلف فيه أقوال : لا تترك أن تعمل لله في الدنيا[٤] .

وقيل : قدّم الفضل وأمسك ما يبلغك .[٥] .

وقيل : احبس قوت سنة وتصدق بما بقي .[٦]

وقيل : أن تأخذ من الدنيا ما أحل الله لك فان لك فيه غنى وكفاية .[٧]

وقيل : نصيبك من الدنيا أن تقدم فيه لآخرتك .[٨]

---

(١) غافر ٧٥ .

(٢) المزمل ٢٠ .

(٣) في (م) (نصحته) .

(٤) أخرجه ابن جرير ١١٢/٢٠ وابن أبي حاتم ص ٣٨٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣٩/٦ ، وقريبا منه ما أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ص ٣٩٦ وابن جرير أيضا ١١٢/٢٠ عن مجاهد قال : العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا الذي يثاب عليه في الآخرة .

(٥) أخرجه ابن جرير ١١٣/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٣٨٦ كلاهما عن الحسن البصري ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٣٩/٦ ونسبه الى الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم . وانظر تفسير ابن الجوزي ٢٤١/٦ وتفسير القرطبي ٣١٤/١٣ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ص ٣٩٠ عن الحسن البصري أيضا ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٣٩/٦ ، وعزاه الى من ذكرناهم في الفقرة السابقة .

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٣٩/٦ وعزاه الى عبد بن حميد عن قتادة . وقتادة يرويه عن الحسن البصري كما في تفسير ابن جرير ١١٣/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣٩٠ .

(٨) أخرجه ابن جرير ١١٢/٢٠ عن ابن عباس وعن ابن زيد وبعدة طرق عن مجاهد وكذلك ابن أبي حاتم أخرجه عن هؤلاء ص ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .
وذكره البغوي ٤٥٤/٣ وعزاه الى مجاهد وابن زيد وانظر الدر المنثور ٤٤٠/٦
===

وأتوا بالنصيحة الرابعة ((وأحسن كما أحسن الله اليك)) يقولون قابل إحسان الله بالإحسان إلى عباده وبذل ما أعطاك في وجوه الخير فهل جزاء الإحسان [(١) إلا الإحسان](٢) .

وأتوا في الخامسة بقولهم ((ولا تبغ الفساد في الأرض)) .. بما أعطيت من الكنوز ، فان المال مطغاة كما قال تعالى ((كلا إنّ الانسان ليطغى أنْ رآه استغنى))(٣) ، وقال : ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض))(٤) .

وذكروا علة ذلك بقولهم ((إنّ الله لا يحب المفسدين (٧٧))) ولا الفساد قال تعالى : ((وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها [ويهلك الحرث والنسل](٥) والله لا يحب الفساد))(٦) .

وقال في فرعون : ((إنّه كان من المفسدين))(٧) ولله درهم ما أحسن

== وتفسير القرطبي ٣١٤/١٣ ، وجميع هذه الأقوال متقاربة ويشملها قول ابن كثير رحمه الله حيث قال عند تفسير هذه الآية : أي استعمل ما وهبك الله من المال والنعمة في طاعة ربك ولا تنس نصيبك من الدنيا أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح (فإنّ لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولزورك عليك حقا فآت كل ذي حق حقه) أهـ . كلام ابن كثير بتصرف ٣٩٩/٣ .
والحديث الذي أورده في نهاية كلامه أخرجه البخاري بروايات متعددة ، فانظره في ٢٠٩/٤ كتاب الصوم ، وفي ٥٣١/١٠ كتاب الأدب .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٢) ان أراد الآية فنصها ((هل جزاء الاحسان الا الاحسان)) بحذف الفاء ، والآية هي ٦٠ من سورة الرحمن .
(٣) العلق ٦ ـ ٧ .
(٤) الشورى ٢٧ .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٦) البقرة ٢٠٥ .
(٧) القصص ٤ .

هذه النصائح لو صادفت آذنا سامعة / ونفسا للحق مطاوعة لكنه أجاب الشقي بما حكى تعالى عنه بقوله : ((قال إنّما أوتيته على علم عندي)) وهذا القول منه نظير ما حكاه الله عن الإنسان في قوله : ((فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال إنّما أوتيته على علم))[1] . ١٠٤/ب

قال المفسرون : أي على علم من الله إني له أهل[2] ، ولكن كلام قارون أنه أوتيه على علم عنده ، وكلام الإنسان على علم من الله باستحقاقه النعمة . أي إنّما اعطاني الله ذلك مجازاة على علمي ، فكيف تقولون كما أحسن الله إليك وإنما[3] أعطاني لاستحقاقي بمعرفة التوراة .

قال أئمة التفسير : وكان أتلى الناس للتوراة بعد موسى وهارون[4] .

فهذا الجواب من جهله وعدم علمه فان الله هو الذي اعطاه ، كما قال لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((وعلمك ما لم تكن تعلم))[5] ، وكما علمه أن يدعوه ويقول ((رب زدني علما))[6] ، وقالت الملائكة : ((لا علم لنا الا ما علمتنا))[7] ، وقال تعالى ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها))[8] ، وقال في الخضر ((آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما))[9]

فهذا الشقي لم يعلم أن العلم الذي عنده هو من عطاء الله وفضله ، وقال

---

(١) الزمر ٤٩

(٢) تفسير البغوي ٨٢/٤ ، والكشاف ٣٥٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٥٧/٤ .

(٣) في (ص) (فانه أعطاني) .

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠٦/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٣٥٥ ، وتفسير البغوي ٤٥٤/٣ .

(٥) النساء ١١٣ .

(٦) طه ١١٤ .

(٧) البقرة ٣٢ .

(٨) الأعراف ١٧٥ .

(٩) الكهف ٦٥ .

تعالى : ((ولقد آتينا داود وسليمان[1] علما وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين))[2] .

وانظر إلى سليمان عليه السلام حيث رأى عرش بلقيس مستقرا عنده قد جاءه به من عنده / علم من الكتاب قبل ارتداد طرفه ((قال هذا من فضل ربي ١٠٥/أ ليبلوني أأشكر أم أكفر ....)) الآية[3] . ولم يقل كما قاله هذا الشقي ((على علم عندي)) ، مع تصريح الله تعالى أنه آتاه[4] منه علما وذلك لعلم سليمان أنّ كل خير من فضل الله لا لإستحقاق العبد ولذا قال هو وداود ((الحمد لله الذي فضّلنا))[2] أي بما أعطانا من العلم . وقال في إتيان عرش بلقيس ((هذا من فضل ربي)) فاعترف بأنّ العلم وإتيان العرش كله من فضل الله تعالى .

وقارون الشقي يقول فيما أعطاه الله من الكنوز إنه لأجل استحقاقه لعلمه ولا غرو تلك[5] أسرار النبوة فاضت على لسان سليمان عليه السلام ، وهذا ثمرات الجهل بالله والكبرياء ألقاها الشيطان على لسان قارون .

((أو لم يعلم)) أي قارون ((أنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة)) .. هذا تقرير منه تعالى أنّ قارون قد علم اهلاك من قبله ممن هو أشد منه قوة .

((وأكثر جمعا)) أي أهلكهم بذنوبهم ، واذا كان عالما أن الله قد أهلك من ذكر وأنه ما أغنى عنهم جمعهم فلم لا يحذر ذلك ويخاف ويقبل نصيحة الناصحين ، بل من فتح الله عليه أبواب الرزق ينبغي أن يكون أشد الناس خوفا

---

(١) في كلا النسختين (منا علما) بزيادة (منا) وهي خطأ .
(٢) النمل ١٥ .
(٣) النمل ٤٠ .
(٤) ضمير الغائب هنا يعود الى سليمان عليه السلام والمؤلف يشير بهذا الى الآية السابقة النمل ١٥ .
(٥) هكذا في النسختين ولعل الصواب (فتلك) بزيادة الفاء .

من الله لأنه لا يقوم بشكر نعمه لأنه تعالى يقول في من فتح له أبواب كل شيء ((حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة))[١] وقارون قد فرح بما أوتي ولذا قال له ناصحوه / ((لا تفرح)) . ١٠٥/ب

((ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨))) .. لأن الله أعلم بها منهم ، لأن الله قد علم بها منهم ، فكيف يسألون عنها .

ونظيره : ((فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان))[٢] ، واما مثل قوله : ((وقفوهم إنّهم مسؤولون))[٣] ، ونحو : ((فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون))[٤] .

فقد أجاب عن هذا البحر ابن عباس من سأله عن ذلك وأنّ مواقف الآخرة مواقف متعددة يُسألون في بعضها ولا يُسألون في بعض آخر[٥] [٦] .

---

(١) الأنعام ٤٤ .
(٢) الرحمن ٣٩ .
(٣) الصافات ٢٤ .
(٤) الحجر ٩٢ ـ ٩٣ .
(٥) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٥٥٦/٨ .
(٦) وقد زاد الشنقيطي رحمه الله وجهين آخرين للجمع بين ما يوهمه ظاهر هذه الآيات :
الأول : منهما ما نقله عن الحليمي : أن اثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ونفي السؤال محمول على ما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه ويدل لهذا قوله تعالى ((فيقول ماذا أجبتم المرسلين)) ٦٥ القصص .
والوجه الثاني : أن السؤال المثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع ، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام ، وهذا ما تدل عليه الآيات ، اذ أنّ سؤال الله لهم ـ المنصوص عليه في القرآن ـ كله توبيخ وتقريع . وهذا الوجه ما استظهره الشنقيطي في كتابه دفع ايهام الاضطراب ص ١١٥ .

((فخرج على قومه في زينته)) .. اختلفت الروايات في الزينة التي خرج عليهم فيها .

فعن زيد بن أسلم : خرج في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وكان ذلك أول يوم [رؤيت][1] فيه المعصفرات في الأرض .[2]

وعن أوس بن أوس الثقفي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خرج على قومه في أربعة الاف عليهم البزيون)[3] أي ثياب السندس .[4]

((قال الذين يريدون الحياة الدنيا)) هم قوم من أهل التوحيد[5] ((ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم (٧٩))) ، فيه أن ارادة الحياة الدنيا من المؤمن لا تقدح فيه ، وقد قال الله تعالى في الصحابة ((منكم من يريد الدنيا))[6] .

وقال في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ...)) الآية[7] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ترك له فراغ في كلا النسختين وأثبته من تفسير ابن أبي حاتم .

(٢) هذا الأثر أخرجه ابن جرير ١١٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٠٤ ، والبغوي ٤٥٥/٣ ، والقرطبي ٣١٦/١٣ ، مع اختلاف يسير في الفاظه ، الا أنهم مجمعون على رواية سبعين ألفا ، ولم يذكر تسعين ألفا الا الزمخشري ١٧٩/٣.

والمعصفرات : الثياب المصبوغة . انظر الصحاح ٧٥٠/٢ عصفر .

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٤١/٦ ونسبه الى ابن مردويه ، وقريبا منه ما أخرجه ابن أبي حاتم ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، ولكنه موقوفا على عطاء الخرساني .

(٤) الصحاح ٢٠٧٨/٥ (يزن) .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ص ٤٠٨ ، وانظر الكشاف ١٧٩/٣ .

(٦) آل عمران ١٥٢ .

(٧) الأحزاب ٢٨ .

إلا أنّ الأولى بالمؤمن ألا يمد عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا كما قال لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به / أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه))[1] . لأنه ينشأ عن مد العين هذا التمني ويتولد عنه استحقار نعمة الله على عبده فهو من سد الذرائع . ١٠٦/أ

وقوله : ((إنه لذو حظ عظيم)) .. أي جد وجاه ، وكأنهم يريدون عند الله الذي أعطاه هذه الكنوز ، ولعلهم من جهال المؤمنين ، ولذا قال ((وقال الذين أوتوا العلم)) بمقادير[3] الدنيا وهوانها عند الله وأنه يعطيها من لا حظ له عنده[4] ، وأنّ الآخرة خير وأبقى .

((ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها)) .. أي هذه الخصلة وهي الإيمان والعمل الصالح ((الا الصابرون (٨٠))) على اكتساب الثواب بالأعمال الصالحة وبالصبر على ذلك ، أو لا يلقى الجنة الا الصابرون .

وفي كتب التفسير[5] أنّ قارون لما فُرضت الزكاة وطُلبت منه شحت نفسه بها وأراد كيادة موسى عليه السلام وتنفير بني إسرائيل عنه ، فطلب امرأة بغيا

---

(١) الأحزاب ٢٨ .
(٢) طه ١٣١ .
(٣) هكذا في (ص) وفي (م) (بمغاذير) ولعل الصواب (بمقدار) .
(٤) وقد ورد في سنن الترمذي ٥٦٠/٤ ، وفي سنن ابن ماجة ١٣٧٧/٢ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) .
(٥) انظر تفسير الطبري ١١٦/٢٠ ـ ١١٩ ، وابن أبي حاتم ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، وص ٤١٤ ، ٤١٧ ـ ٤٢٠ ، والكشاف ١٧٩/٣ ، وابن الجوزي ٢٣٩/٦ ، والقرطبي ٣١١/١٣ ، والمستدرك للحاكم ٤٠٩/٢ ، والبغوي ٤٥٧/٣ ، والدر المنثور ٤٣٦/٦ ، ٤٤١ .

وجعل لها مالا على [أن][1] ترميه بالفاحشة وأنه أرادها موسى عليه السلام ، وراودها على نفسها[2] ، واجتمع بنوإسرائيل وقام موسى عليه السلام فيهم خطيبا فكا[ن][3] فيما خطب أن قال : ومن زنا جلدناه إن كان بكرا ، ورجمناه إن [كان][4] محصنا . فقال له قارون : ولو كنت أنت ؟ قال : ولو كنت أنا فقال : إنّ فلانه تقول كذا ، وطلبها موسى واستفهمها فقلب الله قلبها ورزقها التوبة فقالت : ما أجد اليوم توبة أفضل من أن أكذب عدو الله وأبرئ رسول الله ، فقالت :إنّ قارون بعث إليّ فقال لي : هل لك أن أمولك واصطفيك واخلطك[5] بنسائي على أن تأتيني[6] وبنوا إسرائيل عندي وتقولي[7] : ياقارون / ألا تنه موسى عني .... الحديث[8] . ١٠٦/ب

فقام موسى عليه السلام عند ذلك وبكى وتضرع وقال : يا رب عدوك قارون كان لي مؤذيا وذكر أشياء ثم لم ينته حتى أراد فضيحتي ، يا رب سلطني عليه فأوحى الله اليه أن مُر الأرض بما شئت تطعك[9] . فقال : يا أرض خذيهم فاضطربت داره وخسف به . والقصة مبسوطة بزيادة ونقصان[10] فهذا قول الله تعالى :

---

(١) ما بين المعقوفيث ساقط من (ص) .-
(٢) هكذا في كلا النسختين والصواب (عن نفسها) .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٥) في (م) (واخلمك) بالصاد .
(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه (تأتينني) بنون الوقاية .
(٧) في النسختين (وتقولين) والصواب بحذف النون كما اثبته .
(٨) هذه الرواية موقوفة على ابن عباس ولم يصرح أحد برفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تسميها حديثا ، ثم وإن كان لا مجال فيها للرأي ، فلعلها مما أخذه ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أهل الكتاب .
(٩) في النسختين (تطيعك) والصواب بحذف الياء كما أثبته .
(١٠) سبق تخريج الأثر في الفقرة ٥ ص ٤٣٣

((فخسفنا به وبداره الأرض)) ، وهو مراد في قوله تعالى ((و[1] منهم من خسفنا به الأرض))[2] .

وكذلك ذكر الله تعالى أنه خسف بقرى لوط حيث قال ((فجعلنا[3] عاليها سافلها[4])) .

((فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين(٨١)))، أي لا ناصر له ولا هو يطلب النصر من أحد .

وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم في وعيد العصاة أنه ليس لهم من دون الله من ولي ولا نصير .[5]

((وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس)) أصبح أي صاروا[6] بعد الخسف به ((يقولون)) متندمين على تمني ما أُوتي قارون يقولون ((ويك)) فيها أقوال:[7]

---

(١) الواو ساقطة من كلا النسختين .
(٢) العنكبوت ٤٠ .
(٣) في (م) (وجعلنا) بالواو ، والآية بالفاء (فجعلنا) .
(٤) الحجر ٧٤ .
(٥) قال تعالى : ((والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير)) ٨ الشورى وغيرها آيات كثيرة .
(٦) انظر معالم التنزيل ٤٥٧/٣ ـ ٤٥٨ .
(٧) قال السمين : وفي ويكأنه مذاهب :
أحدها : أن (وي) كلمة برأسها وهي اسم فعل معناها أعجب أي أنا ، والكاف للتعليل وأن وما في حيزها مجزورة بها أي أعجب لأن الله يبسط الرزق ، وقياس هذا القول أن يوقف على (وي) وحدها ، وقد فعل ذلك الكسائي .
الثاني : قال بعضهم كأن هنا للتشبيه الا أنه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين ، وهذا أيضا يناسب الوقف على (وي) .
الثالث : أن (وي) كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة
===

منها أعلم[1] ((أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده)) كما بسط لقـــارون ((ويقدر)) أي يوسّع ويضيّق ((لولا أن من الله علينا)) بعدم اعطائنا ماتمنينا لخسف بنا ، أي لو أعطانا ذلك ((لخسف بنا)) كما خسف بقارون ، لأنا قـد نسلك مسلكه / ونهلك مهلكه . ١٠٧/أ

((ويك[2] أنه لا يفلح الكافرون (٨٢))) .. أي أن الاتصاف بالكفر سبب عـدم الفلاح ، كما أنّ الإيمان سبب الفلاح . ((قد أفلح المؤمنون ..)) الآية[3] .

((تلك الدار الآخرة)) أي نعيم الدار الآخرة،لا نفس الآخرة فهـــــي مجعولة معادا للكافر والمؤمن ، أو أريد بالدار الآخرة الجنة .

((نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض [ولا فسادا][4])) كما كان من قارون ، فانه بغى وأفسد ولذا قال له ناصحوه ((لا تبغ الفساد في الأرض)) ،

== لمحذوف أي اعلم أن الله يبسط . قاله الأخفش ، وهذا يناسب الوقـــف على (ويك) وقد فعله أبو عمرو .
الرابع : أن أصلها (ويلك) فحذفت اللام ، وهذا يناسب الوقف علـــى الكاف أيضا كما فعل أبو عمرو .
الخامس : أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها ألم تر وربما نُقـل ذلك عن ابن عباس ، ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى الى صنـع الله وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير ، ولم يرسم فـي القرآن الا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين ، فعامة القراء اتبعوا الرسـم والكسائي وقف على وي،وأبو عمر على ويك . أهـ . الفتوحات الالهية ٣٦٣/٣ وانظر تفسير البغوي ٤٥٨/٣ ، وتفسير القرطبي ٣١٨/١٣-٣١٩ وانما آثـرت كلام السمين عليهما لتعرضه للقراءات دونهما . وانظر الاتحاف ص ٣٤٤ .

(١) وما أختاره المؤلف من معنى (ويك) حكاه القرطبي ٣١٩/١٣ عن ابـن الأعرابي وهو الوجه الثالث من الوجوه التي ذكرها السمين .

(٢) يلاحظ أن المؤلف وقف على الكاف في كلا الموضعين وهذه قراءة أبو عمرو كما في الاتحاف ص ٣٤٤ .

(٣) المؤمنون ١

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وهي من تمام الآية بل هي ما اقتصـــر المؤلف على بيانها .

ومثل فرعون، فانه تعالى أخبر أنه [1] ((إنّ فرعون علا في الأرض ...)) الى قوله : ((إنّه كان من المفسدين)) [2] ، والآية [3] فيمن يريد ذلك فكيف من صدرت منه ؟!

((والعاقبة للمتقين (٨٣))) أي العاقبة المحمودة لهم [4] ، كقوله تعالى : ((أولئك لهم عقبى الدار، جنات عدن يدخلونها ...)) الآية [5]

((من جاء بالحسنه فله خير منها)) .. تقدم ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)) [6] ، وتقدم : ((من جاء بالحسنة فله [7] خير منها)) [8] ،

---

(١) هكذا في كلا النسختين ، فاما أن تكون زائدة ، وهو الأولى ، واما أن تقدر لها خبرا مما أفادته الآية فيصبح السياق ومثل فرعون فانه تعالى أخبر أنه - أي فرعون - علا في الأرض وأفسد فيها ثم نستشهد بالآية التي أوردها المؤلف .

(٢) القصص ٤ .

(٣) أي آية القصص ٨٣ .

(٤) تفسير البغوي ٤٥٨/٣ .

(٥) في كلا النسختين (فنعم عقبى الدار) فهذه اللفظة هي في ختام السياق ، اذ هي ختام الآية ٢٤ من سورة الرعد ، وأما بداية السياق فهو ما أثبته وهو من الآية ٢٢ فما بعدها من نفس السورة ، فلعله اشتبه على المؤلف رحمه الله بداية السياق بنهايته .

(٦) الأنعام ١٦٠ .

(٧) في كلا النسختين (وتقدم ((من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)) بل في (ص) (عشرة أمثالها) ، ولا توجد هذه اللفظة الا في آية واحدة وهي آية الأنعام التي سبق الاشارة إليها فلم يبق أمامنا الا أن يكون هذا الكلام مكررا ويسقط ليستقيم السياق .
أو نثبت بدلا منه آية النمل حيث سبق الكلام عليها ص٣٢٩ ثم إنّها شبيهة بالآية المفسّرة ، ثم إنّها كانت مثبتة في (ص) ثم طمست فلعلها كانت في الأصل ، وإنّما حذفها كان بتصرف من الناسخ .
فلهذه الأوجه آثرت اثبات آية النمل بدلا من تكرار آية الأنعام .

(٨) النمل ٨٩ .

ولا ريب أن العشر خير من الواحدة ؛ فكيف والله تعالى قد يضاعف أجرها الى سبعمائة ضعف .(١)

((ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الذين عملوا السيئات الا ماكانوا يعملون (٨٤))) .. أي من غير زيادة ، لأن جزاء الحسنات من باب الفضل فلا غرو أن يضاعفها الله اضعافا(٢) كثيرة وجزاء السيئة من باب العدل فلا يجزى فاعلها الا مثلها ، وكذلك / يقول تعالى في جزاء السيئات ((جزاءً وفاقاً))(٣) . ١٠٧/ب

((إنّ الذي فرض عليك القرآن)) .. أي اودعك تلاوته وابلاغه وبيانه للناس والعمل بما فيه . ((لرادك الى معاد)) قيل الى القيامة(٤) .

وقيل الى الجنة(٥) .

وقيل : الى الموت(٦) .

---

(١) يشير المؤلف الى قوله تعالى ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبة مائة حبة ..)) الآية ٢٦١ من سورة البقرة ، بل ربما تزيد المضاعفة على السبعمائة ضعف بدلالة قوله تعالى بعد ذلك ((والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) ٢٦١ وقوله تعالى في نفس السورة آية ٢٤٥ ((من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة))

(٢) في كلا النسختين (أضاعافا) .

(٣) النباء ٢٦ .

(٤) انظر تفسير عبدالرزاق ص ٣٩٦ ، وتفسير الطبري ١٢٤/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٥٥ ، والدر المنثور ٤٤٦/٦ ، وتفسير البغوي ٤٥٩/٣ ، وابن الجوزي ٢٥١/٦ ، والقرطبي ٣٢١/١٣ .

(٥) انظر تفسير الطبري ١٢٤/٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ص ٤٥٣ ، ٤٥٧ ، والبغوي ٤٥٩/٣ ، والقرطبي ٣٢١/١٣ ، وابن الجوزي ٢٥٠/٦ ، والدر المنثور ٤٤٦/٦ .

(٦) انظر تفسير الطبري ١٢٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٥٣ ـ ٤٥٥ ، والبغوي ٤٥٩/٣ ، وابن الجوزي ٢٥١/٦ ، والقرطبي ٣٢١/١٣ ، والدر المنثور ٤٤٦/٦ .

وقيل [إلى][1] مكة[2] . لأن الآية نزلت قبل فتحها .

((قل ربي أعلم من جاء بالهدى[3])) لما قال الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ((هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا))[4] ، كما عُرف من سبب النزول وهو أنّ كفار مكة أرسلوا الى اليهود يسألونهم أهم أهدى سبيلا أم محمد؟ فأجابت عليهم كفار اليهود أنتم أي كفار قريش أهدى[5] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٢) تفسير النسائي ص ١٦٠ ، وابن جرير ١٢٥/٢٠ ، وابن أبي حاتم ص ٤٥٨-٤٦٠ وصحيح البخاري مع الفتح ٥٠٩/٨ ، وتفسير البغوي ٤٥٨/٣ ، وابن الجوزي ٢٥٠/٦ ، والقرطبي ٣٢١/١٣ ، والدر المنثور ٤٤٥/٦ .
قلت : ولا تعارض بين هذه الأقوال فقد جمع بينها ابن كثير رحمه الله حيث قال : ووجه الجمع بين هذه الأقوال أنّ ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه الى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم ... ولهذا فسر ابن عباس - تارة أخرى - قوله ((لرادك الى معاد)) بالموت .
وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت .
وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره صلى الله عليه وسلم أهـ . بتصرف .
من تفسير ابن كثير ٤٠٣/٣ ، وانظر تفسير ابن عباس ٧١٣/٢ .
وهناك قول خامس أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ص ٤٦٢ وعزاه الى نعيم القاري حيث قال في معنى قوله تعالى: ((لرادك الى معاد)) لرادك إلى بيت المقدس .
قال ابن كثير : وهذا والله أعلم يرجع الى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر . أهـ تفسير ابن كثير ٤٠٣/٣ .

(٣) في كلا النسختين ((من جاء بالهدى من عنده)) بزيادة (من عنده) وهي ليست من هذه الآية التي يريد تفسيرها بل هي جزء من الآية ٣٧ من هذه السورة .

(٤) النساء ٥١ .

(٥) تفسير عبدالرزاق ص ١٣٣ ، وتفسير الطبري ١٣٣/٥ - ١٣٥ ، وتفسير البغوي ٤٤١/١ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ١٤٩ - ١٥٠ ، والسيوطي ص ٧٠-٧١ وللوادعي ص ٤٤ ، وموارد الظمآن ص ٤٢٨ ، ومجمع الزوائد ٥/٧ - ٦ ، وسيرة ابن هشام ١٠٢٤/٣ .

ولما قالوا أيضاً ((أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا))[١] أمر الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لهم ((ربي أعلم من جاء بالهدى))[٢].

((ومن هو في ضلال مبين (٨٥) وما كنت ترجو أن يُلقى اليك الكتاب)) ، هو نظير ((ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان))[٣] ، فكيف ترجو ما لا تدري ، ومثل ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك))[٤].

((إلا رحمة من ربك)) .. استثناء منقطع أي لكن رحمة ربك لك أنزلته نحو((ذكر رحمة ربك عبده زكريا))[٥].

((فلا تكونن ظهيرا للكافرين (٨٦))) معينا لهم ، وهو أمر بأن استمر على عدم مظاهرتهم / وقال موسى عليه السلام ((رب بما أنعمت علي فلن أكون [ظهيرا][٦] للمجرمين))[٧]. ١٠٨/أ

((ولا يصدُّنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك)) .. لما كان أعظم همّ المشركين صده صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن آيات الله ورسالته والابلاغ حذّره الله تعالى دواهيهم[٨] نحو ((وان كادوا ليفتنونك ..)) الى قوله ((.. و[٩]لولا أن ثبتناك ..)) الآية[١٠] ، ونحوه ((واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك))[١١].

---

(١) مريم ٧٣ .
(٢) في كلا النسختين زيادة (من عنده) فيراجع الفقرة(٣) من الصفحة السابقة
(٣) الشورى ٥٢ .
(٤) العنكبوت ٤٨ .
(٥) مريم ٢ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) . (٧) القصص ١٧ .
(٨) الداهية : الأمر المنكر العظيم ، كما في لسان العرب ٢٧٥/١٤ (دها) .
(٨) هذه الواو ساقطة من كلا النسختين وهي من تمام الآية .
(١٠) الاسراء ٧٣ ـ ٧٤ . (١١) المائدة ٤٩ .

((وادع الى ربك)) نحو ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))[١] ونحوه ((قم فأنذر))[٢] ((ولا تكونن من المشركين (٨٧))) أي استمر على عدم الكون منهم واستمر على ألا تدع مع الله إلها آخر ((لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم)) كما بين قريبا أن الحكم له في الدارين[٣] ((وإليه)) لا إلى غيره ((ترجعون (٨٨)))[٤] ((إلى الله تحشرون))[٥] ((إنّ إلينا إيابهم))[٦] نحو ((جمعناكم والأولين فان كان لكم كيد فكيدون))[٧]

---

(١) النحل ١٢٥ .
(٢) المدثر ٢ .
(٣) ارجع إليه ص ٤٩٧ .
(٤) في كلا النسختين ((ألا إلى الله تحشرون)) والصواب ماأثبته .
(٥) آل عمران ١٥٨ .
(٦) الغاشية ٢٥ .
(٧) المرسلات ٣٨ ـ ٣٩ . ونص الاية الأولى ((هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين)) ٣٨ .

سورة العنكبوت

١٠٩/ب (١)

" سورة العنكبوت "

بسم الله الرحمن الرحيم

((الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢))) .. استفهام انكاري ، أي لا يظنون أنه يكتفى منهم بالإيمان من دون فتنة ، بل لابد معه من الفتنة . إما فتنة الضراء أو فتنة السراء ، كما قال تعالى ((ونبلوكم بالشر والخير فتنة))(٢) ، وكما قال تعالى : ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله))(٣)

وقوله : ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين))(٤) .

وقوله : ((أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة))(٥) .

والفتنة أعم من فتنة العدو ، قال تعالى : ((إنّما أموالكم وأولادكم فتنة))(٦) ((وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا))(٧) .

والفتنة الابتلاء والاختبار(٨) . ومنها ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع

---

(١) الورقتان ١٠٨ب و ١٠٩ أ من نسخة (ص) خاليتان من الكتابة من غير نقص في المخطوط .
(٢) الأنبياء ٣٥ .
(٣) البقرة ٢١٤ .
(٤) آل عمران ١٤٢ .
(٥) التوبة ١٦ .
(٦) التغابن ١٥ .
(٧) الفرقان ٢٠ .
(٨) لسان العرب ٣١٧/١٣ (فتن) .

ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين # الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا اليه راجعون # أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون))[1] .

فهو تعالى يبتلي العباد بالضراء ليستخرج صبرهم ويبتليهم بالسراء ليستخرج شكرهم ، فيؤتى الصابرين أجرهم بغير حساب ، ويزيد الشاكرين من فضله ، ومنه زيادة شكرهم كما قال تعالى : ((ويزيد الله الذين اهتدوا هدى))[2] .

وكذلك يزيد الشاكرين شكرا ويزيدهم مما آتاهم متى شكروه عليه ، فان الشكر كما يقال قيد للنعم الموجودة وصيد للنعم المفقودة .

((ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين (٣))) .

المراد بقول الله / ((فليعلمن الله)) الآية هو علم[3] الوقوع والمشاهدة ، ١١٠/أ والا فهو عالم بكل كائنة قبل كونها ، هذه[4] تسلية لكل مفتون وتأسية لكل مبتلى من العباد بأي أنواع الفتون[5] .

وهو دليل لتأسية كل مبتلى فان فيها ترويحا لخاطر المبتلى وتسلية نفسه ، ولذا قيل :[6]

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أسلي النفس عنه بالتأسي

---

(١) البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧ .
(٢) مريم ٧٦ .
(٣) في (م) (علة) بدل علم وهو خطأ ظاهر .
(٤) اسم الاشارة يعود الى الآية وكأن الأصواب أن يقال (وهذه) باثبات الواو .
(٥) مكتوب أمام هذه الكلمة في هامش كلا النسختين (الغبون) ولم أجد لها محلا .
(٦) القائلةهي تماضر بنت عمرو المشهورة بالخنساء وذلك ضمن قصيدة ترثي فيها أخاها صخرا . انظر ديوان الخنساء ص ٨٤ ـ ٨٥ .

ولذا قال كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزوة تبوك بعد أن أقر أن تخلفه لا لعذر وسأل هل قال أحد مثل ما قال ؟ فذكر له رجلان من الصحابة فالأمثل ما قال ، فقال:فيهم أسوة.(١)

بل قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك))(٢) .

وتثبيت الفؤاد بالتأسية بمن مضى من رسل الله ، ولذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد آذاه من آذاه : (رحم الله أخي موسى قد لقي أكثر من هذا فصبر)(٣) أو نحو هذا اللفظ .

وقال تعالى : ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل))(٤) ، فلا صبر الا عن ابتلاء .

وقال تعالى : ((لا تكونوا كالذين آذوا موسى))(٥) الآية .

فكل قصص القرآن يريد بها ما أراده(٦) الله ومنه التأسي . ولذا قيل(٧) : إن التأسي روح(٨) كل حزين(٩) ، سبحان من قدر الابتلاء ودل على تخفيفه بدواء التأسي وسلى .

---

(١) قصة كعب بن مالك أخرجها البخاري ١١٣/٨ ـ ١١٦ كتاب المغازي .
(٢) هود ١٢٠ .
(٣) صحيح البخاري ٢٥٢/٦ ، ٤٣٦ .
(٤) الأحقاف ٣٥ .
(٥) الأحزاب ٦٩ .
(٦) هكذا في كلا النسختين والكلام غير مستقيم وأقرب شيء للصواب أن يقال يراد بها ما أراده الله .
(٧) لم اعرف القائل .
(٨) في (م) (روح من كل حزين) بزيادة من وهي خطأ .
(٩) ما أورده المؤلف هو الشطر الثاني من البيت وأوله : قصوا علي حديث من قتل الهوى.. كما يفهم من هامش النسختين .

ثم انه تعالى لما افتتح السورة بذكر الابتلاء وأخبر أنه [قد][1] فتن القرون الأولى من المالحين والأنبياء عليهم السلام والعباد والأولياء ـ ويكفيك قوله تعالى في خطاب نبيه[2] ((وفتناك فتونا))[3] ـ

ومن العصاة والأشقياء كما دل له عموم ((الذين قبلهم))[4] فانه عام للاشقياء والأتقياء وجميع أهل الدنيا ـ ذكر تعالى قصص كثير / من الرسل وفتنتهم بالأمم ١١٠/ب وفتنة الأمم بالرسل وعاقبة كل من الفريقين ، وذكرها بالاجمال والاشارة لأنه قد فصلها في مواضع من القرآن ، كسورة الأعراف وسورة هود وسورة الأنبياء وسورة الصافات ، فكان افتتاحها بذكر ابتلاء الأولين براعة استهلال لما تضمنه صدرها إلى قوله ((وما يعقلها الا العالمون)) كما سيمر بك ذلك .

قوله تعالى : ((أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٤))) .. هو نظير قوله في السورة هذه ((وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)) ، ومثلها في الشورى : ((وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير))[5] .

فالمراد من قوله ((يسبقونا)) يفوتونا ويعجزونا[6] .

وأين يفر المرء عنه بجرمه ... إذا كان يطوي في يديه المراجلا[7]

---

(١) في (م) (أنه فتن) باسقاط حرف التحقيق .
(٢) أي موسى عليه السلام ومكتوب في هامش (ص) (كليمه) أمام نبيه .
(٣) طه ٤٠ .
(٤) في كلا النسختين (الذين من قبلكم) بالخطاب والصواب بالغيبة كماأثبته .
(٥) الشورى ٣١ .
(٦) البغوي ٤٦٠/٣ .
(٧) أورده ابن القيم في زاد المعاد ١٤/٣ بلفظ:
وكيف يفر المرء عنه بذنبه .. إذا كان تطوى في يديه المراحل
ولم ينسبه لأحد .

((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا لا تنفذون[1] الا بسلطان))[2] .

قوله تعالى : ((من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥))) ، قوله ((فان أجل الله لآت)) ليس[3] هو جواب الشرط ، بل جوابه محذوف وأصله ، فليعمل عملا صالحا كما صرح به قوله ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا))[4] .

وقوله هنا : ((فان أجل الله لآت)) تعليل للجواب المحذوف ، ونظيره : ((وإن كذبوك فقد كُذِّبت رسلٌ من قبلك)) فانه حذف الجواب وهو فلا تحزن فقد كُذِّبت رسل من قبلك فتأس بهم وتسل[5] بما اتفق لهم، والراجي للقاء الله هم المؤمنون ، والكافر لا يرجو لقاء ربه . ولذا قال الله تعالى : ((وقال الذين لا يرجون لقاءنا لو أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا))[6] ، وقال : ((واذا[7] تتلى عليهم [آياتنا بينات][8] قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله))[9] . وقال : ((إنّهم كانوا لا يرجون حسابا، وكذبوا بآياتنا كذابا))[10] . ٦/١١١

---

(١) في كلا النسختين (لا تنفذوا) باسقاط النون والصواب اثباتها .
(٢) الرحمن ٣٣ .
(٣) في (م) (وليس هو) بزيادة الواو .
(٤) الكهف ١١٠ .
(٥) في كلا النسختين (وتسلى) باثبات حرف العلة والصواب حذفه .
(٦) الفرقان ٢١ .
(٧) في كلا النسختين ((واذا يتلى)) . وليست قراءة .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .
(٩) يونس ١٥ .
(١٠) النبأ ٢٧ ـ ٢٨ .

والذين لا يرجون لقاء الله هم المنكرون للبعث وهم القائلون في طبقات جهنم ((وكنا نكذب بيوم الدين))[١] ، وهم القائلون : ((ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ...)) الآية[٢] .

قوله تعالى : ((ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه)) أي لنفعها بامتثال أمر الله وهذا الخاص قد دخل تحت عموم قوله تعالى ((من عمل صالحا فلنفسه))[٣] .

وحين كان فرض[٤] من الابتلاء ذكر عز وجل أن فائدته عائدة على من فرضه عليه وأنه تعالى غني عن العالمين كما قال تعالى : ((ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم[٥] ولكن ليبلوا بعضكم ببعض))[٦] .

فالمؤمن مبتلى بالكافر والكافر مبتلى به . قوله تعالى

قوله تعالى : ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم)) .. صغار ذنوبهم كما يرشد اليه ((إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم))[٧] ، ويحتمل أن يراد كل ما عدا الشرك ، وأن الآية مقيّدة بالمشية ، كما يدل له قوله تعالى : ((إنّ الله لا يغفر أن يشرك [به][٨] ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))[٩] .

---

(١) المدثر ٤٦ .
(٢) الجاثية ٢٤ .
(٣) فصلت ٤٦ والجاثية ١٥ .
(٤) هكذا في النسختين والصواب (فرضا) اذ تقدير الكلام (وحين كان الجهاد فرضا) .
(٥) في (م) (منكم) وهو خطأ ظاهر .
(٦) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٤ .
(٧) النساء ٣١ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٩) النساء ٤٨ ، ١١٦ .

((ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧))) .. أي بأحسن مما عملوه .
((من جاء بالحسنة فله خير منها))[١] .

قوله تعالى : ((ووصينا الانسان بوالديه حسنا)) .. كثير في كلام الله تعالى توصيته بالوالدين وقرانه ذلك بعبادته ، ((وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا))[٢] ، ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا))[٣] .

وبلفظ التوصية بهم في سورة لقمان والأحقاف[٥] ، ولما كان الأولاد / من الفتنة ١١١/ب بنص قوله تعالى : ((إنّما أموالكم وأولادكم فتنة))[٦] ، وكان الآباء للأولاد فتنة اذ كل مأمور بالاحسان الى الآخر ، وان كان حق الوالدين أعظم لكنّهم مأمورون بالاحسان الى الأولاد بالتربية والنفقة والتأديب والاعانة على برهم لحديث : (رحم الله من أعان ولده على بره)[٧] ، ونُهي عن قتل ولده ((ولا تقتلوا أولادكم))[٨] .

---

(١) النمل ٨٩ والقصص ٨٤ .
(٢) الاسراء ٢٣ .
(٣) في كلا النسختين ما حرم عليكم ربكم . تقديم وتأخير والصواب ما أثبته .
(٤) الأنعام ١٥١ .
(٥) آية لقمان هي قوله تعالى : ((ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير)) ١٤ .
وآية الأحقاف هي قوله تعالى : ((ووصينا الانسان بوالدين احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ...)) الآية ١٥ .
(٦) التغابن ١٥ .
(٧) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٥١٤ وعزاه لأبي الشيخ في الثواب .
وذكر العجلوني أن سنده ضعيف ثم أورد له بعض الشواهد .
وقد جعل البخاري ـ في كتابه ـ الأدب المفرد ص ٣٢ ـ بابا بعنوان (بر الأب لولده) وانظر المقاصد الحسنة ص ٢٣٥-٢٣٦
(٨) الأنعام ١٥١ والاسراء ٣١ .

فالكل فتنة على الكل، ذكرهم هنا في السورة المفتتحة بذكر الفتن ، وكل هذا تفصيل لقوله تعالى ((وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا))[1] ،

((وان جاهداك)) أي بالغا في جهدك[2] ((على أن تشرك بي ما ليس لك به علم)) بأنه لا شريك لله ، وهو قيد واقعي لا مفهوم [له][3] نحو قوله : ((ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به))[4] فانه لا إله آخر عليه برهان فهذا قيد واقعي .[5]

((فلا تطعهما)) فقد ثبت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[6] ، وحديث : (إنّما الطاعة في المعروف)[6] ،

ويأتي حديث نفي الطاعة[7] بقوله : ((وصاحبهما في الدنيا معروفا)) .. اعلاما بأنّ دعاءهما له الى الشرك وبقاءهما عليه لا ينفي صحبتهما في الدنيا والاحسان اليهما .

---

(١) الفرقان ٢٠ .
(٢) يقال جَهَد دابته وأجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها . الصحاح ٤٦٠/٢ .
فعلى هذا تكون جَهْدته وأجهدته بمعنى واحد كما في لسان العرب ١٣٣/٣ (جهد) .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٤) المؤمنون ١١٧ .
(٥) القيد الواقعي هو القيد الموافق للواقع لإخراج المفهوم عن حكم المنطوق .
(٦) أخرجهما الشيخان . انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٢١/١٣ - ١٢٢ كتاب الأحكام و ٢٣٣/١٣ كتاب أخبار الآحاد .
وصحيح مسلم ١٤٦٩/٣ كتاب الإمارة .
(٧) هكذا في النسختين ولعل صحة الكلام هكذا : ويأتي الحديث بعد نفي الطاعة بقوله : ((وصاحبهما في الدنيا معروفا)) . أو وعقب حديث نفي الطاعة ... الخ .

((اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨))) .. أي فأحسنوا العمل ينفعكم عند الرجوع الي ، والمراد أنبئكم بما تفعلونه من حسن وقبيح وأكافئكم عليهما ، حذف للعلم به من مواضع من القرآن .

قوله تعالى : ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنّهم في الصالحين (٩))) قد علم من عدة آيات أن الكون مع الصالحين من أعظم ما مدح الله به عباده . قال تعالى في أمر إبراهيم الخليل عليه السلام : ((وآتيناه في الدنيا حسنة وانه (١) في الآخرة لمن (٢) الصالحين)) (٣) .

وقال يوسف عليه السلام : ((توفني مسلما وألحقني بالصالحين)) (٤) .

وقال سليمان عليه السلام : ((وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)) (٥) .

وقال تعالى في من أنعم عليهم / ((فأولئك (٦) [مع] (٧) الذين أنعم الله عليهم ١١٢/أ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) (٨) .

قوله تعالى : ((ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)) .. هو نظير قوله تعالى : ((ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته-فتنة انقلب على وجهه)) (٩) .

---

(١) في (م) (وانه من في الآخرة) بزيادة من وهي خطأ .
(٢) في (ص) (من الصالحين) باسقاط اللام وهو خطأ .
(٣) النحل ١٢٢ .
(٤) يوسف ١٠١ .
(٥) النمل ١٩ .
(٦) في كلا النسختين (أولئك) بدون الفاء .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٨) النساء ٦٩ .
(٩) الحج ١١ .

والكل إخبار بأنّ من الناس من هو متزلزل القدم غير ثابت في إيمانه ولا صبر له على ما لا بد منه من افتتانه ، فليس قلبه مطمئنا بالإيمان كما كان من عمّار ابن ياسر حين [أُكره][1] على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، ولا كبلال اذ عُذّب في الله وهو يقول : أحد أحد ، ولا كان كالذين ((قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل))[2] .

ويأتي في سورة الأحزاب[3] التفرقة بين من قال : ((ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً))[4] . ومن قال ((هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليماً))[5] .

((ولئن جاء نصر من ربك)) .. أي لأهل الإيمان[6] ((ليقولنّ)) أي من جعل فتنة الناس كعذاب الله ((إنّا كنا معكم)) ، وهو نظير قوله تعالى في صفات المنافقين : ((الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعْكم من المؤمنين ..))[7] الآية .

وهذا من ابتلاء الله للمؤمنين أن يكون عندهم من يدعي أنه منهم وهو يتربص بهم الدوائر ((وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون))[8] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٢) آل عمران ١٧٣ .
(٣) لم أجد في النسخة التي بين يدي سوى السبع الآيات الأُولى من سورة الأحزاب ، وما عداها من الآيات لم أجد لها تفسيرا فيما عندي مع أنّها منقولةٌ عن الأم التي بخط المؤلف رحمه الله تعالى .
(٤) الأحزاب ١٢ .
(٥) الأحزاب ٢٢ .
(٦) في (م) (لأهل المؤمنين) .
(٧) النساء ١٤١ .
(٨) البقرة ١٤ .

((أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين (١٠))) .. هو نظير قوله لمن قال ((أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا))[1] . قال تعالى ((أليس الله بأعلم بالشاكرين))[1] .

قوله تعالى : ((وليعلمنّ الله الذين آمنوا)) .. أي يظهر علمه[2] بهم حتى يكون عين اليقين لعباده .

((وليعلمن المنافقين (١١))) .. كذلك ((وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم)) هذا من الابتلاء لأهل الايمان بأهل الكفر والطغيان / حيث يسوّلون لهم ما يسوله الشيطان فيضلون بذلك ضعفاء أهل الايمان ١١٢/ب وأهل الفسوق والعصيان . ولذا يقولون في النار ((إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا))[3] ، ويقول[4] الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكرُ الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله .

قال تعالى ردا على الذين كفروا : ((وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم[5] لكاذبون (١٢))) .. أي واعدين لهم بالكذب الباطل .

قوله تعالى : ((وليحملنّ)) أي الذين كفروا ((أثقالهم)) أنفسهم التي اكتسبوها .

---

(١) الأنعام ٥٣ .

(٢) تعلق علم الله بالأشياء ينقسم الى وجهين :
أ ـ علم الله بالشيء قبل وقوعه وهذا علم تقدير .
ب ـ علم الله بالشيء بعد وقوعه . وهذا علم ظهور وعليه تحمل هذه الآية وما شابهها .

(٣) الأحزاب ٦٧ .

(٤) لعل هذا اقتباس من آية سباء ٣٣ . وأما ان أراد نص الآية فهي ((وقال الذين استضعفوا ..)) الآية .

(٥) في (ص) (وانهم لكاذبون) بزيادة الواو وهي ليست من الآية .

((وأثقالا مع أثقالهم)) .. وهي أثقال من دعوة الى الضلال ومن غرّوه وسنّوا له السنة السيئة في اتباعهم ، فمن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا .(١)

وهو مثل قوله تعالى : ((ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون))(٢) .

والمراد أنهم يحملون أوزارهم التي فعلوها وأوزار إضلالهم لغيرهم ولا ينقص من أوزار من أضلوه شيئا . فقوله ((ومن أوزار الذين يضلونهم)) .. أي من الأوزار التي تسببت عن اضلالهم إيّاهم .

((وليُسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون (١٣))) أي من قولهم ((ولنحمل خطاياكم)) ، فهذا هو الافتراء ، وهو سؤال توبيخ وتقريع واقامة حجة عليهم .

ثم قص تعالى من قصص بعض رسله الذين ابتلوا بأمتهم وأُبتليت بهم أمتهم تحقيقا لقوله(٣) تعالى : ((ولقد فتنا الذين من قبلهم)) ، وتفصيلا لاجماله فبدأ بأول رسيله فقال :

((ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما)) .. أي يدعوهم الى الله في ليله ونهاره ، كما قال : ((رب إنّي دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا))(٤) .

ثم فصّل تعالى أحواله مع قومه في تلك السورة ، وفي غيرها مما ذكرناه من السور(٥) ، وأجمل هنا فاقتصر على ارساله ومدة مقدار(٦) لبثه فيهم ، وأخذهم

---

(١) صحيح مسلم ٢/٧٠٥ كتاب الزكاة .
(٢) النحل ٢٥ .
(٣) في (ص) (تحقيقا بقوله) بالباء بدلا من اللام .
(٤) نوح ٥ ـ ٦ .
(٥) وذلك في ص ٤٤٥ وانظر ما ذكره عن نوح في سورة الشعراء ص١١٣-١٢٢
(٦) هكذا في النسختين والصواب بحذف إحدى الكلمتين اذ هما بمعنى واحد .

بالطوفان ونجاته[1] ومن معه فقال : ((فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (١٤))) فصل تعالى من أين كان الطوفان حيث قال / : ((ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ١١٣/أ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر))[2] .

((فأنجيناه وأصحاب السفينة)) أي في السفينة ، وقد بين أتم بيان في سورة هود أمر السفينة والنجاة بها وجريها في موج كالجبال وغير ذلك مما فصل هذا الاجمال .

((وجعلناها آية للعالمين (١٥))) .. لمن شاهدها وبقيت يرونها[3] ولمن بعدهم بالاخبار الصادق بها .

((وإبراهيم)) أي ولقد أرسلنا إبراهيم أو واذكر إبراهيم[4] ((إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١٦))) .. قد فصل الله قصة الخليل مع قومه وابتلاءه بهم وابتلاءهم به في سور من القرآن[5] ، وأتى هنا ببعضٍ من ذلك كما تراه ، لما قررنا من أنه يشير تعالى في هذه السورة الكريمة الى القصص اشارة إجمالية من دون تفصيل .

قوله تعالى : ((إنّما تعبدون من دون اللّه أوثانا وتخلقون إفكا)) .. أي تقولون إنّ هذه الأوثان شركاء لله كذبا على الله و[6] هو كقول الخليل : ((أإفكاً

---

(١) في (م) (ونجاه) باسقاط التاء وهو خطأ .
(٢) القمر ١١ ـ ١٢ .
(٣) هكذا في النسختين ومعناها هكذا : وبقيت يرونها ـ أي المعاصرون لها ـ ولمن بعدهم ـ أي وبقيت آية لمن بعدهم ... الخ .
(٤) انظر الكشاف ١٨٦/٣ .
(٥) وردت قصة ابراهيم عليه السلام في كثير من سور القرآن الكريم وانظرها على سبيل المثال في سورة الأنعام ٧٤ ـ ٨٣ وفي سورة مريم ٤١ ـ ٥٠ ، وفي سورة الانبياء ٥١ ـ ٧٣ .. الخ .
(٦) المعطوف عليه هو نص الآية لا تفسيرها .

آلهة دون الله تريدون))[١] ، والإفك الكذب ومنه ((إنّ الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم))[٢] ، ومنه قول الكفار : ((إن هذا إلّا إفك افتراه))[٣] .

قوله تعالى : ((إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا)) .. هو نحو قوله تعالى : ((ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون))[٤] ، وهم مقرون بذلك .

((قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار)) الى قوله : ((.. فسيقولون الله))[٥] ، وقال لهم : ((هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون))[٦] . فلم يقولوا نعم . بل قالوا : ((... وجدنا آباءنا كذلك يفعلون))[٧] .

((فابتغوا عند الله الرزق)) .. فهو الذي خزائنه لا تنفذ وهو الذي تحق له العبادة .

((واعبدوه واشكروا له)) نعمه ورزقه ((إليه ترجعون (١٧))) فيجازيكم[٨] بما قدمتم .

---

(١) الصافات ٨٦ .
(٢) النور ١١ .
(٣) الفرقان ٤ .
(٤) النحل ٧٣ .
(٥) في كلا النسختين ((ليقولن الله)) والصواب ما أثبته اذ نص الآية ((قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)) ٣١ يونس .
(٦) الشعراء ٧٢ ـ ٧٤ .
(٧) في كلا النسختين (إنّا وجدنا) بزيادة (انا) وهي ليست من الآية فلهذا اسقطتها من الأصل .
(٨) في (م) (ويجازيكم) بالواو بدل الفاء .

قال تعالى تلقيناً لرسوله أن يقول لأهل مكة / وهو كلام متوسط بين طرفي ١١٣/ب
قصة الخليل[١] ((وان تكذبوا)) أي تكذبوني يا أهل مكة فلا أبالي ((فقد كذبت أمم من قبلكم)) [جاءتهم رسلهم][٢] فكذبوهم كما كذبتم .

فلي أسوة بأولئك الرسل ((وما على الرسول الا البلاغ المبين (١٨))) ، فلذا لا أبالي بتكذيبكم لأني قد فعلت الذي أُمرت به ((أولم يروا)) بالمثناة فوقية و[٣] تحتية[٤] ((كيف يبدىء الله الخلق)) يبتدئه فانهم يشاهدون ذلك كل حين في الأنفس والأثمار وغيرها . وقد بسطناه[٥] في سور الطواسين[٦] .

((ثم يعيده)) .. أي يشاهدون الإبداء والاعادة فيرونه في الشمس والقمر والليل والنهار ، والثمار والأشجار ، يبدأها ثم يذهبها ثم يعيدها .

---

(١) ما ذهب اليه المؤلف من أن الخطاب هنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وقومه هو ما اقتصر عليه ابن جرير في تفسيره ١٣٨/٢٠ ، بينما يرى ابن كثير : أن كل هذا من كلام ابراهيم الخليل عليه السلام يحتج عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد ذلك ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه ..)) الآية . أهـ . من تفسير ابن كثير ٤٠٨/٣ .
ولعل الصواب في ذلك أنها تصح أن تكون خطابا لكلا الرسولين عليهما الصلاة والسلام كما ذكر ذلك الزمخشري في تفسيره ١٨٧/٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين كُتب في كلا النسختين بالمداد الذي كتبت به الآيات المفسّرة مع أنه ليس من الآية بل هو من كلام المؤلف رحمه الله تعالى .

(٣) في (م) فوقية أو تحتية .

(٤) أ- قرأ بالمثناة الفوقية (أولم تروا) حمزة والكسائي وخلف .
ب - وقرأ الباقون بالمثناة التحتية (أولم يروا) . الاتحاف ص ٣٤٥ .

(٥) بسط ذلك عند قوله تعالى ((أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ..)) الآية ٦٤ من سورة النمل من ص ٤٧٢ فما بعدها ومما تجدر الاشارة اليه أن المؤلف قد بسط الكلام هناك على بدء الخلق واعادته ثم بعد ذلك أحالنا الى هذه السورة وسورة الروم ، بينما نجده في هذا الموضع يحيلنا الى ما سبق في سورة النمل . أهـ .

(٦) في (ص) (الطوسين) باسقاط الألف .

((ان ذلك)) .. أي كلا من الإبداء والاعادة ((على الله يسير (١٩))) ، بل قال في الاعادة ((وهو أهون عليه))[١] .

((قل)) يا أهل مكة ((سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)) .. أي سيروا فيها بأفكاركم متدبرين ما فيها ، فهي كما قال الله تعالى ((وفي الأرض آيات للموقنين))[٢] ، وكما قال : ((إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دآبة آيات لقوم يوقنون))[٣] . فالمراد من السير سير الأفكار والأفهام لا سير الأرجل والأقدام[٤] ، وأن أريد سيرهما[٥] فلابد أن يكون مع سير الفكر في كل ما يراه ليعبر من رؤية العين الى رؤية القلب فهي النافعة .

((ثم الله ينشيء النشأة الآخرة)) .. لأن هذه النشأة الأولى ، كما قال تعالى : ((وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة))[٦] .

---

(١) الروم ٢٧ .
وللمؤلف رحمه الله تعالى كلام حسن في تفسير قوله تعالى ((أهون)) الذي جاء على وزن أفعل فلينظر اليه في موضعه من سورة الروم ص٥٢٩

(٢) الذاريات ٢٠ .

(٣) الجاثية ٣ ـ ٤ .

(٤) قلت : والأولى حمل السير على العموم ـ أي سير الأقدام والأفكار معا ـ كما صرح به المؤلف بعد ذلك وخاصة أن المؤلف رحمه الله تعالى يرى أن الرؤية في قوله تعالى ((أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ..)) الآية ـ رؤية حقيقية لا علمية كما ذكر ذلك في ص ٢٧٧

(٥) ضمن النسخة يعود على الأرجل والأقدام

(٦) يس ٧٨ ـ ٧٩ .

((إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠))) .. ومنها النشأتان التي قد شاهدتم أولهما[١] أيعجز عن الاعادة ؟ ((أفعيينا بالخلق الأول بل هم في / لبس من خلق ١١٤/أ جديد))[٢] ، أي لم يقع الإعياء لنا بالخلق الأول وهي النشأة الأولى ، ((ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما [في ستة أيام][٣] وما مسنا من لغوب))[٤] ، فكيف نعيا بالخلق الجديد؟ وهو البعث الذي هم منه في شك . ((أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم))[٥] .

فالذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على خلق بني آدم واعادتهم ، فخلق السموات والأرض أعظم بنص ((لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس))[٦] .

قوله تعالى : ((يعذب من يشاء)) .. وهو من استحق التعذيب بذنوبه ، فهو مجمل [مبين][٧] بآيات كثيرة[٨] . ((فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون))[٩] ولم يقل بمشيئتنا[١٠] ، ((إنّ جهنم كانت مرصادا

---

(١) هكذا في كلا النسختين والصواب (أولاهما) .
(٢) ق ١٥ .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٤) ق ٣٨ .
(٥) يس ٨١ .
(٦) غافر ٥٧ .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٨) هكذا في كلا النسختين والصواب أن يقال (بآيات كثيرة منها .. بزيادة منها .
(٩) الأعراف ٣٩ .
(١٠) بل أخبر سبحانه أنه لم يحدث ولن يحدث شيء الا بعد مشيئة الله تعالى لذلك الشيء حيث قال تعالى ((وما تشاؤن الا أن يشاء الله ..)) الآية ٣٠ من سورة الانسان .
وقال تعالى : ((ولو شيئنا لآتينا كل نفس هداها ..)) الآية ١٣ من سورة السجدة .
===

للطاغين مآبا))[1] ، ((إنّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفجار لفي جحيم))[2] ، ((ويرحم من يشاء)) ، مجمل أيضا[3] مبين بنحو ((ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون))[4] الآية ، ونحو ((إنّ رحمة الله قريب من المحسنين))[5] .

((وإليه تقلبون (٢١))) .. ترجعون الى دار التعذيب والرحمة .

== وقال تعالى : ((ولو شاء الله ما أشركوا ..)) الآية ١٠٧ من الأنعام .
وقال تعالى : ((ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)) ١٣٧ الأنعام .
الى غير ذلك من الآيات التي أخبرت أنه لم يحصل شيء - من خير أو شر - الا بمشيئة الله تعالى لذلك الأمر .
ولعل الذي حمل المؤلف رحمه الله تعالى على هذا الموقف هو عدم تفريقه بين المشيئة والمحبة ، فمشيئة الله تعالى شاملة لكل ما قدره في الأزل فتتناول ما يحبه الله وما يكرهه .
وأما محبته فهي خاصة بما يرضاه من أمره الشرعي ، فلفظ المشيئة كوني ، ولفظ المحبة ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم الى إرادة كونية فتكون هي المشيئة ، وارادة دينية فتكون هي المحبة .
وبهذا يتضح لنا أن قوله تعالى ((ولا يرضى لعباده الكفر ..)) الآية ٧ من سورة الزمر ، وقوله تعالى ((والله لا يحب الفساد)) ٢٠٥ البقرة ، وقوله تعالى ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ..)) الآية ١٨٥ البقرة .
لا يناقض نصوص القدر والمشيئة ، اذ المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق أه . بتصرف من شفاء العليل ص ٨٨ .

(١) النباء ٢١ - ٢٢ .
(٢) الانفطار ١٣ - ١٤ .
(٣) في (م) (ومبين) بزيادة الواو . والصواب حذفها كما في (ص) .
(٤) في كلا النسختين ((للذين اتقوا)) والصواب ما أثبته ، اذ نص الآية هو قوله تعالى : (((قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)) ، ١٥٦ الأعراف .
(٥) الأعراف ٥٦ .

قوله تعالى : ((وما أنتم بمعجزين)) من أعجزه . ومنه ((أعجزت[1] أن أكون مثل هذا الغراب))[2] ، أي لا تفوتونه في الأرض التي أنتم فيها ولا[3] في السماء لو كنتم فيها ، وفي سورة الشورى[4] ((وما أنتم بمعجزين في الأرض)) .

((وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٢٢))) .. ومثلها في سورة الشورى[4] أي : ولي غيره ولا نصير ينصركم من عذابه .

قوله تعالى : ((والذين كفروا بآيات الله)) القرآن[5] وكفروا بلقائه[6] ، أي بالبعث والنشور ، ((ان الذين لا يرجون لقاءنا))[7] تقدم[8] .

((أولئك يئسوا من رحمتي)) .. نظير : ((إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون))[9] ، ونحوه : ((قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون))[10] ، بخلاف المؤمن فانه طامع في رحمة الله وغفرانه وعفوه ورضوانه وخائف من / عقابه وعذابه . ١١٤/ب

---

(١) بل هناك خلاف بين الفعلين : فالأول مادته (أعجز) فالهمزة فيه للتعدية . وأما الفعل الثاني فمادته (عجز) والهمزة فيه للتعجب .
(٢) المائدة ٣١ .
(٣) في (ص) (ولولا في السماء) بزيادة لو وهي خطأ .
(٤) الشورى ٣١ .
(٥) الأولى حمل الآيات هنا على عموم آيات الله الكونية والتنزيلة كما في الكشاف ١٨٨/٣ ، وكما في تفسير أبي السعود ٣٦/٧ .
(٦) نص الآية المفسرة ((والذين كفروا بآيات الله ولقائه)) بالواو بدلا من الباء ولكن السياق أجبر المؤلف على هذا التغيير .
(٧) يونس ٧ . وتمام الآيات ((ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون))
(٨) أي تقدم تفسير هذه الآية وما يشابهها في تفسير سورة يونس ، وهو ضمن الجزء المفقود .
(٩) يوسف ٨٧ .
(١٠) الحجر ٥٦ .

((و[1]أولئك لهم عذاب أليم (٢٣))) . والى هنا انتهت الجمل المتوسطة بين طرفي قصة الخليل عليه السلام ، ثم ذكر تعالى الطرف الآخر منها فقال تعالى ((فما كان جواب قومه)) .. أي إبراهيم على نصحه لهم ووعظه وأمرهم بعبادة ربهم ومن يبغون عنده الرزق ((الا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه)) كأنّ هذا كان أول التراود[2] ، ثم جزموا بتحريقه كما في سورة الأنبياء ((قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم))[3] .

وفي الصافات ((قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم))[4] .

وكما يدل له قوله هنا ((فأنجاه الله من النار)) ، فان المعنى فجزموا بتحريقه فانجاه الله . وانما قواعد القرآن الطي لما يدل عليه سياق الكلام• ونجاته كانت[5] بقوله تعالى : ((يا نار كوني بردا وسلاما))[6] فأنجاه الله من النار في النار بخلاف نجاة نوحولوط ومن آمن معهما فأنجاهم باخراجهم من بين القوم الكافرين • فأنجاه وأبطل كيدهم ((وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين))[7] ، وفي الصافات ((الأسفلين))[8] .

((ان في ذلك)) فيما ذكر من نجاته وغيره ((لآيات لقوم يؤمنون (٢٤))) اذ هم المنتفعون بآيات الله .

---

(١) في (ص) (أولئك) باسقاط حرف العطف .
(٢) في (م) (التراواد) تقديم وتأخير ظاهر .
(٣) الأنبياء ٦٨ .
(٤) الصافات ٩٧ .
(٥) في النسختين (كانه) والصواب ما أثبته .
(٦) الأنبياء ٦٩ .
(٧) الأنبياء ٧٠ .
(٨) الصافات ٩٨ .

قوله : ((وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيـــــاة الدنيا)) علة لاتخاذهم الأوثان وهي التحاب بينهم والتواد مع اتخاذ المعبـــود ، وهكذا كل أهل نحلة يبالغ في جذب غيره إليها حتى في المذاهب الاسلامية .(١)

((ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا)) .. كما قـــال تعالى : ((كلما دخلت أمة لعنت أختها))(٢) ، وقال تعالى : ((الأخلاء يومئـذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين))(٣) .

((ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٢٥))) من الذين تواددتم أنتم وهـم في دار الدنيا بسبب اتخاذ الأوثان ولا / غيرهم .(٤) ١١٥/أ

قوله تعالى : ((فآمن له لوط)) .. أي صدق ابراهيم بأنه رسول الله وكـــان ابن أخيه(٥) ((وقال)) ابراهيم ((اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم (٢٦))) أي الى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد(٦) الكوفة(٧) .

---

(١) المذاهب الاسلامية كلها متفقة على وجوب الأخذ بالكتاب والسنة وهدفهـــا جميعا هو اتباع الحق متى ما وجد . وان وجد لأحد من أئمة المذاهب قـول قد صح الحديث بخلافه فلا بد له من عذر في تركه ، وهو مأجور في اجتهاده معذور في خطائه بخلاف من أتى بعدهم فعرف الدليل وتركه من أجل تقليـــد مذهبه . فهذا هو التعصب الممقوت وهو الذي كان منتشرا في عصر المؤلـــف رحمه الله تعالى .
وبفضل الله تعالى ثم بفضل العلماء المخلصين اضمحل هذا التعصب واستيقـظ المسلمون من غفلتهم ورجعوا الى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليـــه وسلم ونبذوا ما خالفهما من قول أو رأي .

(٢) الأعراف ٣٨ . (٣) الزخرف ٦٧ .

(٤) أي ولا من غيرهم .

(٥) تفسير البغوي ٤٦٥/٣ ، وتفسير أبي السعود ٣٧/٧ ، وانظر البداية والنهاية ١٤٩/١ ، والمستدرك للحاكم ٥٦١/٢ .

(٦) سواد الكوفة والبصرة : قراهما . لسان العرب ٢٢٥/٣ (سود) .

(٧) انظر الكشاف ١٨٩/٣ ، ومعالم التنزيل ٤٦٥/٣ .

وكون القائل ابراهيم أخرجه ابن جرير عن الضحاك[١] وان كان الأقرب للضمير لوطا .

وأخرج ابن عساكر والطبراني والحاكم في الكنى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (ما كان بين عثمان ورقية وبين لوط من مهاجر)[٢]

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (أول من هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عثمان بن عفان كما هاجر لوط الى إبراهيم)[٣]

قلت : يدل [على][٤] أن القائل هنا ((إنّي مهاجر الى ربي)) إبراهيم عليه السلام ، قوله تعالى في سورة الصافات : ((اني ذاهب الى ربي سيهدين))[٥] .

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس أنه قاله حين هاجر .[٦]

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٤٢/٢٠ - ١٤٣ عن الضحاك عن ابن عباس وعن ابن جريج . وانظر الدر المنثور ٤٥٨/٦ ، ولكن كون القائل هو إبراهيم عليه السلام فانه لا يلزم منه أنه هو المهاجر فقط ، بل قد صرحت آية الأنبياء بهجرتهما جميعا في قوله تعالى - عن ابراهيم - :-((ونجّيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)) ٧١ .
وقد أخرج ابن جرير عن قتادة أنه قال : هاجرا جميعا من سواد الكوفة الى الى الشام . تفسير الطبري ١٤٢/٢٠ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٥٨/١١ ، ومجمع الزوائد ٨١/٩ ، والدر المنثور ٤٥٩/٦ .

(٣) أورده ابن عساكر في تاريخه بعدة طرق ١٥٧/١١ - ١٥٨ ، وانظر الدر المنثور ٤٥٩/٦ .

(٤) في (ص) (يدل أن القائل) باسقاط حرف الجر .

(٥) الصافات ٩٩ .

(٦) هذا الأثر الذي عزاه المؤلف الى ابن جرير وابن المنذر لم أجده في تفسير ابن جرير فلعله سبق قلم من المؤلف ، اذ لم ينسبه السيوطي إلا إلى ابن المنذر فقط كما في الدر المنثور ١٠٢/٧ .
ولكن كلام ابن جرير رحمه الله في تفسير آية الصافات قريب المعنى من هذا الأثر . انظر تفسير الطبري ٧٥/٢٣ .

وفي سورة الأنبياء ((و[1] نجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين[2]))

وهي الشام .

قال المفسرون : إن ابراهيم خرج من سواد العراق الى الشام فنزل ابراهيم عليه السلام بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وبينهما يوم .[3]

قلت : ولعله رجع لوط الى الحجر فانه أرسل الى أهله[4] وهو من العراق والله أعلم .

قوله تعالى : ((ووهبنا له إسحاق ..[5])) قيّده في الجلالين بقوله بعد إسماعيل وهو بناء على أن الذبيح إسماعيل وأن الله بشره باسحاق لصبره على الامتثال بذبح اسماعيل ويأتي الكلام في سورة الصافات .[6]

---

(١) في كلا النسختين (فنجيناه) بالفاء والصواب بالواو كما أثبته .

(٢) الأنبياء ٧١ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٧/١٧ ، والبغوي ٢٥٢/٣ ، والزمخشري ١٦/٣ ، الا أن فيها جميعا (وبينهما يوم وليلة) .

(٤) هذا الكلام فيه نظر . فالذي تدل عليه الآيات والأحاديث أن لوطا عليه السلام انما أرسل الى أهل سدوم التي سماها الله بعد ذلك بالمؤتفكات ، وأما الذي أرسل الى أصحاب الحجر فهو صالح عليه السلام كما أخبر الله بذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف ٧٣ : ((والى ثمود أخاهم صالحا)) ، وقد أجمع المفسرون أن ثمود هم أصحاب الحجر .
انظر تفسير ابن كثير ٢٢٧/٢ ، ٢٣٠ ، وتفسير ابن جرير ٢٢٤/٨ ، ٢٣٤ ، والبغوي ١٧٤/٢ ، ١٧٩ ، وفتح الباري ٣٧٩/٦ ، ٤١٥ ، والمستدرك ٥٦١/٢ ، ٥٦٥ .

(٥) تفسير الجلالين ٣٧٤/٣ .

(٦) وقد قال المؤلف هناك عند تفسيره لقول الله تعالى ((وفديناه بذبح عظيم)) ١٠٧ ق ٨٩ .
أخرج ابن جرير ٨٤/٢٣ والحاكم ٥٥٥/٢ من طريق عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس قال : المفدى اسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود . ولقول ابن عباس هذا طرق كثيرة تؤيد أن الذبيح اسماعيل .

===

.....

== وأخرج عبد بن حميد (الدر المنثور ١٠٦/٧) ، وابن جرير ٨٤/٢٣ ، والحاكم ٥٥٥/٢ عن محمد بن كعب القرظي قال : ان الذي أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله ، وذلك أن الله حين فرغ من قصة المذبوح قال : ((وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين)) ١١٢ الصافات (وقال عن سارة رضي الله عنها) : ((فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب)) ٧١ هود . بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله الموعود الذي وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وأخرج ابن اسحاق (الدر المنثور ١٠٧/٧ ، والبداية والنهاية ١٦٠/١) وابن جرير ٨٤/٢٣ عن محمد بن كعب أن عمر بن عبدالعزيز أرسل الى رجل كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان من علمائهم فسأله : أي بني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وان اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب . أهـ .

ولا يخفى أن الآية دالة على أن المبشر به - في الآية الأولى - اسماعيل ، فانه طلبه من الصالحين ، فأجابه الله تعالى .. وأما البشارة بإسحاق فالظاهر أنها نعمة مبتدأة من الله تعالى ، ولذا عطفه على هذه البشارة بعدما حكى من قصة الولد الأول ، ولذا استغرب إبراهيم بشارة الملائكة له باسحاق من سارة ، ولو كان هو دعاء بذلك لما استغربه .
وكان استغراب ابراهيم البشارة باسحاق واختصاصه به مع أنه كلاهما وهب له على الكبر لأجل أنه من سارة ، ولذا قالت سارة : ((ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ...)) الآية ٧٢هود .

وقد أبان ابن القيم في أول كتابه الهدى النبوي ٧١/١ - ٧٥ أن الذبيح اسماعيل وذكر الأدلة ، ثم قال : واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه اسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجها ، ثم ذكر عن شيخه ابن تيمية أن القول بأن الذبيح اسحاق انما هو متلقى عن أهل الكتاب وهو باطل بنص كتابهم فان فيه : ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ وحيده ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن اسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غرّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم : اذبح ابنك اسحاق . وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك .
ولا ريب أن أقوى الأدلة مع القائل أن الذبيح اسماعيل . أهـ كلام الصنعاني بتصرف مني في ترقيم الآيات والصفحات وتخريج الآثار واثبات ما يقتضيه السياق .

في الكشاف فان قلت ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكره وذكر إسحاق وعقبه [أي يعقوب][1] ؟

قلت : قد دل عليه بقوله ((وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)) ، فكفى الدليل لشهرة أمره . أهـ .[2]

قلت : انما لم يذكر اسماعيل هنا لأنه وُهب له قبل تبشيره باسحاق وعقبه فما بشره بهما الا وقد وهب له اسماعيل وبشره تعالى به ووصفه بأنه حليم[3] ، وهو الذي طلبه الخليل .

وأما اسحاق ويعقوب فلم يطلبهما بل تفضل الله بهما عليه بغير طلب . ولذا لما بشره باسحاق استنكر ذلك وقال : ((أبشرتموني على أن مسني الكبر))[4] ولو كان هو الذي طلبه لما استنكر ذلك ، فانه ما يطلب شيئا من القادر على كل شيء ثم يستنكر اجابته .

وتقدم في هود[5] / تبشير امرأته باسحاق ((ومن وراء إسحاق يعقوب))[5] . وفي ١١٥/ب
الأنبياء[6] : ((إسحاق ويعقوب نافلة)) .

قوله : ((وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)) .. أي جنس الكتاب ، فالأنبياء عليهم السلام من بعد إبراهيم من ذريته ، والكتب الأربعة أنزلت عليهم[7] ، وتقدم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (م) وانما هي مثبتة في هامش (ص) .
(٢) الكشاف ١٨٩/٣ .
(٣) في (م) (حكيم) بالكاف بدل اللام وهو خطأ . اذ الآية ((فبشرناه بغلام حليم)) ١٠١ الصافات .
(٤) الحجر ٥٤ .
(٥) آية ٧١ .
(٦) ونص آية الأنبياء ((ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين)) ٧٢ .
(٧) يريد بالكتب الأربعة التوراة والزبور والانجيل والقرآن كما أفاده الزمخشري ١٨٩/٣ .

في الأنبياء : ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات ...)) الى آخره[١] .

وفي سورة كهيعص : ((فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا))[٢] .

قوله : ((وآتيناه آجره في الدنيا)) .. المراد به الثناء الحسن[٣] من كل أهل الأديان ، وهي اللسان الصدق التي طلبها بقوله : ((واجعل لي لسان صدق في الآخرين))[٤] .

وهي[٥] أيضا الحسنة[٦] التي أرادها تعالى في قوله في النحل : ((وآتيناه في الدنيا حسنة))[٧]

((وانه في الآخرة لمن الصالحين (٢٧))) .. أي من ذوي الدرجات العلى في جنات المأوى .

قوله : ((ولوطاً)) .. أي اذكر لوطا ((اذ قال لقومه أئنكم[٨] لتأتون الفاحشة)) أجملها هنا وبيّنها بقوله بعدها ((أئنكم[٨] لتأتون الرجال)) .

---

(١) تمام الآية : ((وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)) ٧٣ الأنبياء .

(٢) مريم ٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) ابن جرير ١٤٤/٢٠ ، والبغوي ٤٦٥/٣ ، وزاد المسير ٢٦٨/٦ ، والدر المنثور ٤٥٩/٦ .

(٤) الشعراء ٨٤ .

(٥) في (م) (وهو) بالتذكير بدل التأنيث .

(٦) انظر تفسير ابن جرير ٨٦/١٩ ، والبغوي ٣٩٠/٣ ، وزاد المسير ٢٣٨/٥ .

(٧) النحل ١٢٢ .

(٨) اتفق القراء على الاستفهام في الفعل الثاني وهو قوله تعالى ((أئنكم لتأتون الرجال)) . وأما الفعل الأول وهو قوله ((أئنكم لتأتون الفاحشة)) فاستفهم فيه أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف .

((ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨))) شامل لجميع ما خلقه الله من الإنس والجن والطير والأنعام والسباع وغيرها ، فهم أول من ارتكب هذه السيئة القبيحة التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وأبهمها أولا تعظيما لشأنها ثم فسرها ثانيا لتُعلم علمين : علما اجماليا ، وعلما تفصيلا فقال : ((أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل)) ، تمنعونها بفعلكم الفاحشة بمن مر بها .

((وتأتون في ناديكم)) متحدثكم ومحل اجتماعكم ((المنكر)) في الحديث المرفوع / أنه الخذف [١] . وفيه أقوال للسلف غيره . [٢] ١١٦/أ

قوله : ((فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (٢٩))) .. حكى الله عنهم في الأعراف وغيرها [٣] أنه ((ما [٤] كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم)) الآية [٤] .

وفي الأعراف [٥] (([٦] أخرجوهم)) .

فيحمل هذا على أن آخر [جواباتهم] [٧] طلب العذاب وقبله كانوا يتأمرون باخراج لوط ومن معه من القرية .

== ب ـ وقرأ الباقون بالاخبار ((إنكم لتأتون الفاحشة)) .

(١) مسند أحمد ٣٤١/٦ ، وتفسير ابن جرير ١٤٥/٢٠ ، والترمذي وحسنه ٣٤٢/٥ ، والمستدرك ٤٠٩/٢ ، وتفسير البغوي ٤٦٦/٣ ، والدر المنثور ٤٦٠/٦ .

(٢) أورد المؤلف بعضها عند تفسيره للآية ٥٤ من سورة النمل ص٢٥٩

(٣) حكى الله تعالى جوابهم باخراج لوط عليه السلام في سورة الأعراف ٨٢ والشعراء ١٦٧ ، والنمل ٥٦ وهي الآية التي أوردها المؤلف .

(٤) الآية ٥٦ من سورة النمل ونصها ((فما كان)) الا أن المؤلف اسقط الفاء ليستقيم السياق .

(٥) الأعراف ٨٢ .

(٦) في (ض) (أن أخرجوهم) فاما أن تكون (أن) زائدة وهو الأولى ، أو يكون سقط من السياق كلمة (قالوا) فيصبح سياق الكلام (أن قالوا اخرجوهم) .

(٧) ما بين المعقوفتين غير واضح في (ص) ، وهو هكذا في (م) وصوابه أجوبتهم .

((قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠))) .. هو كما قال نوح عليه السلام : ((فدعا ربه أني مغلوب فانتصر))[١] ، وقد وعد الله رسله والذين آمنوا بنصرهم في الدارين بقوله : ((إنّا لننصر رسلنا [والذين آمنوا][٢] في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد))[٣] .

قوله تعالى : ((ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى)) .. كما قال تعالى : ((قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم))[٤] ، وفي بشرى امرأته : ((فبشّرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب))[٥] .

((قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية)) .. وهي قرية سدوم وكأنها أم قريات[٦] قومه ، والا ففي كتب التفسير أنّها سبع قرى[٧] المؤتفكات التي جعل الله عاليها سافلها لما أتوا - أي الملائكة - باللفظ العام في قولهم : أهل هذه القرية ، حمل إبراهيم العام على حقيقته في شموله لأفراد ما تحته فقال: إنّ فيها لوطا وهو من المؤمنين فأجابوا بأنهم ينجونه وأهله الا امرأته .

وهنا أجملوا الإهلاك . وفي الذاريات قالوا : ((لنرسل عليهم حجارة من طين))[٨] ، فاقتصروا على بعض العذاب .

---

(١) القمر ١٠ .
(٢) سقط من (ص) ما بين المعقوفتين وسقط من (م) قوله (آمنوا في) الصفة وحرف الجر .
(٣) غافر ٥١ .
(٤) الذاريات ٢٨ .
(٥) هود ٧١ .
(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه (قرى) .
(٧) الذي في ابن جرير ٩٨/١٢ ، والبغوي ٣٩٦/٢ ، وزاد المسير ١٤٣/٤ : أنها كانت خمس قرى .
(٨) الذاريات ٣٣ .

وفي هود[١] ((جعلنا[٢] عاليها سافلها وأمطرنا عليها))[٢] .

وفي الحجر[٣] مثلها . وقال : ((حجارة من سجيل)) .

وفي الذاريات : ((من طين)) .

والسجيل الطين المطبوخ[٤] ، فعبر عنه بأصله تارة وبما آل اليه أمره أخرى .

(((منضود)))[٥] .

[٦]((مسومة عند ربك[٧])) / . وفي الذاريات[٨] : ((مسومة عند ربك للمسرفين))[٧] أي معلمة مكتوب عليها اسم من يرمى بها[٩] ، وزيد في هود في صفتها (منضود) أي متتابع[١٠] ، وأجمل الانجاء للوط هنا ، وبُين في الذاريات بقوله : ((فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين))[١١] . وفي غيرها[١٢] ((فأسر بأهلك)) فالاخراج منها هو أمره[١٣] بالاسراء بأهله الا أمرأته . ١١٦/ب

---

(١) هود ٨٢ ونصها : ((فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود)) ٨٢ .

(٢) في كلا النسختين (فجعلنا) باثبات الفاء ، (وأمطرنا عليهم) بالجمع ، وهذا نص آية الحجر وأما آية هود فصوابها ما أثبته .

(٣) الحجر ٧٤ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٩:٨٢ .

(٥) الأولى حذف ما بين القوسين ليستقيم السياق . ثم إنّ المؤلف رحمه الله تعالى قد بين معنى منضود بقوله .

(٦) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله قد خرج الى تفسير آية هود .

(٧) في كلا النسختين ((مسومة عند ربك للمسرفين)) فقوله ((للمسرفين)) اثبتها في هود وأسقطها من الذاريات وهذا خطأ والعكس هو الصواب ، فلهذا حذفتها من آية هود ٨٣ وأثبتها في آية الذاريات .

(٨) الذاريات ٣٤ .

(٩) تفسير البغوي ٣٩٧/٢ والكشاف ٢٢٨/٢ .

(١٠) تفسير البغوي ٣٩٧/٢ .

(١١) الذاريات ٣٥ ـ ٣٦ .

(١٢) هود ٨١ ، والحجر ٦٥ .

(١٣) في (م) (هو أمر بالاسراء) باسقاط ضمير الغائب (الهاء)

((قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه[١] وأهله الا امرأته كانت من الغابرين (٣٢))) .. الباقين مع المعذبين ، قد عُلم أن امرأته لا تعمل عمل قومه وقد عذبت بعذابهم لرضاها بقبيح عملهم ، فالراضي بالقبيح [كفاعله][٢] ، كما[٣] وردت به الأحاديث[٤] وهي مأخوذة من كلام الله هذا .

قوله تعالى : ((ولما [أن][٥] جاءت رسلنا لوطا سيء بهم)) .. أي بسبب الرسل ((وضاق بهم ذرعاً)) [أي لوط وأهله][٦] خوفا عليهم من قومه لا يفعلون[٧] بهم الفاحشة لأنهم[٨] أتوه في صور ولدان حسان وتقدم البيان بوجه الاساءة في هود حيث قال : ((سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون اليه [ومن قبل كانوا يعملون السيئات][٩] قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي)) الآية[١٠] .

---

(١) أ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (لننجينه) بتخفيف الجيم .
ب ـ وقرأ الباقون بالتشديد (لننجينه) بتشديد الجيم . الاتحاف ص ٣٤٥ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٣) في (م) (لما وردت) .
(٤) ومن تلك الأحاديث ما أخرجه مسلم وغيره عن أم سلمة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انه يستعمل عليكم امراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم . ولكن من رضي وتابع ...) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأمارة من صحيحه ١٤٨١/٣ .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٧) هكذا في كلا النسختين والصواب (أن يفعلوا) .
(٨) في (م) (لأنه) بالافراد والصواب الجمع كما في (ص) .
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(١٠) هود ٧٧ ـ ٧٨ .

فهذا وجه ما لحقه من السوء وضيقة[1] ذرعه بهم . وفي الحجر[2] ((وجاء أهل المدينة يستبشرون)) بطمعهم بفعلهم الفاحشة بأضياف ابراهيم .

((وقالوا لا تخف [ولا تحزن][3] انا منجوك[4] وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين (٣٣))) .. فقد كان خوفه من أمرين من الفضيحة في ضيفه ثم من مخافة الهلاك مع قومه حيث عرف أنهم رسل الله لاهلاك القرية ...[5]

((إنا منزلون على أهل / هذه القرية رجزا من السماء)) فصّله قوله : ٢/١١٧
((جعلنا[6] عاليها سافلها وأمطرنا[7] عليها حجارة من سجيل)) الآية[8] .

((بما كانوا يفسقون (٣٤))) .. بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله .

((ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (٣٥))) .

وأخرج البخاري[9] وغيره من أئمة الحديث أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما مرّ في غزوة تبوك بديار ثمود قال : (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم) وأنه استقى الناس من مياه الآبار التي كانت تشرب منها ثمود وعجنوا منها ونصبوا

---

(١) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (وضيق ذرعه) .
(٢) الحجر ٦٧ .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٤) أ ـ قرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (منجوك) بالتخفيف .
ب ـ وقرأ الباقون (منجّوك) بالتشديد .
(٥) هنا فراغ في كلا النسختين بقدر كلمة وأقرب تقدير لهذه الكلمة (فأزالوهما عنه) .
(٦) في كلا النسختين (فجعلنا) بزيادة الفاء .
(٧) في (ص) (وأرسلنا عليها) وفي (م) (وأرسل عليها) والصواب (أمطرنا) كما أثبته .
(٨) هود ٨٢ .
(٩) صحيح البخاري مع الفتح ٣٧٨/٦ ، ١٢٥/٨ ، وصحيح مسلم ٢٢٨٥/٤ ـ ٢٢٨٦ ، ومسند أحمد ١١٧/٢ .

القدور باللحم فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم باهراق القدور وعلفوا العجين للإبل ثم ارتحل بهم عليه السلام الى البئر التي تشرب منها الناقة [ونهاهم][1] أن يدخلوا على القوم الذين عُذبوا وقال:إني أخشى أن يصيبكم مثل الذي أصابهم فلا تدخلوا عليهم)[2].

مع ما أبقاه الله تعالى في القرية من آثار هلاكهم كما قال لأهل مكة في ذكر قوم لوط ((وإنّكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون))[3].

قوله تعالى : ((والى مدين أخاهم شعيبا)) .. أي أرسلنا . وقد سلف في الشعراء[4] أنه أرسل الى المؤتفكة[5] وقدمنا أنه أرسل الى الطائفتين[6] أي الى أهل مدين والى المؤتفكة[5] ، فهنا ذكر ارساله الى أهل مدين ، كما ذكر في هود[7] ارساله اليهم ، وفي الشعراء ذكر ارساله الى المؤتفكة .

((فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو [اليوم][8] الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦))) أجمل هنا ما فصله في سورة الأعراف وهود[9] من أمرهم بإبقاء

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من كلا النسختين وأثبتها من المسند ١١٧/٢ .
(٢) لعل ايراد المؤلف لهذا الحديث في هذا الموضع ناتج عن سهوه السابق ص٤٦٤ الذي صرّح فيه بأن لوطاً أُرسل الى أصحاب الحجر ، وقد بيّنا الصواب هناك ، فارجع اليه في الفقرة (٤) من ص٤٦٤
مع أن الأنسب لسياق هذا الحديث أن يُورد عند قوله تعالى : ((وعادا وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم)) وذلك في ص ٤٧٥
(٣) الصافات ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٤) انظر ص ١٤٥ فما بعدها
(٥) هكذا في النسختين والصواب أصحاب الأئكة .
(٦) والصواب أنهم طائفة واحدة كما بينت ذلك في الفقرة (١) من هامش ص١٤٦
(٧) الدال من كلمة (هود) سقطت من كلا النسختين .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) الدال من كلمة (هود) ساقطة من كلا النسختين .

المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تقعدوا بكل[1] صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله وغير ذلك لما عرفت من أنه انما يشار هنا الى القصص تنبيها على فتنة الذين من قبل هذه الأمة ، كما أشير اليه في صدرها وهو قوله : ((ولقد فتنا الذين من قبلهم)) .

قوله تعالى : ((فكذبوه فأخذتهم الرجفة)) الزلزلة الشديدة[2] ((فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣٧))) . تقدم في هود[3] : ((وأخذت[4] الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين))[5] ، وكأنه صاح بهم جبريل فارتجفت بهم الأرض فهلكوا بالصيحة والرجفة .[6]

وطوى هنا المقاولة[7] بين شعيب وقومه ونشرت في هود والأعراف وهناك[8] قال : ((في ديارهم)) وهنا بالافراد والمراد به الجنس .

---

(١) في (م) (كل صراط) باسقاط حرف الجر .
(٢) الكشاف ١٩٠/٣ .
(٣) وهو في الجزء المفقود .
(٤) في كلا النسختين (فأخذتهم) بالفاء مع الاضمار والصواب بالواو مع الاظهار.
(٥) هود ٩٤ .
(٦) أخبر سبحانه وتعالى عن هلاك قوم شعيب بأنهم أخذتهم الرجفة كما في سورة الأعراف ٩١ .
بينما أخبر في سورة هود ٩٤ أن هلاكهم كان بالصيحة ، وفي سورة الشعراء ١٨٩ أخبر عنهم أنهم أخذهم عذاب يوم الظلة .
والجواب عن ذلك ما قاله ابن كثير في تفسيره ٢٣٢/٢ حيث قال : وقد اجتمع عليهم ذلك كله (أصابهم عذاب يوم الظلة) وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام فأصبحوا في دارهم جاثمين . أهـ .
(٧) يريد بالمقاولة : المجادلة .
(٨) أي في آية هود ٩٤ فقط وأما آية الأعراف فهي بالافراد أيضا كآية العنكبوت هذه .

قوله تعالى : ((وعاداً وثمود)) .. أي أهلكنا[1] ((وقد تبين لكم من مساكنهم)) .. أي تبين لكم اهلاكهم من رؤيتكم ديارهم[2] / ((وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل)) عن طريق الهدى ((وكانوا مستبصرين (٣٨))) ذوي أبصار يعرفون بها الحق من الباطل .[3]

١١٧/ب

وقد فُصّلت قصصهم في عدة سور[4] كما فصلت قصص من ذكر في قوله : ((وقارون وفرعون وهامان)) قدّم[5] قارون وهو متأخر لأنه كفر على علم آتاه الله ولأنه ضل بعد الهدى .

((ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩))) فائتين لنا .[6]

قوله تعالى : ((فكلاً))ممن ذكر ((أخذنا بذنبه)) بسبب ما ارتكبه ، ((فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً)) ريحا عاصفا فيها الحصباء[7] كقوم لوط أي بعد قلب قراهم بهم لقوله ((فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم[8] حجارة)) الآية .[9]

---

(١) انظر الكشاف ١٩١/٣ .

(٢) كان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يورد حديث مرور النبي صلى الله عليه وسلم بديار ثمود في هذا الموضع بدلا من ايراده بعد هلاك قوم لوط ص ٤٧٢

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣٤٤/١٣ .

(٤) وردت قصتهم في سورة الأعراف ٦٥ ـ ٧٩ ، وهود ٥٠ ـ ٦٨ وفي غيرهما من السور .

(٥) في (م) (قد قارون) باسقاط الميم .

(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه (عنا) .

(٧) هكذا في (ص) والكشاف ١٩١/٣ ، والذي في (م) والبغوي ٤٦٧/٣ (الحصا) باسقاط حرف الباء والمد .

(٨) في (ص) (عليها) بالتأنيث وهذا في آية هود وأما آية الحجر فصوابها (عليهم) .

(٩) الحجر ٧٤ .

((ومنهم من أخذته الصيحة)) كثمود وأصحاب مدين ((ومنهم من خسفنا به الأرض)) كقارون وقوم لوط ، ((ومنهم من أغرقنا)) كقوم نوح وفرعون وقومه . ((وما كان الله ليظلمهم)) حشا[1] عن الظلم ((ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠))) بعصيان الرسل وتكذيبهم .

قوله تعالى : ((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء)) لما كرر الله تعالى ذكر الذين اتخذوا من دونه ((أولياء)) وذكر أنه ليس لهم من دونه ولي ولا نصير ، ضرب لهم مثلا لأوليائهم فقال : ((كمثل العنكبوت)) مؤنثة(للما)[2] وقد تذكر ((اتخذت بيتا)) لنفسها تأوي اليه لا يدفع حرا ولا بردا ولا يمنع مطرا ولا ريحا ، ((وإنّ أوهن البيوت)) أضعفها ((لبيت العنكبوت)) . كذلك الأصنام أوهن الأولياء لا يملكون [لهم][3] نفعا ولا ضرا .[4]

((لو كانوا يعلمون (٤١))) أي لو كانوا ممن يعمل بما يعلم ، والا فانهم يعلمون أن الأصنام لا نفع عندها ولا دفع ، ألا تراه قال لهم الخليل عليه السلام ((قال أفتعبدون / من دون الله مالا[5] ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أفٍ لكم ولما تعبدون [من دون الله][6][7])) ، وأقروا كلامه بأنها لا تنفع ولا تضر إنّما ((قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين))[8] . ١١٨/أ

---

(١) هكذا في كلا النسختين وصوابها حاش لله عن الظلم ، أوحاشا من الظلم .
(٢) هكذا في كلا النسختين ولم أعرف لها معنى ولعلها زائدة .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٤) في (م) : (ضرا ولا نفعا) تقديم وتأخير .
(٥) في كلا النسختين ((ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)) فاختلط عليه آية الأنبياء هذه بآية المائدة ٧٦ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وأثبته لأنه من تمام الآية .
(٧) الأنبياء ٦٦ ـ ٦٧ .
(٨) الأنبياء ٥٣ .

((إنّ الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢))) ... هو وعيد لهم بأنه عالم بما يدعوه[١] من دونه وهو مجازيهم عليه .

قوله تعالى : ((وتلك الأمثال)) .. لما كرر الله تعالى الأمثال في كتابه الكريم حتى زادت على أربعين مثلا ذكر أنه يضربها للناس - أي يبين لهم ما أراده بضرب المثل - زيادة في البيان والإيضاح وابرازا له في صورة المحسوس .

قال جار الله في الكشاف[٢] : ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات[٣] المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم[٤] في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح[٥] الأبي ولأمرٍ ما أكثر الله في كتابه[٦] وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله : ((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)) .

ومن سور الإنجيل سورة الأمثال، والمَثَل في أصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير يقال مَثَلٌ ومِثْل ومثيل كشَبَه وشِبْه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل[٧]

---

(١) هكذا في كلا النسختين وصوابه (يدعون) .
(٢) الكشاف ١/٣٧ - ٣٨ .
(٣) في الكشاف (خبيات) بالباء بدلا من الفاء ، وهي بمعنى واحد .
(٤) في كلا النسختين (التوهم) باسقاط الميم والصواب (المتوهم) كما في الكشاف .
(٥) في (م) (الجامع) بالعين بدلا من الحاء وهو خطأ .
(٦) في الكشاف (في كتابه المبين) بزيادة المبين وهو أصوب .
(٧) في (م) (المثل) بميم واحدة والصواب (الممثل) بتكرير الميم .

مضربه[١] بمورده مَثَلٌ ، ولم يضربوا مثلا ولا رأواه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثَمَّ حوفظ عليه[٢] وحمي عن التغيير[٣] . أهـ كلامه .

((خلق الله السموات والأرض بالحق)) .. أي بالحكمة البالغة والقول الثابت وهو رد لقول الكفار القائلين : ان خلقهما باطل[٤] كما حكاه عنهم بقوله : ((وما خلقنا السماء[٥] والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا / فويل للذين كفروا من النار))[٦] . ١١٨/ب

((ان في ذلك)) .. أي في خلقهما ((لآية[٧] للمؤمنين)) لما في كل ذرة منهما من الدلالة على خالقهما ووحدته وحكمته وعلمه وقدرته وجميع صفات كماله وقد كرر تعالى هذا في كثير من الآيات .

((اتل ما أوحي اليك من الكتاب)) .. أي القرآن والتلاوة القراءة أو الاتباع يقال تلاه بمعنى تبعه[٨] ، وهو كقوله : ((واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا))[٩] ونحوه : ((انما أمرت أن أعبد

---

(١) في (م) (ضربه) باسقاط الميم وهو خطأ أيضا .
(٢) في كلا النسختين (عليها) بالتأنيث والصواب بالتذكير (عليه) كما في الكشاف
(٣) في الكشاف (من التغيير) .
(٤) الكفار لم يقولوا ذلك نصا ولكن لما انكروا البعث وما يترتب عليه من جزاء وحساب لزم من ظنهم هذا أن يكون الخلق عبثا ، فلزمهم هذا القول نتيجة اعتقادهم .
(٥) في كلا النسختين (السموات) والصواب (السماء) كما أثبته .
(٦) سورة ص ٢٧ .
(٧) في كلا النسختين (لآيات) بالجمع ، والقراءة المجمع عليه بالافراد (لآية) .
(٨) لسان العرب ١٠٢/١٤ ، ١٠٤ (تلا) .
(٩) الكهف ٢٧ .

رب هذه البلدة ..)) الى قوله : ((... وأن أتلوا القرآن))[١] .. أي وأمرت أن أتلو القرآن والأمر هو لقوله : ((اتل ما أوحي)) الآية .

ونحوها : ((وأقم الصلاة)) تكرر منه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باقامة الصلاة ، ((أقم الصلاة لدلوك الشمس)) الآية[٢] ، (([و][٣] أقم الصلاة لذكري))[٤] .

وان كان خطابا لموسى عليه السلام فقد استدل بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما ناموا عن الصلاة ليلة الوادي[٥] فدل أنها عامة لكل مخاطب (ونحوه)[٦] ثم ذكر تعالى وجه الحكمة في الأمر بإقامة الصلاة وأنّ نفعها عائد الى مقيمها فقال ((إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء)) وهو ما فحش من المعاصي. ((والمنكر)) كرر ذكرها[٧] تعظيما لشأنها ، وإلا فان المقام الاضمار ، أي انها سبب لانتهاء مقيمها عن الفحشاء والمنكر ، من باب قوله ((والذين اهتدوا زادهم هدى))[٨] ، ومن باب : ((فأما[٩] من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى))[١٠] .

---

(١) النمل ٩١ ـ ٩٢ .
(٢) الاسراء ٧٨ .
(٣) الواو ساقطة من كلا النسختين .
(٤) طه ١٤ .
(٥) انظر سياق القصة في صحيح مسلم ٤٧١/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .
(٦) هذه اللفظة موجودة في كلا النسختين ، وسياق الكلام يقتضي حذفها .
(٧) وذلك بقوله تعالى ((وأقم الصلاة إنّ الصلاة)) .
(٨) محمد ١٧ .
(٩) في كلا النسختين (وأما) بالواو بدلا من الفاء وهو خطأ .
(١٠) الليل ٥ ـ ٧ .

((ولذكر الله أكبر)) .. ذكرت فيه أقوال :

أحدها : أن المراد به[١] الصلاة ، اذ هي ذكر الله . قال تعالى : ((فاسعوا الى ذكر الله))[٢] أي الى صلاة الجمعة ، وفُسر قوله : ((ولا تلهكم أموالكم و [لا][٣] أولادكم عن ذكر الله)) بالصلاة ، والمعنى : وللصلاةُ أكبرُ ذكرٍ .[٤]

والثاني : ولذكركم الله بالأذكار المشروعة من التهليل والتسبيح والتكبير ونحوه أكبر من الصلاة[٥] ، لأن الصلاة انما شُرّعت[٦] وعظمت لما فيها من ذكر / ١١٩/أ الله ولذلك قال : ((أقم الصلاة لذكري))[٧] ، والمعنى : ولذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر .

أي أن سببيته[٨] لذلك أعظم من سببها[٩] أي الصلاة .

والثالث : ولذكركم عقاب الله على الذنوب وخوفه أكبر في نهيكم عنهما[١٠] كما يرشد إليه : ((وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى))[١١] .

---

(١) في (م) (بها) بالتأنيث .
(٢) الجمعة ٩ .
(٣) هذه اللام سقطت من (ص) .
(٤) الكشاف ١٩٢/٣ وتفسير أبي السعود ٤٢/٧ .
(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ص ٣٩٩ ، وابن جرير ١٥٧/٢٠ ـ ١٥٨ ، والبغوي ٤٦٩/٣ ، وابن الجوزي ٢٧٥/٦ . والقرطبي ٣٤٩/١٣ .
(٦) في (م) (شرعت) بالعين وتخفيف الراء .
(٧) طه ١٤ .
(٨) في (م) (شبيته) .
(٩) في (ص) (سببها) .
(١٠) انظر : تفسير القرطبي ٣٤٩/١٣ ، والكشاف ١٩٢/٣ ، وتفسير أبي السعود ٤٢/٧ .
(١١) النازعات ٤٠ ـ ٤١ .

الرابع : ولذكر الله إيّاكم أكبر من الصلاة[١] كما يرشد اليه ((فاذكروني[٢] اذكركم))[٣] ، وحديث : (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير [من][٤] ملائه)[٥] .

وفيه حديث مرفوع ان صح فالقول به أولى[٦] ، وهذا على اضافة المصدر الى مفعوله[٧] وهو يضاف اليه تارة ، والى فاعله تارة أخرى ، والمراد أنه تعالى اذا ذكر عبده لطف به

---

(١) أخرجه عبدالرزاق عن ابن عباس وعن الكلبي ص ٣٩٩ ، وابن جرير بعدة طرق عن ابن عباس وجماعة من السلف ١٥٦/٢٠ ـ ١٥٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٤١٥/٣ ، وذكره البغوي ٤٦٩/٣ ثم قال : ويُروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، وذكره القرطبي ٣٤٩/١٣ ونسبه الى جماعة من السلف منهم ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ، وكل هؤلاء أخرجوه بلفظ (ولذكر الله إيّاكم أكبر من ذكركم إيّاه) وهذا القول اختاره ابن جرير في تفسيره ١٥٨/٢٠ .

(٢) في كلا النسختين (اذكروني) باسقاط الفاء والآية باثباتها .

(٣) البقرة ١٥٢ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٣٨٤/١٣ كتاب التوحيد .

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٦٦/٦ وعزاه الى ابن السني وابن مردويه والديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : ((ولذكر الله أكبر)) ـ قال : (ذكر الله إيّاكم أكبر من ذكركم إيّاه) .
وقد أشار الى رفعه ـ أيضا ـ البغوي ٤٧٠/٣ ، والقرطبي ٣٤٩/١٣ ، حيث قالا : ويُروى ذلك مرفوعا عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وذكره ابن الجوزي ٢٧٤/٦ ثم قال : رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبه قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في آخرين . أهـ .

(٧) بل من اضافة المصدر الى فاعله ، وانما يكون من اضافة المصدر الى مفعوله اذا رجّحنا القول الثاني .

فلا يواقع الفحشاء والمنكر : ((والله يعلم ما تصنعون (٤٥))) .. من صلاة وذكر وكل شيء تصنعونه فيجازيكم به . ((ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن)) .

الجدال لغة : الخصام[١] . وفي العرف : القياس المؤلف من المشهورات أو[٢] المسلمات ، والغرض منه [إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن ادراك مقدمات البرهان][٣] ، وهو نوعان : محمود ، ومذموم .

المحمود ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : ((وجادلهم بالتي هي أحسن)) ، ومنه في الخليل : ((يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم[٤] أواه منيب))[٥] ، ومنه هذه الآية .

والمذموم الجدال بالباطل كجدال الكفار للرسل عليهم السلام كما قال الله تعالى : (([٦]الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله / وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار))[٧] ، وقال : ((إنّ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان [أتاهم][٨] ان في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السميع البصير))[٩] ، وقوله :

١١٩/ب

---

(١) لسان العرب ١٠٥/١١ (جدل) .
(٢) في التعريفات (والمسلمات) بالواو .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) وغير واضح في (ص) فأثبته من التعريفات ص ٧٤ .
(٤) في كلا النسختين ((ان ابراهيم لأواه حليم)) وهذا نص آية التوبة ١١٤ . وأما آية هود فصوابها ما أثبته .
(٥) هود ٧٥ .
(٦) في كلا النسختين (ان الذين) بزيادة حرف التوكيد وهي ليست من الآية .
(٧) غافر ٣٥ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٩) غافر ٥٦ .

((ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون))[١] . وجدالهم في الله تعالى هو نحو قولهم : ((ائت بقرآن غير هذا أو بدّله))[٢] ، وقولهم : ((واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها))[٣] ، وقولهم : ((ان هذا الا أساطير الأولين))[٤] ، وقولهم : ((لو نشاء لقلنا مثل هذا))[٥] ، وقولهم : ((إنّما يعلمه بشر))[٦] .

وكل ما حكاه الله عنهم فهو جدال بالباطل كما قال تعالى : ((وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق))[٧] ، وكما قال : ((حجتهم داحضة))[٨] .

ولما كانت السورة مسوقة من أولها لما قدره الله من ابتلاء العباد ذكر تعالى جدال أهل الكتاب وذكر أنهم فريقان :

الأول من أمر أن يُجادلوا بالتي هي أحسن ، وهو نحو أمره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجادل الأمة جميعا بالتي هي أحسن : ((ادع[٩] الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)).[١٠] ((إلا الذين ظلموا منهم)) .. استثناء مما قبله . أي فجادلوهم[١١] بالسيف ونحوه .

---

(١) الزخرف ٥٨ .
(٢) يونس ١٥ .
(٣) الأعراف ٢٠٣ .
(٤) الأنعام ٢٥ .
ووردت هذه اللفظة في عدة سور من القرآن الكريم .
(٥) الأنفال ٣١ .
(٦) النحل ١٠٣ .
(٧) غافر ٥ .
(٨) الشورى ١٦ .
(٩) في (ص) (فادع) ، وفي (م) (وادع) والصواب (ادع) كما أثبته .
(١٠) النحل ١٢٥ .
(١١) في (م) (فجادلهم) بالافراد .

قال المفسرون : ان المراد بهم الذين لم يدخلوا في الذمة ولم يعطوا الجزية .[1]

((وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا)) .. وهو القرآن ((وأنزل اليكم)) .. وهو التوراة والانجيل / ، وهو نحو قوله تعالى : ((قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ١٢٠/أ وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون))[2] ، فهذه الآية فصلت اجمال ما هنا ((وإلٰهنا والٰهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦))) .

ثم أخبر تعالى أنه أنزل القرآن اليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : ((وكذلك)) أي كما أنزلنا ما أمرناكم أن تؤمنوا به من الكتب الأولى .[3]

((أنزلنا اليك الكتاب)) .. أي الانزال واحد ، وان اختلفت كيفيته ، فان التوراة أنزلت دفعة واحدة ، ولعل غيرها كذلك ، وأنزل القرآن متفرقا . ولذا قال الكافرون ((لولا نُزّل[4] عليه القرآن جملة واحدة))[5] .

((فالذين آتيناهم الكتاب)) .. أي من فريقي اليهود والنصارى ممن آمن ((يؤمنون به ومن هؤلاء)) المؤمنين من أهل مكة ((من يؤمن به))[6] .

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤٧٠/٣ ، والكشاف ١٩٢/٣ ، والدر المنثور ٤٦٩/٦ . وهذا القول الذي اقتصر عليه المؤلف رحمه الله تعالى هو ما رجحه ابن جرير في تفسيره ٢/٢١ ـ ٣ ، واقتصر عليه ابن الجوزي ٢٧٥/٦ .

(٢) البقرة ١٣٦ .

(٣) في كلا النسختين (الأوله) والصواب ما أثبته . وانظر تفسير ابن جرير ٤/٢١ والكشاف ١٩٢/٣ ، وتفسير الرازي ٧٥/٢٥ .

(٤) في كلا النسختين (أنزل) والصواب ما أثبته .

(٥) الفرقان ٣٢ .

(٦) هذا القول اقتصر عليه البغوي ٤٧١/٣ ، وابن الجوزي ٢٧٧/٦ ، وابن كثير ٤١٧/٣ .

وقيل المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الأولون الذين آمنوا به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يدركوا زمن البعثة ، والمراد بهؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب (١) الموجودون (٢) .

((وما يجحد بآياتنا الا الكافرون (٤٧))) .. فسماه جحدا (٣) لأنهم يعلمون أنه منزل من عنده ، وأن الجحد الانكار لما يقر به الجاحد ويعترف باطنا (٤) ، ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) (٥) .

ثم أخبر تعالى (٦) أنه أزاح العلل التي يعتل (٧) بها المبطلون في [أن] (٨) القرآن ليس من عند الله فقال : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون (٤٨))) .. أي لقال المبطلون ما حكاه الله عنهم . ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها (٩) فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً)) (١٠) ، فقال: ١٨٠ ب

---

(١) في (م) (والموجودن) بزيادة الواو وهي خطأ .
(٢) وهذا القول ـ الثاني ـ اقتصر عليه ابن جرير ٤/٢١ .
وأما الزمخشري ١٩٢/٣ ـ ١٩٣ ، وأبو السعود ٤٢/٧ ـ ٤٣ ، والرازي ٧٦/٢٥ فقد ذكروا كلا القولين بل ان الرازي ذكر قولا ثالثا ورجحه على هذين القولين ، فحمل قوله تعالى : ((فالذين آتيناهم الكتاب)) على الأنبياء ، وحمل قوله تعالى : ((ومن هؤلاء)) على مؤمني أهل الكتاب .
(٣) في كلا النسختين (جحد) باسقاط علامة النصب .
(٤) انظر مفردات الراغب ص ٨٨ ، ولسان العرب ١٠٦/٣ (جحد) .
(٥) النمل ١٤ .
(٦) في (م) (أخبر انه تعالى) تقديم وتأخير .
(٧) هكذا في النسختين ولعل الصواب (يتعلل) .
(٨) حرف التوكيد ساقط من (م) .
(٩) في (م) (اكتبها) باسقاط التاء الثانية وهو خطأ ظاهر .
(١٠) الفرقان ٥ .

كيف ذلك وهو لا يقرأ مكتوبا وهو المراد بقوله : ((وما كنت تتلوا من قبله ولا يكتبه[1] مقروءا وهو معنى ((ولا تخطه بيمينك)) ، وانما قال المبطلون لأن من عرف دلائل النبوة ومعجزاتها التي أتى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بها لا يرتاب في أمره ولو كان يقرأ ويكتب ، لكنه تعالى على ما جرت حكمته من ازاحة العلل والمبالغة في اظهار الحق وترادف الأدلة .[3]

((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)) .. يحفظونه خاصة من بين الكتب السماوية . فانها لا تحفظ على ظهر[4] قلب[5] ، كما ذكر في تفسير قوله تعالى : ((ولقد يسرنا القرآن [للذكر][6] فهل من مدكر))[7] .

((وما يجحد بآياتنا الا الظالمون (٤٩))) .

ثم ذكر ما سيقت له السورة من تعداد أنواع الفتن ما فُتن به صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قريش فقال : ((وقالوا لولا أنزل عليه آية[9] من ربه)) ، جهالة منهم وضلالة وتعنتا وتعللا بالباطل .

---

(١) في (ص) (تكتب) بالفوقية .

(٣) خبر لكن محذوف ويدل عليه السياق اذ تقديره : لكنه تعالى ... ذكر ذلك .

(٤) في كلا النسختين (ظهرر) ولا معنى لها الا ما أثبته .

(٥) انظر الكشاف ١٩٣/٣ و ٤٦/٤ ، والبغوي ٢٦١/٤ ، وابن الجوزي ٢٧٨/٦ و ٩٥/٨ .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٧) القمر ١٧ وتكررت فيها أربع مرات .

(٩) أ ـ قرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي (آية) بالافراد على ارادة الجنس .

ب ـ وقرأ الباقون بالجمع (آيات) .

((قل انما الآيات عند الله)) ينزل منها ما يشاء على وفق الحكمة ومقتضى حال الرسل والأمة . ((وانما أنا نذير مبين (٥٠))) .. أبين لكم ما أمرت به .

قال الله : ((أولم يكفهم)) من الآيات ((أنا أنزلنا عليك[1] الكتاب)) البالغة [آياته][2] غاية الاعجاز فهو آية أتى بآيات ، ومعجزة تضمن معجزات .

((يتلى عليهم)) فيعرفون لفظه ومعناه . ((ان في ذلك لرحمة)) كرر الله تعالى [وصف][3] كتابه بالرحمة والذكرى وقدمنا من الآيات شيئا كثيرا في ذلك[4] .

((وذكرى لقوم يؤمنون (٥١))) / فهم الذين يكون لهم رحمة وذكرى ، وأما غير المؤمنين فكما قال ((ولا يزيد)) أي القرآن ((الظالمين إلا خسارا))[5] ، وكما قال : ((والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى))[6] ، وقوله : ((وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين))[7] . ١٢١/أ

((قل)) لهم ((كفى بالله بيني وبينكم شهيداً)) في أني قد أبلغتكم البلاغ المبين ، وفي أنكم جحدتم بآياته ((يعلم ما في السموات والأرض)) ومن معلوماته ابلاغي رسالاته وجحدكم لها .[8]

---

(١) في (م) (اليك) بدلا من عليك وهو خلاف الآية .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (م) .
(٤) انظر على سبيل المثال ما ذكره ص ١٨٨-١٨٩ ، ٣٠٥-٣٠٨
(٥) الاسراء ٨٢ .
(٦) فصلت ٤٤ .
(٧) المائدة ٦٨/ .
(٨) انظر الكشاف ١٩٣/٣ .

((والذين آمنوا بالباطل)) .. وهو الطواغيت[1] وغيرها . ((وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢))) خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .[2]

((ويستعجلونك بالعذاب)) .. أي كفار مكة بقولهم : ((اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء))[3] ، وبمثل قولهم : ((ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه))[4] .

((ولولا أجل مسمى)) عنده تعالى ((لجاءهم العذاب)) لكنه أخره تعالى لما سبق التقرير....[5] من أجله .

((وليأتينّهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣))) ولعله عذاب يوم بدر[6] ، فانهم خرجوا عادة[7] على البئر[8] يمنعونها فكان فيها العذاب[9] الأدنى[10] كما قال

---

(١) في (ص) (الطوغيت) باسقاط الألف وهو خطأ .
(٢) هذا اقتباس من آية الحج ١١ .
(٣) الانفال ٣٢ .
(٤) هود ٨ .
(٥) هنا فراغ في كلا النسختين ولم أهتد الى تقدير ما أراد المصنف الا أن يكون السياق هكذا : لكنه أخره ـ أي العذاب ـ لما سبق في التقدير بتأخير أجله .
(٦) الأولى حمله على العموم وعدم تخصيصه بيوم بدر، مع أن الذي يشهد له السياق أن المراد بالعذاب هنا عذاب يوم القيامة ، وأما عذاب يوم بدر فهو من العذاب الأدنى كما صرح به المؤلف بعد ذلك .
(٧) هكذا في النسختين ولعل صوابها (غارة) من الاغارة على العدو .
(٨) هكذا في النسختين والصواب (العير) .
(٩) كلمة العذاب مكررة في كلا النسختين .
(١٠) انظر : تفسير الطبري ١٠٩/٢١ ، والبغوي ٥٠٢/٣ ، وابن الجوزي ٣٤١/٦ ، وابن كثير ٤٦٢/٣ .

تعالى : ((ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر))[١] ، فهذا العذاب أتاهم بغتة كما قال الله تعالى .

((يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم))[٢] ، كما قال تعالى : ((لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل))[٣] . / ١٢١/ب

((ومن تحت أرجلهم ونقول[٤] ذوقوا ما كنتم تعملون)) .. أي هذا العذاب هو بعينه عملهم[٥] .

((يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعةٌ فاياي فاعبدون (٥٦))) .. لما ذكر

---

(١) السجدة ٢١ . وقال المؤلف رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية : ((ولنذيقنهم من العذاب الأدنى)) ، وهو عذاب الدنيا من مصايبها من الجوع والخوف والأسقام وغيرها ، وقد سمى الله حوادث الدنيا المكدرة عذابا ((وليشهد عذابهما)) الآية [٢ من سورة النور] . وفي الحديث (السفر قطعة من العذاب) .[أخرجه البخاري ٦٢٢/٣ مع فتح الباري].
وانماخصيناه بعذاب الدنيا لقوله : ((لعلهم يرجعون)) ، فانه لا رجوع عن المعاصي في الآخرة . ((دون العذاب الأكبر)) وهو عذاب الاخرة ، وقد فسر بالقتل يوم بدر ولا يوافقه آخر الآية ، الا أن يراد لعل من بقي بعد بدر يرجع ((لعلهم يرجعون)) عن كفرهم الى الايمان وعن معاصيهم الى التوبة ... الخ . ق ١٦/أ . وما بين المعقوفتين فهو زيادة مني .

(٢) في كلا النسختين (ويستعجلونك) بالواو وهي ليست من الآية .

(٣) الزمر ١٦ .

(٤) أ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (نقول) بنون العظمة .
ب ـ وقرأ الباقون (يقول) بالمثناة التحتية . الاتحاف ص ٣٤٦ .

(٥) وجعل ذلك عين ما كانوا يعملون للمبالغة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب . تفسير الرازي ٨٢/٢٥ .

تعالى قول ابراهيم عليه السلام ((اني مهاجر الى ربي))[١] ، ذكر أمر الهجرة للمؤمنين ، وقد أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع ملة ابراهيم : ((ثم أوحينا اليك أن اتبع [ملة][٢] ابراهيم))[٣] ، وقال تعالى : ((ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا))[٤] .

وقد أمر الله بالهجرة في آيات من كتابه[٥] وقال : ((والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا))[٦] ، ووعد المهاجرين بالمراغم[٧] والسعة . فقال : ((ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة))[٨] .

وصدق تعالى فانه خرج المهاجرون الى الحبشة والى المدينة ولقوا خيرا كثيرا وكانوا فقراء . كما قال تعالى : ((للفقراء المهاجرين))[٩] ، ولما استقرت بهم الهجرة فتح الله عليهم أقطار الدنيا وصاروا في سعة وغنى ووعدهم الله مغانم كثيرة وصدق وعده ، وصار منهم الخلفاء والعمّال وأهل السعة والأموال ويكفيهم

---

(١) في كلا النسختين ((اني مهاجر الى ربي سيهدين)) بزيادة قوله (سيهدين) وهذه اللفظة هي من آية الصافات ٩٩ ، ولم ترد في سورة العنكبوت ، فلهذا آثرت اسقاطها من المتن .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(٣) النحل ١٢٣ .
(٤) الحج ٧٨ .
(٥) ومن تلك الآيات قوله تعالى : ((ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ...)) الآيات ٩٧ ـ ١٠٠ من سورة النساء .
(٦) الأنفال ٧٢ .
(٧) المراغم والمُهاجر واحد وهي المذاهب كما في مجاز القرآن ١٣٨/١ .
(٨) النساء ١٠٠ .
(٩) الحشر ٨ .

ثناء الله عليهم في الكتاب الكريم بقوله : ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ...)) الى قوله : ((... رضي الله عنهم)) الى آخر الآية الشريفة[١] .

فالهجرة / واجبة من دار الكفر الى دار الايمان ما بقي في الأرض كفر وايمان ١٢٢/أ
وحديث : (لا هجرة بعد الفتح)[٢] .. أي من مكة لأنها بعد الفتح صارت دار ايمان، ولما كانت الهجرة أشق شيء على النفوس لأن فيها فراق الأوطان الذي[٣] قرن الله فراقها بازهاق الأرواح كما قال : ((ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجو من دياركم))[٤] ، وفيها مفارقة الأهل والأولاد والأحبة والاخوان ، وهي أشق شيء على الانسان حتى قيل[٥] :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لها المنايا الى أرواحنا سبلا

وفيها هجر المألوفات وملاقات المخوفات ، ولهذا[٦] لما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أول البعثة : يا ليتني فيها جذعا حين

---

(١) التوبة ١٠٠ . ونصها : ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)) .
(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣/٦ .
(٣) هكذا في كلا النسختين والصواب (التي) .
(٤) النساء ٦٦ وتمامها : ((ما فعلوه الا قليل منهم)) .
(٥) القائل هو المتنبي وهذا البيت هو من قصيدة قالها في صباه يمدح بها سعيد بن عبدالله الكلابي . ومطلعها :
أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا .. والبين جار على ضعفي وما عدلا .
ديوان المتنبي ٢٨٢/٣ .
(٦) في (م) (ولذا) باسقاط الهاء .

يخرجك قومك . فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((أو مخرجي هم ؟))[١] ، استعظاما لخروجه من وطنه مكة ،

وقال جار الله : ان المؤمن اذا[٢] لم تسهل[٣] له العبادة في بلد ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر الى بلد يقدّر أنه فيها[٤] أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا / ولعمري أن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ، ١٢٢/ب لقد[٥] جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون[٦] على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتقلب وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد عن كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكن حرم الله وجواريته فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر[٧] وأوزع من الشكر . أهـ[٨]

وسلّ الله عز وجل المهاجرين بقوله : ((كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧))) .. اخبار لهم بأنه لابد من فراق المألوف والمعهود وأنه يكون ذلك بمفارقة الدنيا ومواصلة اللحود فليخرج العبد من أوطانه مهاجرا مأجورا مختارا[٩] خير من خروجه بعد أمره بالهجرة كرها مأزورا ، وقد كرر تعالى هذه

---

(١) أخرجه البخاري بطوله ٢٢/١ كتاب بدء الوحي .
(٢) في (ص) (اذ لم) وفي (م) (ان لم) وتصويبها (اذا لم) كما في الكشاف ١٩٤/٣ .
(٣) في الكشاف ١٩٤/٣ (يتسهل) .
(٤) في الكشاف (فيه) وكلاهما صحيح .
(٥) في الكشاف (وقد جربنا) .
(٦) في كلا النسختين (عون) باسقاط الألف والصواب (أعون) كما في الكشاف
(٧) في (م) (الطير) وهو خطأ ظاهر .
(٨) الكشاف ١٩٤/٣
(٩) في (م) (مختار) باسقاط الألف .

الآية بلفظها : ((كل نفس ذائقة الموت وإنّما تُوفّون أجوركم يوم القيامة))[١] ، ((كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة))[٢] . لما ذكر تعالى في صدر السورة ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين)) بيّن تعالى هذا الاجمال[٣] وعين مقام الادخال بقوله : ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنّهم)) من بوأه اذا أنزله[٤] من قوله تعالى : ((ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق))[٥] / وقوله : ((٦ مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء))[٧] . ٤١٨٣

((من الجنة غرفاً)) جمع غرفة وتجمع على غرفات ، كما قال تعالى : ((وهم [في][٨] الغرفات آمنون))[٩] .

وقد بيّن صلى الله عليه وعلى آله وسلم صفة الغرفة بما أخرجه الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (ان في الجنة لغرفاً تُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابي فقال : يا رسول الله لمن هي ؟ قال : لمن طيّب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلّى بالليل والناس نيام)[١٠] . قال الترمذي بعد إخراجه هذا حديث غريب .

---

(١) آل عمران ١٨٥ .
(٢) الأنبياء ٣٥ .
(٣) في (ص) (الاحتمال).
(٤) انظر لسان العرب ٣٨/١ بوّأ) .
(٥) يونس ٩٣ .
(٦)(٦) في (ص) (ولقد مكنا) بزيادة (ولقد) وهي ليست من الآية .
(٧) يوسف ٥٦ .
(٨) حرف الجر ساقط من (ص) .
(٩) سباء ٣٧ .
(١٠) سنن الترمذي ٣٥٤/٤ ، ٦٧٣ ، ومسند أحمد ١٧٣/٢ ، والزهد لأحمد بن حنبل ص ٣٧ ، ولكنه ورد في كتاب الزهد من زوائد عبدالله بن أحمد بن حنبل . وانظر تفسير ابن كثير ٤٩/٤ ، ومجمع الزوائد ٢٥٤/٢ ـ ٢٥٥ و ١٦/٥ و ٢٧٨/١٠ ، والمصنف لابن أبي شيبة ٣٠/٧ .

وأخرج الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري أن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم [قال][1] : (ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام)[2] .

وأخرج البيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وعلى آله وسلم : (ان في الجنة لغرفا فاذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها ، واذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها ، قيل : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام . قيل : وما طيب الكلام ؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فانها تأتي يوم القيامة / ولها مقدمات ومجنبات ١٢٣/ب
[ومعقبات][3] ، قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : من صام رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه ، قيل : وما اطعام الطعام ؟ قال : من قات عياله وأطعمهم[4] ، قيل : وما افشاء السلام ؟ قال : مصافحة أخيك وتحيته ، قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : صلاة العشاء الآخرة)[5] .

وورد في حديث آخر فعيّن الناس بأنهم اليهود والنصارى والمجوس ، وذلك لما رواه ابن السماك[6] في فوائده بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال :

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٢) مسند أحمد ٣٤٣/٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٣٠١/٤ ، وتفسير ابن كثير ٤٢٠/٣ و ٤٩/٤ ، ومجمع الزوائد ٢٥٤/٢ ، و ١٩٢/٣ و ٩/١٠ ـ ٤٢٠ ، ونقله المؤلف من حادي الأرواح ص ١٤٣ .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين ، وأثبته من البعث والنشور ومن حادي الأرواح .

(٤) في النسختين (واطعمه) بالافراد .

(٥) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ونقله عنه ابن القيم في حادي الأرواح ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٦) هو أبو ذر عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري المالكي المعروف بابن السماك ، قال : ولدت سنة خمس أو ست وخمسين وثلاثمائة ، سمع من علي بن عمر السكري وأبي الحسن الدار قطني ، وحدّث بخراسان وبغداد والحرم ، حدّث عنه أبو الوليد الباجي ومحمد بن شريح ، له عدة مؤلفات منها كتاب السنة ، والجامع ، وفضائل القرآن ، توفي سنة ٤٣٤ . سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٧ .

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا . قال : إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله، يُروى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . قال : قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف ؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام . قال : قلنا : يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟قال : أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أورد عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس)[1]

وهذه أحاديث يشهد بعضها لبعض ساقها ابن القيم رحمه الله في كتابه : " حادي الأرواح الى بلاد الأفراح " .

((تجري من تحتها الأنهار / خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨))) ... ١٢٤/أ

مدحها عز وعلا وسماها أجرا للعاملين ، وبيّن مدحها في آيات كقوله : ((ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين))[2] .

ووصفهم بقوله : ((الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩))) وهو كما قالت الملائكة لأهل الجنة : ((سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار))[3] ، فالصبر أورثهم الجنات، فالصبر به ينال[4] خيري الدنيا والآخرة ، ولذا أمر الله بالتواصي

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٣٣٥ - ٣٣٦ من طريق ابن السماك . وكذلك ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ص ١٤٥ . ونقله عن البيهقي ابن كثير في النهاية ٢٨٤/٢ .

(٢) النحل ٣٠ .

(٣) الرعد ٢٤ .

(٤) هكذا في النسختين ولعل صوابه (تنال) بالمثناة الفوقية

به فقال : ((وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))[١] . وقال : ((واستعينوا بالصبر والصلاة))[٢] .

والصبر ثلاثة أقسام : صبر على فعل المأمور ، وصبر على ترك المحظور ، وصبر على الأمر المقدور ، وأوضحنا كل ذلك في كتابنا " السيف الباتر في يمين الصابر والشاكر "[٣] .

((وكأين من دابة))[٤] .. كل من على الأرض من الحيوان يسمى دابة .

قال تعالى : ((وما من دآبة في الأرض الا على الله رزقها))[٥] .

((لا تحمل رزقها)) .. أي كثير من الدواب لا تقدر على حمل قوتها ولا على تحصيله ((الله يرزقها وإياكم)) ، فانه ما من دابة [في الأرض][٦] الا على الله رزقها ، وهو ((السميع)) لأقوالكم ((العليم)) بأحوالكم وبارزاقكم وكفايتكم وجميع أحوالكم ، فكيف يمنعكم عن الهجرة مخافة الفاقة؟ كما ذكره المفسرون في سبب نزولها[٧] .

---

(١) العصر ٣ .
(٢) البقرة ٤٥ .
(٣) مخطوط بمكتبة الأوقاف مجموع (١) من ورقة ٩٠ ـ ١٢٩ ، وأخرى بالمكتبة الغربية مجموع ٢٢ ، وهو مختصر من عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم وكان الصنعاني ألفه بمكة المكرمة سنة ١١٧٦ هـ .
(٤) لسان العرب ٣٦٩/١ ـ ٣٧٠ (دبب) والكشاف ١٩٥/٣ .
(٥) هود ٦ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٧) انظر تفسير البغوي ٤٧٣/٣ ، والكشاف ١٩٥/٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٢٨٢/٦ وتفسير القرطبي ٣٦٠/١٣ ،
وقد أورد بعض المفسرين رواية أخرى لسبب نزول هذه الآية . وقد ساق تلك الرواية السيوطي في أسباب النزول ص ١٦٧ حيث قال : أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنه قال :
===

((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر)) .. كثر في كلامه عز وجل وصف النيرّين والنجوم بالتسخير ((وسخر لكم الشمس والقمر دائبين))[١] ، ((والشمس / والقمر والنجوم مسخرات بأمره))[٢] ، وكثيرا ما يعبر عن السموات والأرض بالخلق كما هنا . ١٢٤/ب

وفسر الأئمة التسخير بالتذليل[٣] ، وكل هذه المخالفات في العبارات لأسرار يعلمها من أنزله ومن فتح عليه بعلمها ، والآية مخبرة بما يقوله المشركون عند سؤالهم عن [من][٤] خلق الكائنات وسخر النيرات[٥] من الاقرار بأنه الله وحده ،

== خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل . فقال لي : يابن عمر مالك لا تأكل ؟ قلت : لا أشتهيه ، قال : لكنني اشتهيه ، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا ابن عمر اذا لقيت قوما يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين . قال : فوالله ما برحنا ولا برمنا حتى نزلت : ((وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، الا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد) .
وأوردها السيوطي أيضا في الدر المنثور ٤٧٥/٦ وعزاها الى من ذكرهم في لباب النقول وزاد عليهم ابن مردويه أيضا ، وذكرها البغوي ٤٧٣/٣ ، والواحدي في اسباب النزول ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، الا أن تلك الرواية ضعيفة فقد نص على ضعفها السيوطي في كتابيه المذكورين ، والقرطبي في تفسيره ٣٦٠/١٣ وابن كثير ٤٢٠/٣ .

(١) ابراهيم ٣٣ .
(٢) الأعراف ٥٤ .
(٣) انظر تفسير الطبري ٩٥/١٣ ، والبغوي ٦/٣ ، والقرطبي ٢٧٩/٩ .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة على النسختين يقتضيها السياق .
(٥) في (م) (النيران) بالنون بدلا من التاء .

فهم عارفون بذلك بفطرهم كما يقولون ذلك عند سؤالهم : ((من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر))[١] ، ((ليقولن الله)) .. فهم مقرون بما ذكر لكنهم خالفوا ذلك باتخاذ الأنداد وتكذيب الرسل عنادا وظلما وعلوّاً .

((فأنى يؤفكون (٦١))) .. أي كيف يقرون بالله ثم يصرفون عن عبادته وطاعة رسله .

((الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم (٦٢) ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولون الله)) لما كان الماء من أعظم المنافع للعباد وغيرهم أفرده تعالى بالذكر وأخبر باقرارهم أن الله وحده الذي أنزله ((قل الحمد لله)) على إقرارهم بما ذُكر .

((بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣))) .. أي لا يعملون عمل العقلاء حيث يقرّون بالله ثم يجعلون له الشركاء ويكذبون رسله والأنبياء .

((وما هذه الحياة الدنيا)) .. الاشارة / إليها بهذه من باب التحقير ، نحو قول الكفار : ((أهذا الذي يذكر آلهتكم))[٢] ، وقد تكرر منه تعالى تحقيرها وتقليلها : ((قل متاع الدنيا قليل))[٣] ، ((فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل))[٤] ، ((وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور))[٥] . ٦/١٢٥

---

(١) يونس ٣١ وتمام الآية : ((فسيقولون الله ج فقل أفلا تتقون)) .
(٢) الأنبياء ٣٦ .
(٣) النساء ٧٧ .
(٤) التوبة ٣٨ .
(٥) آل عمران ١٨٥ .

((إلا لهو ولعب)) .. وقد شبه الله تعالى الحياة الدنيا بالماء[١] في قوله تعالى : ((واضرب لهم[٢] مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه[٣] من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا))[٤] .

قال أئمة العلم في وجه الحكمة في تشبيه الدنيا بالماء[٤] عشرة أقوال :

الأول : أن الماء بالطبع يجري ولا يستقر [فكذلك الدنيا لا تستقر][٥]

الثاني : أن قليل الماء يكفي وكثيره يهلك فكذلك الدنيا قليلها يكفي وكثيرها يضر ويلهي .

الثالث : أن الماء اذا طال حبسه تغير وفسد واستحال[٦] في حق متناوله سقما كذلك الدنيا لممسكها بلاء .

الرابع : أن الماء إذا سقى الشجر أبان عن جواهرها باظهار ثمرها فكذلك يبرز جواهر الرجال من كريم يجود ولئيم يبخل .

الخامس : أن الماء يستر عيب[٧] الأرض[٨] والمال يستر عيب الشخص .

السادس : أن المطر لا يأتي بحول محتال ، كذلك الدنيا لا تجتلب بغير الأقدار .

---

(١) في (م) (الدنيا لنا في قوله) باسقاط الباء .
(٢) في كلا النسختين (انما مثل الحياة الدنيا) وهذا أول آية يونس ٢٤ وأما آية الكهف ٤٥ فبدايتها (واضرب لهم) كما أثبته .
(٣) في (ص) (أنزلنا) باسقاط ضمير الغائب .
(٤) لم يشبّه الله الحياة الدنيا بالماء فحسب بل هذا تشبيه مركب ، فهو تعالى شبّه الحياة الدنيا بماء هطل على أرض فاخضرت ثم أصبحت هشيما تنسفها الرياح .
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٦) هكذا في النسختين والصواب (تحول) .
(٧) في (م) (غيب) بالغين بدل العين .
(٨) هذه الكلمة مكررة في (م) .

السابع : أن الانسان لا يقدر على دفع / المطر كذلك لا يقدر على رد ماقسم ١٢٥/ب له من الدنيا .

الثامن : أن الزرع يفسده الماء إن كثر عليه كذلك القلب يفسده المـــال إن كثر عليه .(١)

التاسع : أن الماء يطهّر الأنجاس ، كذلك التصدق بالمال يطهر الأدناس مـن الأخلاق والأوساخ .

العاشر : أن الماء اذا اجتمع سال كذلكالمال اذا اجتمع زال . أهـ .(٢)

ومن تشبيهها بالماء تشبيها مستوفيا(٣) فروعه قوله تعالى : ((إنّما مثـــل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل النـــاس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها(٤) حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصّـــل الآيات لقوم يتفكرون))(٥) .

---

(١) هذا تكرير للوجه الثاني .

(٢) لم أجد أحدا ذكر هذه الأوجه فيما عندي من كتب التفسير ، وانما وجـــدت الرازي رحمه الله نقل عن القاضي عبدالجبار المعتزلي خمسة أوجه في تشبيـــه الحياة الدنيا بهذا المثل ، ثم ذكر الرازي تلك الأوجه في تفسيره ٧٣/١٧ ، وكلها مغايرة للأوجه التي ذكرها المؤلف هنا ، الا الوجه الأول الذي ذكـــره القاضي فانه قريب من الوجه العاشر الذي ذكره المؤلف هنا .

(٣) في النسختين (مستوفي) بالرفع .

(٤) في (ص) (فجعلنا) باسقاط ضمير الغيبة .

(٥) يونس ٢٤ .

((فاذا ركبوا في الفلك)) .. الضمير للمشركين الذين سبق ذكرهم بقوله : ((ولئن سألتهم)) . ((دعوا الله مخلصين له الدين)) .. هذا كلام موجز طوى فيه ما نشر في غيره وهو المصرح به في قوله : ((واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه))[١] ، ((حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها[٢] ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم[٣] أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين))[٤] الآية .

فالمراد هنا / اذا ركبوا في البحر ومسهم الضر وجاءهم الموج من كل مكان ١٢٦/أ ((دعو الله مخلصين له الدين)) أو الدعاء[٥] ، وأفردوه بالدعاء والتضرع وطلب كشف ما نزل بهم وأعرضوا عن كل ما سواه قائلين ما حكاه عنهم في غيرها أي ((لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين))[٤] .

((فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون (٦٥))) بيّنه : ((اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم))[٦] الآية . وقوله ((فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا)) الآية[٧] ، ويأتي : ((واذا غشيهم[٨] موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين)) الآية[٩] .

---

(١) الاسراء ٦٧ .
(٢) في كلا النسختين (جاءتهم) وليست بقراءة .
(٣) في (ص) (أنه) بالافراد وليست قراءة أيضا .
(٤) يونس ٢٢ . وتمام السياق : ((فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم)) .
(٥) أي مخلصين له الدعاء فلا يلجأون الا اليه وينسون ما كانوا يشركون به من الألهة الباطلة .
(٦) يونس ٢٣ .
(٧) الاسراء ٦٧ .
(٨) في كلا النسختين (واذا مسهم) والصواب (غشيهم) .
(٩) لقمان ٣٢ .

فهم يرجعون اليه في الشدائد ويخلصون له الدعاء ويعدونه بالشكر اذا نجاهم فلما نجاهم وآتاهم ما طلبوه رجعوا الى الشرك وأعرضوا عن الشكر وأخلفوا الوعد وبدلوا نعمة الله كفرا ، كما قال : ((لينكروا بما آتيناهم)) من إجابة الدعاء والنجاة من الضر . وقوله : ((ليكفروا)) هي لام التعليل لقوله : ((اذا هم يشركون)) .. أي يشركون لأجل كفرهم بنعمة النجاة [1] .

وفيه بيان خلفهم الوعد بالشكر وأنهم [أخلفوا][2] ما وعدوا وأبدلوا[3] نعمة الله كفرا،وجعلوا كفر نعمته شكرا .

((وليتمتعوا)) .. هو نظير قوله تعالى : ((قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار))[4] ، وهو أمر تهديد[5] كما أن قوله ((فسوف[6] يعلمون(٦٦))) وعيد شديد ، أي تعلمون[6] عاقبة كفركم[6] / وتمتعكم[6] ، وهو نحو قوله تعالى : ١٢٦/ب ((كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون))[7] ، ونحو (([و][8] سيعلم الذين ظلموا

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٤/٢١ ، وتفسير الرازي ٩٦/٢٥ .
(٢) ما بين المعقوفتين ليس في النسختين وانما ترك له فراغ بقدر كلمة .
(٣) في (م) (ما وعدوا بدلوا) باسقاط الواو والألف .
(٤) الزمر ٨ .
(٥) انظر تفسير الطبري ١٣/٢١ .
(٦) في كلا النسختين (تعلمون) بالمثناة الفوقية ولم أجد في كتب القراءات ولا في كتب التفسير أحدا ذكر هذه القراءة الا ما جاء في تفسير القرطبي ٣٦٣/١٣ حيث قال : وقرأ أبو العالية : ((ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون))أهـ .
ولما كانت هذه القراءة غير متواترة فلم أثبتها قرآنا بل صححت الأصل على القراءة المتواترة (يعلمون) بالمثناة التحتية .
وأما تفسير المؤلف للآية فلم أغير فيه شيئا وتركت الضمائر كما هي متجهة للخطاب دون الغيبة وذلك على القراءة الشاذة .
(٧) التكاثر ٣ ـ ٤ .
(٨) هذه الواو ساقطة من كلا النسختين .

أي منقلب ينقلبون))[١] ، ونحو ((كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون))[٢] .

((أولم يروا)) .. أي يعلموا[٣] أهل مكة وغيرهم ((أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)) ، تقدم : ((وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا))[٤] .

فأجاب عليهم تعالى بقوله : ((أولم نمكن لهم حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء))[٥] .

كرر تعالى عليهم الامتنان[٦] بالأمان لحرمه كما[٧] قدمناه في تفسير الآية الأولى من الرواية أنّه كان يأمن أهل الحرم فلا يغزون ويذهبون حيث شاؤوا فلا يخافون والناس يتخطفون من حولهم .

((أفبالباطل يؤمنون)) وهو إيمانهم بشركائهم الذين يحبونهم كحب الله ، ((وبنعمة الله)) جنس عام لكل نعمة ((يكفرون (٦٧))) لا يشكرونها[٨] ولا يعترفون أنها من عند الله ولذا حكى الله عنهم بقوله : ((فاذا[٩] مس الإنسان [ضر][١٠] دعانا ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم))[١١] . قال الله تعالى

---

(١) الشعراء ٢٢٧ .
(٢) النبأ ٤ ـ ٥ .
(٣) والأصح أن تجعل الرؤية هنا بصرية كما ذكر ذلك أبو السعود ٤٧/٧ .
(٤) أي في سورة القصص آية ٥٧ من ص ٣٨٦-٣٩٣
(٥) القصص ٥٧ .
(٦) في (ص) (الامتتنان) بتكرير التاء وهو خطأ .
(٧) في (م) (ما قدمناه) باسقاط الكاف وهو خطأ .
(٨) في كلا النسختين (ولا يعترون) ولا معنى لها فالصواب ما أثبته .
(٩) في كلا النسختين (واذا) والصواب (فاذا) بالفاء .
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (ص) .
(١١) الزمر ٤٩ .

ردا عليهم : ((بل هي فتنة))[١] كما يأتي[٢] الآية[٣] ..... [٤] .

((والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا)) لما فاتتح السورة الكريمة / بقوله ١٢٧/أ ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) ، ثم عدد ما وقع من الفتن لعباده .

وقال أيضا في صدر[ها][٥] ((ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه)) ، بيّن هنا فائدة الجهاد وهي هدى الله ـ لمن جاهد ـ سبل الهدى والرشاد ، فكون جهاده لنفسه لأنه قال فائدته بهدايته لسبل الله ثم ابتدأها بذكر الجهاد وختمها به لما في غضونها من ذكر أنواع الفتن التي لا يدفعها الا بذل النفس والنفيس في الجهاد ، فانه ذكر فتنة الأبناء بالآباء ، حيث وصّاهم بالاحسان اليهم ، وهو من الابتلاء ، وكذلك الآباء بالأبناء . ولذا قال ((إنّما أموالكم وأولادكم فتنة))[٦] .

---

(١) الزمر ٤٩ .

(٢) أي في سورة الزمر آية ٤٩ حيث قال هناك : تقدمت الآية في السورة ((واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه)) وكُررت هنا تبكيتا للذين اذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوبهم ، فاذا حدث أي ضرٍ بهم وحل بأبدانهم أو أموالهم أوأولادهم التجأوا الى من نفروا عن ذكره ورجعوا إليه ... الخ .
ما ذكره هناك في الورقة ١٢٦/ب .

(٣) اما أن يريد باشارته هذه الى تفسير الآية وهو ما أشرت اليه في الفقرة السابقة أو يشير بها الى تمام الآية ، وهي قوله تعالى : ((ولكنّ أكثرهم لا يعلمون (٤٩) قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠))) .

(٤) بعد قوله (الآية) تُرك فيّ (ص) فراغ يتسع لسطرين أو ثلاثة ولعله تركه لتفسير الآية التي تركها وهي قوله ((ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (٦٨))) .
إذ هذا موضعها ، وأما في (م) فليس هناك أي فراغ بل ساق الكلام متصلا كما أثبته هنا .

(٥) هذا الضمير ساقط من كلا النسختين ولا يستقيم الكلام بدونه فلهذا أثبته .

(٦) ليست هذه الآية من سورة العنكبوت كما يفهم من كلام المؤلف ، بل هي من سورة التغابن ١٥ .

فان الآباء مأمورون بالإحسان الى الأبناء وتعليمهم وتأديبهم والإنفاق عليهم والاعتفار لهم[١] والاغضاء عن تقصيرهم . ولذا جاء في الحديث : (رحم الله من أعان ولده على بره)[٢] .

كما أن الأولاد مأمورون بالإحسان الى الآباء وعدم التقصير في حقهم وتجنب كل ما يؤذيهم، ثم أمر بأنه لا يطعهما[٣] في ارادتهم أن يشرك بالله ، وهذا كله يحتاج الى جهاد النفس ، فقد تميل عن الأمر باتباع سبيل المنيب[٤] الى الله[٥] ثم ذكر ابتلاء المؤمنين بالمنافقين الذين يقولون : ((آمنا بالله)) الى قوله : ((ولئن جاء نصر من ربك ليقولنّ انا كنا معكم)) .

فان المؤمنين مأمورون بقبول نفاقهم والصبر عليهم ، وهذا يحتاج الى جهاد ، ثم أبتلى المؤمنين بالكفار الذين قالوا[٦] /لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ١٢٧/ب فان مخالفتهم من[٧] عدم تصديقهم تحتاج الى جهاد .

ثم ذكر تعالى إبتلاء نوح عليه السلام بقومه مدة لم يبتل[٨] نبي بقدرها ، وفيه ابتلاء قومه به وآخر أمرهم بالهلاك بالطوفان .

---

(١) هكذا في النسختين ولعل صحتها (والاعتناء بهم) .
(٢) سبق تخريجه في الفقرة (٧) ص ٤٤٨
(٣) هكذا في (ص) ، وفي (م) (لا تطعهما) بالمثناة الفوقية . ولعل الصواب (لايطيعهما) باثبات الياء .
(٤) في (م) (المنيت) بالمثناة الفوقية ولا معنى لها .
(٥) يشير الى قوله تعالى ـ في ختام تلك الآية ـ : ((واتبع سبيل من أناب اليّ)) الآية ١٥ من سورة لقمان .
(٦) في (م) (قال) بالافراد . والصواب (قالوا) كما في ص .
(٧) لعل كلمة (من) في هذا الموضع بيانية حيث بيّنت المخالفة بأنها عدم التصديق .
(٨) في النسختين (يبتلى) باثبات الألف والصواب حذفها اذ الفعل مجزوم .

النبي - ثم ذكر[1] ابتلاء إبراهيم عليه السلام بقومه وجدالهم له وأجوابهم عليه وخزمهم باحراقه ، وهذا ابتلاء منه تعالى للأنبياء وعليهم السلام وابتلاء لأممهم ، وكل هذا يحتاج الى الجهاد طلبه ، وقوله في أشرف سورة أنزلها وأوجب تلاوتها في كل صلاة في كل يوم في الفرائض سبعة عشر مرة[2] ((اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم))[3] الآية ، وقوله : ((وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم))[4] .

ثم ذكر تعالى لوطا وابتلاءه بقومه وابتلاءهم به وهلاكهم بتكذيب رسله وذكر شعيبا وقومه ، من جاهد أن يهديه الى كل سبيل من سبله تعالى وهي سبل الخير فيهديه الى طلب العلم النافع ، ويهديه الى العمل ، ويهديه الى دعاء العباد الى الله ، ويهديه الى بذل المعروف والصدقات ونحو بكلمة طيبة . ويهديه الى الطيب من الأقوال والأفعال ، ولا تحصر سبل الخير التي يهدي ربه عباده المجاهدين وهلاكهم وذكر جدال أهل الكتاب وذكر ابتلاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأهل مكة .

فنسأل الله أن يرزقنا الجهاد الذي يرضيه ويهدينا الى سبل كل خير يقرب إليه ، وكل هذا الذي ذكره تعالى في هذه السورة الشريفة من بعض تفاصيل ما أجمله قوله تعالى : ((وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا))[1] ((وإنّ الله مع المحسنين))[2] الى آخر سورة النحل بقوله ((إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)) ، وختم السورة بهذه الآية والشريفة لأن كل ما ذكر فيها جهادٌ للنفس والأعداء ولذا افتتحها بقوله :- ((ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه)) . ووعد تعالى الذين جاهدوا لاعلاء كلمته وآياته الذي يصدق عليه أنه جاهد في الله بهذه الآية نبله تعالى يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم وهي طرق الخير والنجاة فيهديه الى سبل السلام كما قال تعالى في صفة كتابه : ((يهدي به [الله][3] من اتبع رضوانه سبل السلام))[4] ويهديه تعالى الى سبيل / ١٢٨أ

---

(١) يوسف ١٠٨ .

(٢) هكذا في النسختين وصوابها سبع عشرة مرة .

(٣) الفاتحة ٦ - ٧ .

(٤) الأنعام ١٥٣ .

---

[1] في (م) ، الذي .

(١) الفرقان ٢٠ لا النسختين والصواب (يهدي الله عباده) .

(٢) لفظ الجلالة ساقط من كلا النسختين ، اخرجه مسلم ٥٩٣/٢ كتاب الجمعة .

(٣) المائدة ١٦ ، في النسختين ولعل صوابها (واليل)

سرير كسرى فأخبر أصحابه برؤياه فبلغ كسرى ذلك فأمر أخا الرائي وهو أمير الجند بقتل الرائي وأن يبعث اليه برأسه ، فراجعه الأمير بأنه لا يحسن قتل الرائي وتكرر الأمر والمراجعة فغضب كسرى وعزل ذلك الأمير وولّى أخاه الذي / ١٢٩/ب كان أمر بقتله وأمره بقتل الأمير الذي عزله فعرف كل واحد منهما ما وقع من كسرى ففارقا طاعته ودخلا في ملة قيصر وانقلبا على كسرى وفارس يحاربانهم ويخربان ديارهم ويفعلان معهم ما فعلاه مع الروم ، وكان نصر الروم على أيديهما(١) فسبحان الصادق في وعده الفعال لما يريد كما يريد فانه تعالى قلب القلوب برؤيا وقعت قلب بها قلب كسرى حتى أمر بقتل أخي الأمير ، ثم ألقى في قلب الأمير مراجعته في أمره حتى أغضبه فأمر بقتل الأمير ، ثم قلب قلب الأمير وقلب أخيه فتحالفا(٢) على كسرى و(٣) أطاعا عدوه وانقلبا عليه وكانت نصرة الروم على أيديهما كما كان نصر فارس على أيديهما فربك يفعل ما يشاء ويختاره ((وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦))) صدق وعده وقدرته (.....)(٤) كما قال ذو القرنين : ((فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا))(٥) ، وكما كان من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن أبي [بكر](٦) رضي الله عنه في تصديقه ما أخبر به صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى خاطر عليه أبيّا وبذل مائة من الإبل وثوقا منه أنه يغلب من قامره تصديقا لوعد الله ونحو ذلك.(٧)

---

(١) أورد هذه القصة ابن جرير ١٨/٢١ ـ ١٩ ، والبغوي ٤٧٦/٣ ـ ٤٧٧ ، والقرطبي ٣/١٤ ـ ٤ وغيرهم من المفسرين .

(٢) في كلا النسختين (فخالفا) والصواب ما أثبته .

(٣) في (م) (أواطاعا) بزيادة الهمزة وهي خطأ .

(٤) هنا بياض في كلا النسختين بمقدار كلمتين ولعل تقديره (وأنه لا خلف في وعده) كما استظهرته من تفسير الرازي ٩٧/٢٥ .

(٥) الكهف ٩٨ .

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين .

(٧) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابها (وتحقق ذلك) .

٦/١٣٠ وفي الآية دليل على جواز فرح المؤمنين بغلبة / من هو أقرب اليهم على من هو أبعد منهم ، وان كانوا كلهم كافرين لا يجوز موالاتهم ولا محبتهم ، ويحتمل أنه انما جاز الفرح إغاظةً للمشركين من أهل مكة لما فرحوا بنصر فارس ، ويحتمل أن فرح المؤمنين بوقوع ما وعد الله به من نصر الروم[١] ، فقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : (لا اله الا الله صدق وعده)[٢] ، فيوحده ويقر[٣] ن التوحيد بصدق وعده .

((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧))) .. هو كالاحتراس[٤] عما يوهم قوله : ((لا يعلمون)) أنه لا علم لهم بشيء فلا تكليف عليهم فأخبر عن علمهم بأمور الدنيا وظواهر مكاسبها ومعاشها وغير ذلك مما لا ينفعهم في الآخرة ، وأنهم عما ينفعهم في الآخرة غافلون لا يلتفتون اليه ولا يحتفلون به[٥] .

ثم ذكر تعالى الدلائل الدالة على ما غفلوا عنه فقال : ((أولم يتفكروا في أنفسهم)) .. يحتمل أن يراد يحدثوا الفكر فيها بما يرونه مما أودع الله من آياته الدالة على أنه تعالى ما خلق السموات والأرض الا بالحق لا عبثا وباطلا . ((أفحسبتم أنما خلقناكم [عبثا[٦] وأنكم الينا لا ترجعون]))[٧] .

---

(١) ويحتمل أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك . القرطبي ٦/١٤ .
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/٥ ، وانظر صحيح البخاري ٦١٨/٣ - ٦١٩ .
(٣) في (م) (ويقرون) بزيادة الواو وهي خطأ .
(٤) الاحتراس والاحتراز بمعنى واحد كما أفاده ابن منظور في لسان العرب ٤٨/٦ (حرس) .
(٥) أي لا يبالون به . انظر لسان العرب ١٥٩/١١ (حفل) .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وهو من تمام الآية ولا يستقيم السياق الا به .
(٧) المؤمنون ١١٥ .

وقوله[1] : ((ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى)) .. يتعلق بمحذوف أي يتفكرون[2] فيعلمون ما خلقهما الا بالحكمة البالغة كما قال أولوا الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض : ((ربنا ما خلقت هذا باطلا))[3] ، بل لحكمة ولأجل مسمى / ينتهي اليه ثم يفنى كما أخبر الله ١٣٠/ب
به ، وفيه دلالة على أن الفكر يهدي الى فناء الدنيا وأنها غير خالدة ولا مؤبدة .

ثم أخبر عز وجل عن الكثير من العباد بقوله : ((وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (٨))) .. أي بالبعث نحو ((وقال الذين لا يرجون لقاءنا))[4] ((من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت))[5] .

((أولم يسيروا في الأرض)) استفهام تقرير[6] فانهم قد ساروا في الأرض ، ((فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)) .. ممن كذب الرسل فقد شاهدوا آثار قوم هود وثمود بالغيان ، وتواترت لهم أخبارهم ، ثم وصفهم الله تعالى بأنهم ((كانوا أشد منهم قوة)) في الأبدان والآثار ((وأثاروا الأرض)) حرثوها وغرسوها ((وعمروها)) ديارا وقصورا ومنازل وغيرها ((أكثر مما عمروها)) أي المأمورون بالسير فيها ، ((وجاءتهم رسلهم بالبينات)) الدالة على صدقهم

---

(١) لم يذكر المؤلف الاحتمال الثاني ونص عليه الزمخشري بقوله : وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر وأجال فيه فكره . أهـ .
الكشاف ١٩٨/٣ .

(٢) في كلا النسختين (يتفكروا) باسقاط النون .

(٣) آل عمران ١٩١ .

(٤) الفرقان ٢١ .

(٥) العنكبوت ٥ .

(٦) كون الاستفهام هنا للتقرير هو قول الزمخشري في الكشاف ١٩٩/٣ .
ولكن الأولى أن يكون مشتملا على التوبيخ والتقريع أيضا كما ذكره أبو السعود ٥٢/٧ .

في ما جاؤا به ((فما كان الله ليظلمهم)) بأن يأخذهم قبل بعثة الرسل ((وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً))[١] ، ((ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩))) ... بتكذيبهم رسل الله بعد إقامة البينات عليهم بصدقهم في ما جاؤا به ((ثم كان عاقبةَ الذين أساؤوا)) بظلمهم أنفسهم ((السُّوأى))[٢] أي النار[٣] ، كما أن الحسنى الجنة والمراد الذين ارتكبوا القبائح على أن السوء مفعول ((أساؤوا))[٤] .

وقوله / ((أن كذبوا))[٥] وهو خبر كان[٦] ، والمعنى : كان ٦/١٣١
عاقبتهم تكذيبهم بآيات الله بسبب ارتكابهم القبائح من باب تيسير العسرى جزاء على قبائحهم وعلى الأول[٧] تقديره لأنّ كذبوا حذفت اللام[٨] .

---

(١) الاسراء ١٥ .
(٢) في كلا النسختين (السوء) والقراءة المجمع عليها (السُّوأى) على وزن فعلى .
(٣) في (م) (الدار) وهو تحريف .
(٤) انما يستقيم هذا المراد اذا فسرنا السوأى بالعمل وأما اذا فسرناها بالنار كما نص عليه المؤلف ـ فانما يصح اعرابها مبتدأ أو خبر لا غير .
(٥) في (م) (كذبوك) بزيادة الكاف وهو خلاف الآية .
(٦) أ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (عاقبةُ) بالرفع اسما لكان وخبرها (السوأىَ) وجعلوا قوله (أن كذبوك) في محل نصب مفعول لأجله ، ويصح أن تكون جملة (أن كذبوا) خبرا لكان ، وقوله (السوأى) مفعول لأساءوا كما ذكر ذلك ابن الجوزي في تفسيره ٢٩١/٦ ، وهذا الوجه سار عليه المؤلف رحمه الله تعالى .
ب ـ بينما قرأ الباقون (عاقبةَ) بالنصب خبرا لكان وجعلوا اسمها (السوأى) ، أو جملة (أن كذبوا) هي اسم كان (والسوأى) مفعول أساؤا . انظر الاتحاف ص ٣٤٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤ .
(٧) أي اذا جعلنا (السوأى) هي الخبر كما يفهم من تفسيره .
(٨) وهذا ما ذكره النحاس في اعراب القرآن ٢٦٦/٣ ، وحكاه ابن الجوزي في تفسيره ٢٩١/٦ وعزاه للفراء ، وذكره القرطبي أيضا في تفسيره ١٠/١٤ ، ونسبه للكسائي .

((بآيات الله وكانوا بها يستهزئون (١٠))) يهزؤون بها أبلغ هزء((الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون (١١))) تكرر الكلام في البدء والإعادة كثيرا[١] .

ثم لما ذكر احوال المكذبين وصفاتهم في دار الدنيا وأنهم يعلمون ظاهرا منها ذكر عز وجل أحوالهم في الآخرة وأحوال أهل الايمان فقال : ((ويوم تقوم الساعة)) .. أي يقوم الناس من قبورهم لأجل الساعة وهي القيامة ، سميت ساعة لأنها تأتي في ساعة بغتة ، والا فأيامها كخمسين ألف سنة كما وردت أحاديث به[٢] . ((يبلس المجرمون (١٢))) هو نظير : ((ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون))[٣] أي يئسوا من[٤] كل خير .

((ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (١٣) .. يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا . ((ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (١٤))) يتفرق أهل الايمان وأهل الكفر ((فريق في الجنة وفريق في السعير))[٥] ، وهي فرقة أبد الآباد ، أولئك في الأعليين[٦] ، وأولئك في أسفل السافين ، وقدم المؤمنين في التفضيل فقال : ((فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة)) .. أراد بها الجنس والا فيأتي في / الشورى ((في روضات الجنات))[٧] . ١٣١/ب

---

(١) انظ على سبيل المثال ما ذكره المؤلف من ص٢٧٤ - ٢٧٧ .
(٢) ومن تلك الأحاديث ماأخرجه مسلم في صحيحه في باب إثم مانع الزكاة ٢/٦٨٠ - ٦٨٢ .
(٣) الجاثية ٢٧ .
(٤) في كلا النسختين (عن كل خير) والصواب ما أثبته من تفسير البغوي ٣/٤٧٨ .
(٥) الشورى ٧ .
(٦) هكذا في النسختين ولعل صوابها (الأعلين) بياء واحدة .
(٧) الشورى ٢٢ .

((يحبرون (١٥))) الحبرة السرور[١] ، وفي كثير من تفاسير السلف أنه هنا السماع في الجنة ولنذكر[٢] ما ورد فيه .

أخرج ابن جرير عن عامر بن يساف[٣] قال : سألت ابن أبي كثير[٤] عن قوله عز وجل : ((فهم في روضة يحبرون)) قال : (الحبرة اللذة والسماع)[٥] .

وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إنّ في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له)[٦] .

---

(١) لسان العرب ١٥٨/٤ (حبر) . (٢) في (م) (والتذكر) وهو خطأ .

(٣) هكذا اسمه في تفسير ابن جرير ٢٨/٢١ . وفي الجرح والتعديل ٣٢٩/٦ ، وأمّا في الميزان ٣٦١/٢ وفي اللسان ٢٢٤/٣ فجاء اسمه هكذا (عامر بن عبدالله بن يساف وهو عامر بن يساف اليمامي) صدوق . وفي بعض حديثه نكارة ، وقد وثقه ابن معين وابن حِبّان ، وقال أبو داود : رجل صالح ليس به بأس . وقال أبو حاتم صالح ، لكن ضعفه العجلي . وقال ابن عدي : منكر الحديث عن الثقات ، وذكر بعض أحاديثه المنكرة .

(٤) هو يحيى بن أبي كثير الطائي ، مولاهم اليمامي ، واسم ابيه صالح وقيل يسار وقيل نشيط ، روى عن جابر وعن أبي أمامة الباهلي مرسلا وعن أنس ابن مالك وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن وغيرهم خلق كثير ، وروى عنه ابنه عبدالله ومعمر والأوزاعي وغيرهم .
قال أبو حاتم الرازي : هو إمام لا يروي الا عن ثقة وقد نالته محنة وضرب لكلامه في ولاة الجور .
نقل جماعة أنه توفى سنة ١٢٩ . وقال بعضهم بل بقي الى سنة ١٣٢ ، ورجح القول الأول الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٧/٦ ـ ٢٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٨/٧ ، وابن جرير في تفسيره ٢٨/٢١ ، والبيهقي في البعث والنشور ص ٣٩٩ ، ونقله المؤلف من حادي الأرواح ص ٢٥٠ وقد جاء في حادي الأرواح (نساف) بالنون بدلا من الياء وهو خطأ من الطابع .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٠/٧ والترمذي في سننه ٦٩٦/٤ ـ ٦٩٧ ، ونقله المؤلف من حادي الأرواح ص ٢٥٠ .

وأخرج الفريابي عن أبي هريرة قال : (إنّ في الجنة نهرا طول الجنـــة ، حافتاه العذارى قياما متقابلات يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون فـــي الجنة لذة مثلها . قلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال : ان شاء اللـــــه التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الله عز وجل)[١] .

وأخرج أبو نعيم في صفة الجنة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى اللـه عليه وعلى اله وسلم : (ان في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ تهب بها ريح فتصفق فما يسمع السامعون بصوت شيء قط[٢] ألذمثه)[٣] .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (ان الحور يغنين في الجنة نحن الحور الحسان / خلقن لأزواج كرام)[٤] . ١٣٢/أ

وأخرج أبو نعيم عن ابن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلـى آله وسلم (يزوج كل رجل من أهل الجنة أربعة آلاف [بكر][٥] وثمانية آلاف أيـم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائـــق

---

(١) أورده ابن كثير في كتابه النهاية ٣٧٥/٢ ـ ٣٧٦ ، وساقه باسناد جعفـــر الفريابي الى أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه البيهقي في البعث والنشـور ص ٤٠٢ ونقله المؤلف من حادي الأرواح ص ٢٥٠ .

(٢) هذه الكلمة مكررة في (م) .

(٣) انظر النهاية لابن كثير ٣٧٦/٢ فقد أورده باسناد أبي نعيم والمؤلف نقلـه من حادي الأرواح ص ٢٥١ ، وقريبا منه ما أخرجه عبدالملك بن حبيب فـــي كتابه وصف الفردوس ص ٦٥ .

(٤) ذكره ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٥١ ، وعزاه الى أبي نعيم والى ابـن أبي الدنيا وساقه باسناديهما الى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وأثبته من حادي الأرواح .

بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيبات فلا نظعن طوبى لمن كان لنا وكنا له)[1] .

وفي الباب أحاديث في معناه كثيرة، لأهل الجنة سماع أحلا من هذا .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي[2] بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فيأمره الله فيأخذ في الإسماع[3] فما يبقى ملك في السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول تعالى : (وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري)[4] .

وأخرج أيضا عن محمد بن المنكدر[*] قال : (اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم أنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك . ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدي وتحميدي)[5]

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينا في قوله تعالى : ((وان له عندنا لزلفى وحسن مآب))[6] قال : ((اذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فيوضع [في][7] الجنة ثم نودي يا داود / مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي ١٣٢/ب

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ٣٧٦/٢ - ٣٧٧ ، وحادي الأرواح ص ٢٥١ ، وانظر وصف الفردوس ص ٦٦ .
(٢) في (م) (الأزواعي) تقديم وتأخير .
(٣) في النسختين (السماع) والصواب ما أثبته من النهاية .
(٤) حادي الأرواح ص ٢٥٣ ، والنهاية ٣٧٩/٢ .
(٥) حادي الأرواح ص ٢٥٣ ، وأخرجه أيضا عبدالملك بن حبيب في وصف الفردوس ص ٦٥ ، وأورده ابن كثير في النهاية ٣٧٩/٢ .
(٦) سورة ص ٢٥ .
(٧) ما بين المعكوفتين ساقطة من كلا النسختين وأثبتها من حادي الأرواح ٢٥٣ .
(*) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبدالعزى، ولد سنة بضع وثلاثين ، حدّث عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر ، وحدّث عنه الزهري وعمرو بن دينار ، مات سنة ١٣٠ هـ سير أعلام النبلاء ٣٥٣/٥ .

كنت تمجدني به في دار الدنيا . قال فيستفزغ[1] صوت داود نعيم أهل الجنة)[2] .

ثم أخبر تعالى عن حال الفريق الآخر بقوله : ((وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون (١٦))) ، وفصّل ذلك قوله : ((فأما[3] الذين شقوا ففي النار [لهم فيها زفير وشهيق][4] خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ماشاء ربك إنّ ربك فعّال لما يريد))[5] .

ثم نزّه نفسه بقوله : ((فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (١٧) وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون (١٨))) .. هو اخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات .

أخرج [ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال][6] : إنّ الآية جامعة للصلوات الخمس ((تمسون)) صلاة المغرب والعشاء ، و ((تصبحون)) صلاة الفجر ((وعشيا)) صلاة العصر ، و ((تظهرون)) صلاة

---

(١) هكذا في النسختين وفي حادي الأرواح وفي تفسير ابن كثير والذي في الدر (يستفز نعيم أهل الجنة) . وفي النهاية (فيرتفع صوت داود يعم أهل الجنة) .

(٢) أخرجه البيهقي في البعث ص ٤٠١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٧ وعزاه للحكيم الترمذي ولابن المنذر ولابن أبي حاتم ، وقد أورده ابن كثير في تفسيره ٣٢/٤ بسند ابن أبي حاتم وفي النهاية ٣٧٩/٢ - ٣٨٠ باسناد ابن أبي الدنيا . وعزاه السيوطي أيضا لأحمد في الزهد ولم أهتد اليه وقريبا منه ما أخرجه عبدالملك بن حبيب في وصف الفردوس ص ٦٥ - ٦٦ ، ونقله المؤلف من حادي الأرواح ص ٢٥٣ .

(٣) في كلا النسختين (وأما) والصواب ما أثبته .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وهو من تمام الآية .

(٥) هود ١٠٦ - ١٠٧ .

(٦) ما بين المعقوفتين ترك له بياض في كلا النسختين وأثبته من الدر المنثور ٤٨٨/٦ .

الظـــهر .[1]

((يخرج الحي من الميت)) .. كان[2] الإنسان من النطفة[3] والطائر مـــن البيضة ، ((ويخرج الميت من الحي)) البيضة من الطائر ، والنطفة من الانسان . ((ويحي الأرض)) بالنبات ((بعد موتها)) يبسها ((وكذلك تخرجون (١٩))) .. أي من القبور ، فانه يحييكم فيها ويخرجكم منها كهذا الإخراج الذي وصفه فقدرته واحدة شاملة لكل حي وميت .

((ومن آياته)) / أي الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة الدالـــة[4] ١٣٣/أ على اتصافه بكل كمال ((أن خلقكم)) أيها المخاطبون وآباءكم من قبلكم ((مـــن تراب)) .. صرح تعالى في آيات بأصل الانسان تارة بأنه التراب ((يا أيها النـــاس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب))[5] ،

وتارة بأنه من صلصال ((خلق الانسان من صلصال كالفخار))[6] ، ((ولقـــــد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون))[7] .

وتارة بأنه من سلالة من طين[8] . وتارة أنه من طين ((اني خالق بشرا مـــن طين))[9] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/٢١ ، والبغوي ٤٧٩/٣ ، والقرطبي ١٤/١٤ ، وانظر تفسير عبدالرزاق ٤٠٣-٤٠٤ ، والمصنف له أيضا ٤٥٤/١ ، والدر المنثور ٤٨٨/٦ .

(٢) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (كالإنسان) باسقاط النون والهمزة .

(٣) وهذا بحسب ما يظهر للعين المجردة ، فأما بعد اختراع المجهر المكبر فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت والله سبحانه يخرج النبات الحي من الحبـــة الميتة والانسان المؤمن (وهو الحي) من الكافر (وهو الميت) .. الخ .

(٤) في (ص) (الدلالة) . (٥) الحج ٥.

(٦) الرحمن ١٤ .

(٧) الحجر ٢٦ .

(٨) وهو قوله تعالى ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ١٢)) المؤمنون .

(٩) سورة ص ٧١ .

والكل راجع الى معنى واحد وهو طين له صفات كما ستعرفه ، فالصلصال طين يابس له صلصلة أي صوت اذا نقر ، والحمأ طين أسود ، والمسنون المتغير ، وقوله ((من سلالة من طين)) هي من سللت الشيء ؛استخرجته منه وهي خلاصته[1] و ((من طين)) متعلق بسلالة ثم المراد خلْق أبيهم الأول وهو آدم عليه السلام . فقوله ((من طين)) مطلق قيّد بالأوصاف المذكورة ، وقوله : ((كالفخار)) أي كالطين المطبوخ فهو من القيود ، فالإنسان مخلوق من طين له صلصلة وهو أسود اللون متغير يستخرج من خلاصته كالطين المطبوخ ، اذ لا يطبخ فخار الا خالص ، ووصفه بأنه طين لازب[2] أي يلصق باليد .

فهذه صفات للطين الذي خلق الله الانسان منه، ثم خلق أولاده من النطفة كما قال : ((ثم جعلناه[3] نطفة)[4] أي منيا أي جعلنا نسل آدم / من النطفة ١٣٣/ب التي تخلق خلقا بعد خلق .

((ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠))) تتصرفون في أموركم كقوله ((فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض))[5] وهذا من أعظم الأدلة على قدرته وحكمته وكمال صفاته .

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)) جمع زوج أي امرأة فهو[6] لكل فرد من الرجال زوجا من نفسه[7] ، أما الأبْ الأول فخلقها من ضلعه ((الذي

---

(١) في (م) (خلاصة) والصواب ما أثبته .
(٢) وهو قوله تعالى ((إنا خلقناهم من طين لازب (١١))) ص
(٣) في كلا النسختين (جعلنا) باسقاط ضمير الغائب .
(٤) المؤمنون ١٣ .
(٥) الجمعة ١٠ .
(٦) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابها (فهيأ) .
(٧) لعل صوابها من جنسه كما في تفسير البغوي ٤٨٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٤٢٨/٣.

خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها))[١] ، وقال : ((هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها))[٢] ، وقال : ((خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها))[٣] .

وأما أولاده فخلق أزواجهم من ماء الأبوين فهي من أنفسهم أيضا ثم ذكر حكمة خلقه لهم بقوله : ((لتسكنوا اليها)) أي يسكن كل إنسان الى زوجه ، كما قال في خلق زوج الأب الأول بقوله : ((وجعل منها زوجها ليسكن اليها))[٢] ، أي يألفها بتأليف الله ، ((لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم))[٤]

((وجعل بينكم مودة)) .. توادوا[٥] ومحبة ((ورحمة)) يرحم كل واحد من الزوجين الآخر . ((ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١))) ، فان بالتفكر يعرفون مقادير هذه النعم .

((ومن آياته)) الدالة على ما دلت عليه الآيات [الأول][٦] ((خلق السموات والأرض)) تكرر الاستدلال بخلقهما على التوحيد ولوازمه .[٧]

((ومن آياته اختلاف ألسنتكم)) أي لغاتكم ، فاللسان تطلق على اللغة / وعلى الجارحة ، ومن الأول هذه الآية ، وقوله : ((لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين))[٨] وغيره .[٩] ١٣٤/أ

---

(١) النساء ١ .
(٢) الأعراف ١٨٩ .
(٣) الزمر ٦ .
(٤) الأنفال ٦٣ .
(٥) في تفسير أبي السعود ٥٦/٧ (توادا) ولعله الأصوب .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .
(٧) وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم وانظر ما بسطه المؤلف من ص٢٦٠ - ٢٧٧
(٨) النحل ١٠٣ .
(٩) كقوله تعالى ((وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ..)) ابراهيم ٤.

ومن الثاني[1] ((اذ تلقّونه بألسنتكم))[2]، ((ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ..)) الآية[3]، ويطلق على الذكر الحسن ((واجعل لي لسان صدق في الآخرين))[4]. قال[5] : وهذه الألسنة - أي اللغات - سبعون لسانا ، سبعة[6] عشر في ولد سام ، وسبعة[6] عشر في ولد حام ، وستة وثلاثون في ولد يافث . أهـ

وهذا[7] الاختلاف - والجارحة المتكلم بها واحدة ومخارج الحروف كذلك وعددها[8] كذلك - من أعظم آيات الله ثم اختلاف نغمات كل إنسان ممن لغتهم متحدة ، وكذلك أصواتهم حتى تعرف نغمة كل شخص وصوته وان لم تر صورته .

((ومن آياته اختلاف ألوانكم)) .. أي لون كل إنسان يخالف الآخر وإن كانوا من صنف واحد كألوان العرب، وألوان الترك، وألوان السودان ، فان هذه الأصناف

---

(١) أي اطلاق اللسان على الجارحة .
(٢) النور ١٥ .
(٣) النحل ١١٦ وتمامها ((لتفتروا على الله الكذب إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)) .
(٤) الشعراء ٨٤ .
(٥) لعل القائل وهب بن منبه كما في تفسير أبي حيان ١٦٧/٧ الا أنه ذكر في تفسير أبي حيان اثنان وسبعون لسانا حيث جعل في ولد سام تسع عشرة لسانا .
(٦) هكذا في النسختين ، وفي تفسير أبي حيان .
والذي يظهر لي أن الصواب سبع عشرة بتذكير الصدر وتأنيث العجز . اذ المعدود لسانٌ وهو مؤنث .
(٧) في كلا النسختين (وهذه) بالتأنيث .
(٨) قوله (وعددها كذلك) يمكن حمله على اختلاف اللهجات في اللغة الواحدة وأما اذا أراد اللغات جميعا فلا شك أن عدد حروف كل لغة يختلف عن عدد اللغة الأخرى ، فمثلا اللغة العربية تتكون من ثمانيةٍ وعشرين حرفا . بينما اللغة الإنجليزية تتكون من ستةٍ وعشرين حرفا .. الخ .

مختلفات الألوان ثم أفرادها مختلفة .

كذلك وان جمعهم لون البياض أو السواد ولا يلتفت[١] إنسان بإنسان ، وهم ابناء رجل واحد اختلفوا لغاتٍ[٢] وألوانا ليدل ذلك على أن خالقهم فاعل مختار قادر قهار .

وليس اختلاف الألوان خاص ببني آدم . قال تعالى : ((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها [ومن الجبال جُددٌ بيض وحمر مختلف ألوانها][٣] وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه))[٤] كذلك اختلاف / ألوان النبات كما قال : ((وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً[٥] ألوانه))[٦] (والجبال والناس والدواب والأنعام)[٧] . ١٣٤/ب

وعرّفناك أنه كما[٧] أنه تعالى جعل ذوي الألوان أصنافا ـ كالترك بيض الألوان والحبشة سودها ونحو ذلك ـ جعل كل شخص من كل نوع لا يتحد لونه بلون غيره من أفراد نوعه فانك تنظر الشخص أبيض اللون وكل بياض شخص غير بياض الآخر ، وكذلك في السودان أمر مشاهد[٨] يدركه كل ناظر ، وكذلك هيئات كل عضو لا تلتبس بهيئات[٩] عضو الآخر بل يتميز كل عضو بهيئته ، فان الأفواه والآذان ،

---

(١) هكذا في النسختين ولعل صوابها ولا يلتقي .
(٢) في النسختين لغاتا بالفتحة .
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وهو من تمام الآية .
(٤) فاطر ٢٧ ـ ٢٨ .
(٥) في كلا النسختين (مختلف) وليست بقراءة .
(٦) النحل ١٣ وما بعد كلمة ألوانه ليس من الآية والأظهر حذفه ليستقيم سياق الكلام ولذا جعلته بين قوسين .
(٧) هكذا في كلا النسختين والأقرب أن يكون الكلام هكذا : وعرفناك أنه تعالى كما جعل ذوي الألوان أصنافا ... الخ ، فيكون في الكلام تقديم وتأخير وزيادة (أنه) الثانية .
(٨) في (م) (شاهد) باسقاط الميم .
(٩) في (ص) (بهيئة) بالافراد .

عن الآخر منها [مختلف][1] يتبين لديه لا تلتبس حمامة هذا الحمامي بغيرها ، ولا تألف غير زوجها ولا تخضن[2] غير بيضها .. فسبحان العالم بكل شيء الذي له الحكمة البالغة في أفراد كل ميت وحي .

وقد قال تعالى : ((وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم))[3] ((إنّ في ذلك)) الاختلاف ((لآيات][4] للعالمين (٢٢))) .. قُرِئ بفتح اللام وكسرها[5] .

((ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله)) .. طلب المعايش بالأسباب وهو خاص بالنهار كما فصلته آيات آخر و [هو][6] نحو قوله : ((ليس عليكم [جناح][7] أن تبتغوا فضلا من ربكم))[8] ، ونحو : ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله))[9] .

((إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٢٣))) .. كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سماع تدبر وتفكر . ولما نبّههم تعالى بهذه الآيات

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .
(٢) في كلا النسختين (تحض) باسقاط النون .
(٣) الأنعام ٣٨ .
(٤) قوله (لآيات) سقط من كلا النسختين وهو من تمام الآية .
(٥) أ ـ قرأ الجمهور بفتح اللام جمع عَالَم وهو كل موجود سوى الله تعالى .
ب ـ وقرأ حفص بكسر اللام جمع عالِم ـ ضد الجاهل ـ لأنه هو المنتفع بالآيات .
الاتحاف ص ٣٤٨ .
(٦) في (م) (ونحو) باسقاط الضمير .
(٧) كلمة (جناح) ساقطة من كلا النسختين وهي من تمام الآية .
(٨) البقرة ١٩٨ .
(٩) الجمعة ١٠ .

الدالة على ثبوت الكمال له ـ وغالبها في أنفسهم ـ فبدأ[١] بأدلة الآفاق اذ هذه الأدلة يقرن تعالى بعضها ببعض كما قال تعالى : ((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم))[٢] فقال : ((ومن آياته يريكم البرق)) مقدمةً لإنزال المطر ، وفي تقديمه قبل انزاله فوائد عديدة فيها[٣] التأهب للمطر فيصلح الزرّاع طرق المياه الى مزارعهم ، ويأوي المسافرون الى [أكنتهم][٤] ، ويرفع التجار في أرض السوق بضائعهم وغير ذلك . ١٣٥/ب

وقوله : ((خوفا)) لأنه قد يأتي بالصواعق ، وقد يأتي بالبَرَد ، وقد يأتي والمسافر في فلاة من الأرض لا يجد كنانا . ((وطمعا)) يطمع فيه المحتاجون إليه[٥] . ونصب ((خوفا وطمعا)) بتقدير يجعلكم رآئين [البرق خوفا وطمعا][٦] فاعلهما هو[٧] فاعل الفعل المعلل . أو بتقدير ارادة خوف وارادة طمع[٨] ، والآية نحو قوله في الرعد : ((هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال))[٩] .

---

(١) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (بَدأ) باسقاط الفاء .
(٢) فصلت ٥٣ .
(٣) هكذا في كلا النسختين ولعل الصواب (منها) .
(٤) ما بين المعقوفتين ترك له بياض بقدر كلمة في كلا النسختين واستظهرته مما صرح به المؤلف رحمه الله تعالى في ص ٢٧٣ ويعضده أيضا ما يصرح به هنا بعد قليل .
(٥) انظر تفسير ابن الجوزي ٣١٣/٤ ، والقرطبي ١٨/١٤ ـ ١٩ ، والبغوي ١٠/٣ .
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وأثبته من الكشاف ٢٠١/٣ .
(٧) في كلا النسختين (فاعلهما وفاعل) والصواب (هو فاعل) بزيادة الهاء .
(٨) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوز، أن يكونا خالين أي خائفين وطامعين . أهـ .
الكشاف ٢٠١/٣ .
(٩) الرعد ١٢ .

((وينزّل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها)) .. كما قال تعالى : ((وآية لهم الأرض الميتة أحييناها))[١] . ولهذا[٢] سمي المطر بالحيا[٣] ، لأنه تحي به الأرض .

ومثله : ((والله الذي أرسل[٤] الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور))[٥] .

وفي الأعراف : ((وهو[٦] الذي يرسل الرياح نشرا[٧] بين يدي رحمته ...)) الى قوله : ((... سقناه لبلد[٨] ميت فأنزلنا به الماء)) الآية .[٩]

((إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤))) اذ بعقولهم يعرفون قدرة الله في ذلك كله ويعبرون بعقولهم من إحياء الأرض الميتة الى احياء العباد .

((ومن آياته)) الدالة على ثبوت كل كمال له ((أن تقوم السماء والأرض)) / بامساكهما[١٠] عن أن يزولا ((إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا))[١١] ، ((بأمره)) باذنه وقدرته . ١٣٦/أ

---

(١) يس ٣٣ .
(٢) في كلا النسختين (ولا هدا) .
(٣) لسان العرب ٢١٥/١٤ (حيا) .
(٤) في كلا النسختين (يرسل) بالمضارع والصواب ما أثبته .
(٥) فاطر ٩ .
(٦) في (م) (الله يرسل) . وفي (ص) (الله الذي يرسل) والصواب بالاضمار يدل الاظهار كما أثبته .
(٧) هذه قراءة متواترة كما بيّنت ذلك ص ٢٧٦
(٨) في كلا النسختين (الى بلد) والصواب ما أثبته .
(٩) الأعراف ٥٧ .
(١٠) هكذا في كلا النسختين والأصوب (بامساكه لهما) .
(١١) فاطر ٤١ .

والآية مثل قوله : ((ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه [1]))[2].

((ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (٢٥))) لإخراجكم منها لقوله : ((ومنها تُخْرَجون))[3] ، والدعوة هي المراد من قوله : ((يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج))[4].

ومن قوله : ((يوم يدع الداع الى شيء نُكُرٍ ، خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مهطعين الى الداعي)) الآية[5].

ومن قوله : ((ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون))[6].

ومن قوله : ((ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون))[7].

ومن قوله : ((فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير))[8].

ومن قوله : ((يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا))[9].

ومن قوله : ((فاذا جاء ت الصآخة))[10].

ومن قوله : ((فاذا جاءت الطآمة الكبرى))[11].

فكل ذلك عبارة عن النفخة الثانية .[12]

---

(١) في كلا النسختين (الا بامره) والصواب ما أثبته .
(٢) الحج ٦٥ .
(٣) الأعراف ٢٥ .
(٤) ق ٤١ ـ ٤٢ .
(٥) القمر ٦ ـ ٨ .
(٦) الزمر ٦٨ .
(٧) يس ٥١ .
(٨) المدثر ٨ ـ ٩ .
(٩) النبأ ١٨ .
(١٠) عبس ٣٣ .
(١١) النازعات ٣٤ .
(١٢) وأما النفخة الأولى فهي نفخة الفزع وهي ما ذكرها المؤلف ص ٣٢٦

((وله من في السموات والأرض)) من الملائكة ومن بني آدم والجن والشياطين ملكا يتصرف فيهم كيف يشاء [١] .

((كل)) ممن ذكر ((له قانتون (٢٦))) منقادون لأمره يفعل فيهم ما يشاء ويحكم فيهم بما [٢] يريد ، والآية نظير قوله : ((وله أسلم من في السموات والأرض طوْعاً وكرها)) [٣] أي انقاد واستسلم .

وأخص منه : ((ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها)) [٤] ، والتقييد بالكره عائد الى من في الأرض / لا الى من في السموات فكلهم انقادوا ١٣٦/ب طوعا لا كرها كما قال فيهم : ((بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)) [٥] .

((وهو الذي يبدأ الخلق)) .. تقدم بيانه مرارا [٦] ((ثم يعيده)) بعد فنائه ، ((وهو أهون عليه)) الأمور كلها عظيمها وحقيرها بالنسبة الى قدرة الله هينة سهلة ، فلماأتى هنا بأهون الدال على أن في الأفعال هين وأهون أحتيج الى تأويله بأن المراد بأهون : هين أي يسير ، أو بالنسبة الى نظر العباد فان اعادة ما قد أُوجد أهون عليهم من انشائه ابتداءً أو اختراعاً في نظر العباد .

وقيل : ضمير عليه للمعُاد وهو المبعوث من الأجداث ، والمعنى : أن اعادته في ساعة واحدة بصيحة [٧] سمعها أهون عليه من خلقه في الأرحام وتنقله في

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ٥٨/٧ . والأولى حمله على العموم وعدم تخصيصه بهذه المذكورات ليشمل الجماد والدواب وغيرها مما لا نعلمه .
(٢) في (م) (ما يريد) باسقاط الباء .
(٣) آل عمران ٨٣ .
(٤) الرعد ١٥ .
(٥) الأنبياء ٢٦ ـ ٢٧ .
(٦) انظر ما بسطه المؤلف من ص٢٧٤ ـ ٢٧٧
(٧) في كلا النسختين (بصحة) باسقاط الياء والصواب ما أثبته من تفسير البغوي ٤٨١/٣ .

الأطوار[1] ، ولما قال تعالى في النحل : ((فلا تضربوا لله الأمثال))[2] قال هنا : ((وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧))) أي الصفة العليا[3] وهي الاحياء والاماتة[4] .

وقال قتادة : شهادة أن لا اله الا الله .[5]

وقال ابن عباس : هو أنه ليس كمثله شيء[6] وهو السميع البصير .[7]

((ضرب لكم مثلا من أنفسكم)) كائنا ذلك المثل فين أمثالكم وأجناسكم ، لأن العبيد من جنس الأحرار والمثل هو قوله[8] ((هل لكم من ما ملكت أيمانكم)) من العبيد والاماء[9] / ((من شركاء)) يشركونكم[10] ((في ما رزقناكم)) من الأموال ((فأنتم)) وهم ((فيه)) في الذي رزقناكم ((سواء)) من غير تفرقة

٤١/١٣٧

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤٨١/٣ ، والكشاف ٢٠٢/٣ ـ ٢٠٣ .

(٢) النحل ٧٤ .

(٣) يريد بقوله (الصفة العليا) تفسير قوله تعالى ((وله المثل الأعلى)) .

(٤) تقييد الصفة العليا بالاحياء والإماته فيه نظر، والأولى اطلاقها اذ كل صفاته عليا . وهذا ما يفهم من تفسير البغوي ٤٨١/٣ .

(٥) في تفسير البغوي ٤٨١/٣ .
وقال قتادة : هي أنه لا اله الا هو . وهي الأصواب . وقد أخرجها أيضا ابن جرير ٣٨/٢١ .

(٦) تفسير ابن جرير ٣٨/٢١ ، والبغوي ٤٨١/٣ ، والدر المنثور ٤٩١/٦ .

(٧) قوله ((وهو السميع البصير)) هو تمام آية الشورى ١١ . الا أنها ليست موجودة في المراجع السالفة الذكر .

(٨) في كلا النسختين (قولكم) بالخطاب والصواب بالغيبة كما أثبته .

(٩) في (م) (والآبا) وهو خطأ ظاهر .

(١٠) هكذا في كلا النسختين والصواب (يشاركونكم) كما في تفسير البغوي ٤٨٢/٣ والزمخشري ٢٠٣/٣ .

بين الحر والعبد ((تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)) أي أمثالكم من[١] الأحرار ، فأنفسكم في صدر الآية أريد[٢] بها العبيد ، وأنفسكم في آخرها يراد به الأحرار ، ومعنى الاستفهام هنا النفي . أي ليس لكم شركاء من عبيدكم في أموالكم . فكيف تجعلون عبيد الله ومماليكه[٣] شركاء له ؟ فاذا لم ترضوه[٤] لأنفسكم فكيف ترضونه لرب العالمين ومالك الخلائق أجمعين ؟!!!

((كذلك)) كهذا التفصيل ((نفصّل الآيات لقوم يعقلون (٢٨))) يتدبرون بعقولهم . واذا [كان][٥] ليس من مماليككم-الذين هم من جنسكم-شركاء في أموالكم ، فكيف تجعلون لمن ليس كمثله شيء شركاء في عبادته ؟ أيفعل هذا عاقل ؟ ما ذاك إلا الإعراض عن العقل واتباع للهوى .

كما قال : ((بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم)) ولم يتقيدوا[٦] لعقولهم ولا لما أتاهم من كتب الله ورسله ، بل عبدوا أهواءهم كما قال تعالى : ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه))[٧] .

((بغير علم)) [ليس قيدا بل][٨] من باب ((ويقتلون الأنبياء بغير حق))[٩] فاستحقوا العقوبة بالإضلال ((فمن يهدي من أضل الله)) ((وما يضل به الا الفاسقين))[١٠]

---

(١) في كلا النسختين (عن الأحرار) والصواب ما أثبته من تفسير البغوي ٤٨٢/٣ .
(٢) في (م) (يريد) .
(٣) في (م) (وملائكته) .
(٤) في كلا النسختين (لم ترضونه) باثبات النون والصواب حذفها .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .
(٦) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابها (ولم ينقادوا) .
(٧) الجاثية ٢٣ .
(٨) ما بين المعقوفتين ترك له فراغ في كلا النسختين وأثبته اجتهادا مني .
(٩) آل عمران ١١٢ .
(١٠) البقرة ٢٦ .

((وما لهم)) أي من أضل ((من ناصرين (٢٩))) مانعين من عذاب الله . ((فأقم)) يا محمد[١] ((وجهك للدين)) من قول الخليل ((إنّي / وجّهت وجهي للذي ١٣٧/ب فطر السموات والأرض حنيفا))[٢] مائلا عن كل دين غير دين الاسلام ، وهو ((فطرة الله)) فالزم فطرة الله ((التي فطر الناس عليها)) الفطرة الخلقة[٣] من قوله : ((فاطر السموات والأرض))[٤] أي خالقهما .

والمراد الزم ما خلق الله عباده عليه فانه خلق العباد حنفاء . كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الله تعالى : ((خلقت عبادي جميعا))[٥] الحديث .. وقال : ((أفي الله شك))[٦] .

فانهم لا يشكون في وجوده وخالقيته ورازقيته وصفات كماله . ولذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)[٧] .

فلو خُلّي كل عبد ونفسه لما كان إلا على الفطرة . ولذا يقول المشركون في الجواب على رسل الله : ((.... [٨] وجدنا آباءنا لها عابدين))[٩] . فأخرجهم

---

(١) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لأمته . ويشهد لهذا ما بعده من الآيات . أهـ بتصرف من الكشاف ٢٠٤/٣ .
(٢) الأنعام ٧٩ .
(٣) لسان العرب ٥٦/٥ (فطر) .
(٤) فاطر ١ .
(٥) أخرجه أحمد ٢١٦٢/٤، ومسلم ٢١٩٧/٤ كتاب الجنة ، ولفظه عندهما (واني خلقت عبادي حنفاء كلهم .. الحديث) .
(٦) ابراهيم ١٠ ونصها : ((قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ...)) الآية .
(٧) أخرجه البخاري ٥١٢/٨ (كتاب التفسير) بلفظ : ((.. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..) الحديث .
(٨) في كلا النسختين (انا وجدنا) بزيادة (انا) وهي ليست من الآية .
(٩) الأنبياء ٥٣ .

الآباء عن فطرتهم . وفطرته هي التوحيد وهي الحنيفية . قال تعالى في بني إسرائيل : ((وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء))[١] .

فالحنيفية هي التوحيد وهو الذي[٢] أمر الله به جميع العباد ، فان قوله : ((وما أمروا)) عائد الى أهل الكتاب والمشركين كما قال في أول : ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين))[٣] .

((لا تبديل لخلق الله)) اخبار مراد به النهي[٤] . أي لا تبدلوا أيها الناس / خلق الله الذي هو على الفطرة ، وهي الإقرار بالتوحيد ولوازمه . ٦١٣٨

((ذلك)) .. أي الذي فطر العباد عليه ((الدين القيم)) المستقيم الذي هو صراط الله الذي أمر [به][٥] عبادة بقوله : ((وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه))[٦] . وقال تعالى : ((دينا قيما ملة ابراهيم))[٧] ، وقوله : ((قل بل ملة ابراهيم))[٨] . لما قيل للمسلمين كونوا هودا أو نصارى . قال لهم تعالى ((قل)) يا محمد بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا .

ومنه : ((ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا))[٩] .

ومنه : ((ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل))[١٠]

---

(١) البينة ٥ .
(٢) في كلا النسختين (وهو الذي أللّه أمر الله به) بزيادة لفظ الجلالة بعد الاسم الموصول .
(٣) البينة ١ .
(٤) في كلا النسختين (النفي) والصواب ما أثبته من تفسير البغوي ٤٨٣/٣ .
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .
(٦) الأنعام ١٥٣ .
(٧) الأنعام ١٦١ .
(٨) البقرة ١٣٥ .
(٩) النحل ١٢٣ .
(١٠) الحج ٧٨ .

((ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون (٣٠))) .. بأنّهم قد غيروا الفطرة باتباعهم الآباء وعبادتهم ما كانوا يعبدونه من الأصنام ، وأنّ الشياطين قد اجتالتهم كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (خلقت عبادي [حنفاء][1] جميعا فاجتالتهم الشياطين)[2] . والاجتيال بالجيم والمثناة الفوقية .[3]

((منيبين إليه)) جمع منيب من أناب اذا رجع من قوله ((و[4] خرّ راكعا وأناب))[5] ، وهو حال من قوله الزموا[6] الناصب لفطرة الله وعطف عليه

((واتقوه وأقيموا الصلاة)) خصّها مع شمول ما قبلها لها تشريفا لها وتعظيما ، وحثاً عليها . ((ولا تكونوا من المشركين (٣١))) أي استمروا على عدم الكون منهم ، وبيّنهم بقوله : ((من الذين فرّقوا دينهم)) يهودية ونصرانية ومجوسية وشركا[7] ، وكل فرقة تفرّقوا كما يأتي ، وقد نهاهم الله عن التفرق / ١٣٨/ب

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وانما أثبته من نص الحديث .

(٢) سبق تخريجه في الفقرة ٥ من ص ٥٣٢ ولفظه عند مسلم (... وانّي خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ...) الحديث . وفي مسند أحمد فأضلتهم بدل اجتالتهم .

(٣) هكذا في كلا النسختين ولعل تمام الكلام : الاستخفاف . كما في النهاية ٣١٧/١ . وفي لسان العرب ١٣١/١١ (جول) .

(٤) هذه الواو ساقطة من كلا النسختين وهي من نص الآية .

(٥) سورة ص ٢٤ .

(٦) هكذا في كلا النسختين والصواب أن يقال : وهو حال من فاعل الفعل المقدر وهو قولك (الزموا) اذا فعل الاغراء ليس مذكورا في الآية .
وهذا الوجه ذكره محمود صافي في كتابه (الجدول في إعراب القرآن) ١٦٧/٢١ وأما الوجه الثاني - ولعله الأرجح - هو ما ذكره ابن جرير والنحاس والشنقيطي بأنه منصوب على الحال من فاعل (فأقم وجهك) لأن معناه فأقيموا وجوهكم انظر : تفسير الطبري ٤٢/٢١ ، واعراب القرآن للنحاس ٢٧٢/٣ ، ودفع ايهام الاضطراب ص ٢٠١ ، وذكر الوجهين العكبري في اعراب القرآن ١٧٦/٣ بحاشية الفتوحات الإلهية .

(٧) هكذا في كلا النسختين وصوابها) ومشركين) . وانظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٠٥/٨ ، والقرطبي ١٤٩/٧ .

على لسان الخمسة أولي العزم كما قال تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) (١).

وهو التوحيد وهو الفطرة . فالتفرّق منهي عنه على لسان أشرف رسل الله وهو أيضا شامل للنهي عن التفرق بالابتداع (٢) ، كما أخرج الحكيم الترمذي [وابن الحاطب] (٣) وابن جرير والطبراني والشيرازي (٤) في الألقاب وابن مردوية عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله : ((إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا)) (٥) قال : (هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة) (٦).

وأخرج الحكيم الترمذي وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن شاهين وابن مردوية وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في البعث عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لعائشة : (يا عائش (٧) إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة . يا عائشة إنّ لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليست لهم توبة أنا منهم بريء وهم مني براء) (٨)

---

(١) الشورى ١٣ . (٢) في (م) (للابتداع) باللام بدل الباء .

(٣) ما بين المعقوفتين ليس موجودا في (ص) ولا في الدر المنثور ، وإنّما هو زيادة من ناسخ (م) ، ولم أجد له ترجمة .

(٤) هو أحمد بن عبدالرحمن الشيرازي مصنف كتاب الألقاب ، سمع محمد بن الحسن البربهاوي وأبا القاسم الطبراني ، أقام مدة ببهمذان فحدّث عنه محمد بن عيسى وأبو مسلم بن غزو توفى سنة ٤٠٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٤٢/١٧ .

(٥) الأنعام ١٥٩ .

(٦) تفسير ابن جرير ١٠٥/٨ ، ومجمع الزوائد ٢٢/٧ - ٢٣ ، وتفسير البغوي ١٤٥/٢ والقرطبي ١٤٩/٧-١٥٠ ، والدر المنثور ٤٠٢/٣ ، ولم أهتد إليه في نوادر الأصول .

(٧) هكذا في النسختين بالترخيم مع أنه لم يرخم في المراجع التي رجعت إليها .

(٨) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٨/١ - ٩ ، والطبراني في المعجم الصغير كما في مجمع الزوائد ٢٢/٧ - ٢٣ ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٠٩ ، والبيهقي في البعث والنشور ص ، وأبو نعيم في الحلية ١٣٨/٤ ، وابن كثير في تفسيره ١٩٦/٢ ، وتاريخه ٢٥/٩ .

وقد قال تعالى في النصارى بعد ذكره عيسى عليه السلام : ((فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم))[١] .

وقال فيهم أيضا : ((فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم))[٢] .

كل ذلك في قوم [عيسى][٣] وذلك أنهم فرقوا دينهم الذي بُعث به عيسى وهو عبادة الله وحده لقوله : ((ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم))[٤] .

وقال لهم : ((لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح[٥] يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار))[٦] .

وقد تفرقوا فرقا يعقوبية وملكانية[٧] ونسطورية[٨] ، ثم تفرقوا من بعد ذلك فرقا كثيرة[٩] .

وقال تعالى : ((وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة))[١٠] .

---

(١) مريم ٣٧ .
(٢) الزخرف ٦٥ .
(٣) ما بين المعقوفتين ليست في النسختين وهي مما يقتضيه السياق .
(٤) المائدة ١١٧ .
(٥) ما بين القوسين هو جزء من آية المائدة ٧٢ وهو مثبت في كلا النسختين والأولى حذفه والاقتصار بما حكاه الله عن عيسى ليستقيم الكلام ويصبح القائل واحداً .
(٦) المائدة ٧٢ .
(٧) في (م) (مكانيه) والصواب ملكانية كما في (ص) وفي تفسير البغوي ١٩٦/٣ .
(٨) في كلا النسختين (سطوريه) باسقاط النون والصواب ما أثبته من تفسير البغوي ١٩٦/٣ .
(٩) في (ص) (كثير) باسقاط التاء المربوطة .
(١٠) البينة ٤ .

وفي الحديث : (افترقت اليهود على اثنتين[1] وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[2] .

والآية[3] نظير قوله : ((و[4] إنّ هذه)) أي ملة الإسلام ((أمتُكم[5])) .. أي دينكم أيها المخاطبون الذي يجب أن تكونوا عليه ((أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا)) أحزابا ((كل حزب بما لديهم فرحون))[6] .. أي أنّ الأتباع خالفوا ملل الرسل فتفرقوا أحزابا فرحين بما صاروا عليه فلا يلتفتون الى خلافه ، فان الفَرِح بالشيء لا يلتفت الى غيره ، وعرفت معنى قوله ((وكانوا شيعا)) أي فرقا مختلفة .

((كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢))) أي كل شيعة من الشيع وفرقة من الفرق فرحة بما هي عليه من الجاهلية والبدعة ، وهو فرح بالباطل يدخلون تحت قوله تعالى : ((ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض [بغير الحق][7] وبما كنتم تمرحون))[8] . إنّما الفرح المحمود ما أمر الله به في قوله تعالى : ((قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون))[9] . ٦/١٣٩

---

(١) في (م) (اثنين) والصواب بالتأنيث (اثنتين) كما هو في (ص) .
(٢) أخرجه أبو داود ٤/١٩٧ - ١٩٨ ، والترمذي ٥/٢٥ - ٢٦ ، وابن ماجة ٢/١٣٢١-١٣٢٢ ، وأحمد ٢/٣٣٢ ، والدارمي ٢/٣١٤ ، وابن حبان ص ٤٥٤ من موارد الظمآن ، والحاكم في مستدركه ١/١٢٨ ، والبغوي في تفسيره ٢/١٤٥ بألفاظ متقاربة وكلهم ذكر افتراق النصارى الى إحدى أواثنتين وسبعين فرقة . ولكن المؤلف اسقط بعض ألفاظ الحديث .
(٣) أي الآية المفسَّرة - بفتح السين - وهي آية الروم ٣٢ .
(٤) الواو ساقطة من كلا النسختين وهي من نص الآية .
(٥) في (م) (ملتكم) ونص الآية (أمتكم) كما في (ص) .
(٦) المؤمنون ٥٢ - ٥٣ .
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من النسختين وهو من تمام الآية .
(٨) غافر ٧٥ .
(٩) يونس ٥٨ .

((وإذا مس الناس)) عام لكل من يتصف بما ذُكر ((ضر)) عام سياقا لا لغة[١] وهو كما في آية يونس ((وإذا مس الإنسان الضر دعانا))[٢] ونحوها فيها[٣] ((وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم))[٤] ((دعوا ربهم منيبين إليه)) هو نحو قوله : ((وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إيّاه))[٥].

وفي يونس : ((وظنوا أنّهم[٦] أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين))[٧].

((ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣))) .. هذا كثير في القرآن . ((فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق))[٨] ((فلما نجاكم إلى البر أعرضتم))[٩] ، ((فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه))[١٠] ، ((ولئن أذقناه[١١] نعماء بعد ضراء مسته ليقولنّ ذهب السيئات عني إنّه لفرح فخور))[١٢].

---

(١) هكذا في النسختين ولعل الصواب (سياقا ولغة) ففي لسان العرب ٤٨٢/٤ فكل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضر . وفي مفردات الراغب ص ٢٩٣ الضر : سوء الحال اما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة واما في بدنه لعدم جارحة ونقص ، واما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه .

(٢) يونس ١٢ .

(٣) أي ونحو الآية هذه في سورة يونس أيضا .

(٤) يونس ٢١ .

(٥) الاسراء ٦٧ .

(٦) في (ص) (أنه) بالافراد والآية بالجمع (أنهم) .

(٧) يونس ٢٢ .

(٨) يونس ٢٣ .

(٩) الاسراء ٦٧ .

(١٠) يونس ١٢ .

(١١) سقط من (ص) ضمير الغائب .

(١٢) هود ١٠ .

((ليكفروا)) هي لام العاقبة أي ليؤول[١] اشراكهم الى كفران نعمة الرحمة التي أذقناهم ((بما آتيناهم فتمتعوا)) أمر تهديد نحو ((اعملوا ما شئتم))[٢] ، وزاد التهديد تأكيدا قوله : ((فسوف تعلمون (٣٤))) سوء عاقبة ما أنتم عليه .

/ ((أم أنزلنا عليهم سلطانا)) حجة وبرهانا وكتابا ((فهو يتكلم)) تكلم ١٣٩/ب
دلالة ((بما كانوا يشركون (٣٥))) .. أي باشراكهم الذي هم [عليه][٣] ، فان مبالغتهم في الاشراك وكفران النعم انما يفعله من قامت له الأدلة على ذلك والآية نظير قوله تعالى : ((أم آتيناهم كتابا من قبله))[٤] .. أي قبل القرآن يأمرهم بعبادة غير الله ((فهم به مستمسكون))[٤] .

ونظير قوله : ((قل[٥] أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض)) الى قوله : ((.. ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم))[٦] أي ائتوني[٧] بكتاب غير القرآن أو علم من علم الأولين يكون حجة لكم في[٨] عبادة الأوثان وشرككم .

((واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون (٣٦) أو لم يروا)) .. يشاهدوا ، وفي الآية الأخرى ((يعلموا))[٩]

---

(١) في كلا النسختين (لياول) والصواب ما أثبته .
(٢) فصلت ٤٠ .
(٣) ما بين المعقوفتين ليست في الأصول وانما أثبتها ليستقيم بها الكلام .
(٤) الزخرف ٢١ .
(٥) في كلا النسختين (أروني ما تدعون من دون الله) والصواب ما أثبته .
(٦) الأحقاف ٤ .
(٧) في (ص) (اتوني) باسقاط الهمزة الثانية .
(٨) في كلا النسختين (من) والصواب (في) كما أثبته .
(٩) وهي آية الزمر ٥٢ فعلى هذا يصح تفسير الرؤية في هذه الآية بالعلم أو بالمشاهدة .

((أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء)) من عباده حسب ما تقتضيه حكمته ((ويقدر)) أي يضيقه على من يشاء منهم . ((ان في ذلك لآيات)) لعلامات دالة على أنه الرازق وحده .

نحو : (([نحن][1] قسمنا بينهم معيشتهم في [الحياة][2] الدنيا))[3] .

((لقوم يؤمنون (٣٧))) بالله ((فآت ذا القربى حقه)) / كرّر الله تعالى الأمر بايتاء ذي القربى حقه وذكر أنه أخذه في الميثاق على بني اسرائيل في قوله : ((واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ..)) الى قوله : ((.. وذي القربى واليتامى والمساكين))[4] . ١٤٠/أ

والمراد بذي القربى كل من له قرابة من ذكر أو أنثى وتختلف قربا وبعدا وانفاقا[5] وغيره . والمراد هنا بحقه ما يعم حقه في المال كالنفقة وما في غيره من زيارة القريب وصلته بالسلام والنصيحة وغير ذلك .

وقال[6] : ((يسألونك ماذا ينفقون ..)) الى قوله : ((.. فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل))[7] .

وقال : ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى

---

(١) في كلا النسختين نحو (قسمنا بينهم) والأصح ما أثبته .
(٢) في (م) (معيشتهم في الدنيا) باسقاط الحياة وهو خلاف الآية .
(٣) الزخرف ٣٢ .
(٤) البقرة ٨٣ .
(٥) في كلا النسختين (واتفاقا) بالتاء والصواب (انفاقا) بالنون .
(٦) في (م) (وقالوا) وهو خطأ ظاهر .
(٧) البقرة ٢١٥ .

واليتامى والمساكين ...)) الى قوله : ((... وابن السبيل وما ملكت أيمانكم))[١]

((والمسكين وابن السبيل)) .. أي المسافر الذي لا مال له في غربته ، وقد جعل الله له وللمسكين حقا في الزكاة المفروضة . والحق هنا أعم من المفروضة ، وهو دليل على أن لمن ذكر حقا على الأغنياء .

وفي آية النساء[١] عد تسعة ممن أمرنا بالاحسان اليهم أولهم الوالدان ، وآخرهم ما ملكت أيمانهم[٢] فيحتمل هنا أن يقيد بذلك[٣] ، ويحتمل أن هذا حق خاص لهؤلاء الثلاثة[٤] ، وسبق : ((وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا))[٥] فاقتصر على ما هنا .

((ذلك)) الايتاء ((خير للذين يريدون وجه الله)) أي / يقصدون بالايتاء ١٤٠/ب ثواب[٦] الله بامتثال أمره واعطاء من أمر باعطائه . وهذا مقيد لكل عطاء يعطيه العبد فانه لا يكون خيرا له مما أعطاه الا اذا أراد وجه الله ، وقد ثبت الأمر في الحديث لمن أخرج صدقته أن يريد بها وجه الله في قوله : (... فمن أعطاها

---

(١) النساء ٣٦ .
(٢) هكذا في كلا النسختين ولعل صوابه (أيماننا) ليستقيم الكلام .
(٣) أي يحتمل أنّ اية الروم هذه وآية النساء التي ذكرها مقيدتان بآية الزكاة في سورة التوبة ٦٠ .
(٤) وهذا ما رجحه القرطبي في تفسيره ٢٤١/٢ ـ ٢٤٢ .
(٥) أي في سورة الاسراء ٢٦ وهي ضمن الأجزاء المفقودة من هذا الكتاب .
(٦) لعل المؤلف رحمه الله تعالى يرى أن هذه الآية والتي بعدها ليست من آيات الصفات حيث فسر ارادة الوجه بارادة الثواب، مع أن مذهب أهل السنة والجماعة ـ والمؤلف أحدهم ان شاء الله تعالى ـ يثبتون لله عز وجل وجها يليق بجلاله وعظمته مستدلين على ذلك بصريح القرآن وصحيح السنة ، وقد أورد بعض تلك الأدلة ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٠ ـ ١٨ ، وأبو الحسن الأشعري في الإبانة ص ١٢٩ ـ ١٣١ وغيرهما خلق كثير . وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية ((ذلك خير للذين يريدون وجه الله)) أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى . أهـ .
من تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .

مؤتجرا بها ...) الحديث .[١]

وتأتي الآية الثانية بتقييد[٢] ايتاء الزكاة بإرادة وجه الله ((وأولئك هم المفلحون (٣٨))) من ثبت لهم الفلاح والنجاح ((وما آتيتم من ربا)) أي من مال سماه ربا لأنه السبب في طلب الربا وهو الزيادة .

والمعنى : ما أعطيتم من مال على أي وجه لأي انسان ((لتربوا[٣] في أموال الناس)) أي لتزدادوا به أولياً خذوا[٤] منهم أكثر مما أعطوهم بأي وجه من تجارة غير مأذون فيها ، فيخرج ما أذن فيه من التجارة أو غيرها[٥] .

والآية مثل قوله تعالى : ((يمحق الله الربا ويربي الصدقات))[٦] .

((فلا يربوا عند الله وما[٧] آتيتم من زكاة تريدون وجه الله)) ثوابه[٨] بامتثال أمره . وهو مثل قوله : ((ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم)) الآية[٩] ، وعكسه الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٥ ، ٤ ، والنسائي ١٦/٥ ، ٢٥ ، وأبو داود ١٤١/٢ ، والدارمي ٤٨٦/١ .

(٢) في (ص) (بتصيد) باسقاط الباء .

(٣) أ ـ قرأ الجمهور (ليربوا) بياء الغيب مفتوحة هي والواو مضارع (ربا) بمعنى زاد .
ب ـ وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب بتاء مضمومة وتسكين الواو (لتُربُوا) مضارع (أربى) معدّى بالهمزة . انظر الاتحاف ص ٣٤٨ .

(٤) اختلف كلام المؤلف من الخطاب الى الغيبة ولعل ذلك توجيها للقراءات .

(٥) في كلا النسختين (أو أغيرها) بزيادة الهمزة الثانية ، والصواب (أوغيرها) ومراده بغيرها الهدية كما جاء في تفسير ابن جرير ٤٦/٢١ .

(٦) البقرة ٢٧٦ .

(٧) في (ص) (وأما اتيتم) بزيادة الهمزة الأولى وهو خطأ ظاهر .

(٨) راجع التعليق رقم (٦) من الصفحة السابقة .

(٩) البقرة ٢٦٥ .

فان الله مثله[1] بصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا .[2]

((فأولئك هم المضعفون (٣٩))) أي / ذو التضعيف وأهله/أسمن[3] القوم ١٤١/أ أي[4] سمنت إبلهم . قاله في عين المعاني[5] هو[6] كقوله ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء))[7] .

وقوله : ((كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين))[8]

وقوله : ((من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه[9] له أضعافا كثيرة))[10] .

ومنه : ((وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما))[11] .

في الكشاف :-

وقوله : ((وأولئك هم المضعفون)) .. التفات حسن كأنه قال تعالى للملائكة وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون ، فهو أمدح

---

(١) في كلا النسختين (مثل) باسقاط ضمير الغائب .
(٢) يشير الى آية البقرة ٢٦٤ .
(٣) في (م) (سمن القوم) باسقاط الهمزة .
(٤)
(٥)
(٦)
(٧) البقرة ٢٦١ .
(٨) البقرة ٢٦٥ .
(٩) في كلا النسختين (يضاعف له) باسقاط الفاء من أوله والضمير من آخره .
(١٠) البقرة ٢٤٥ .
(١١) النساء ٤٠ .

لهم من أن يقول أنتم المضعفون[١] ، وذكر وجها آخر[٢] ولكنه قال هذا أمـــــلأ بالفائدة .

((الله الذي خلقكم)) .. معلوم عند عقل كل عاقل أنه لم يكن ثم كـــان ، واليه الاشارة بقوله : ((هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئـــــا مذكورا))[٣] ، وبقوله : ((و[قد][٤] خلقتك من قبل ولم تك شيئا))[٥] .

واذا كان معدوما ثم وُجد فلا بد له من موجد ضرورة ، إنّ حادثا عن غيـــر محدث باطلٌ عقلا وبديهة ، واذا كان لابد له من محدث ضرورة فهل أحدث نفســه؟ هذا باطل بديهة فلا بد له من محدث ، وإليه يشير قوله : ((أم خُلقوا من غيـر شيء أم هم الخالقون))[٦] .

وقد أقر المشركون بأن الله خالقهم : ((ولئن / سألتهم من خلقهم ليقولـن ١٤١/ب الله))[٧] . ولذا قال تعالى : ((الله الذي خلقكم)) بدليل بديهة العقل واقراركم وهذا اجمال فصّله قوله : ((قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره))[٨] .

وقد فُصلت خِلقة الانسان وتنقله في الأطوار السبعة في آية المؤمنين[٩] ..

---

(١) الكشاف ٣/٢٠٥ .
(٢) والوجه الثاني انما ذكره الزمخشري في الأعراب لا في المعنى .
(٣) الانسان ١ .
(٤) حرف التحقيق (قد) ساقط من كلا النسختين وهو من نص الآية .
(٥) مريم ٩ .
(٦) الطور ٣٥ .
(٧) الزخرف ٨٧ .
(٨) عبس ١٧ ـ ٢٠ .
(٩) المؤمنون ١٢ ـ ١٤ . ومراده بالأطوار السبعة :
١ ـ سلالة الطين . ٢ ـ النطفة ٣ ـ العلقة ٤ ـ المضغة
٥ ـ العظام ٦ ـ اللحم ٧ ـ نفخ الروح وما يعقبه من تنقلات .

والآية هنا نظير قوله : ((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم[١])) أي كنتم عدما ثم أوجدكم ((ثم يميتكم ثم يحيكم)) الآية[٢]

((ثم رزقكم)) جميع أنواع الرزق مخلوقة بالأدلة الماضية واقرار من أشرك ((قل من يرزقكم من السماء والأرض ..)) الى قوله : ((.. فسيقولون[٣] الله))[٤] ((هل من خالق غير الله))[٥] ، ((فابتغوا[٦] عند الله الرزق))[٧] .

((ثم يميتكم)) .. هو نحو ((ثم أماته فأقبره))[٨] ، ونحو : ((ثم يميتكم ثم يحييكم))[٢] ، ونحو : ((ثم إنّكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنّكم يوم القيامة تُبعثون))[٩] .

((ثم يحييكم)) بعد الإماتة ، وهذه الأفعال الأربعة مختصة بالله سبحانه لا يشاركه فيها غيره ، ومن أسمائه تعالى المحيي المميت الخالق الرازق . ولذا قال الخليل عليه السلام : ((الذي خلقني فهو يهدين ، والذي [هو][١٠] يطعمني ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحين))[١١] .

---

(١) في كلا النسختين (ثم أحياكم) ونص الآية (فأحياكم) بالفاء .
(٢) البقرة ٢٨ .
(٣) في كلا النسختين (ليقولن الله) .
(٤) يونس ٣١ .
(٥) فاطر ٣ والشاهد من الآية هو قوله تعالى بعد ذلك ((يرزقكم من السماء والأرض ..)) الآية .
(٦) في (م) (وابتغوا) بالواو ونص الآية بالفاء (فابتغوا) .
(٧) العنكبوت ١٧ .
(٨) عبس ٢١ .
(٩) المؤمنون ١٥ ـ ١٦ .
(١٠) الضمير ساقط من كلا النسختين .
(١١) الشعراء ٧٨ ـ ٨١ .

ولما كان المشركون مقرّين[1] بالأولَين[2]، وقامت الأدلة على الآخرَين[3] قال تعالى : ((هل من شركائكم / من يفعل من ذلكم من شيء)) ، هم مقرون أنهم ١٤٢/أ
لا تخلق شيئا .

وقد قال تعالى لهم : ((يا أيها [الناس][4] ضُرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين تدعون[5] من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)) الآية[6] ، ((لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق))[7] ، ((ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من[8] السموات والأرض))[9] .

وأما الإماتة فالمشركون كان منهم من يقول: ما يهلكنا الا الدهر[10] ، ومنهم من يعتقد أن الاماتة من فعل الانسان كما قال الذي كفر لإبراهيم ((أنا أحيي وأميت))[11] وقالوا : ((إنْ[12] هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين))[13] ، وقالوا : ((إنْ هي الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين))[14] .

---

(١) في (م) (مقرون) بالواو . والصواب (مقرين) بالنصب .
(٢) وهو قوله تعالى ((الذي خلقكم ثم رزقكم)) .
(٣) وهو قوله تعالى ((ثم يميتكم ثم يحيكم)) .
(٤) كلمة (الناس) ساقطة من (م) .
(٥) في كلا النسختين (تعبدون) ونص الآية (تدعون) .
(٦) الحج ٧٣ .
(٧) العنكبوت ١٧ .
(٨) في كلا النسختين (في السموات ولا في الأرض) بوضع (في) الأولى موضع من وبزيادة لا في الثانية .
(٩) النحل ٧٣ .
(١٠) وهذا ما حكاه الله عنهم في آية الجاثية ٢٤ .
(١١) البقرة ٢٥٨ . ولم يقل ذلك عن اعتقاد ـ كما يفهم من كلام المؤلف ـ وانما قاله عنادا ومكابرة .
(١٢) في كلا النسختين (ما هي) فاشتبه على المؤلف آية الجاثية ٢٤ بالآية هذه .
(١٣) المؤمنون ٣٧ .
(١٤) الدخان ٣٥ .

فلما أقام الله الأدلة القطعية على الإعادة ، بل وأوقع ذلك وأحيا الموتى مما أخبر به من قوله : ((ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال[1] لهم الله موتوا ثم أحياهم))[2]

وأخبر عن الذي أماته مائة عام ثم بعثه .[3]

وأخبر عن احيائه الطيور التي[4] أمر الخليل عليه السلام أن يجعل على كل جبل منهن جزءا[5] .

وأخبر أنه جعل لعيسى عليه السلام احيائه الموتى باذنه[6] لا جرم .

أخبر[7] أنه يميت العباد ثم يحييهم ولم يلتفت الى انكارهم المعاد وعي[8] الجهل وعدم النظر في الأدلة ثم نزّه[9] نفسه ووصف تعاليه عن إشراكهم بقوله : ((سبحانه وتعالى عما يشركون (٤٠))) .

---

(١) في كلا النسختين (فأماتهم الله ثم أحياهم) ونص الآية هو ما أثبته .
(٢) البقرة ٢٤٣ .
(٣) ذكر الله قصته في آية البقرة ٢٥٩ .
(٤) في النسختين (الذي) بالتذكير .
(٥) وذلك في آية البقرة ٢٦٠ .
وفي تفسير ابن كثير ١١٢/١ ما نصه :
والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ـ أي سورة البقرة ـ مما خلقه من احياء الموتى في خمسة مواضع ((ثم بعثناكم من بعد موتكم)) وهذه القصة ـ قصة قتيل بني اسرائيل ـ
وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة أهـ .
(٦) وذلك في آية آل عمران ٤٩ وآية المائدة ١١٠ .
(٧) وكلام المؤلف هنا يحمل على ترتيب المصحف لا على ترتيب النزول . اذ من المعروف أن تلك الآيات التي استشهد بها وأحال عليها مدنية ، بينما سورة الروم مكية .
(٨) هكذا في النسختين ولعل صحتها اذ هو من دواعي الجهل وعدم النظر في الأدلة .
(٩) في كلا النسختين (نزهه) بزيادة الهاء الثانية .

/ولما عظم اشراكهم ونشأ عنه كل فساد قال تعالى : ((ظهر الفساد)) هو ١٤٢/ب ضد الصلاح كما يقابله به تعالى : ((واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون))(١) ، ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها))(٢) ، ((وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون))(٣) .

ولما علمت الملائكة باعلام الله أنه يكون في ذرية من يجعله في الأرض من يفسد فيها ((قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها))(٤) وعطفوا عليه ((ويسفك الدماء))(٥) عطف خاص على عام ، وأنواع الفساد لا تنحصر بتعداده والمراد ظهرت عقوبة الفساد .

((في البر والبحر)) لأنه فُسر فساد البر بالقحط والجدب وقلة البركات في الزراعات ، وقلة الربح في التجارات ووقوع الموَتَان(٥) في الناس والدواب وكثرة الحريق والغرق واخفاق الصيادين(٦) ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع وكثرة المضار وأعظمها المخاوف ونهب بعض الناس لبعض وتقطع السبل وتسلط الأشرار على العباد ، وفي البحر بهذه الأمور وتغير الرياح الطيبة وغرق المراكب وقلة النفع(٧) . فان الله يقول : ((وهو الذي سخّر(٨) البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله))(٩) .

---

(١) البقرة ١١ .
(٢) الأعراف ٥٦ .
(٣) النمل ٤٨ .
(٤) البقرة ٣٠ .
(٥) الموَتَان والموت بمعنى واحد وهو ضد الحياة .
. لسان العرب ٩٠/٢ (موت) .
(٦) اخفاق الصيادين : رجوعهم بدون صيد . انظر لسان العرب ٨٢/١٠ (خفق) .
(٧) انظر الكشاف ٢٠٥/٣ ـ ٢٠٦ .
(٨) في كلا النسختين (سخر لكم) بزيادة الجار والمجرور وهو ليس من الآية .
(٩) النحل ١٤ .

((بما كسبت أيدي الناس)) / بيان لعلة ظهور الفساد وأن علته المعاصي . ١٤٣/أ
((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبتم أيديكم))[١] فكل المصائب عقوبات الذنوب .

((ليذيقهم)) علة[٢] لظهور الفساد وأنه لأجل إذاقة الناس ((بعض الذي عملوا)) بعض أعمالهم ، كقوله تعالى : ((والنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر))[٣] .

((لعلهم يرجعون (٤١))) علة الاذاقة وأنها ليرجعوا عن قبائح أعمالهم .

((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)) .. أي من قبلكم فانهم لا يرون[٤] الا بمنازل خاوية وعن سكانهن خالية رياضها قد ذويت[٥] وأنهارها قد غارت وعدمت كل ذلك بشركهم .[٦]

((كان أكثرهم مشركين (٤٢))) فـ ((إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))[٧] . ولما ذكر تعالى عاقبة المشركين أعاد الأمر لرسوله بقوله : ((فأقم وجهك للدين القيم)) المستقيم الذي لا اعوجاج فيه[٨] .

---

(١) الشورى ٣٠ .
(٢) في (م) (علية) بزيادة الياء .
(٣) السجدة ٢١ .
(٤) الرؤية هنا بمعنى العلم أي لا يعلمون الا بمنازلهم الخاوية .
(٥) ذَوَى العود والبقل ـ بالفتح ـ ذبل .
لسان العرب ١٤/٢٩٠ (ذوي) .
(٦) الأولى أن يقال : كل ذلك بمعاصيهم ليشمل الشرك وما عداه من الذنوب .
كما أفاده الزمخشري ٣/٢٠٦ ، والرازي ٢٥/١٢٨ .
(٧) الرعد ١١ .
(٨) البغوي ٣/٤٨٦ ، والزمخشري ٣/٢٠٦ .

ولذا ذم تعالى الذين يبغونه عوجا[1] . وقد بيّن تعالى حقيقة الدين القيم بقوله : ((وما أمروا)) أي أهل الكتاب ((الا ليعبدوا [الله][2] مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة))[3] أي الملة المستقيمة[4] ، فالدين القيّم هو عبادة الله بإخلاص الدين الحنيف وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة .

((من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله)) هو اليوم الذي قال تعالى فيه ((واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله))[5] وهو اليوم الذي أراده بقوله ((أنفقوا مما رزقناكم من قبل [أن يأتي][6] يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة))[7] .

/والمراد بقوله ((ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود))[8] . ١٤٣/ب

والمراد من قوله ((يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن))[9] .

ومن قوله : ((يوما يجعل الولدان شيبا))[10] .

ومن قوله : ((فذلك[11] [يومئذ][12] يوم عسير على الكافرين غير يسير))[13]

وغير ذلك .

---

(١) وذلك في عدة آيات من كتابه الكريم كآية الأعراف ٤٤ ـ ٤٥ ، وهود ١٨ ـ ١٩ وإبراهيم ٢ ـ ٣ .
(٢) لفظ الجلالة ساقط من كلا النسختين .
(٣) البينة ٥ .
(٤) البغوي ٥١٤/٤ .
(٥) البقرة ٢٨١ .
(٦) سقط من (م) قوله (أن يأتي) .
(٧) البقرة ٢٥٤ .
(٨) هود ١٠٣ .
(٩) التغابن ٩ .
(١٠) المزمل ١٧ (١)
(١١) في كلا النسختين (ذلك) باسقاط الفاء وهو خلاف الآية .
(١٢) في (م) (ذلك يوم) باسقاط كلمة (يومئذ). (١٣) المدثر ٩-١٠.

فالمراد من اتقائه اتقاء أهواله وما يتفق فيه من نصب الموازين وتطاير الصحائف ومد الصراط على النار وغير ذلك . وهذه تتقى باقامة الوجه للدين القيّم .

((يومئذ يصّدعون (٤٣))) .. أي يوم اذ يأتي ذلك اليوم تتفرق الأمم ، ((فريق في الجنة وفريق في السعير))[١] ، ((ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون))[٢] وتقدم في صدر السورة بيان صفات المتفرقين بقوله[٢] : ((فأما الذين آمنوا)) الآية ، وبقوله : ((وأما الذين كفروا)) فهنا أطلق وفي قوله ((فريق في الجنة)) الآية[١] أجمل . وفي صدر السورة فصّل وقد فصله في مواضع من القرآن ، وهنا ألمّ بحال الفريقين بقوله : ((من كفر فعليه كفره)) هو نحو ((من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها))[٣] .

((ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون (٤٤))) يوطئون منازلهم في الجنة .

((ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنّه لا يحب الكافرين (٤٥))) .. فيعاقبهم بكفرهم ((ولا يرضى لعباده الكفر))[٤] .

وعلّل تعالى الإعادة في يونس بقوله : ((ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون))[٥] .

وعللها في سباء[٦] بقوله : ((ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) الشورى ٧ .
(٢) الروم ١٤ وتقدم تفسيرها ص٥١٤ ـ ٥١٨
(٣) فصلت ٤٦ .
(٤) الزمر ٧ .
(٥) يونس ٤ .
(٦) في كلا النسختين (في فاطر) ولم أجدها إلا في سباء ٤ ـ ٥ .

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا في آياتنا معاجزين / أولئك لهم ١٤٤/أ
عذاب من رجز أليم)) .

وعللها تعالى في مواضع بغير ذلك(١) والكل صحيح ، فالفعل الواحد من أفعاله تعالى له حِكَمٌ لا يحيط بها الا هو .

((ومن آياته)) .. من أدلة قدرته وحكمته ورحمته ((أن يرسل الرياح)) هو عطف على ماسلف من قوله ((ومن آياته أن خلقكم من تراب)) الآيات .(٢) . وذكر في هذه الآية خمس حكم ونعم يرسل بها الرياح الأولى ((مبشرات)) لعباده بالمطر كما تقدم(٣) .

والثانية ((وليذيقكم)) بها ((من رحمته)) وهو المطر الذي ينزله .

والثالثة ((ولتجري الفلك)) في البحار ((بأمره)) باذنه وارادته .

والرابعة ((ولتبتغوا من فضله)) في البر بالحرث وسقى الرياض بما ينزله من السماء من الأمطار ، وفي البحار بالسفر من قطر الى آخر لجلب الأرزاق .

والخامسة ((لعلكم تشكرون (٤٦))) ربكم على هذا الإنعام الذي تقصر عن كنه الإحاطة به الأفهام(٤) .

((ولقد أرسلنا من قبلك)) من قبل وجودك ((رسلا الى قومهم)) كما أرسلناك الى قومك وغيرهم . ولذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

---

(١) قد تختلف ألفاظ الآيات من سورة الى أخرى بحسب ما يقتضيه السياق ، وأما العلة من ذلك اليوم فهي مجازاة كل إنسان على ما قدم لنفسه من خير أو شر وهذا ما يُفهم من كل الآيات التي عللت قيام ذلك اليوم .

(٢) ومر تفسيرها ص٥١٩ - ٥٢٩

(٣) وذلك في ص٧٢٧ - ٧٣٧

(٤) انظر تفسير القرطبي ٤٣/١٤ .

(ما كنت بدعا من الرسل)[1] .

كما أمره الله بقوله : ((قل .))، أي[2] ((فجاؤوهم بالبينات)) فكذبهم قومهم ((فانتقمنا من الذين أجرموا)) .

كما قال [في][3] قوم فرعون ((فلما آسفونا انتقمنا منهم))[4] والانتقام بما قد قصه الله تعالى بكيفيات الانتقام من الاغراق والرجفة والصيحة والخسف وغير ذلك .

((وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٧))) كما قال ((ولينصرنّ الله من ينصره))[5] والنصر عام في الدارين ((إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد))[6] .

واذا كان حقا عليه تعالى نصر المؤمنين فلا يتخلف / الا بذنب ألا تراه ١٤٤/ب يقول لمن أصيب يوم أحد ((أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم[7] مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم))[8]، وقال في ذلك ((ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم)) الآية[9] .

---

(١) ليس هذا حديثا - كما يفهم من كلام المؤلف - بل هو جزء من آية الأحقاف ٩ وفي هذا التعبير ركاكة والصواب أن يقول : ولذا قال لرسوله - صلى الله عليه وسلم - : ((قل ما كنت بدعا من الرسل)) .

(٢) هكذا في النسختين ولعلها تفسيرية لماسبقها من كلام وهو قوله : ((ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم)) أي فجاؤا قومهم بالبينات .. الخ .

(٣) حرف الجر ساقط من (م) .

(٤) الزخرف ٥٥ .

(٥) الحج ٤٠ .

(٦) غافر ٥١ .

(٧) في (ص) (اصبتكم) بزيادة الكاف .

(٨) آل عمران ١٦٥ .

(٩) آل عمران ١٥٢ .

فأخبرهم أنه صدقهم وعده بالنصر لكنهم فشلوا وتنازعوا وعصوا فحينئذ أدال عليهم العدو . فكل إنسان يجاهد في الله باليد أو القلم أو اللسان فان الله ناصره ولا يتخلف وعد الله بنصره الا بذنب يرتكبه أو نيةٍ غير صالحة أو اعجاب بالنفس أو نحو ذلك مما لا يحصى .

ثم ذكر من أدلة التوحيد ومن النعم التي تأتي[1] لعباده ((الله الذي يرسل الرياح)) تقدم قريبا ((ومن [آياته][2] أن يرسل الرياح مبشرات))[3] ، وأتى بلفظ يرسل في ثلاثة[4] مواضع من القرآن في الأعراف ((يرسل الرياح نشرا))[5] . والثانية المذكورة آنفا ، والثالثة التي نحن في شرحها .

وجاء بلفظ الماضي في موضعين في الفرقان ((وهو الذي أرسل الرياح))[6] .
وفي فاطر ((و[7] الله الذي أرسل الرياح[8]))[9] .

---

(١) في (ص) (يأتي) بالياء بدل التاء .
(٢) كلمة (آياته) ساقطة من (م) .
(٣) وذلك في ص ٥٥٢
(٤) بل أربعة مواضع والرابع هو في قوله تعالى ((ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ..)) الآية ٦٣ من سورة النمل .
(٥) الأعراف ٥٧ . وذكرت القراءات الواردة فيها ص ٢٧٢
(٦) الفرقان ٤٨ .
(٧) هذه الواو ساقطة من كلا النسختين .
(٨) فاطر ٩ .
(٩) ولعل الحكمة في تنويع اللفظ ما بين ماض ومضارع . أن ما قبل الآية في سورة الأعراف ذكر الخوف والطمع وهو قوله ((واذعوه خوفا وطمعا)) وهما يكونان في المستقبل لا غير فكان (يرسل) بلفظ المستقبل أشبه بما قبله ، وفي الروم جاء بصيغة المستقبل مرتين : الأولى منهما لموافقة ما قبلها - ومثلها أيضا آية النمل - ، وأماالثانية فجاءت بصيغة الاخبار وهو بالمضارع أبلغ ليفيد الاستمرار .
وأما مجيئه بلفظ الماضي في سورة الفرقان فلأنّ قبله قوله تعالى ((.. كيف مدّ الظل ..)) وبعده قوله ((وهو الذي مرج ..)) ((وهو الذي خلق ..)) ==

قال ابن عباس : الرياح[1] ثمان، أربع رحمة وأربع عذاب ، الرحمة المبشرات والمرسلات واللواقح والرخاء ، والعذاب العاصف والقاصف ، وهما في البحر والعقيم والصرصر وهما في البر .[2]

((فتثير سحابا)) أي تزعجه، وتقدم في النور ((ألم تر أنّ الله يزجي سحابا))[3] يسوقه برفق ((ثم يؤلف بينه)) يضم / بعضه إلى بعض فيجعل القطع ١٤٥/أ المتفرقة قطعة واحدة ((ثم يجعله ركاما)) بعضه فوق بعض ((فترى الودق يخرج من خلاله))* ((فيبسطه في السماء كيف يشاء و[4] يجعله كسفا)) قطعا متفرقة، ولعل هذا مقيد بما في النور ((ثم يؤلف بينه)) يجمع الكسف بعضها الى بعض ((ثم يجعله ركاما)) .

((فترى الودق)) المطر ((يخرج من خلاله)) ويحتمل عدم التقييد وأنه تارة يجمعه تعالى ، وتارة يمطر كل قطعة على انفرادها[5] . والخلال جمع خلل

== فكان الماضي أليق به في هذا الموضع .
وكذلك في فاطر لأنه مبني على أول السورة وهو قوله تعالى ((الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا)) وهما بمعنى الماضي فناسب أن يبني عليه قوله بعد ذلك ((والله الذي أرسل..)) أهـ . بتصرف من بصائر ذوي التميز ٢٠٩/١ .

(١) في (م) من الرياح بزيادة من وهي خلاف ما في الدر المنثور .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٩٧/١ وعزاه الى ابن أبي الدنيا وأبي الشيخ وفي الدر المنثور ذكر المنشرات بدل اللواقح ،
وأورد نحوه ابن كثير في تفسيره ٤٣٧/٣ باسناد ابن أبي حاتم الى عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) النور ٤٣ وتفسير هذه السورة ضمن الجزء المفقود .

(٤) هذه اللفظة غير ظاهرة في (م) وهي في (ص) بالفاء (فيجعله) والآية بالواو كما أثبته .

(٥) انظر الكشاف ٢٠٧/٣ .

(*) عند هذه العلامة انتهت آية النور .

مثل جبل وجبال[1] .

قال كعب : السحاب غربال المطر ولولا السحاب لفسد ما على الأرض[2] .

((فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون (٤٨))) يفرحون بما منّ الله به عليهم من الإغاثة والرحمة كما تقدم قريبا[3] ((واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها))[4] .

قال ابن الجوزي : إنّه قال الأصمعي : سألت أعرابيا عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا ، فطلع ناهضا ، ثم ابتسم وامضا ، فاعتر في الأقطار فأشجاها ، وامتد في الآفاق فغطاها ، ثم ارتجز فهمهم ، ثم ذوى فأظلم ، ثم قطقط فأفرط ، ثم ديّم فأغمط ثم ركد فأشحم ، ثم وبل فسجم ، فجاد وأنعم ، فهمس الربا ، وأمرط الربا سبعا تباعد ، ما يريد انقشاعا ، حتى اذا ارتوى الحروي وتصحصب المنون ، ساقه ربك الى حيث شاء كما خلقه من حيث شاء . أه[5]

((وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله)) إرسال الرياح[6] ، ((لمبلسين (٤٩))) قانطين آيسين عن رحمة الله كما قال : ((وهو الذي

---

(١) البغوي ٣٥٠/٣ ، والكشاف ٧٩/٣ .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٠٠/١ ، وعزاه الى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٩٠ ، والى ابن عساكر ٥١٦/١٣

(٣) ورد هذا الكلام ص ٥٣٩ ولم يتكلم عنه المؤلف بشيء في ذلك الموضع .

(٤) لم اعثر على مكانه فيما اطلعت عليه من مؤلفات ابن الجوزي

(٥) أي أن الضمير في قوله ((من قبله)) يعود على إرسال الرياح المذكور في الآية السابقة . انظر تفسير الرازي ١٣٣/٢٥ .

(٦) لعله أراد بعن في هذا الموضع المرادفة لمن كما في قوله تعالى ((وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة ..)) الآية ٢٥ الشورى ، وكقوله تعالى ((أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ..)) الآية ١٦ الأحقاف .

ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته))[١] . وكما قال في غير ذلك : ((حتى اذا استيأس[٢] / الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا))[٣] . ١٤٥/ب

فهو بحكمته يؤخر الإغاثة والنصر وتفريج[٤] الكرب[٥] حتى يحصل اليأس ليعظم موقع النعمة عند العباد ويشكرونه شكرا يوجب لهم من فضله الازدياد ويتضرع إليه الأنام ويطلبون فضله والإنعام ، فان الله يحب ذلك منهم ، ولذا ذم من لم يتضرع عند حلول البأس ((فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون))[٦] .

((فانظر الى أثر[٧] رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها)) أمر لكل من يصلح للخطاب، أن ينظر أثر الاغاثة ليزداد بالله ايمانا ويقينا ، فانه تعالى انما درّج أرزاق العباد هذا التدريج بإرسال الرياح أولا ثم جمع السحاب ثم ارسال الرحمة ، وهذا الأمر بالنظر والأثر أمر اجمال فسره قوله تعالى : ((فلينظر الانسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا))[٨] .

كل ذلك منه تعالى إقامة لأدلة التوحيد وليتفكر في قدرته ورحمته العبيد[٩]

---

(١) الشورى ٢٨ .
(٢) في (ص) (اتيئس) باسقاط السين الأولى .
(٣) يوسف ١١٠ .
(٤) في النسختين (ويفرج) بالفعل والصواب بالمصدر كما أثبته .
(٥) في (م) (الركب) وهو خطأ ظاهر .
(٦) الأنعام ٤٣ .
(٧) أ ـ هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب .
ب ـ وقرأ الباقون (آثار) بالجمع لتعدد أثر المطر .
الاتحاف ص ٣٤٩ .
(٨) عبس ٢٤ ـ ٣١ .
(٩) انظر ما كتبه الزنداني من تأملات في هذه الآيات وذلك في كتابه توحيد الخالق ٢٩/١ ـ ٥٤ ، وفي كتاب التوحيد ١٣١/٢ ـ ١٣٨

والا فانه كان قادرا[١] أن ينزّل الحب وغيره من السموات العلى من غير واسطة هذه الأشياء ، بل ينزله طعاما مخبوزا[٢] مأدوما لكنه يفوت التدبر والتفكر فيما جعله من الأسباب التي بالنظر فيها يعرف الربّ وكمالَ صفاته أولوا الألباب فلذا أمرهم بالنظر ((انظروا الى ثمره اذا / أثمر وينعه))[٣] ثم تغبر العقول ٩/١٤٦ من معرفة كمال صفاته الى ما أفاده قوله : ((ان ذلك لمحيى الموتى)) بعد هلاكهم ، فانه لا فرق بين احيائه الأرض الميتة واخضرارها [وبين احيائه الموتى][٤] .

((وهو على كل شيء قدير (٥٠))) واحياء الموتى شيء ((الذي خلق الموت والحياة))[٥] ، ((الله خالق كل شيء))[٦] .

((ولئن أرسلنا ريحا)) .. أي لإفساد الثمار، إخبارٌ عن قدرته البديعة أنّه يرسلها لاحياء الثمار ويرسلها لاتلافها ((فرأوه)) أي الزرع وان لم يتقدم ذكره فان السياق دال عليه ((مصفرا)) بعد اخضراره وبهجته ((لظلوا)) صاروا ((من بعده)) بعد اصفراره[٧] ((يكفرون (٥١))) يجحدون نعمة الله تعالى .

وهو نحو قوله : ((وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون))[٨] وهو إخبارٌ عن سرعة جزع العباد عند الابتلاء .

---

(١) في كلا النسختين (قادر) والصواب بالنصب كما أثبته .
(٢) في كلا النسختين (مخبروزا) بزيادة الراء ولا معنى لها .
(٣) الأنعام ٩٩ .
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة مني يقتضيها السياق .
(٥) الملك ٢ .
(٦) الزمر ٦٢ .
(٧) انظر البغوي ٤٨٧/٣ .
(٨) الروم ٣٦ .

((فانك)) يا محمد ((لا تسمع الموتى)) موتى القلوب عن الانتفاع بما يسمعونه ، أي لا تسمعهم سماعا ينفع وهو نظير قوله تعالى في الأنعام ((انما يستجيب الذين يسمعون)) سماع تفهم واعتبار ((والموتى)) أي الكفار سمّاهم [موتى][1] لعدم انتفاعهم بالأسماع ((يبعثهم الله)) الآية[2] ، ونظير قوله : ((ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما يُنذرون))[3] ، وقد سماهم صما في قوله : ((صم[4] بكم عمي فهم لا يعقلون))[5] .

((ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين (٥٢))) .. تقرير وتأكيد لعدم اسماعهم ((وما أنت بهاد [العمي][6] عن ضلالتهم)) اخبار بأنهم لا يبصرون كما أنهم لا يسمعون وأنهم عمي الأبصار ، كما أنهم / موتى عند الإسماع . ١٤٦/ب

((إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٥٣))) هو نظير ((إنّما يستجيب الذين يسمعون)) الآية[2] ، ونظير ((انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب))[7] .

والكل تسلية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن من عماه فهو كالميت والأصم والأعمى .

ثم استدل على التوحيد بدليل الأنفس بعد أن استدل بدليل الآفاق بقوله :

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق .
(٢) الأنعام ٣٦ .
(٣) الأنبياء ٤٥ .
(٤) في كلا النسختين (صم عمي فهم لا يبصرون) ولم أجد آية بهذا النص .
(٥) البقرة ١٧١ .
(٦) كلمة (العمي) ساقطة من (ص) .
(٧) يس ١١ .

((الله الذي يرسل الرياح)) ، وقوله قبلها : ((ومن آياته أن يرسل الرياح)) ، فقال ((الله الذي خلقكم)) أوجدكم من العدم ((من ضعف)) قد علم كل إنسان انه خُلق من ماء مهين وهو في غاية من الضعف ، كما قال تعالى : ((فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب))[١] ، ((ألم يك نطفة من مني تُمنى[٢] ، ثم كان علقة فخلق فسوى))[٣] .

فاذا عرف أنه كان هكذا فمن جعل له عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين[٤] فانه لا يجد له خالقا الا الله . ولذا أقر بذلك كل جاحد وكافر ((أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون))[٥] .

((ثم جعل من بعد ضعف قوة)) لا يزال يقال له رضيع ثم طفل ثم فطيم ثم دارج[٦] ثم حفر ثم يافع ثم شرخ ثم له اسماء يطول تعدادها[٧] باعتبار سنين عمره فما دام بين الثلاثين والأربعين [فهو شاب][٨] .

((ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)) لما تكاملت قواه وجاوز سن الكهولة أخذ في الانتقاص كل حين يرى الضعف / في الأعضاء وفي الحواس والقوى ، ثم ١٤٧/أ

---

(١) الطارق ٥ ـ ٧ .
(٢) أ ـ قرأ الجمهور (تُمنى) بالتاء على أن الضمير للنطفة .
ب ـ وقرأ حفص ويعقوب بالياء (يمنى) باعادة الضمير على مني .
الاتحاف ص ٤٢٨ .
(٣) القيامة ٣٧ ـ ٣٨ .
(٤) يشير الى آية البلد ٨ ـ ١٠ .
(٥) الطور ٣٥ . ولعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير بهذه الآية الى ما حصل للجبير بن مطعم عندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقراؤها في صلاة المغرب . انظر القصة في صحيح البخاري مع الفتح ٦٠٣/٨ كتاب التفسير .
(٦) في (م) (دراج) تقديم وتأخير .
(٧) انظرها في فقه اللغة ص ١١٠ .
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين وأثبته من فقه اللغة ص ١١٠ .

ينقلب شعره المسودّ مبيضا[١] ((صبغة الله))[٢] ومن ذا غيره[٣] يجعل المسود مبيضا سواه[٣] . فاذا عرف أن له قوة بين ضعفين فليغتنم أيام قوته وشبابه قبل وفود ضعفه الآخر .

((يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤))) بعلمه وقدرته دبر الخلق والخلائق وخلق الانسان أطوارا ، كما قال نوح عليه السلام : ((ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا))[٤] . ولذا يقول تعالى : ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))[٥] .

ثم ذكر من إفك المشركين بعد الموت ما أفاده قوله ((ويوم تقوم الساعة)) هي اسم ليوم القيامة ، كما قال ((يسألونك عن الساعة))[٦] . وقال لموسى عليه السلام : ((إنّ الساعة آتيةٌ))[٧] وقيامها هو قيام العباد من القبور ((واذا القبور بعثرت))[٨] فاسناد القيام إليها اسناد الى الزمان أي يقوم الخلق أجمعون للساعة أي لأجلها وفيها .

((يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) يحتمل ما لبثوا في القبور ، ويرشد إليه قول الرادّين عليهم ((لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث)) ، ويحتمل

---

(١) في (م) (بيضا) باسقاط الميم .
(٢) البقرة ١٣٨ .
(٣) هكذا في كلا النسختين ولا يستقيم الكلام إلا بحذف إحدى أداتي الاستثناء .
(٤) نوح ١٣ ـ ١٤ .
(٥) الذاريات ٢١ .
(٦) الأعراف ١٨٧ ، والنازعات ٤٢ .
(٧) طه ١٥ .
(٨) الانفطار ٤ .

في الدنيا[١] كما يرشد [اليه قوله تعالى][٢] ((قال كم[٣] لبثتم في الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم))[٤] ، وقوله : ((يوم[٥] ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، يتخافتون بينهم إنْ لبثتم الا عشرا ، نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة / إنْ لبثتم الا يوما))[٦] ، ((ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم))[٧] . ١٤٧/ب

قال تعالى : ((كذلك كانوا يؤفكون (٥٥))) يصرفون عن الحق والإقرار[٨] بالبعث في دار الدنيا فهم بها[٩] كاذبون في الآخرة ، كما قالوا ((والله ربنا ما كنا مشركين))[١٠] .

((وقال الذين أوتوا العلم والإيمان)) من كل مؤمن عالم من الملائكة والإنس والجن ((لقد لبثتم في كتاب الله)) فيما كتبه وسبق به علمه ((الى يوم البعث)) الذي وعد الله به في قوله ((ثم إنكم يوم القيامة تبعثون))[١١] ، وقوله :

---

(١) وهو الراجح واكتفى به ابن كثير ٤٤٠/٣ ، والبغوي ٤٨٨/٣ ، والشنقيطي ٤٨٥/٢

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة على النسختين وهي مما يقتضيه السياق .

(٣) في (م) (قال لقد لبثتم) وهو خلاف الآية .

(٤) المؤمنون ١١٢ ـ ١١٣ .

(٥) في كلا النسختين (ويوم) بزيادة الواو وهي ليست من الآية .

(٦) طه ١٠٢ ـ ١٠٤ .

(٧) يونس ٤٥ .

(٨) في (م) (وقرار) ولا معنى له .

(٩) الضمير يعود إلى الأيمان التي يحلفونها في الآخرة الدال عليها قوله تعالى : ((يقسم المجرمون)) فيصبح تقدير الكلام (فهم بها ـ أي بأيمانهم ـ في الآخرة كاذبون ... الخ) .

(١٠) الأنعام ٢٣ .

(١١) المؤمنون ١٦ .

((واذا القبور بعثرت))[١] ، وقوله : ((يوم يخرجون من الأجداث))[٢] .

((فهذا يوم البعث ولكنّكم كنتم لا تعلمون (٥٦))) .. أي لا تعلمونه علم يقين ولا تصدقون بل كنتم تقولون ((ما يهلكنا الا الدهر))[٣] وتقولون ((أئذا ضللنا في الأرض إنّا[٤] لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون))[٥] ،((واذا قيل إنّ وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين))[٦] .

((فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم)) . قال تعالى : ((هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذون لهم فيعتذرون))[٧] فيحتمل هنا أنه نفى للمقيد وأنه لا معذرة ولا نفع . ويحتمل أن في موقف يعتذرون ويؤذن لهم

وفي / آخر ((لا ينطقون))[٨] ((ولا هم يستعتبون (٥٧))) لا يطلب منهم العتبى وهو الرجوع الى ما يرضاه . ١٤٨/أ

((ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل)) .. قد كرر تعالى في كتابه ضرب الأمثال ، وقال : ((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها

---

(١) الانفطار ٤ .
(٢) المعارج ٤٣ .
(٣) الجاثية ٢٤ .
(٤) أ ـ قرأ نافع والكسائي ويعقوب (أئذا .. إنّا) بالاستفهام في الاول والإخبار في الثاني .
ب ـ وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأولى والاستفهام في الثاني (اذا ... ائنا)) .
جـ ـ وقرأ الباقون بالاستفهام في كلا الموضعين (أئذا .. أئنا)) الاتحاف ص ٣٥١
(٥) السجدة ١٠ .
(٦) الجاثية ٣٢ .
(٧) المرسلات ٣٥ ـ ٣٦ .
(٨) انظر ما نقلته عن الشنقيطي رحمه الله تعالى ص ٣٢٥ فقرة (٨)

العالمون))[1] كل ذلك مبالغة منه تعالى في ارشاد [هم][2] وجذبهم الى سبيل الرشاد .[3] .

((ولئن جئتهم بآية)) مما اقترحوه من الآيات كقولهم ((لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب)) الآية[4] .. وغير ذلك من اقتراحاتهم الباطلة .

((ليقولنّ الذين كفروا إنْ أنتم الا مبطلون (٥٨))) ما محمد ومن تبعه الا أصحاب أباطيل ، وناهيك من ضلالهم أنّه تعالى قال : ((ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون،لقالوا إنّما سُكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون))[6] .

((كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (٥٩))) لماأخبر تعالى عن جناياتهم على أنفسهم بتكذيبهم الرسل والتكذيب بالبعث واتخاذ الأنداد وغير ذلك أخبر أن كل ذلك لأنه طُبع على قلوبهم وهو الختم عليها في قوله : ((ختم الله

---

(١) العنكبوت ٤٣ .
(٢) ضمير الجمع ليس في النسختين وهو مما يقتضيه السياق .
(٣) الأولى أن يقول : مبالغة منه في إقامة الحجة عليهم،وبيان سبيل الرشاد لهم وأما أن يقال أنه بالغ في ارشادهم وجذبهم فهذا خلاف الأولى ، اذ لو شاء ارشادهم لأرشدهم كما قال تعالى : ((ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ..)) الآية ٣٥ الأنعام .
وقال تعالى : ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ...)) الآية ١٣ السجدة .
(٤) الاسراء ٩٠ ـ ٩١ .
(٥) في كلا النسختين (ولئن فتحنا) ونص الآية ((ولو)) كما أثبته .
(٦) الحجر ١٤ ـ ١٥ .

على قلوبهم))[١] وهي القلوب التي قلبّها تعالى ، كما قال (([و][٢] نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة))[٣] ، وهي القلوب التي لا تعقل ، كما قال ((أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها))[٤] وهي القلوب العمي / التي قال فيها : ((فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور))[٥] ١٤٨/ب وهي القلوب التي عليها الأقفال ، كما قال ((أم على قلوب أقفالها))[٦] ، وهي القلوب القاسية التي قال فيها ((فويل للقاسية قلوبهم من[٧] ذكر الله أولئك في ضلال مبين))[٨].

وهي عكس القلوب التي تلين لذكر الله المرادة من قوله ((ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله))[٩].

وعكس القلوب التي تطمئن بذكر الله ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب))[١٠].

وقسّم تعالى القلوب في سورة الحج إلى ثلاثة: قلوب مرضى، وقلوب قاسية -وهي الميتة-، وقلوب حية صحيحة فقال : ((ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض)) أي شك ونفاق ((والقاسية قلوبُهم)) المشركون[١١] الذين لا يقبلون الحق ، فهذا قلبان ، وقال في الثالث : ((وليعلم الذين

(١) البقرة ٧ .
(٢) هذه الواو ساقطة من (م) .
(٣) الأنعام ١١٠ .
(٤) الحج ٤٦ .
(٥) الحج ٤٦ .
(٦) محمد ٢٤ .
(٧) في (ص) (عن ذكر الله) ونص الآية ((من ذكر الله)) كما أثبته .
(٨) الزمر ٢٢ .
(٩) الزمر ٢٣ .
(١٠) الرعد ٢٨ .
(١١) تفسير البغوي ٢٩٤/٣ ، والكشاف ٣٧/٣ .

أُوتوا العلم أنّه الحق من ربك[1] [فيؤمنوا به][2] فتخبت له قلوبهم))[3] فهذا القلب الحي الذي أحياه الله بالعلم النافع .

واعلم أن الله لا يطبع على قلب إلا عقوبة لامتناعه عن اتباع الحق بعد العلم كما أبانه قوله : ((ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة))[4] ، فانهم لما جاءتهم الرسل بالبينات وعلموا أنهم على الحق كما قررناه مرارا[5] وألفنا فيه رسالة مستقلة فحين عاندوا وجحدوا / الحق وقد استيقنت[6] أنفسهم ١٤٩/أ استحقوا العقوبة بالطبع والختم على قلوبهم .

ولذا يقول تعالى : ((وما يضل به الا الفاسقين))[7] .. أي الذين تمردوا وخرجوا عن طاعة رسله ، بقوله[8] هنا ((الذين لا يعلمون)) أي علما يتفرع عنه الإنقياد والعمل والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم،لا أنه لا علم عندهم أصلا ، فانه لو كان كذلك لما قامت عليهم حجة ولا استحقوا الطبع فـ((إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون))[9] .

((فاصبر)) أمر لرسوله بالصبر ((إنّ وعد الله حق)) وقد وعده بالنصر ، ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين))[10] . وتقدم إخباره في أول السورة أن ينصر

---

(١) في (ص) (من ربهم) بالغيبة ونص الآية ((من ربك)) بالخطاب .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من كلا النسختين .
(٣) الحج ٥٤ .
(٤) الانعام ١١٠ .
(٥) انظر ما قاله ص١٦٧-١٦٩ ولعله أراد بالرسالة إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة فانظر ما ذكره فيها ص١٧٢-١٧٤
(٦) هكذا في كلا النسختين وصوابه (استيقنته)) باثبات الضمير .
(٧) البقرة ٢٦ .
(٨) هكذا في النسختين ولعل صوابها (فقوله) بالفاء .
(٩) يونس ٤٤ .
(١٠) الروم ٤٧ ومر تفسيرها ص٥٥٣-٥٥٤

الروم على فارس بعد بضع سنين ، وكان كما وعد ، ولذا قال ((وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) . وقد افتتح السورة بصدق وعده وعدم خلفه وختمها بحقيّة وعده .

((ولا يستخفنّك)) أي يحملك على الخفة والجزع والقلق اذا تأخر النصر ((الذين لا يوقنون (٦٠))) بصدق وعد الله فإنّهم الذين قالوا ((ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا))[1] . والمؤمنون هم القائلون ((هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما))[2] .

---

(١) الأحزاب ١٢ .
(٢) الأحزاب ٢٢ .

الفهارس

١ـ فهرس الأحاديث

٢ـ فهرس الآثار

٣ـ فهرس الأبيات الشعرية

٤ـ فهرس الأعلام

٥ـ فهرس مراجع المؤلف رحمه الله تعالى

٦ـ ثبت مراجع التحقيق

٧ـ فهرس الموضوعات

" فهرس الأحاديث "

الأحاديث القدسيـــة :

الحديـــث	الصفحـة
(اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)	٤٢٤
(خلقت عبادي حنفاء ...)	٥٣٢-٥٣٤
(من ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي ...)	٤٨١

" الأحاديث القوليـة "

الحديـــث	الصفحة
(... ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ...)	١٧٦
(... ابني هذا سيد ...)	٤٠٩
(... اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ...)	١٩
(... واذا وعد أخلف ...)	٣٤٢
(... الأرواح جنود مجندة ...)	٢١٥
(... افترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة ..)	٥٣٧
(.. أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة ...)	٤١٤
(... اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ...)	٣٩٠
(... اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ...)	٥٥
(... اللهم هؤلاء أهل بيتي ...)	٤١٠
(أما انها ستكون فتنة ...)	١٥٧
(... أنا سيد ولد آدم ...)	٢١٠
(... أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان..)	٤١١

الحديـــــث	الصفحة
(... إنّ الارض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عُمل ..)	٢٢٨
(... إنّ الحور يغنين في الجنة ...)	٥١٦
(... إنّ الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات ..)	٣٢٠
(... إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه ...)	١٦٨
(... إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ..)	٤٠٨
(... إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك ...)	٣٦٦
(...! إنّ الله تجاوز عن هذه الأمة ما حدثت به ..)	٣٠٩
(... إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار)	٤٢٥
(... إنّ أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ..)	٣٢١
(.. إنّ عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ...)	٢١٥
(... إنّ في الجنة شجرة جذوعها من ذهب ...)	٥١٦
(... إنّ في الجنة لغرفا ...)	٣١٣-٤٩٤
(... إنّ في الجنة لمجتمعا للحور العين ...)	٥١٥
(إنّك على علم علّمك الله لا أعلمه ...)	٢٠٧
(... فإنّ لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ..)	٤٢٨
(... إنّما الطاعة في المعروف ...)	٤٤٩
(... إنّ نبيا من الأنبياء عليه السلام قرصه نملة ...)	٢٢٤
(... إنّها - أي ساعة الاجابة - ما بين صلاة العصر ,,)	٤١٣
(... إنّهم - أي الكهان - ليسوا بشيء ..)	١٨٣
(... إنّه يستعمل عليكم امراء فتعرفون وتنكرون ..)	٤٧١
(... إنّه يشمل كل عبد صالح في السماء والأرض ..)	١٠٢
(... إنّي أراك ضعيفا ...)	٣٤٨

الحديـــث	الصفحة
(... إنّي تارك فيكم كتاب الله وعترتي ...)	٤١٠
(... إنّي لأخشاكم لله ...)	١٠١-٢٠٦
(... إنّي لأعرف حجرا بمكة ...)	٢٢٥
(... إنّ يوم النحر ويوم عرفة وأيام التشريف هن ..)	٤١٢
(... أو مخرجي هم ؟ ..)	٤٩٢
(... ألا احتطت يا أبا بكر ، فان البضع ما بيـــن الثلاث إلى التسع) . اشار إلى معناه ولم يورد لفظه	٥٠٨
(... ألا أخبركم بغرق الجنة ...)	٤٩٥
(... ألا إنّي أُوتيت القرآن ومثله معه ...)	٥٤
(... أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ..)	٤١٢
(... أين ابنائي ...؟)	٤٠٩
(... بعث الشيطان بعوثه ينظرون ما حدث ..)	١٧٤
(... تحفظوا من الأرض فإنّها أمكم ..)	٢٢٨
(... تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ..)	٣١٩-٣٢١
(... تدرون ما أخبارها ؟ ...)	٢٢٨
(... ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها ..)	٣٢٠
(.. ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ...) اشار إليه ولم يورد لفظه .	٣٧٨
(... خذ من كل حالم دينارا ...)	٢٠
(... خيركم من تعلم القرآن وعلمه ...)	١
(... خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ...)	٤١٣
(... ذاك ـ أي شعيب ـ خطيب الأنبياء ...)	١٥٠
(... رحم الله أخي موسى قد لقي أكثر من هذا ..)	٤٤٤

الحديـــث	الصفحة
(... رحم الله من أعان ولده على بره ...)	٤٤٨-٥٠٥
(... رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا ..)	٢٨٤
(... السفر قطعة من العذاب ...)	٤٨٩
(... سنّوا بهم سنة أهل الكتاب ...)	٢٠
(... والشر ليس إليك ...)	٩٨
(... صدق الله وعده ونصر عبده ...)	٣٤٣
(... فاطمة بضعة مني ...)	٤٠٩
(... فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم ..)	٤١٣
(... قليل يؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ..)	٤٢٦
(... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت الـ ...)	١٦٠-٣٦٧
(... كانوا - أي قوم لوط - يخذفون أهل الأرض ...)	٢٥٧ - ٤٦٨
(... كل بني آدم خطاء ...)	١٠١
(... كل مولود يولد على الفطرة ...)	٥٣٢
(... كل بني أنثي ينتمون إلى عصبة أبيهم ...)	٤٠٩
(... الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه ..)	١٨١-١٨٣
(... لله أشد فرحا بتوبة أحدكم ...)	٤٢٥
(... لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ..)	٤٣٣
(... ليس على أهل لا إله إلا الله وحشه ..)	٣٢٦-٣٢٧
(... ما جربنا عليك إلا صدقا ...)	١٨٠
(... ما كان بين عثمان ورقية وبين لوط من مهاجر)	٤٦٣
(.. ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله ..)	٤١٢
(.. ما منكم من أحد إلاّ وله منزلتان ..)	١٠٣

الحديـــث	الصفحة
(... ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا ..)	٤١٢
(.. المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ...)	٤١١
(... من أتى عرّافا أو كاهنا ..)	٢٨١
(... من أتى عرّافا فسأله عن شيء ..)	٢٨١
(... من أتى كاهنا فسأله عن شيء ..)	٢٨١
(.. من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه ..)	٣٩٠
(.. فمن أعطاها مؤتجرا بها ..)	٥٤١ ـ ٥٤٢
(.. من تعارمن الليل فقال لا إله إلاّ الله وحده ..)	١٧٩-١٨٠
(.. من رأى منكرا فليغيّره ..)	١٤٤
(.. من سن سنة شيئة كان عليه وزرها ووزر من ..)	٤٥٣
(.. من قرأ حرفا من كتاب الله ...)	١٤
(... من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ..)	٢٣٩
(... نحن معاشر الأنبياء لا نورث ..)	٢٠٩
(.. النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ..)	٣٠٩
(... نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ..)	٣٩٠
(.. نعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ..)	١٠٤
(.. هذان ابناي وابنا ابنتي ..)	٤٠٩
(.. هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة ..)	٥٣٥
(.. هي قول لا إله إلاّ الله ..)	٣٢٨
(.. هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تُقضى الصلاة ..)	٤١٣
(.. لا أحد أحب إليه العذر من الله ..)	١٧١-٢٦١
(.. لا إله إلا الله صدق وعده ..)	٥١١

الحديـــث	الصفحة
(... لا تحزن إنّ الله معنا ..)	٣٩٢
(... لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلّا أن تكونوا ..)	٤٧٢
(.. لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ..)	٣٩٤
(..لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)	٤٤٩
(.. لا هجرة بعد الفتح ..)	٤٩١
(.. لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ..)	١٩ - ٢٠
(... لا يدخل أحد الجنة بعمله ..)	٢٣١
(.. لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ..)	٤٢٤
(.. يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ..)	٣٢٢
(.. يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ..)	٤٠٦
(.. يُدعى نوح يوم القيامة ..)	٤٠٦
(.. يزوّج كل رجل من أهل الجنة أربعة آلاف بكر ..)	٥١٦
(.. يكفّر السنة الماضية والباقية ..)	٤١٢
(.. يلقى إبراهيم أباه آزر ..)	١٠٤-١٠٥

" الأحاديث الفعليـــة "

الحديـــث	الصفحة
ـ (.. أنه صلى الله عليه وسلم زوّج التي وهبت له نفسها بعض فقراء أصحابه ...)	٣٥٠
ـ (.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة كان يحرك به لسانه وشفتيه ..)	١٥٥
ـ (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الإستخارة أشار إليه ولم يورده لا بلفظه ولا بمعناه)	٤١٥
ـ (كانوا يسمعون تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وفي كف أبي بكر رضي الله عنه)	٢٢٧

" فهـرس الآثـار "

الأثـــر	القائـــل	الصفحة
إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر	مالك بن دينار	٥١٧
إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين	محمد بن المنكدر	٥١٧
اسم هدهد سليمان عنبر	الحسن البصري	٢٣٣
أصحاب الأيكة أصحاب شجر وأصحاب الرس	قتادة	١٤٦
الأفّاك : الكذاب ، وهم الكهنة ...	قتادة	١٨٢
أناس من أهل الكتاب أسلموا فكان الناس ...	مجاهد	٣٨٢
إنّ الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون ...	ابن عباس	٥١٨
إنّ الذي أمر الله إبراهيم بذبحه	محمد بن كعب	٤٦٥
إنّ أهل مدين عُذبوا بثلاثة أصناف من	محمد بن كعب القرظي	١٥٢ ، ١٥٣
إنّ سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بُعد الماء	ابن عباس	٢٣٢
إنّ عمر بن عبدالعزيز أرسل الى رجل	محمد بن كعب	٤٦٥
إنّ في الجنة نهرا طول الجنة حافتاه	أبو هريرة	٥١٦
إنّ قارون لما فُرضت الزكاة وطلبت منه ...	ابن عباس	٤٣٣ ـ ٤٣٤
إنّ للدابة عنقا مشرفا يراها من بالمشرق ...	ابن عباس	٣١٩
إنّ موسى عليه السلام سأل الله أن يريه ...	الحسن	٣١٧
إنّ ناسا من قريش قالوا : إنّ نتبعك	ابن عباس	٣٨٧
أنّ نوحا بعث في الألف الثانية وأنّ آدم ...	ابن عباس	١١٨
أنّها ـ أي الدابة ـ تستقبل المشرق	ابن عمر	٣١٩
أنّها ـ أي ملكة سبأ ـ قالت لقومها	ابن عباس وغيره	٢٤٠
أنّها لما نزلت ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ...)) فخر مؤمنوا أهل الكتاب	مقاتل بن حيّان	٣٨٠

الأثـــر	القائـــل	الصفحة
أنّ هرقل قال لأبي سفيان حين استفصله	أبو سفيان	١١٩
أنّه كان يقرأ ساحران تظاهرا قال :	سعيد بن جبير	٣٧٠
أنّهم ـ أي الصحابة ـ كانوا يدخلون	أنس بن مالك	١٧٧
أوّل من هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه ...	ابن عباس	٤٦٣
بعث ـ أي النجاشي ـ من خير أصحابه إلى ..	سعيد بن جبير	٣٧٧
بلغنا أنّ سليمان عليه السلام كان	محمد بن كعب	٢١٢
بلغني أنّه ليس من خلق الله أحسن	الأوزاعي	٥١٧
تخرج الدابة حضر الفرس الجواد ثلاثا	علي رضي الله عنه	٣١٨
تخرج الدابة عند عدم الأمر بالمعروف	ابن عمر	٣١٧
تخرج الدابة من جياد	عبدالله بن عمـــرو	٣١٨
تخرج دابة الأرض ولها ثلاث خرجات	ابن عباس وحذيفة بن أسيد الغفاري	٣٢٠
تهاجا رجلان على عهد رسول الله	ابن عباس	١٨٣
الحبرة:اللذة والسماع	ابن أبي كثير	٥١٥
الحمد لله الذي قال والكافرون هم	عطاء بن دينار	١٨٧
خرجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم ...	ابن عمر	٤٩٧
خرج عشرة رهط من أهل الكتاب	علي بن رفاعة	٣٧٧
خرج على قومه في أربعة آلاف عليهم	عطاء الخراساني	٤٣٢
خرج ـ أي قارون ـ في تسعين ألفا عليهم ...	زيد بن أسلم	٤٣٢
الدابة ذات وبر وريش ...	عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عباس	٣١٩
دعا الذي عنده علم من الكتاب	الزهري	٢٤٤
ولذكر الله إيّاكم أكبر من ذكركم إيّاه .	ابن عباس وغيره	٤٨١

الأثـــر	القائـــل	الصفحة
ذُكر لنا أنّ سليمان أراد أن يأخذ	قتادة	٢٣٢
رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن	ابن أبي مليكة	٥٥
الرياح ثمان،أربع رحمة،وأربع عذاب ...	ابن عباس	٥٥٥
السحاب غربال المطر	كعب	٥٥٦
سليم من الشرك ليس فيه شك في الحق	مجاهد	١٠٦
شهادة أنْ لا إله الا الله	ابن عباس	١٠٦
الصرح بركة ماء ضرب عليها سليمان ...	مجاهد	٢٤٩
العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا	مجاهد	٤٢٧
فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ..	سلمان الفارسي	٣٦٧
قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان ...	سعيد بن جبير	٢٤٥
قال سليمان بن داود لبني إسرائيل	يحي بن أبي كثير	٢١٣
قال موسى لفرعون،يا فرعون هل لك	السدي	٩٠
قضى أكثرهما وأطيبهما	ابن عباس	٣٦٩
قوم لوط ائتفكت بهم الأرض	عكرمة	٢٥٤
كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث	قتادة	٣٨٧
كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة ...	قتادة	٣٦٧
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله ..	الضحاك	٣٦٧
كانت الفترة بين عيسى ومحمد خمسمائة	الكلبي	٣٦٧
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله ..	قتادة	٣٦٧
كان داود أُعطى ثلاثا	قتادة	٢٠٨
كان داود يقضي بين البهائم يوما	أبو الدرداء	٢١١-٢١٢
كان الرجل في خلقه ثمانين باعا	ابن عباس	١٢٧

الأثـــر	القائـــل	الصفحة
كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات ...	ابن مسعود	٥٤
كان الصرح من زجاج وجعل فيه تماثيل ...	أبو صالح	٢٥٠
كان طول الرجل من عاد ستين ذراعا	وهب	١٢٧
كان على كل صنف من جنوده - أي سليمان - ..	قتادة	٢١٥
كان من شأن فرعون أنّه رأى رؤيا	قتادة	٣٣٦
كان نُعت له - أي سليمان - خلقها	السدي	٢٤٩-٢٥٠
كان يجامع بعضهم بعضا في المجالس	مجاهد	٢٥٨-٢٥٩
كان يقال سليم من الشرك	قتادة	١٠٦
كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر	ابن عباس	٨٨
كانوا - أي قوم لوط - يعملون الفاحشة ...	قتادة	٢٥٩
كتب أبي في وصيته سطرين	عائشة	١٨٧
كل شيء يأكل بقيه إلا ابن آدم	ابن عباس	٢٩٥
كنا نتحدث أنّها نزلت في أناس من أهل ...	قتادة	٣٧٨
لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن	السدي	٣٥٨
لم يجر عرش صاحبة سباء	ابن عباس	٢٤٥
لما أتى جعفر وأصحابه النجاشي	سعيد بن جبير	٣٨١
لما دخلت - أي بلقيس - وقد غُيِّر	السدي	٢٤٧
لما قطع موسى البحر عطف ليضربه	قتادة	٨٨
لمّا نزلت ((والشعراء .. الآية)) جاء	أبو الحسن سالم البراد	١٨٦
لما نزلت ((والشعراء يتبعهم الغاوون)) قال ...	عروة	١٨٥
ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها بشيء	قتادة	٥٦
المجوس عبدة الشمس والقمر والنيران .	قتادة	٥٠٨

الأثـــر	القائـل	الصفحة
مر سليمان بن داود وهو في ملكه قد ...	وهب بن منبه	٢١٣
المفدى إسماعيل وزعمت اليهود أنّه	ابن عباس	٤٦٤
نزلت ((ولقد وصلّنا لهم القول لعلهم ...	رفاعة القرظي	٣٧٥
نعم ترجمان القرآن ابن عباس .	ابن مسعود	٥٥
هم رسل النجاشي الذين أرسلهم بإسلامه	سعيد بن جبير	٣٧٧
هو ـ أي المثل الأعلى ـ أنّه ليس كمثله ...	ابن عباس	٥٣٠
هي ـ أي المثل الأعلى ـ شهادة	قتادة	٥٣٠
والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة ...	ابن مسعود	٥٥
ورثه نبوته وملكه وعلمه	قتادة	٢٠٩
يا داود إنّ لكل كتاب سر وإنّ سر هذا ...	الشعبي	٧١

" فهرس الأبيات الشعرية "

صدر البيت	قافيته	القائل	الصفحة
إذا كان حبي أحمدا	ذا ذنب	الصنعاني	١٨
إذا خاف الخليل	نوح	ابن الوزير	٣٩٣
شكرا لربي	حمدا	الصنعاني	٢٧
أولوا العزم	محمد	.....	١١٤
والكل إخوان	ومهتدي	ابن الوزير	١٨
سلام على نجد	لا يجدي	الصنعاني	٢٣
رجعت عن النظم	عندي	الصنعاني	٢٥
إن كنت لا تسمع	البصر	ابن حيّان الأندلسي	٣١٦
كل عمير	والقصير	.....	١٧١
سماعا عباد الله	النواظر	الصنعاني	٢١
وبلدة	العيس	عامر بن الحرث	٣٦، ٢٨١
ولولا	نفسي	الخنساء	٤٤٣
لعمرك	صانع	لبيد بن ربيعة	٢٨٢
احذرا لسانك	بالمنطق	.....	٩٠
لم يمنع الشرب	أو قال	أبو قيس بن رفاعة	٢١٠
أعلى الممالك	كالقبل	المتنبي	٣٠٠
إذا دنت المنازل	الخيام	.....	١٠٧
إلى الأشراف	الحرام	الصنعاني	٢٦
سمعنا بالصديق	الأنام	.....	١١٢
والله لولا الله	ولا صلينا	عبدالله بن رواحة	٨٩

تابع : فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	قافيته	القائل	الصفحة
ألا لايجهلن	الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	٣٨٣
لا يسأل الملكان	عدنان	الصنعاني	١٩
وأين يفر المرء	المراجلا	.....	٤٤٥

" فهرس الأعلام "

م٠	الكنيـــة	الاســـم	الصفحـــة
١		آدم عليه السلام (١)	٨٥-١٠٠-١١٣-١٩٨-٢٠٧-٢٥٠-٢٩٤- ٣٠٦-٣٤٥-٣٩٣-٤٠٨-٥٢٠
٢		آزر	٩٢-١٠٥-١٧٦
٣	امرأة فرعون	آسيا بنت مزاحم	٣٣٦-٣٤٠
٤		آصف بن برخيا	٢٤٤
٥		الدكتوره / ابتسام مرهون الصفـار	٤٤
٦		إبراهيم الخليل عليه السلام	٧٩-٨٦-٩٢-٩٣-٩٥-٩٧-٩٨-١٠٠- ١٠١-١٠٣-١٠٥-١٠٦-١٠٨-١١٤ - ١٢٦-١٣٨-١٤٢-١٤٣-١٥٩-١٦١- ١٧٦-١٧٨-١٩٤-٢٠٦-٢٣٢-٢٣٦- ٢٦٥-٢٦٨-٢٧٠-٣٠٦-٣٣٢-٣٤٦- ٣٥٨-٣٦٨-٣٨٦-٣٨٨-٣٨٩-٣٩١- ٣٩٣-٤٠١-٤٠٨-٤١١-٤٥٥-٤٥٤- ٤٥٦-٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٦- ٤٦٩-٤٧٢-٤٧٦-٤٨٢-٤٨٤-٤٩٠- ٥٠٦-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٥-٥٤٥-٥٤٦- ٥٤٧
٧		إبراهيم بن محمد الأمير	٢-٨-١٤-١٥-٢٤-٣١ (ت)* - ٣٢ - ٣٣-٣٧-٣٩-٤١-٤٣-٤٤
٨	النظّام	إبراهيم بن يسار	٢٢٦ (ت)
٩	ابن الحاطب	ابن [illegible]	٥٣٥
١٠	أبو قيس بن رفاعة		٢١٠
١١	أبو مالك الأشعري (١)		٤٩٤

(١) هذه الكنية تطلق على ثلاثة من الصحابة فلا أعلم أيهم المراد بها .

* - حرف التاء الموجود بين القوسين يشير إلى أن ذلك العلم قد ترجم له في الصفحة التي يلي هذا الحرف مباشرة .

م٠	الكنيـة	الاســـم	الصفحـة
١٢		أبيّ بن خلف	٥٠٩ ، ٥١٠
١٣		أبيّ بن كعب	٣٩٦
١٤	الثعلبي	أحمد بن ابراهيم	٦٥ ، ٣٢٣
١٥	المتنبي	أحمد بن الحسين بن الحسن	٤٩١
١٦	البيهقي	أحمد بن الحسين بن علي	١٠٣ ، ٢٢٨ ، ٤٢٦ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٥٣٥ ، ٥٥٦
١٧	النسائي	أحمد بن شعيب	١٠٤ ، ٢٢٨ ، ٣٨٧
١٨		أحمد بن صالح بن أبي الرجال	١١
١٩	ابن تيمية	أحمد بن عبد الحليم	٣٥ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٤٦٥
٢٠	الشيرازي	أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد	٥٣٥
٢١		أحمد بن عبد الرزاق الرقيحي	١٣
٢٢	أبو نعيم الأصبهاني	أحمد عبد الله أحمد	٥١٦ ، ٥٣٥
٢٣	ابن حجر العسقلاني	أحمد بن علي بن حجر	٣٢٣ ، ٤١٣ ، ٤٢٥
٢٤	المقريزي	أحمد بن علي -	٦٩ ، ٨١
٢٥	أمير تعز	أحمد بن القاسم بن الحسين	٢٢
٢٦	ابن السني	أحمد بن محمد بن إسحاق	٤٨١
٢٧	النحاس	أحمد بن محمد بن إسماعيل	٥١٣ ، ٥٣٤
٢٨	ابن حنبل	أحمد بن محمد بن حنبل	١٩ ، ٦٤ ، ٢٢٨ ، ٢٨١ ، ٤٩٣
٢٩		أحمد محمد شاكر	٦٨، ٣٢١
٣٠		أحمد محمد العليمي	٩ ، ٥١
٣١		أحمد بن محمد بن قاطن	١١ ، ١٩
٣٢	الأسكندري	أحمد بن محمد بن منصور	١١٢

م٠	الكنيـــة	الاســـم	الصفحـــة
٣٣	ابن مردوية	أحمد بن موسى	١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٥٣٥
٣٤	السمين	أحمد بن يوسف بن عبد الدائم	٣٨
٣٥		الأخنس بن شريق	١٨١ (ت)
٣٦		إسحاق عليه السلام	٢٠٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٨٤
٣٧		إسرافيل عليه السلام	٤٠٧ ، ٥١٧
٣٨		إسماعيل عليه السلام	١٠١ ، ١٢٦ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٣٤٣ ، ٣٦٧ ، ٤٠٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤
٣٩	ا...	إسماعيل باشا البغدادي	٣٨ ، ٤١
٤٠		إسماعيل بن صلاح الأمير	١٥
٤١	السدي	إسماعيل بن عبد الرحمن	٩٠ (ت) ، ١٨١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨
٤٢	ابن كثير	إسماعيل بن عمر	٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٨٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٩ ، ٤٧٤ ، ٥٥٥
٤٣	النجاشي	أصحمة ملك الحبشة	٣٧٧ ، ٣٨١
٤٤	...	إلياس	٣٥٩
٤٥		أنس بن مالك	٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٥١٦
٤٦		أوس بن أوس الثقفي	٤٣٢
٤٧		أيوب عليه السلام	٦٩ ، ٩٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠١
		(ب)	
٤٨	أبو صالح ، مولى أم هانئ	باذام	٢٥٠
٤٩		البراء بن عازب	٣٢٢ ، ٣٢٤

م٠	الكنية أو اللقب	الاســـم	الصفحـة
٥٠		بلقيس	٦٨ ، ٦٩ ، ٢١٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٦ ، ٤٣٠
٥١		بلال بن رباح	٤٥١
		ت	
٥٢	الخنساء	تماضر بنت عمرو بن الشريد	٤٤٣
		ث	
٥٣		ثعلبة بن أبي حاطب	٤٢٥
٥٤		ثعلبة بن حاطب	٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
٥٥		ثمود	١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥٠٦ ، ٥١٢
		ج	
٥٦		جابر بن عبد الله	٣٢٨ ، ٤٩٤
٥٧		جبريل عليه السلام	١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٤٤ ، ٤٠٧ ، ٤٧٤
٥٨		الجبير بن مطعم	٥٦٠
٥٩		جد بن قيس	٤٢٥
٦٠		جعفر بن أبي طالب	٣٨١
٦١	أبو بكر الفريابي	جعفر بن محمد	٢٣٣ ، ٢٥٨ ، ٤٢٧ ، ٥١٦
٦٢	أبو ذر	جندب بن جنادة	٣٤٨
٦٣		جندع بن عمرو	١٣٥
		ح	
٦٤		الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف	٣٨٦ ، ٣٨٧
٦٥		حاطب بن أبي بلتعة	٤٢٤ ، ٤٢٥
٦٦		حام بن نوح	٥٢٢
٦٧		حذيفة بن اليمان	٣٢٩
٦٨		حسان بن ثابت	٦٧ ، ١٨٦٢

م	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
٦٩		الحسن بن إسحاق بن المهدي	١١
٧٠		الحسن بن علي	٤٠٩
٧١	البصري	الحسن بن يسار	٥٦ ، ١٣٢ ، ١٦٦ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٤٢٧
٧٢		الحسين بن علي	٤٠٩
٧٣	المنصور بالله	الحسين بن القاسم بن حسين	٢٢
٧٤	البغوي	الحسين بن مسعود	٣٨
٧٥	أم المؤمنين	حفصت بنت عمر رضي الله عنهما	٢٤٩
٧٦		حنظلة بن عبيد الله السدوسي	٣٢٣ (ت)
		خ	
٧٧		الخضر عليه السلام	٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٤٤ ، ٤٢٩
٧٨		خير الدين بن محمود الزركلي	٨ ، ٣١
		د	
٧٩		داود عليه السلام	٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٧٤ ، ٤٣٠ ، ٥١٧ ، ٥١٨
٨٠	ابن أبي هند	داود بن دينار	٧٠١
		ذ	
٨١	ذو القرنين		٢٤١ ، ٥١٠
٨٢	ذو النون أو ذو النور		٢٤٤
		ر	
٨٣	ربيعة بن عمر	ربيعة بن عمرو الجرشي	٢٢٨
٨٤		رفاعة بن قرظة القرظي	٣٧٥ ، ٣٧٧ (ت)
٨٥	أبو العالية	رُفَيع بن مِهْران	٥٠٢
٨٦		رقيّة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٦٣
٨٧		رمزي نعناعة	٦٨
		ز	
٨٨		زكريا عليه السلام	١٢٦ ، ٢٦٧ ، ٣٠٧ ، ٣٦٤

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	المفحة
٨٩	ز	زهير بن محمد	٢٤٨ (ت) ، ٣٢٣
٩٠		زيد بن أسلم	٤٣٢
٩١		زيد بن ثابت	٤٦٣
٩٢		زيد بن محمد بن الحسن	١١
٩٣		سارة زوج إبراهيم عليه السلام	٤٦٥
٩٤	أبو الحسن	سالم البراد	١٨٥ (ت)
٩٥		سام بن نوح	٥٢٢
٩٦		السامري	٤٢٣
٩٧	أبو سعيد الخدري	سعد بن مالك	٤٠٦
٩٨		سعيد بن جبير	٥٦ ، ٢٤٤ ، ٣٣٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٤٨١
٩٩		سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي	٤٩١
١٠٠		سعيد بن المسيب	٥٦
١٠١		سعيد بن منصور	١٠٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥٨
١٠٢		سفيان الثوري	٥٥
١٠٣		سلمان الفارسي	٣٧٨
١٠٤	الطبراني	سليمان بن أحمد بن أيوب	٢٢٨ ، ٢٨١ ، ٤٠٩ ، ٤٢٦ ، ٤٦٣ ، ٤٩٤ ، ٥٣٥
١٠٥	أبو داؤد	سليمان بن الأشعث	١٨٥
١٠٦		سليمان بن داؤد عليه السلام	٣٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ ، ٤٣٠ ، ٣٤٥٠

م٠	الكنية أو اللقب	الاســـم	الصفحــة
١٠٧		سليمان سحمان	٢٤
١٠٨		سهل بن سعد	٤٣٣
		ش	
١٠٩		شعيب عليه السلام	١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ٢٤٢ ، ٣٠٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٥٠٦
١١٠	الديلمي	شيرويه بن شهردار	٤٨١
		ص	
١١١	صاحب مصر	ملك مصر في زمن يوسف عليه السلام	٢٣٩
١١٢		صالح عليه السلام	١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ٢٠٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٤٦٤
		ط	
١١٣	المقبلي	صالح مهدي	٣٨
١١٤	أبوسفيان	صخر بن حرب بن أمية	١١٩
١١٥		صفوان بن عسال	٣٢٨
١١٦		صلاح بن الحسين الأخفشي	١١
		ض	
١١٧		الضحاك بن مزاحم	[illegible] ، ٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٩٥ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
		ع	
١١٨	أم المؤمنين	عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما	١٨٢ ، ١٨٧ ، ٥٣٥
١١٩		عاد	٦٩ ، ١٢٣ ، ٣٣٠ ، ١٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥٠٦
١٢٠	الشعبي	عامر بن شراحيل	٧١ ، ٢٠٠
١٢١		عامر بن يساف	٥١٥ (ت)
١٢٢	المهدي لدين الله	العباس بن الحسين بن القاسم	٢٢

م	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
١٢٣		عبد بن حميد	٨٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٤٦٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٨
١٢٤		القاضي عبد الجبار المعتزلي	٥٠٠
١٢٥	السيوطي	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد	٣٨ ، ٧١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧
١٢٦	ابن سابط	عبد الرحمن بن سابط	٢٤٥
١٢٧	أبو هريرة	عبد الرحمن بن صخر	١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٢٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٨ ، ٥١٦
١٢٨		عبد الرحمن طيب بعكر	٩ ، ٣١ ، ٥١
١٢٩	السهيلي	عبد الرحمن بن عبد الله	٢٢٦ (ت)
١٣٠	ابن الجوزي	عبد الرحمن بن علي	٣٨ ، ٥١٣ ، ٥٥٦
١٣١	الأوزاعي	عبد الرحمن بن عمرو	٦٤ ، ٥١٧
١٣٢	ابن أبي حاتم	عبد الرحمن بن محمد	٦٥ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٩٦ ، ٥٠٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
١٣٣		عبد الرحمن النجدي	٢٤
١٣٤		عبد الرزاق بن همام الصنعاني	٨٨ ، ١٠٦ ، ١٨٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ ، ٥٠٨
١٣٥	العز بن عبد السلام	عبد العزيز بن عبد السلام	٣٢
١٣٦		عبد القادر بن أحمد	١١

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
١٣٧		عبدالله بن أبي أوفي	٥١٦
١٣٨		عبدالله بن أحمد بن حنبل	٢١٣ ، ٤٩٣
١٣٩	ابن السماك	عبدالله بن أحمد	٤٩٤ (ت)
١٤٠	النسفي	عبدالله بن أحمدبن محمود	٢١١
١٤١		عبدالله بن رواحة	٦٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٣١
١٤٢		عبدالله بن سلام	٣٧٨ ، ٤١٣
١٤٣		عبدالله شاكر الجنيدي	٩٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ٣٩
١٤٤	ابن عباس	عبدالله بن عباس	٥٥ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٤٩٤ ، ٥١٨ ، ٥٣٠ ، ٥٥٥
١٤٥	ابن أبي مليكة	عبدالله بن عبيدالله -	٥٥
١٤٦	أبو بكر رضي الله عنه	عبدالله بن عثمان	٢٠ ، ٦٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٩٢ ، ٤٢٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٠
١٤٧		عبدالله بن علي الوزير	١١
١٤٨		عبدالله بن عمر رضي الله عنهما	١٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٦
١٤٩	البيضاوي	عبدالله بن عمربن محمد	٣٨ ، ١٧٠
١٥٠		عبدالله بن عمرو بن العاص	٥٥٥
١٥١	أبو موسى الأشعري	عبدالله بن قيس	٤١٣
١٥٢		عبدالله بن لهيعة المصري	٦٧

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
١٥٣	ابن أبي شيبة	عبدالله بن محمد	٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١٨٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٤٢٧ ، ٥١٨
١٥٤		عبدالله بن محمد الأمير	٨
١٥٥	أبو الشيخ	عبدالله بن محمد بن جعفر ابن حيان	٧١ ، ٣٧٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦
١٥٦		عبدالله بن محمد الحبشي	٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥١
١٥٧	أبو محمد	عبدالله بن محمد بن حيان الأندلسي	٣١٦ (ت)
١٥٨	ابن أبي الدنيا	عبدالله بن محمد بن عبيد	٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٥٥
١٥٩		عبدالله محمد الغماري	٦٣
١٦٠		عبدالله بن محي الدين العراسي	٣٧ (ت) ، ٤٧
١٦١		عبدالله بن مسعود	٥٤ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٣٢٩ ، ٤٨١
١٦٢		عبدالملك بن حسين -	٣٩
١٦٣	ابن جريج	عبدالملك بن عبدالعزيز ابن جريج	٢٤٩ ، ٣٣٠
١٦٤	الأصمعي	عبدالملك بن قريب	٥٥٦
١٦٥		عثمان بن بشر النجدي	٨ ، ١٢ ، ٢٤
١٦٦		عثمان بن عفان رضي الله عنه	٦٤ ، ٣٤٩ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
١٦٧	ابن الحاجب	عثمان بن عمر	٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٢٨٠ (ت)
١٦٨		عروة بن الزبير	١٨٥
١٦٩		عطاء بن أبي رباح	٥٦ ، ٤٦٤
١٧٠		عطاء بن دينار	١٨٧

م	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
١٧١		عطاء الخرساني	٤٣٢
١٧٢		عكرمة مولى ابن عباس	٥٦ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٤٨١
١٧٣		علي بن إبراهيم الأمير	٣٣ ، ٤٢ ، ٤٤
١٧٤		علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٨ ، ١٥٧ ، ٤٩٣ ، ٥١٥
١٧٥	أبو الحسن الأشعري	علي بن إسماعيل	٤ ، ٢٢٢ (ت) ، ٢٢٣
١٧٦	ابن عساكر	علي بن الحسين	١١٨ ، ١٢٧ ، ١٨٥ ، ٢٤٥ ، ٤٦٣ ، ٤٩٦ ، ٥٥٦
١٧٧	الكسائي	علي بن حمزة	٥١٣
١٧٨		علي بن رفاعة القرظي	٣٧٧ (ت)
١٧٩		علي شواخ إسحاق	٤١
١٨٠		علي صبح المدني	٢٤
١٨١	الخازن	علي بن محمد بن إبراهيم	٦٥
١٨٢	الشريف الجرجاني	علي بن محمد	٣٨
١٨٣		عمار بن ياسر	٤٥١
١٨٤	ابن شاهين	عمر بن أحمد بن عثمان	٥٣٥
١٨٥	أمير تعز	عمر بن أحمد	٢٢
١٨٦		عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٠ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٨٧ ، ٣٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤٢٥ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥
١٨٧		عمر بن عبد العزيز	٤٦٥
١٨٨	أبو جهل	عمرو بن هشام	١٨١
١٨٩	أبو الدرداء	عويمر بن مالك بن قيس	٢١١
١٩٠		القاضي عياض بن موسى	٣٨ ، ٢٢٢ (ت)

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
١٩١		عيسى عليه السلام	١١٤ ، ١٩٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٩٣ ، ٤٨٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤٧
		ف	
١١٩٢		فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٧ ، ٤٠٩
١٩٣		فرعون لعنه الله	٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨ ، ٤٣٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥٠٦ ، ٥٥٣
١٩٤		الفضيل بن عياض	٣٠٩
		ق	
١٩٥		قارون	٢٤٦ ، ٢٦٩ ، ٣٩٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥٠٦
١٩٦	المتوكل على الله	القاسم بن الجنيد	٢٢
١٩٧		قاسم غالب	٩
١٩٨		القاسم بن محمد بن إسماعيل الصنعاني	٣٧ (ت) ، ٤٧
١٩٩		قتادة بن دعامة السدوسي	٥٦ ، ٨٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٣٣٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٥٠٨ ، ٥٣٠
		ك	
٢٠٠		كعب بن عجرة	٣٢٨
٢٠١		كعب الأحبار	٦٩ ، ٥٥٦
٢٠٢		كعب بن مالك	٦٧ ، ١٨٦ ، ٤٤٤

م	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
		ل	
٢٠٣		لوط عليه السلام	١١٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٣٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٦
		م	
٢٠٤		مالك بن أنس	١٩
٢٠٥		مالك بن دينار	٥١٧
٢٠٦		مجاهد بن جبر	٥٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٨١
٢٠٧	ابن المنذر	محمد بن إبراهيم	٧١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٣ ، ٥١٨
٢٠٨	ابن الوزير	محمد بن إبراهيم	١٨ ، ٣٨ ، ٢٢٠ (ت) ، ٣٩٣
٢٠٩	ابن قيّم الجوزيه	محمد بن أبي بكر	٣٨ ، ٤١٣ ، ٤٦٥ ، ٤٩٥
٢١٠	القرطبي	محمد أحمد بن أبي بكر	٦٥ ، ٧١
٢١١	ابن جُزَيّ الكلبي	محمد بن أحمد بن محمد	٣٨
٢١٢	الشافعي	محمد بن إدريس	١٩
٢١٣		محمد بن إسحاق بن يسار	١٢٩ ، ٢٢٥ (ت)
٢١٤	البخاري	محمد بن إسماعيل	١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٣٧٧ ، ٤٧٢
٢١٥	الكلبي	محمد بن السائب بن بشر	٢٤٤ ، ٤٨١
٢١٦	الشنقيطي	محمد الأمين	٦٠ ، ٦١ ، ٢٨٥ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٤٠٥ ، ٤٣١ ، ٥٣٤

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
٢١٧	الطبري	محمد بن جرير	٦٥ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٣ ، ٥٠٨ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥
٢١٨	الخرائطي	محمد بن جعفر بن محمد ابن سهل	٢٥٨ (ت)
٢١٩	الشريف الرضي	محمد بن الحسين	٣٨ ، ٢٣٨ (ت)
٢٢٠		محمد بن حسين الذهبي	٦٨
٢٢١	ابن سعد	محمد بن سعد بن منيع	١٨٥
٢٢٢		محمد صديق خان	٨ ، ١٢
٢٢٣	أبو بكر الباقلاني	محمد بن الطيب بن محمد	٤ ، ٢٢٢ (ت)
٢٢٤		محمد بن عبد الرحمن العبيكان	٣٦
٢٢٥	سراج الدين	محمد بن عبد الله المخزومي	٩٤ (ت) (١)
٢٢٦	الحاكم	محمد بن عبد الله النيسابوري	١٠٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٨١
٢٢٧	أبو الحسن السندي	محمد بن عبد الهادي	١٨ ، ٣٦
٢٢٨	الجبائي	محمد بن عبد الوهاب	٣٤ ، ٢٢٣ (ت)
٢٢٩		محمد بن عبد الوهاب	٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥
٢٣٠	الحكيم الترمذي	محمد بن علي	١٢٧ ، ٥٣٥

(١) لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم في فهرس الأعلام وذلك لكثرة الصفحات التي ورد فيها اسمه صلى الله عليه وسلم ، ثم إنّ في كشّاف الأحاديث ما يدل على مواضع اسمه صلى الله عليه وسلم .

م٠	الكنية أو اللقب	الاســـم	الصفحــة
٢٣١	الشوكاني	محمد بن علي	٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٧١
٢٣٢	الرازي	محمد بن عمر	٦٥ ، ٢٤٤ ، ٥٠٠ ، ٥٢٤
٢٣٣	الترمذي	محمد بن عيسى	١٥٧ ، ٢٢٨ ، ٤٠٨ ، ٤٩٣ ، ٥١٥
٢٣٤		محمد بن كعب القرظي	١٥٢ ، ٢١٢ ، ٤٦٥
٢٣٥	أبو شهبة	محمد بن محمد أبو شهبة	٦٨
٢٣٦	الحاكم الكبير	محمد بن محمد بن أحمد	٤٦٣
٢٣٧		محمد بن محمد زبارة	٣١ ، ٣٧
٢٣٨	أبو السعود	محمد بن محمد العمادي	٣٤ ، ٣٨ ، ٦٥ ، ١٦٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٥١٢ ،
٢٣٩	الزهري	محمد بن مسلم بن شهاب	٢٤٤
٢٤٠	الإمام المهدي	محمد بن المطهر	٣٨
٢٤١		محمد بن المنكدر	٥١٧ (ت)
٢٤٢	المنصور بالله	محمد بن يحي الصنعاني	٢٢
٢٤٣	ابن ماجة	محمد بن يزيد	٦٤ ، ١٠٣
٢٤٤	أبو حيّان الاندلسي	محمد بن يوسف	٣٨ ، ٦٥
٢٤٥	الزمخشري	محمود بن عمر	٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٨٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٣ ، ٤٧٧ ، ٤٩٢ ، ٥١٢
٢٤٦		محمود محمد شاكر	٤٢٦
٢٤٧		مربد أحمد التميمي	٢٤
٢٤٨	مريم	مريم أم عيسى عليه السلام	٣١١ ، ٣٦٣ ، ٥٣٦

م٠	الكنية أو اللقب	الاســـم	الصفحـة
٢٤٩		الشريف مساعد صاحب مكة	٢٦
٢٥٠		مسروق الأجدع	٥٦
٢٥١	السعد التفتازاني	مسعود بن عمر	٣٨ ، ٢٣٨ (ت)
٢٥٢		مسلم بن الحجاج صاحـــب الصحيح	١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢٨١ ، ٤٠٨
٢٥٣		مسلمة بن علي الخشني	٦٧
٢٥٤		معاذ بن جبل رضي الله عنه	٢٠ ، ٣٢٢
٢٥٥		معتب بن قشير	٤٢٥
٢٥٦		مقاتل بن سليمان	١٩٢ ، ٣٨٠
٢٥٧		موسى بن عقبة	٤٨١
٢٥٨		موسى عليه السلام	٣٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤ ، ٥٠٦ ، ٥٣٥ ، ٥٦١
٢٥٩		ميكائيل	٤٠٧

م	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
		ت	
٢٦٠		ناجية بن كعب	١٨١ (ت)
٣٢٦١		نافع مولى ابن عمر	٤٨١
٢٦٢		ثبتل بن الحارث	٤٢٥
٢٦٣	أبو حنيفة	النعمان بن ثابت	١٩ ، ٦٤ ، ٢١٧
٢٦٤		نعيم القاري	٤٣٩
٢٦٥		نوح عليه السلام	٨٦ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ ، ٥٠٥ ، ٥٣٥ ، ٥٦١
		ه	
٢٦٦		هارون	٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩
٢٦٧		هامان	٩٠ ، ٩١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤٢٣ ، ٤٧٥ ، ٥٠٦
٢٦٨		هرقل	١١٩ ، ٢٣٩
٢٦٩	ابن الكلبي	هشام بن محمد بن السائب	٤٢٥
٢٧٠		هود عليه السلام	١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ٢٧١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٥١٢
		و	
٢٧١		واثلة بن الأسقع	٢٨١ ، ٤٠٨ ، ٤١١
٢٧٢		ورقة بن نوفل	٤٩١
٢٧٣		وهب بن منبه	٦٩ ، ١٢٧ ، ٢١٣
		ي	
٢٧٤		ياقث بن نوح	٥٢٢

م٠	الكنية أو اللقب	الاسم	الصفحة
٢٧٥		يحيي بن أبي كثير	٢١٣ ، ٥١٥ (ت)
٢٧٦	الفراء	يحي بن زياد	٥١٣
٢٧٧	النووي	يحي بن شرف	٣٧٨
٢٧٨	الإمام حميد الدين	يحي بن محمد	٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩
٢٧٩		يحي عليه السلام	١٠٢ ، ٢٦٧
٢٨٠		يعقوب عليه السلام	٢٠٨ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٨٤
٢٨١		يوسف بن الحسين بن زباره	٣١
٢٨٢		يوسف الرافضي العجمي	١٩
٢٨٣	ابن عبد البر	يوسف بن عبد الله بن محمد	٤٢٥
٢٨٤		يوسف بن يعقوب عليهما السلام	٨٥ ، ١٠٢ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٤٦٠ ، ٤٩٣
٢٨٥	ذو النون	يونس بن متّى عليه السلام	٦٧

فهرس مراجع الصنعاني
التي نص على ذكرها في هذا الجزء

م	المؤلف	اسم الكتاب	الصفحة
١	ابن الأثير	النهاية في غريب الحديث	٢٨٢
٢	ابن إسحاق	السيرة النبوية	٢٢٥
٣	ابن الجوزي	—	٥٥٦
٤	ابن حجر	الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف	٣٢٣
٥	ابن قيّم الجوزيه	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح	٤٩٥ (١)
٦	ابن قيّم الجوزيه	زاد المعاد	٤٦٥
٧	ابن كثير	البداية والنهاية (٢)	٤٠٧
٨	ابن الوزير	—	٢٢٠-٢٢٢
٩	أبو السعود	تفسير أبي السعود	١٦٩ ، ٣٦٥ ، ٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥

(١) هناك صفحات أخرى أورد فيها الصنعاني نقولا من كتاب حادي الأرواح ولكني لم أشر إليها هنا لأن من شرطي - في هذا الفهرس - ألاّ اذكر من الصفحات إلا ما أورد فيها اسم الكتاب صريحا عدا الدر المنثور فلكثرة ما نقل عنه الصنعاني وعدم تصريحه به إلا في موضع واحد فاني ذكرت كل الصفحات التي رأيت أنّ الصنعاني أورد فيها نقولا من الدر المنثور .

(٢) وهذا حسب ظني وإلا فانّ المؤلف - رحمه الله تعالى - لم يذكر ابن كثير ولم ينص على هذه التسمية التي أثبتّها ، وإنّما قال : وورد في إسرافيل وميكائيل وحملة العرش والكرسي وهم سادات الملائكة - كما في النهاية - أحاديث دالة على شرفهم .

م	المؤلف	اسم الكتاب	الصفحة
١٩	البخاري	صحيح البخاري	٤٧٢ (١)
١١	البغوي	معالم التنزيل	١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢١١
١٢	البيضاوي	تفسير البيضاوي	١٧٠
١٣	الترمذي	السنن	٢٢٥، ٤٠٨ ، ٤٩٤
١٤	الشريف الجرجاني	التعريفات	٣١٤
١٥	الجلالين	تفسير الجلالين	٤٦٤
١٦	الرازي	مفاتح الغيب	٢٤٤ ، ٥٢٤
١٧	الشريف الرضي	ـــــ	٢٣٨
١٨	الزمخشري	الكشاف	٨٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٤٠٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٤٩٢ ، ٥٤٣
١٩	السعد التفتازاني	المطول	٢٣٨
٢٠	السهيلي	الروض الأنف	٢٢٦

(١) ليس معنى هذا أنّه لم ينقل عن صحيح البخاري سوى في هذا الموضع فحسب ، بل نقل عنه وعن غيره من كتب الأحاديث في مواضع شتّى ، ولكن تلك النقول لم تكن عنها مباشرة ، وإنّما بواسطة الدر المنثور .

م٠	المؤلـــف	اسم الكتـــاب	الصفحـــة
٢١	السيوطي	الدر المنثور	٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٣ ، ٥٠٨ ، ٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥٥ (١)
٢٢	الطبراني	ـــــ	٤٠٩
٢٣	القاضي عياض	الشفا	٢٢٢ـ٢٢٤
٢٤	مسلم بن الحجاج	الصحيح	٢٢٥ ، ٤٠٨
٢٥	المقبلي	الإتحاف لطلبة الكشاف	٢٣٤
٢٦	المقريزي	الخطط والآثار	٨١

(١) لم يصرّح بالدر المنثور في كل هذه المواضع وإنّما عُرف ذلك بالاستقراء .

فهرس المصادر والمراجع

١) أبجـد العلـوم :
لصديق بن حسن القنّوجي / المحقق : بعناية عبدالجبار زكار / المطبعة طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢) ابن الأمير وعصره صورة من كفاح شعب اليمن :
تأليف قاسم غالب ومعه آخرين ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية .

٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر :
تأليف الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٤) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :
للبناء الدمياطي ـ بتصحيح علي محمد الضباع ـ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة

٥) اختصار علوم الحديث لابن كثير.
وبحاشيته الباعث الحثيث لأحمد شاكر .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ـ الناشر دار التراث بالقاهرة .

٦) الأدب المفرد للبخاري :
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت .

٧) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :
لأبي السعود ـ الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٨) ارشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد :
لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ـ علق عليه صلاح الدين مقبول أحمد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ الناشر الدار السلفية .

٩) أسباب نزول القرآن :
لمقبل هادي الوادعي ـ طبعة ١٤٠٠ هـ ـ مكتب المعارف ـ الرياض .

١٠) أسباب نزول القرآن :
للواحدي ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ بجدة .

١١) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير :
د. رمزي نعناعة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ الناشر دار القلم بدمشق ـ ودار الضياء ببيروت .

١٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير :
للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة السنة ـ القاهرة .

١٣) الأسماء والصفات للبيهقي :
للبيهقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

١٤) الإصابة في تمييز الصحابة :
أحمد بن حجر العسقلاني ـ بحاشية الاستيعاب لابن عبدالبر ـ نشر : دار الكتاب العربي بيروت ـ وطبعة دار نهضة مصر بتحقيق على محمد البجاوي ـ نشر مكتبة الدراسات الإسلامية .

١٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :
محمد الأمين الشنقيطي ـ عالم الكتب ـ بيروت .

١٦) إعراب القرآن للنحاس :
تحقيق الدكتور زهير زاهد ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .

١٧) الأعلام :
لخير الدين الزركلي ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤م ـ دار العلم للملايين بيروت .

١٨) إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن :
للعكبري ـ مطبوع بحاشية الفتوحات الإلهية ـ دار احياء التراث العربي بيروت .

١٩) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال :
لأحمد الاسكندري ـ مطبوع على ذيل الكشاف .

٢٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل " المشهور بتفسير البيضاوي " :
الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة ١٣١٩ هـ ـ دار الطباعة العامرة .

٢١) أهل الفترة ومن في حكمهم :
لموفق أحمد شكري ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت .

٢٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون :
لإسماعيل باشا البغدادي ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ .

٢٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة :
لمحمد بن إسماعيل الامير الصنعاني ت ١١٨٢ هـ ـ تحقيق ودراسة د٠ عبدالله شاكر الجنيدي ـ تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية باشراف د٠ على ناصر فقيهي ـ وهي مكتوبة على الآلة الكاتبة .

٢٤) البحر المحيط :
لأبي حيّان الاندلسي ـ وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط للمؤلف نفسه ـ وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين الحنفي ـ تلميذ أبي حيان ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ ـ مصورة عن طبعة السلطان عبدالحفيظ ـ سلطان المغرب ـ الناشر : دار الفكر .

٢٥) البداية والنهاية :
لابن كثير ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ ـ الناشر : مكتبة المعارف ـ بيروت .

٢٦) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :
لمحمد بن علي الشوكاني ـ الناشر : مكتبة ابن تيمية ـ بالقاهرة .

٢٧) بدع التفاسير :
لعبدالله محمد الغماري ـ الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ ـ الناشر : مكتبة القاهرة ..

٢٨) البدور الزاهرة :
لعبدالفتاح القاضي ـ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ دار الكتاب العربي / بيروت .

٢٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :
للفيروز ابادي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .

٣٠) البعث والنشور :
للبيهقي ـ تقدم بتحقيقه لدرجة الدكتورة من الجامعة الإسلامية كل من :
١ ـ الدكتور / عبدالعزيز راجي الصاعدي .
٢ ـ الدكتور / عايش عياش الجهني .
مطبوع على الآلة الكاتبة .

٣١) البيهقي وموقفه من الإلٰهيات :
للدكتور أحمد بن عطية الغامدي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ الناشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣٢) التاج المكلل :
لصديق بن حسن القنوجي ـ تصحيح عبدالحكيم شرف الدين ـ الطبعة الثانية ـ بالمطبعة الهندية العربية ـ بومباي ١٣٨٣ هـ .

٣٣) تاريخ دمشق :
لابن عساكر ـ صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، وكُمِّل نقصها من النسخ الأخرى بالقاهرة ومراكش واستانبول ـ قام بفهرستها الشيخ / محمد رزق الطرهوني ـ الناشر : مكتبة الدار بالمدينة .

٣٤) التاريخ الكبير :
للبخاري ـ طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٨هـ ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣٥) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي :
للسيوطي ـ تحقيق / عبدالوهاب عبداللطيف ـ الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ دار الكتب الحديثة .

٣٦) الترغيب والترهيب :
للمنذري ـ تصحيح مصطفى محمد عمارة ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٧) تطهير الإعتقاد عن درن الإلحاد :
للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر .

٣٨) التعريفات للجرجاني :
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣٩) تفسير ابن عباس :
تأليف الدكتور / عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي ـ طبع شركة العبيكان بالرياض ـ الناشر : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٤٠) تفسير الجلالين :
مطبوع على حاشية الفتوحات الإلهية ـ نشر : دار احياء التراث العربي بيروت .

٤١) تفسير القرآن :
للإمام عبدالرزاق الصنعاني ـ تحقيق الدكتور / مصطفى مسلم محمد ـ مكتوب على الآلة الكاتبة ١٤٠٢ هـ .

٤٢) تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين :
لابن أبي حاتم الرازي ـ سورة النمل ـ بتحقيق نشأت بن محمود الكوجك وسورة القصص بتحقيق إبراهيم بكر علي ، وكلاهما رسالتان مقدمتان لدرجتي الماجستير من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى ـ باشراف الدكتور عبدالباسط إبراهيم بلول مكتوبتان على الآلة الكاتبة .

٤٣) تفسير القرآن العظيم :
لابن كثير ـ طبعة ١٤٠٠ هـ ـ مكتبة دار التراث بالقاهرة.

٤٤) التفسير الكبير :
للفخر الرازي ـ الطبعة الثالثة بدار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٤٥) التفسير والمفسرون :
تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ ـ دار الكتب الحديثة .

٤٦) تفسير النسائي :
تحقيق حمد إبراهيم الصليفيح ـ تقدم به لنيل درجة الدكتوراة من قسم الدراسات العليا بجامعة كراتشي باشراف منتخب الحق . مكتوب على الآلة الكاتبة ١٤٠١ هـ .

٤٧) تقريب التهذيب :
لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق محمد عوّامة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الرشيد ـ سوريا .

٤٨) تهذيب التهذيب :
لابن حجر العسقلاني ـ دار صادر بيروت .

٤٩) التوحيد لابن خزيمة :
راجعه وعلق عليه محمد خليل هرّاس ـ طبعة ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥٠) توحيد الخالق :
لعبدالمجيد الزنداني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ مطبعة الكلمة بالجيزة ـ الناشر دار السلام بالقاهرة

٥١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار :
لمحمدبن إسماعيل الأمير ـ بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ ـ الناشر : مكتبة الخانجي .

٥٢) الثقات :
لمحمد بن حبّان بن أحمد البستي ـ الطبعة الأولى ـ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ـ الهند ١٣٩٣ هـ .

٥٣) الجامع لأحكام القرآن :
للقرطبي ـ الطبعة الثانية ـ بتصحيح أحمد عبدالعليم البردوني .

٥٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :
لمحمد بن جرير الطبري ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ وللطبعة الثانية لدار المعارف بتحقيق أحمد شاكر وأخيه .

٥٥) الجامع لشعب الإيمان :
للبيهقي ـ بتحقيق الدكتور / عبدالعلي عبدالحميد حامد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ الدار السلفية ـ بومباي ـ الهند .

٥٦) الجدول في إعراب القرآن :
لمحمود صافي ـ مراجعة لينه الحمصي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الرشيد ـ دمشق ـ بيروت .

٥٧) الجرح والتعديل :
لابن أبي حاتم الرازي ـ طبع دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٢ هـ ـ الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥٨) الجمع بين رجال الصحيحين :
لابن القيسراني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية .

٥٩) جمهرة الأمثال :
لأبي هلال العسكري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هـ ـ الناشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر ـ القاهرة .

٦٠) جواهر البلاغة:
لأحمد الهاشمي ـ الطبعة الثانية عشرة ـ الناشر دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٦١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :
لابن قيّم الجوزيه ـ المطبعة المدني .

٦٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
لأبي نعيم الأصبهاني ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٤ هـ .

٦٣) الدر اللقيط من البحر المحيط :
لتاج الدين الحنفي ـ مطبوع بهامش البحر المحيط .

٦٤) الدر المنثور في التفسير المأثور :
للسيوطي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ الناشر دار الفكر للطباعة .

٦٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب :
لمحمد الأمين الشنقيطي ـ الطبعة الألى ١٣٧٥ هـ ـ مطابع الرياض .

٦٦) ديوان الأمير الصنعاني :
جمع ولده عبدالله ـ الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ـ المطبعة على صبح المدني بالقاهرة .

٦٧) ديوان الخنساء :
دار صادر بيروت .

٦٨) ديوان العامر بن الحرث المشهور بجران العود :
رواية أبي سعيد السكري ـ تحقيق د. نوري العيش ـ طباعة دار الحرية ببغداد ـ الناشر وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية .

٦٩) ديوان لبيد بن ربيعة العامري :
دار صادر بيروت ١٣٨٦ هـ .

٧٠) ديوان المتنبي :
بشرح البرقوقي ـ الطبعة ١٤٠٠ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٧١) ذكر اسماء التابعين :
للدار قطني ـ تحقيق بوران الضناوي ، وكمال يوسف الحوت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية .

٧٢) الروض الأُنف للسهيلي :
تحقيق عبدالرحمن الوكيل ـ طبع دار النصر ـ نشر دار الكتب الحديثة .

٧٣) الروض النضير في ترجمة المجتهد الكبير محمد بن اسماعيل الأمير :
لابنه إبراهيم بن محمد الأمير ـ مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٩٧ تاريخ ومنه صورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية وأخرى بمكتبي الخاصة .

٧٤) زاد المسير في علم التفسير :
لابن الجوزي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ المكتب الإسلامي .

٧٥) زاد المعاد في هدي خير العباد :
لابن قيّم الجوزيه ـ تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ـ الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧ هـ ـ مؤسسة الرسالة .

٧٦) الزهـــد :
لأحمد بن حنبل ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت ـ والطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ بتحقيق محمد بسيوني ـ الناشر : دار الكتاب العربي .

٧٧) سبل السـلام :
لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ـ صححه فواز أحمد زمرلي ـ إبراهيم محمد الجمل ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت

٧٨) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة :
تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض .

٧٩) سنن ابن ماجة :
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

٨٠) سنن أبي داود :
تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ نشرته دار احياء التراث العربي بيروت .

٨١) سنن الترمذي :
تحقيق أحمد شاكر وآخرين ـ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٨٢) سنن الدارمي :
تحقيق فواز أحمد وخالد السبع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٨٣) السنن الكبرى :
للبيهقي ـ الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند ـ سنة ١٣٥٥ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت .

٨٤) السنة :
لابن أبي عاصم ـ بتخريج محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ المكتب الاسلامي .

٨٥) سير أعلام النبلاء :
للذهبي ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الرسالة .

٨٦) السيرة النبوية :
لابن هشام ـ دار الفكر بالقاهرة .

٨٧) شرح أبيات سيبويه :
للسيرافي ـ تحقيق د٠ محمد علي سلطان ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ١٩٧٩م .

٨٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :
للالكائي ـ تحقيق الدكتور / أحمد سعد حمدان ـ الناشر : دار طيبة الرياض .

٨٩) شرح العقيدة الطحاوية :
حققها وراجعها جماعة من العلماء ـ خرّج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة الدعوة الاسلامية .

٩٠) شرح المعلقات السبع:
للزوزني ـ الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٩١) شرح النووي على صحيح مسلم :
دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٩٢) شفاء العليل :
لابن قيّم الجوزيه ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٩٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى :
للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ـ المطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ ـ نشر : مكتبة دار التراث ـ القاهرة .

٩٤) الصحاح للجوهري :
تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

٩٥) صحيح البخاري :
لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (مع شرحه فتح الباري) ، مصور عن الطبعة السلفية بالقاهرة

٩٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته :
تأليف محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ المكتب الإسلامي .

٩٧) صحيح مسلم :
للإمام مسلم بن الحجاج ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٩٨) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية :
للدكتور محمد أمان الجامي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ الناشر : المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٩٩) الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار :
تأليف الدكتور أحمد محمد العليمي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٠٠) ضعيف الجامع الصغير وزيادته :
تأليف ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ المكتب الإسلامي .

١٠١) الطبقات الكبرى :
لابن سعد ـ دار صادر بيروت ١٤٠٥ هـ .

١٠٢) العدة على شرح العمدة :
للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ بتحقيق علي بن محمد الهندي ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ هـ .

١٠٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير :
اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر .

١٠٤) عنوان المجد في تاريخ نجد :
لعثمان بن بشر النجدي ـ الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

١٠٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري :ظ
لابن حجر العسقلاني ـ مصور عن الطبعة السلفية ـ الناشر : دار المعرفة ـ بيروت .

١٠٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين :
لسليمان بن عمر الشهير بالجمل ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

١٠٧) الفرق بين الفرق :
لعبدالقاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ الناشر : دار المعرفة ـ بيروت .

١٠٨) فقه اللغة وسر العربية :
لأبي منصور الثعالبي ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٢ هـ .

١٠٩) فهرست مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء :
اعداد أحمد عبدالرزاق الرقيحي وآخرين ـ تقديم علي بن علي السمـــان وزير الأوقاف والإرشاد ـ مطبعة الكاتب العربي ـ بدمشق .

١١٠) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف :
لأحمد بن حجر العسقلاني ـ ملحق بالجزء الأخير من الكشاف للزمخشري

١١١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :
للزمخشري ـ دار المعرفة ـ بيروت .

١١٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن :
لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ـ مخطـوط بالمكتبة المحمودية تحت الرقم ١٨٧ .

١١٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس :
لإسماعيل العجلوني ـ تصحيح أحمد القلاش ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ ببيروت .

١١٤) الكافية في النحو :
لابن الحاجب ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

١١٥) لباب النقول في أسباب النزول :
للسيوطي ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ ـ دار احياء العلوم ـ بيروت .

١١٦) لسان العرب :
لابن منظور الإفريقي ـ دار صادر بيروت .

١١٧) لسان الميزان :
لابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٠ هـ .

١١٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة :
لأبي عبيدة ـ تعليق محمد فؤاد سزكين ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ مؤسسة الرسالة .

١١٩) مجلّة الاكليـل :
تصدر من وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء ـ العدد الثاني من السنة الأولى خريف ١٤٠٠ هـ .

١٢٠) مجلة العرب :
تصدر عن دار اليمامة بالرياض ـ العددان ٩ ، ١٠ من سنة ١٩٧٧م .

١٢١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
لأبي بكر الهيثمي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :
جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ـ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ توزيع دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية .

١٢٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل :
للنسفي ـ مطبوع على هامش تفسير الخازن ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

١٢٤) مساوىء الأخلاق :
للخرائطي ـ حققه وتقدم به رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية الدكتور / أحمد محمد العليمي ـ مطبوع على الآلة الكاتبة .

١٢٥) المستدرك على الصحيحين :
للحاكم النيسابوري ـ الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢٦) مسند أبي داود الطيالسي :
دار المعرفة ببيروت .

١٢٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل :
الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت .

١٢٨) مسند عبدالله بن المبارك :
تحقيق صبحي البدري السامرائي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ مكتبة المعارف الرياض .

١٢٩) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن :
لعبدالله بن محمد الحبشي ـ طبع ونشر المكتبة العصرية ببيروت ـ ١٤٠٨ هـ .

١٣٠) مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني :
تأليف عبدالرحمن طيب بعكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة أسامة بتعز ـ اليمن .

١٣١) المصنف لابن أبي شيبة :
تقديم وضبط كمال يوسف الحوت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار التاج بيروت .

١٣٢) المصنف:
لعبدالرزاق الصنعاني ـ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .

١٣٣) المطول :
للتفتازاني ـ الطبعة العثمانية ١٣٣٠ هـ .

١٣٤) معاني القرآن :
للأخفش ـ تحقيق الدكتور / محمد أمين الورد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ عالم الكتب ـ بيروت .

١٣٥) معجم البلدان :
لياقوت الحموي ـ طبعة ١٤٠٤ هـ ـ دار صادر بيروت .

١٣٦) معجم الدراسات القرآنية :
تأليف الدكتورة / ابتسام مرهون الصفار ـ طبع ونشر جامعة الموصل ببغداد ١٩٨٤م .

١٣٧) معجم لمصنفات القرآن الكريم :
الدكتور على شواخ إسحاق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ منشورات : دار الرفاعي ـ الرياض .

١٣٨) المفردات في غريب القرآن :
للراغب الاصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة بيروت .

١٣٩) المفصل في اللغة :
للزمخشري ـ طبعة أجنبية ولعلها إيطالية ١٨٤٠ م .

١٤٠) المقاصد الحسنة :
للسخاوي ـ صححه عبدالله محمد الصديق ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتب ـ العلمية ـ بيروت .

١٤١) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان :
لأبي بكر الهيثمي :
تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :
لأحمد بن علي المقريزي ـ مصورة عن الطبعة المصرية ١٢٧٠ هـ ـ دار صادر بيروت .

١٤٣) الموطأ :
لمالك بن أنس ـ صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ـ طبعة ١٤٠٦ هـ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

١٤٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال :
للذهبي ـ بتحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ـ دار احياء الكتب العربية .

١٤٥) النبوة والأنبياء :
لمحمد علي الصابوني ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة الغزالي بدمشق .

١٤٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر :
لابن الجوزي ـ تحقيق محمد كاظم الراضي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٤٧) النشر في القراءات العشر :
لابن الجزري ـ بتصحيح على محمد الضباع ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤٨) النهاية في غريب الحديث والأثر :
لابن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .

١٤٩) النهاية في الفتن والملاحم :
لابن كثير ـ تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ـ دار الحديث .

١٥٠) نواد الأصول في معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :
للحكيم الترمذي ـ دار صادر بيروت .

١٥١) نيل الوطـر :
لمحمد بن محمد زياره الصنعاني ـ تحقيق ونشر مركز الدراسـات والأبحاث اليمنية ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ صنعاء .

١٥٢) هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين :
لإسماعيل باشا ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ .

١٥٣) وصف الفردوس :
لعبدالملك بن حبيب القرطبي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتـب العلمية ـ بيروت .

" فهرس الموضوعات "

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــة	١ ـ ٥
الباب الأول : في التعريف بالمؤلف وكتابه	٦ ـ ٧٠
الفصل الأول : التعريف بالمؤلف	٧ ـ ٢٩
المبحث الأول : اسمه ونسبه	٨
المبحث الثاني : مولده ونشأته	١٠
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه	١١
المبحث الرابع : صفاته وأخلاقه	١٢
المبحث الخامس : مصنفاته	١٣
المبحث السادس : جهاده	١٦ ـ ٢٨
دفاعه عن العقيدة	١٦
محاربته للتعصب المذهبي	١٧
بغضه للكفار ودعوته إلى إخراجهم من أرض اليمن	١٩
انتقاده للأوضاع السياسية والإجتماعية التي كان يعيشها اليمن	٢٠
إصلاحه بين الناس	٢٢
مراسلاته للعلماء والحكّام وتأييدهم على الحق	٢٣
المبحث السابع : وفاته	٢٩
الفصل الثاني : التعريف بالكتاب	٣٠ ـ ٧٠
المبحث الأول : توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف	٣١
المبحث الثاني : هل نسب هذا التفسير لأحد من أولاد الصنعاني ؟	٤١
المبحث الثالث : عدد نسخ الكتاب ووصفها	٤٥
المبحث الرابع : هل كل هذه القطع من تفسير الصنعاني ؟	٤٩
المبحث الخامس : سبب اختياري للقطعة الثانية	٥٠
المبحث السادس : اسم الكتاب	٥١
المبحث السابع : ذكر أصح طرق التفسير	٥٣
المبحث الثامن : منهج الصنعاني في تفسيره	٥٧
المبحث التاسع : مقارنة بين منهج ابن كثير ومنهج الصنعاني	٦٠

الموضـــوع	الصفحة
الباب الثاني : النص المحقق :	٥٦٧ ـ ٧١
سورة الشعـــــراء :	١٨٧ ـ ٧١
حرص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هداية أمته	٧١
قصّة موسى عليه السلام	٧٢ ـ ٩٢
نداء الله لموسى عليه السلام وموضع النداء	٧٢
اعتذار موسى عليه السلام	٧٣
معيّة الله لموسى وأخيه هارون	٧٤
اقرار فرعون بتوحيد الربوبية	٧٥
مجادلة فرعون لموسى عليه السلام	٧٦
تكبر فرعون وجبروته	٧٨
موسى يُرى فرعون بعض آياته	٧٩
الحكمة في جعل العصا وبياض اليد بعض آيات موسى	٨٠
قذف الصالحين غاية المفسدين	٨٠
فرعون ـ الرب الكاذب ـ يطلب الرأي من عبيده الجهلة	٨٠
اجتماع السحرة لمقاومة الحق	٨١
المقريزي يذكر بعض أعمال سحرة فرعون	٨١
((يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة))	٨٢
إيمان سحرة فرعون	٨٣
قوة الإيمان لا يزعزعها تهديد ولا طغيان	٨٣
صاحب المهنة أدرى بها من غيره	٨٣
الصنعاني يستطرد في تعظيم العلم	٨٤
المؤمن يطمع في مغفرة الله ولا يجزم بها	٨٥
المبادرة إلى الخير من صفات الصالحين	٨٦
الأخذ بالأسباب لا يناقض التوكل	٨٨
فرعون يجمع قومه إلى الهلاك	٨٩
قوم فرعون لم يكونوا أصحاب عقول وتدبّر	٨٩
أهل الضلال مع كثرتهم يخشون أهل الحق مع قلتهم	٨٩
التنفير من الصالحين ديدن أهل الضلال	٩٠
جليس السوء يورد صاحبه المهالك	٩٠
«إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»	٩١
البسط في مكان والاختصار في آخر أحد أساليب القرآن	٩٢

الموضـــــوع	الصفحة
قصة إبراهيم عليه السلام	٩٢ ـ ١١٣
تعدد المواقف بين إبراهيم وقومه	٩٣
الكفار يرمون من قوس ضلالة واحد	٩٤
صفات الإله الحق	٩٤
لا حجة للكفار في عبادتهم غير الله إلا مجرد التقليد	٩٥
ما نوع الإستثناء في قوله تعالى ((إلاّ رب العالمين)) ؟	٩٦
إبراهيم يذكر بعض صفات الإله الحق	٩٧
تفسير الحكم الذي سأله إبراهيم	١٠١
كلٌّ من أنبياء الله يسأل الدخول في الصالحين	١٠٢
ما من عبد إلا وأعُد له منزلتان	١٠٣
إبراهيم يتبرأ من أبيه لما استمر على عدواته لله	١٠٤
أولوا الألباب يستعيذون بالله من خزي الدنيا والآخرة	١٠٤
الجنّة محرمة على الكافر ولا تنفعه الشفاعة	١٠٥
تفسير القلب السليم	١٠٦
الحكمة في إبراز الجحيم وإزلاف الجنة	١٠٧
سؤال المشركين عن آلهتهم يوم القيامة توبيخا وتحسيرا لهم	١٠٨
الحكمة في تقديم المعبودين على عبّادهم إلى النار	١٠٩
من هم جنود إبليس ؟	١٠٩
صرف العبادة لغير الله تسوية لله بخلقه -	١٠٩
اختصام أهل النار	١١٠
يأس المشركين ـ يوم القيامة ـ من كل شافع وحميم	١١١
المشركون يتمنون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحا	١١٢
الحكمة في ختام كل قصة بقوله تعالى ((إنّ في ذلك لآية ..)) الآيتين	١١٢
قصة نوح عليه السلام	١١٣ ـ ١٢٢
نوح أول أولي العزم وثاني من اصطفاه الله على العالمين	١١٣
قصص الأنبياء في هذه السورة تفصيل لما أجمل في بعض الآيات	١١٣
من كذّب رسولا واحدا فقد كذّب كل رسول	١١٤
رسل الله لا يريدون أجراً على دعوتهم إلا من الله رب العالمين	١١٦
ما من أحد إلا وهو معترف بالله عز وجل	١١٧
بعض ما لقيه نوح من قومه	١١٨
اتباع الرسول ـ بادىء الرأي ـ هم ضعفاء الناس	١١٩

الموضـــوع	الصفحة
الصنعاني يذكر بعض ما حصل له من أجل نشر السنة	١٢٠
أهل الضلال متفقون على عداوة الأنبياء	١٢٠
لجوء نوح الى الله عز وجل ونصر الله له	١٢١
قصة هود عليه السلام :	**١٢٢ ـ ١٣٠**
هود عليه السلام يذكر بعض مساوىء قومه	١٢٣
البناء مكروه إلى الله عز وجل إلا قدر الحاجة	١٢٤
هود عليه السلام ينبّه قومه إلى بعض نعم الله عليهم	١٢٤
بعض ما أشار إليه تعالى من منافع الأنعام	١٢٥
الأولاد نعمة عظيمة سألها أنبياء الله عز وجل	١٢٦
جواب عاد لرسولهم عليه السلام	١٢٨
مكان عاد وبيان العذاب الذي حلّ بهم	١٢٩
قصة صالح عليه السلام	**١٣٠ ـ ١٣٨**
ثمود هم أصحاب الحجر	١٣٠
قد بيّن الله لعباده طريق الخير وطريق الشر	١٣١
صالح عليه السلام يذكّر قومه ببعض نعم الله عليهم ويحذّرهم من طريق المفسدين	١٣١
جواب ثمود لرسولهم عليه السلام	١٣٣
الصنعاني يبسط قصة صالح ويذكر ما حصل من قومه له وكيف طلبوا الناقة وكيف عقروها ؟	١٣٤
هلاك ثمود وتفصيل العذاب الذي حلّ بهم	١٣٦
قصة لوط عليه السلام	**١٣٨ ـ ١٤٥**
لوط عليه السلام يذكر بعض مساوىء قومه	١٣٨
قوم لوط أوّل من أتى فاحشة اللواط فجمعوا بين الإسراف والعدوان والجهل	١٣٨
جواب قوم لوط لنبيهم عليه السلام	١٣٩
وقت نجاة لوط وأهله ووقت هلاك قومه	١٤٠
بيان ما حلّ بقوم لوط	١٤١
الآية التي تركها الله لمن بعدهم	١٤١

الموضـــوع	الصفحة
الأرض التي هاجر إليها لوط	١٤٢
مراتب انكار المنكر	١٤٤
قصة شعيب عليه السلام	١٤٥ ـ ١٥٣
موضع أصحاب الأيكة	١٤٥
لماذا قطع الأخوّة بينهم وبين شعيب ؟	١٤٦
شعيب عليه السلام يحذّر قومه من بعض المعاصي التي ارتكبوها	١٤٧
ولا تبخسوا الناس أشياءهم عام في كل شيء	١٤٨
كل الكفار باخسون لرسلهم وإنّما خص قوم شعيب لاشتهارهم به حسيا	١٤٩
فصاحة شعيب	١٥٠
بيان بعض فساد قوم شعيب	١٥٠
جواب قوم شعيب له	١٥١
بيان ما حل بقوم شعيب من العذاب	١٥٢
الرد على من شك في هذا القرآن	١٥٣
القرآن كلام الله	١٥٥
بعض الحكم التي أنزل الله القرآن من أجلها	١٥٦
النذارة مقدمة على البشارة	١٥٨
عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفضل قريش باختياره منهم	١٥٩
لقد سبق الإخبار عن محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه في الصحف الأولى	١٦١
قريش علمت صدق محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الله عزّ وجل	
يذكر لهم الأدلة مبالغة في إقامة الحجة عليهم	١٦٥
بعض الحكم في إنزال القرآن باللغة العربية	١٦٥
لا يحصل إيمان ولا كفر إلا بقضاء الله وقدره	١٦٦
تقدير الضلال على العبد عقوبة على ما علمه الله منه	١٦٧
تفسير أبي السعود لضمير الغيبة في قوله ((سلكناه))	١٦٩
ما الحياة الدنيا الا متاع مهما بلغت	١٧١
ما أهلك الله قرية الا وقد أرسل اليها منذرين	١٧١
القرآن ليس من كلام الشياطين	١٧٢
الفرق بين ما يدعو اليه القرآن وما تدعوا اليه الشياطين	١٧٣
التحذير من الشرك وبيان عاقبته	١٧٥
كل إنسان مأمور بانذار الأقرب فالأقرب	١٧٦

الموضـوع	الصفحة
شيء من خلقه صلى الله عليه وسلم	١٧٧
من توكل على الله فهو حسبه	١٧٨
الحكمة في تخصيص رؤيته تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حين يقوم	١٧٩
صفة من تنزّل عليه الشياطين	١٨٠
قصة الأخنس بن شريق مع أبي جهل	١٨١
قد يخطف الجني كلمة حق فيأتي بها إلى الكاهن فيزيد عليها أكثر من مائة كذبة	١٨١
القرآن ليس من كلام الشعراء	١٨٣
الفرق بين اتباع محمد واتباع الشياطين	١٨٣
ومن خلال السّير والتفسير أيضا تبين أن القرآن كلام الله	١٨٤
ليس كل الشعراء غواة	١٨٥
ختام سورة الشعراء وما فيه من الوعيد	١٨٦
سورة النمـل	١٨٨ ـ ٣٣٣
القرآن مبين من حيث قرآنيته ومن حيث كتابيته	١٨٨
بعض صفات القرآن الكريم	١٨٨
بعض صفات المؤمنين	١٨٩
قد يخرج الخبر عن الغرضين الأصليين الى أغرض أخرى تستفاد من السياق	١٩٠
قصة موسى عليه السلام	١٩١ ـ ٢٠٥
عبّر موسى بلفظ واحد فترجم الله عنه ما قال	١٩١
لا يلاحظ في الحكاية الا حاصل ما في المحكي	١٩٣
من الذي في النار ومن الذي حولها ؟	١٩٣
الصنعاني يستطرد في ذكر بعض ما وصفه الله بالبركة	١٩٤
آيات موسى الى فرعون	١٩٨
ما كُذّب نبيٌّ من الأنبياء الا جحودا	٢٠٠
قصة سليمان بن داود عليهما السلام	٢٠٥ ـ ٢٥٠
العلم من أعظم هبات الله لعباده	٢٠٥
الصالحون يقابلون نعم الله بالحمد له تعالى	٢٠٦
ليس فضل الله خاصا بداود وسليمان عليهما السلام	٢٠٧

الموضـــوع	الصفحة
« وورث سليمان داود »	٢٠٨
«وأما بنعمة ربك فحدّث»	٢١٠
ما من مخلوق الا وجعل الله نطقا	٢١١
كان داود عليه السلام يعلم نطق البهائم أيضا	٢١١
العموم مخصص بالعقل والحس	٢١٢
مشهد من ملك سليمان عليه السلام	٢١٢
لا شيء في الدنيا يعادل ثواب الآخرة	٢١٣
معنى الحشر والجند	٢١٤
بيان جنود سليمان عليه السلام	٢١٥
«وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم»	٢١٦
كل شيء يسبح لله تسبيحا حقيقيا ولكنّا لا نفقهه	٢١٧
الرد على من حمل ذلك على المجاز	٢١٩
النعمة على الآباء نعمة على الأولاد	٢٣٠
تعريف العمل الصالح	٢٣١
التوفيق للعمل الموصل للجنة إنّما يحصل برحمة الله تعالى	٢٣١
سليمان يتفقّد الطير فيفقد الهدهد	٢٣٢
لا يكون العقاب الا اذا انتفت الحجة	٢٣٤
الهدهد يخبر سليمان عما رأى في سباء	٢٣٥
الحيوانات موحدة لله عز وجل	٢٣٧
الأصل في الخبر الصدق أو الكذب فحسب	٢٣٧
الاختصار على فهم السامع أسلوب من أساليب القرآن	٢٣٨
السنة في الكتابة	٢٣٩
التشاور في الأمور سنة عقلية وطريقة شرعية	٢٣٩
كمال عقل ملكة سبأ	٢٤٠
قدرة الجن على حمل الأثقال	٢٤٢
الذي عنده علم من الكتاب لم يحمل العرش وإنّما دعى الله باسمه الأعظم	٢٤٣
أقوال المفسرين في اسم الله الأعظم ، واسم الذي عنده علم من الكتاب	٢٤٤
الشكر قيد للنعم الموجودة وصيد للنعم المفقودة	٢٤٦
من القائل ((وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)) ؟	٢٤٧
صفة الصرح الذي صنع لأختبار بلقيس	٢٤٩

الموضـــوع	الصفحة
قصة صالح ـ عليه السلام ـ مع قومه	٢٥١ ـ ٢٥٨
نسب ثمود	٢٥١
قوم صالح يطلبونه العذاب وهو يرشدهم للاستغفار	٢٥٢
ما بسطه الله في موضع اختصره في آخر	٢٥٢
الطِّيرة من صفات الكفار	٢٥٣
المفسدون يتأمرون لقتل صالح ـ عليه السلام ـ وأهله	٢٥٤
((ولا يحيق المكر السيء الا بأهله))	٢٥٥
بيان الهلاك الذي حلّ بقوم صالح	٢٥٦
قصة لوط عليه السلام	٢٥٨ ـ ٢٦٠
المنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم	٢٥٨
جواب قومه عليه	٢٥٩
الإستدلال على وحدانيته تعالى بالآيات الكونية	٢٦٠
لا يعلم الغيب الا الله	٢٧٨
تأويل الأحلام ليس من علم الغيب	٢٨٣
لا يعلم أحد متى تكون الساعة	٢٨٤
أقسام المكذبين بالبعث	٢٨٧
لا دليل على نفي الإعادة الا مجرد الاستبعاد	٢٩٠
المكذّبين يستعجلون عذاب الله	٢٩١
من فضل الله على عباده	٢٩٣
ولكنّ أكثرهم لا يشكرون	٣٠٣
تنزيل القرآن من أعظم نعم الله على عباده	٣٠٥
تحذير العباد من خواطر السوء	٣٠٨
لا يعلم ما في ضمائر العباد الا الله	٣١٠
ما من شيء إلا وقد قدره الله في الأزل	٣١٠
((إنّ هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون))	٣١١
بعض صفات هذا القرآن	٣١٣
الكفار لا تنفعهم الذكرى	٣١٤
الذين تنفعهم الذكرى	٣١٦
خروج الدآبة من أشراط الساعة الكبرى	٣١٧
بعض الروايات في أوصاف الدآبة ومكان خروجها	٣١٧
حشر الناس وانقسامهم الى عدة أصناف	٣٢٢

الموضـــوع	الصفحة
تقريع الكفار وعدم نطقهم	٣٢٤
يوم القيامة فيه عدة مواطن	٣٢٥
تعاقب الليل والنهار دليل على البعث والنشور	٣٢٦
النفخ في الصور واستثناء بعض المخلوقات من الصعق	٣٢٦
أحوال الجبال يوم النفخ في الصور	٣٢٧
من جاء بالحسنة فله خير منها	٣٢٨
أقوال العلماء في وقت الفزع	٣٣٠
اتفقت كلمة السلف على أنّ المراد بالسيئة ـ في هذه الآية ـ الشرك	٣٣٠
فضل مكة وبعض اسمائها	٣٣١
دين الله هو الاسلام	٣٣٢
ختام سورة النمل بوعيد أهل الضلال	٣٣٢
سورة القصـص	٣٣٤ ـ ٤٤١
قصة موسى عليه السلام	٣٣٤ ـ ٣٦١
تكبر فرعون في الأرض	٣٣٥
منة الله على بني إسرائيل	٣٣٧
بشارة الله لأم موسى	٣٣٩
وصول موسى إلى بيت فرعون	٣٣٩
ثناء الله على امرأة فرعون	٣٤٠
لا شك في وعد الله	٣٤١
قتل موسى للقبطي	٣٤٤
خروجه عليه السلام الى مدين	٣٤٦
وروده عليه السلام ماء مدين	٣٤٦
الحفظ والعلم شرطان لولاية بيت المال	٣٤٨
صاحب مدين يعرض إحدى ابنتيه على موسى ليتزوجها	٣٤٨
عدد السنين التي لبثها موسى في مدين	٣٤٩
لا يكون المهر منفعة إلا اذا تعذر المال	٣٥٠
كل الأنبياء يدعون الى توحيد الله عز وجل	٣٥١
كلام الله لموسى عليه السلام	٣٥١
وجه الجمع بين تسمية عصى موسى حية وجانا وثعبانا	٣٥٢
المبطل يتلوّن في رد الحق ولا يسلك طريقا واحدة	٣٥٤
أهل الجهالة من ملوك الدنيا حريصون على شغل خواطر رعاياهم بما يلهي الرعايا عن عيوب الملوك	٣٥٥

الموضـــوع	الصفحة
قوم فرعون من أغبى الناس	٣٥٦
الكبر يحمل صاحبه على رد الحق	٣٥٧
عاقبة الكفر اللعن في الدارين	٣٥٧
وعاقبة الإيمان التسليم على أهله	٣٥٨
نزول التوراة كان بعد هلاك فرعون وملائه	٣٥٩
كتب الله كلها هدى ونور	٣٦٠
بعض خصائص القرآن عن الكتب السابقة	٣٦١
من إعجاز القرآن إخباره عن أمور غيبية	٣٦٢
بعثت الرسل رحمة من الله لعباده	٣٦٤
أقوال المفسرين في مدة الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام	٣٦٦
الجمع بين قوله تعالى : ((وإن من أمة الا خلا فيها نذير)) ،	
وقوله تعالى : ((وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير))	٣٦٧
لا يصاب العباد الا بذنوبهم	٣٦٨
لا حجة لأحد بعد مبعث الرسل ونزول الكتب	٣٦٩
تعنّت الكافرين بعد رؤيتهم الحق	٣٧٠
أقوال المفسرين في قوله تعالى ((سحران تظاهرا ...))	٣٧١
تحدي الكفار أن يأتوا بمثل القرآن	٣٧١
لا مستند للكفار في ردهم الحق سوى اتباع الهوى	٣٧٢
من اتبع الهوى فقد أعرض عن هداية الله تعالى	٣٧٤
أقام الله حجته على جميع الناس	٣٧٥
((من أهل الكتاب أمة قائمة))	٣٧٧
الصنعاني يذكر لنا بعض مالاقاه في سبيل نشر السنة	٣٧٩
مضاعفة الأجر ليس خاصاً بأهل الكتاب	٣٨٠
بعض صفات مؤمني أهل الكتاب	٣٨١
هداية التوفيق لا يملكها الا الله عز وجل	٣٨٤
امتنان الله على قريش بنعمة الحرم الآمن	٣٨٦
امتنان الله على قريش بنعمة الرزق	٣٨٨
كثير من الناس يجهل نعمة الأمن والرزق	٣٨٩
الخوف منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم	٣٩٢
بطر النعمة سبب لهلالكها	٣٩٣
((ولا يظلم ربك أحدا))	٣٩٥
((وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها))	٣٩٦
العقل السليم يرشد صاحبه الى حقارة الدنيا وزوالها	٣٩٧

الموضـــوع	الصفحـة
سؤال المشركين عن آلهتهم وتلونهم في الجواب	٣٩٩
الحكمة من ذلك السؤال	٤٠١
تبرؤ الكفار من بعضهم بعضا	٤٠٢
لم يكن من الشيطان وجنده الا وسوسة وتسويلا	٤٠٤
سؤال الله للرسل ولأممهم	٤٠٦
الكفار لا يهتدون الى الصواب	٤٠٦
((وربك يخلق ما يشاء ويختار))	٤٠٧
ذكر المؤلف لبعض ما اختار الله من مخلوقاته	٤٠٧
الخيرة إنّما تكون لمن يعلم الغيب	٤١٥
الحمد لله في الدنيا والآخرة	٤١٦
الحكم لله في الدنيا والآخرة	٤١٧
وكذلك الرجوع اليه تعالى	٤١٨
استدلال وامتنان	٤١٨
قصة قارون	٤٢٢ ـ ٤٣٧
البسط في الرزق قد يحمل المبسوط له على البغي	٤٢٣
ما يذكره بعض المفسرين عن ثعلبة بن حاطب وبخله بالزكاة لا يصح	٤٢٤
الفرح منه ما هو مذموم ومنه ما هو محبوب	٤٢٦
أقوال السلف في قوله تعالى ((ولا تنس نصيبك من الدنيا ..))	٤٢٧
جواب قارون لنا صحيه	٤٢٩
الجمع بين قوله تعالى ((ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون)) ، وقوله تعالى : ((فوربك لنسألنّهم أجمعين))	٤٣١
زينة قارون التي خرج فيها على قومه	٤٣٢
تمني الحياة الدنيا لا يقدح في التوحيد	٤٣٢
العالم من أزهد الناس في الدنيا	٤٣٣
المجرمين أعداء الأنبياء	٤٣٣
مال قارون لم يمنعه من عذاب الله	٤٣٥
معنى ((ويك)) في قوله تعالى ((ويك أن الله يبسط الرزق لمن يشاء))	٤٣٥
العلو والفساد ليستا من صفة المؤمن	٤٣٦
((من جاء بالحسنة فله خير منها))	٤٣٧
ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الا مثلها	٤٣٨
أقوال المفسرين في قوله تعالى ((لرآدك الى معاد))	٤٣٨
رد الله على اليهود والمشركين الزاعمين بأنهم خير من المؤمنين	٤٣٩

الموضـــوع	الصفحة
لم يكن صلى الله عليه وسلم قارئا ولا كاتبا ولم يطمع فيما وصل اليه من الخير	٤٤٠
تحذير الله لعباده من فتنة الكافرين	٤٤٠
الله الباقي وهو الحاكم واليه المصير	٤٤١
سورة العنكبـــوت	**٤٤٢ ـ ٥٠٧**
الانسان يُبتلى بالسراء والضراء	٤٤٢
افتتاح هذه السورة بذكر الإبتلاء فيه براعة استهلال	٤٤٥
لا ملجأ من الله الا اليه	٤٤٥
المؤمن يرجو لقاء ربه	٤٤٦
المؤمن مبتلى بالكافر والكافر مبتلى بالمؤمن	٤٤٧
الحكمة في الوصية بالآباء في هذه السورة	٤٤٨
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	٤٤٩
كفر الوالدين لا يمنع الإحسان اليهما	٤٤٩
بعض الناس متزلزل القدم غير ثابت في إيمانه	٤٥٠
المنافقون فتنة للمؤمنين	٤٥١
تعلق علم الله بالأشياء ينقسم الى قسمين	٤٥٢
أهل الكفر يسوّلون الضلال لأهل الايمان	٤٥٢
من دعى الى سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها	٤٥٣
ذكر فتنة الأنبياء بأممهم تفصيل لما سبق في صدر السورة	٤٥٣
قصة نوح مع قومه	**٤٥٣ ـ ٤٥٤**
قصة إبراهيم مع قومه	**٤٥٤ ـ ٤٦٧**
الاستدلال بالآيات الكونية على البعث بعد الممات	٤٥٧
((لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون))	٤٦٠
جواب قوم إبراهيم عليه السلام	٤٦١
هجرة ابراهيم عليه السلام	٤٦٢
عثمان بن عفان أول من هاجر من هذه الأمة	٤٦٣
الذبيح من ولد إبراهيم هو إسماعيل عليه السلام	٤٦٤
الأنبياء بعد إبراهيم كلهم من ذريته عليه السلام	٤٦٦
كل أهل الأديان تعترف بفضل إبراهيم عليه السلام	٤٦٧
قصة لوط عليه السلام مع قومه	٤٦٧ ـ ٤٧٣
جواب قومه عليه	٤٦٨
هلاك قوم لوط	٤٦٩
الراضي بالقبيح كفاعله	٤٧١

الموضـــوع	الصفحة
قصة شعيب عليه السلام مع قومه	٤٧٣ ـ ٤٧٤
تكذيب قوم شعيب وهلاكهم	٤٧٤
ذكر بعض المكذبين وكيف كان هلاكهم ؟	٤٧٥
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء	٤٧٦
الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم	٤٧٧
الأمر بالصلاة وفضلها	٤٧٩
أقوال المفسرين في معنى قوله ((ولذكر الله أكبر))	٤٨٠
الجدال منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم	٤٨٢
الإيمان بالرسول الواحد يقتضي الإيمان بالرسل جميعا	٤٨٤
ما يجحد بآيات الله الا الكافرون	٤٨٤
وجه الحكمة في أمية النبي صلى الله عليه وسلم/	
حفظ القرآن في الصدور خاصية له من بين سائر الكتب السماوية	٤٨٦
بعض ما لقيه صلى الله عليه وسلم من الجحود والتعنت	٤٨٦
القرآن أعظم آية	٤٨٧
المؤمنون هم المنتفعون بالقرآن	٤٨٧
علة تأخير العذاب عمن طلبه	٤٨٨
حث المؤمنين على الهجرة	٤٨٩
((ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة))	٤٩٠
الهجرة واجبة الى قيام الساعة	٤٩١
في ذكر الموت وفراق المحبوب ما يسلي على الهجرة	٤٩٢
الجنة دار الصالحين	٤٩٣
صفة غرف الجنة	٤٩٣
الحث على الصبر وفضله	٤٩٥
أقسام الصبر	٤٩٦
"إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين"	٤٩٦
المشركون مقرون بتوحيد الربوبية	٤٩٧
تحقير الحياة الدنيا	٤٩٨
مثل الحياة الدنيا ووجه الحكمة في ذلك المثل	٤٩٩
الانسان يلجأ الى الله في الشدة ويعرض عنه في النعماء	٥٠١
الله يمهل ولا يهمل	٥٠٢
امتنان الله على قريش بنعمة الحرم الآمن	٥٠٣
هداية الله لمن جاهد في سبيله	٥٠٤
ربط المؤلف بين بداية السورة وصدرها ونهايتها	٥٠٤

الموضـــوع	الصفحة
سورة الـــروم	**٥٠٨ ـ ٥٦٧**
الحكمة في بناء الفعل ((غُلبت)) للمفعول	٥٠٨
تفسير البضع	٥٠٨
وعد القرآن بغلبة الروم لفارس من إعجاز القرآن وأعلام النبوة	٥٠٩
الحكمة من فرح المؤمنين بنصرة الروم	٥١١
العلم الذي لا يقود صاحبه للإيمان ليس بعلم حقيقي	٥١١
العقل السليم يرشد صاحبه الى زوال الدنيا وحقارتها	٥١٢
ارتكاب المعاصي يؤدي الى الكفر	٥١٣
تفرق الناس عند قيام الساعة	٥١٤
جزاء المؤمنين	٥١٤
سماع المؤمنين الغناء في الجنة	٥١٥
جزاء الكافرين	٥١٨
آية جمعت أوقات الصلوات الخمس	٥١٨
القرآن يرشد الناس الى بعض آيات الله في أنفسهم	**٥١٩ ـ ٥٢٦**
صفات الطين الذي خلق منه آدم	٥١٩
الصنف الواحد من الدواب متفق في أعيننا مختلف فيما بينها	٥٢٤
القرآن يرشد الناس الى بعض آيات الله في الآفاق	**٥٢٦ـ٥٢٨**
الحكمة من إرسال البرق عند نزول المطر	٥٢٦
ترتيب البعث على تلك الآيات	٥٢٨
معنى قوله ((وهو أهون عليه))	٥٢٩
ما المراد بالمثل الأعلى ؟	٥٣٠
مثل يدل على وحدانية الله وتنزيهه عن الشركاء	٥٣٠
اتباع الهوى عاقبته الضلال	٥٣١
الإسلام هو دين الفطرة	٥٣٢
ولا يخرج عنه الا من اجتالته الشياطين	٥٣٤
أهمية الصلاة	٥٣٤
التحذير من الشرك	٥٣٤
النهي عن التفرق	٥٣٤
الإنسان يلجأ إلى الله عند الشدة ثم ينساه وقت الفرج	٥٣٨
لا حجة للمشركين فيما هم فيه من الضلال	٥٣٩
الله يقسم الرزق كما يشاء	٥٤٠

الموضـــوع	الصفحة
الوصية بذي القربى	٥٤٠
الوصية بالمسكين وبابن السبيل	٥٤١
لا ثواب على العمل الا اذا أريد به وجه الله	٥٤١
الحكمة في الإلتفات في الخبر في قوله : ((أولئك هم المضعفون)) من الخطاب الى الغيبة	٥٤٣
تفكر الإنسان في نفسه يدعوه الى توحيد الله	٥٤٤
الخلق والرزق والاماتة والاحياء خاصة بالله تعالى	٥٤٥
ولكن المشركين آمنوا ببعضها وكفروا ببعض	٥٤٦
فضرب الله لهم أمثلة تثبت ما أنكروه	٥٤٧
صور من فساد البر ومن فساد البحر	٥٤٨
المعاصي هي سبب ظهور الفساد	٥٤٩
الإسلام هو الدين القيم	٥٤٩
بعض صفات يوم القيامة	٥٥٠
بعض الحكم من ارسال الرياح	٥٥٢
تسلية الله لرسوله بأحوال الرسل السابقين	٥٥٢
نصر الله لعباده عام في الدين ولا يتخلف الا بذنب	٥٥٣
كثرة الاستدلال في القرآن بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية	٥٥٤
أنواع الرياح	٥٥٥
الحكمة من تأخير الله إجابة دعوة من دعاه	٥٥٧
احياء الأرض بعد موتها دليل على احياء الموتى	٥٥٧
سرعة جزع العباد عند الابتلاء	٥٥٨
الكفار كالموتى في عدم الانتفاع بحواسهم	٥٥٩
الاستدلال على توحيد الألوهية بآيات الأنفس	٥٥٩
كما صُرف المجرمون عن الحق في الدنيا كذلك يصرفون عنها في الآخرة	٥٦٢
يوم القيامة لا ينفع الاعتذار	٥٦٣
الكافر مهما يرى من الآيات فانه لن يؤمن	٥٦٤
أقسام القلوب	٥٦٥
لا يطبع الله على قلب الا عقوبة له	٥٦٦
على المؤمن أن يصبر ثقة في وعد الله بنصره	٥٦٦
كما افتتح هذه السورة بصدق وعده ختمها بحقية وعده	٥٦٧
المؤمن واثق من وعد الله ولا يستخفه أصحاب الشبهات	٥٦٧
نهاية النص المحقق	٥٦٧

الموضـــوع	الصفحة
الفهـــارس	٥٦٨
فهرس الأحاديث النبوية	٥٦٩
فهرس الآثار	٥٧٥
فهرس الأشعار	٥٨٠
فهرس الأعلام	٥٨٢
فهرس مراجع المؤلف	٦٠٠
ثبت مصادر التحقيق والدراسة	٦٠٣
فهرس الموضوعات	٦١٩